



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي
كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ



الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل:

عنوان الأطروحة:

التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في وادي سوف
من خلال
الوثائق الأرشيفية (1954 - 1962)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر

إشراف الأستاذ الدكتور:

محمد عبد الرؤوف ثامر

إعداد الطالب

طليبة بوراس

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
أ.د. علي غنابزة	أستاذ التعليم العالي	جامعة حمه لخضر - الوادي	رئيسا
أ.د. محمد عبد الرؤوف ثامر	أستاذ التعليم العالي	جامعة حمه لخضر - الوادي	مشرفا ومقررا
أ.د. رضوان شافو	أستاذ التعليم العالي	جامعة حمه لخضر - الوادي	مناقشا
أ.د. موسى بن موسى	أستاذ التعليم العالي	جامعة حمه لخضر - الوادي	مناقشا
أ.د. علي آجقو	أستاذ التعليم العالي	جامعة الحاج لخضر - باتنة 1	مناقشا
د. سليمان قريري	أستاذ التعليم العالي	جامعة الحاج لخضر - باتنة 1	مناقشا

السنة الجامعية: 1443 - 1444هـ / 2022 - 2023



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي
كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ



الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل:

عنوان الأطروحة:

التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في وادي سوف
من خلال
الوثائق الأرشيفية (1954 - 1962)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر

إشراف الأستاذ الدكتور:

محمد عبد الرؤوف ثامر

إعداد الطالب

طليبة بوراس

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
أ.د. علي غنابزة	أستاذ التعليم العالي	جامعة حمه لخضر - الوادي	رئيسا
أ.د. محمد عبد الرؤوف ثامر	أستاذ التعليم العالي	جامعة حمه لخضر - الوادي	مشرفا ومقررا
أ.د. رضوان شافو	أستاذ التعليم العالي	جامعة حمه لخضر - الوادي	مناقشا
أ.د. موسى بن موسى	أستاذ التعليم العالي	جامعة حمه لخضر - الوادي	مناقشا
أ.د. علي آجقو	أستاذ التعليم العالي	جامعة الحاج لخضر - باتنة 1	مناقشا
د. سليمان قريري	أستاذ التعليم العالي	جامعة الحاج لخضر - باتنة 1	مناقشا

السنة الجامعية: 1443 - 1444هـ / 2022 - 2023

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا

بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا

بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (سورة الرعد، الآية 11).

شكر وامتنان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبنوره تنزل البركات، أشكر الله العلي القدير الذي وفقني وأعانتني على إتمام هذا العمل، فاللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضى.

يسعدني ويسرني أن أتقدم بخالص آيات الشكر والعرفان ووافر الامتنان إلى الأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور محمد عبد الرؤوف ثامر على ما قدّمه من إرشاد وتوجيه ومرافقة.

كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر أيضا لكل من أمدني بالمساعدة والنصح والتحفيز من أساتذتي وزملائي الأساتذة، وأخص بالذكر: الدكتور علي غنابزية، الدكتور موسى بن موسى والدكتور مولود خلف الله. دون أن أنسى السيدات والسادة القائمين على مراكز الأرشيف في كل من؛ ولاية الوادي، الأرشيف الوطني لما وراء البحار بمدينة أكس آن بروفانس بمرسيليا ومصلحة التاريخ للجيش البري في قصر فانسان بباريس.

إهداء

إلى روح والديَّ الكريمين رحمهما الله.

إلى زوجتي وابني فراس عبد المجيب،

إلى بناتي إيناس وريماس وأسيل،

إلى كل من مدَّ إليَّ يدَّ المساعدة،

أهديهم جميعاً أجر وثمره جهدي

قائمة المختصرات الواردة في البحث

الكلمة مختصرة	تفصيل الكلمة	الترجمة العربية للكلمة
A.O.M	Archives Nationales d’Outre-Mer	أرشيف ما وراء البحار
C.A.P.E.R	La Caisse d’Accession à la Propriété et à l’Exploitation Rurales	صندوق التعاون العقاري واستغلال الأرياف
C.A.S	Les Centres administratives sahariennes	المراكز الإدارية الصحراوية
C.A.W.E	Centre d’Archive de La Willaya d’El Oued	مركز أرشيف ولاية الوادي
D.O.P	Détachements Opérationnels de Protection	المفرزة العملياتية للحماية
O.C.R.S	Organisation Commune des Régions Sahariennes	المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية
O.F.A.L.A.C	l’Office Algérien d’Action Economique et touristique	الديوان الجزائري للنشاط الإقتصادي
S.A.P	La Société Agricole de Prévoyance	الشركة الفلاحية للإحتياط
S.H.D.D.E	Service Historique De La Defence	مصلحة التاريخ لوزارة الدفاع
S.A.S	Les Sections Administratives Spécialisées	الفرق الإدارية المختصة
S.I.P	La Société Indigène de Prévoyance	الشركة الأهلية للإحتياط
U.O.R	Unités Opérationnelles de Renseignements	الوحدة العملياتية للاستعلامات

المقدمة

_ المقدمة:

يخضع التحول في حياة المجتمعات إلى جملة من المؤثرات التي تدفعه إلى البحث عن البدائل الضرورية لتجاوز وضع معين، أو الطموح إلى وضع أحسن يستطيع من خلاله تلبية حاجاته والتخلص من المشاكل المترتبة عن الوضع السابق أو القائم، فتنشأ بموجب هذا التحول مظاهر وطرق جديدة في التنظيم الاجتماعي تأقلماً أو رفضاً، كما تظهر ثقافة التعامل مع الأوضاع الجديدة كشرط لتقبل نماذج التحول وصوره، ولأن التحول لا يمكنه أن يقع بمعزل عن التأثيرات المكانية والزمنية، وبدون تأثير العوامل البشرية والمادية لتحقيقه، كما لا يمكنه أن يتعلق بجانب محدد ومحصور من جوانب حياة المجتمعات دون التأثير في جوانب أخرى، والارتباط بأكثر من سبب، فإن دراسته تتطلب الإلمام بمختلف التغيرات التي ساهمت في صياغة التحول بشكل دون آخر.

ومهما تعددت أسباب التحول وتفسيراته غير أن إدراكه من خلال مظاهره يبقى السبيل الأنسب لدراسته، وذلك باعتماد قاعدة مقارنة بين المظاهر القديمة والمظاهر الطارئة أو الجديدة في الحياة، كما أن التحول الاقتصادي والاجتماعي والثقافي يُعتبر منفذاً أساسياً للاطلاع على تغيرات كثيرة مصاحبة له في المجالات الأخرى، وذلك لارتباط الحياة اليومية بالتغيرات الاقتصادية والسياسية والدينية وغيرها التي تنسجم فيما بينها لتشكيل الواقع بكل مكوناته، ولعلّ تتبع تحول وتغير هذا الواقع يكون من خلال تتبع تحول جزئياته التي تساهم في تحوله وتكسبه السمات الأساسية التي يتميز بها.

ولعل ثورة التحرير التي خاضها الشعب الجزائري بين سنتي 1954 و1962، تعتبر أبرز تحول على الإطلاق شهدته الجزائر خلال تاريخها المعاصر، ثورة خاضها الشعب الجزائري بجميع أطيافه ومكوناته وشملت كل التراب الوطني الجزائري ضد القوى الاستعمارية التي جثمت على هذه الأرض منذ جويلية 1830، ولمواجهة تلك الثورة العارمة وفي محاولة منها لاحتواء الأحداث، لجأت السلطات الاستعمارية إلى رد الفعل، الذي تباين بين العنف والشدة حيناً واللين والتهدئة حيناً آخر، تبلور فيما يُعرف بسياسة العصا والجزرة لاحتواء الأزمة وعزل المتمردين عن وسطهم الطبيعي على حد تصريحات قادة الاستعمار.

ومجتمع وادي سوف شأنه شأن بقية مكونات المجتمع الجزائري الأخرى، عرف خلال هذه الفترة تغيرات وتحولات مختلفة في فترة زمنية محدودة تحت تأثير عوامل متعددة ومؤثرة، دفعت بالمجتمع إلى التكيف

والتحول إلى مسaire هذه الأوضاع الطارئة، سعيًا منه لتفادي أسوأ النتائج، والتخفيف من تبعاتها، والتطلع إلى التأقلم مع التحولات المتتالية التي تختلف عما شهده في الفترات السابقة، حيث تراكمت مشاغل المواطن البسيط وتجاذبتها تحديات كثيرة على مختلف الأصعدة؛ اقتصادية واجتماعية وثقافية، ولم تظهر بوادر الانفراج إلا بعد الاستقلال، وفي محاولة لرصد تلك التحولات والوقوف على تطوراتها من خلال البحث والتقصي في مختلف المصادر التاريخية، جاءت الدراسة تحت عنوان:

التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في وادي سوف

من خلال الوثائق الأرشيفية (1954-1962).

يدرس الموضوع التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في وادي سوف خلال فترة الثورة التحريرية 1954-1962، وهو موضوع اعتقد أنه جدير بالبحث والدراسة، لما له من أهمية متعددة الأوجه، معرفية وعلمية وقيمة تاريخية، كما يعتبر من الأعمال الأكاديمية القليلة باللغة الوطنية التي تناولت بالبحث والدراسة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بمنطقة وادي سوف خلال الفترة المدروسة، والذي سيكون إن شاء الله قاعدة أولية تفتح الباب أمام الباحثين للخوض مستقبلا في جوانبه الدقيقة المختلفة، ويجدر بي التذكير أن مصطلح كلمة وادي سوف خلال فترة الدراسة كان شائعا عند عامة الناس والكتاب الهواة، أما التقارير والكتابات الرسمية فتوصف الإقليم بحسب التسمية الرسمية والتقسيم الإقليمي والإداري الذي كان سائدا آنذاك، قبل سنة 1958 كان الإقليم يسمى ملحقة الوادي Annexe d'EL-oued، ثم البلدية المختلطة الوادي خلال سنة 1959 La Commune Mixte d'EL-oued، ودائرة الوادي d'EL-oued Arrondissement منذ سنة 1960 إلى غاية الاستقلال وتضم 16 بلدية، مع تسجيل وجود بعض التداخل بين التسميات أحيانا.

_ الإشكالية:

إن الموضوع في حد ذاته وبعيدا عن الشق السياسي والعسكري ونظرا لندرة الكتابات الوطنية وحتى الأجنبية بما فيها الفرنسية تجاهه، يطرح إشكالية تحوّل المنطقة خلال الثورة التحريرية، لا سيما التداعيات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لردود أفعال قوات الاحتلال على أهالي المنطقة، خاصة أن هذه الأخيرة

كانت سبّاقة للانخراط ضمن بؤرة الفعل الثوري منذ بدايته، ولا يمكن إدراك ذلك إلا من خلال الإجابة على الإشكالية الرئيسية الآتية:

_ ما طبيعة التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في وادي سوف من خلال الوثائق الأرشيفية خلال الفترة 1954 - 1962؟.

وللإجابة عن هذا التساؤل لا بد من طرح جملة من التساؤلات الفرعية يمكن إجمالها فيما يلي:

_ ماهي طبيعة هذه التحولات؟، وماهي أبرز مظاهرها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية؟

_ ما مدى عمق التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي شهدتها مجتمع وادي سوف خلال الفترة (1954-1962)؟

_ كيف أثّرت تلك التحولات المختلفة على النسيج الاجتماعي في وادي سوف؟

_ ماهي أبرز ملامح الرفض والتصدي أو التقبل والتأقلم المجتمعي مع تلك التحولات؟

_ دوافع ومبررات الدراسة:

لقد كان اختياري للبحث في هذا الموضوع وليد دافع ذاتي وفضول قوي، من أجل الاطلاع الوافي على وضع وادي سوف، والوصول إلى تحقيق الهدف العلمي الذي يقَدِّم مرحلة من مراحل تاريخ المنطقة ويُضفي الموضوعية والواقعية في قراءة تاريخها بعيدا عن الوجدان والعاطفة من جهة، وبعيدا عن الكتابات الأجنبية والفرنسية تحديدا التي لا تخلو من بعض المآخذ حول المعلومات التي توردها لأن جلّ ما كُتب ألّفه عسكريون أثناء الخدمة من جهة أخرى، وهو ما يدفع إلى توخي الحيطة والحذر عند التعامل معها.

إن البحث في موضوع بهذه الأهمية لا بد أن ترافقه دوافع علمية بحتة ترمي إلى إنجاز دراسة تاريخية أكاديمية، ومن جملة تلك الدوافع أذكر ما يلي:

- إثراء المكتبة الجزائرية بدراسة علمية تتعلق بالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لوادي سوف خلال المرحلة موضوع الدراسة.

- محاولة المساهمة الشخصية في تأسيس قاعدة تاريخية للأبحاث المتخصصة في هذا الإقليم الجغرافي من الجزائر في المستقبل.

- محاولة استغلال الرصيد الهام من الوثائق الأرشيفية المحلية والأجنبية ونفض الغبار عنها، والتي لم يتم بعد الباحثون الجزائريون بالتعرف عليها والبحث فيها أو لم يعيروها اهتماما.

- حماية الذاكرة الجماعية باستغلالها في تصحيح المعارف والمدونات الاستعمارية التي لها علاقة بالأرض والمجتمع بوادي سوف.

- تجاوز منحى بعض الكتابات الفرنسية التي حاولت توظيف بعض الوقائع التاريخية لمجتمع وادي سوف خلال الاحتلال الفرنسي وكشف الحقائق التاريخية المتعلقة بالمنطقة.

- إثراء المكتبة الوطنية والعربية بدراسة أكاديمية جديدة.

_ أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

- الكشف عن التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لمنطقة وادي سوف خلال الثورة التحريرية.
- ملء الفراغ الذي تعاني منه المكتبة الجزائرية فيما يتعلق بالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للمجتمع الجزائري.
- المساهمة الشخصية في تأسيس قاعدة تاريخية مستقبلية للأبحاث المتخصصة في هذا الإقليم الجغرافي من الجزائر.
- استغلال الرصيد الهام من الوثائق الأرشيفية داخل وخارج الوطن، في محاولة لتقديم رؤية وطنية للأوضاع المختلفة بالمنطقة.

- إبراز الأهمية التي تبوأها إقليم وادي سوف اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، وتمتعه بموقع إستراتيجي ومركز التقاء المحور العمودي الذي من أهم نقاطه التل الجزائري، الزاب وغدامس الليبية مع المحور الأفقي الذي يشمل

نقاط تقتر ووادي ريغ وتونس، وحدوث تفاعلات مع تلك المجتمعات في مختلف النواحي، ومحاولة تغطية فترة تاريخية هامة في تاريخ الجزائر عموما، وتاريخ وادي سوف بوجه خاص من الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

- الإلمام بالتحوّلات التي شهدتها المجتمع في وادي سوف خلال فترة الثورة التحريرية، فهي مرحلة جديدة تختلف عما سبقها، نتجت عنها تحولات بارزة كان لها بالغ الأثر على المجتمع ومدى صموده ومواجهته للسياسات الاستعمارية.

- افتقار المكتبة التاريخية الوطنية لدراسة شاملة للمجتمع في هذه الفترة الزمنية، وغياب نموذج واضح لمجتمع جزائري محلي، وكيف تعامل مع الواقع الاستعماري بين الركون والمواجهة، مع عدم توفر دراسة سابقة تحدد المعالم التاريخية للمجتمع في مجاله الزمني، فكان هذا الاجتهاد في رسم تلك المعالم وتحديد التحوّلات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

_ حدود الدراسة:

يبدأ الموضوع مع سنة اندلاع الثورة التحريرية بالجزائر في الفاتح من نوفمبر سنة 1954، وهو تاريخ معلمي وأساسي في التحوّل الكبير الذي شهدته وادي سوف من الناحية الاقتصادية والثقافة المجتمعية خاصة، وهي مرحلة مفصلية أيضا في تاريخ الجزائر والوجود الاستعماري بها، وتنتهي الدراسة بتاريخ نيل الجزائر استقلالها وتحررها من ربة الاستعمار، الذي أعلن عنه رسميا في الخامس من جويلية سنة 1962، ويُعد هذا التاريخ من المحطات التاريخية الهامة والمرجعية في تاريخ الجزائر المعاصر.

_ منهج الدراسة:

اعتمدت خلال دراستي لموضوع التحوّلات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في وادي سوف من خلال الوثائق الأرشيفية (1954-1962) على المنهج التاريخي بأصوله وقواعده، وذلك باسترجاع الأحداث والوقائع التاريخية الماضية ودراستها وتفسيرها وتحليلها قصد الحصول على معطيات تفيد في فهم موضوع الإشكالية وتيسير الإجابة عليها قدر الإمكان، المنهج التاريخي ظل ملازما لكل فصول الدراسة ومباحثها، غير أن أساليبه اختلفت باختلاف الزاوية التي تناولت منها موضوع الدراسة، ومن أهم هذه الأساليب نذكر:

- الأسلوب الوصفي لما يتم وصف الأحداث والوقائع التاريخية وصفا موضوعيا دقيقا ومنظما.

- الأسلوب الإحصائي وظفته عند تناول معطيات إحصائية مختلفة كإنجاز جداول وأشكال بيانية ومقارنتها وتفسير مختلف المعطيات المتعلقة بصلب الدراسة، وقد كان ذلك ضروريا بالنظر لطبيعة الموضوع المدروس خاصة في شقه الاقتصادي الذي يعتمد لغة الأرقام والإحصاءات.

- أسلوب تحليل المضمون استخدمته عند تحليل محتوى أو معطيات معينة بطريقة موضوعية.

- أسلوب المقارنة استعنت به خلال الدراسة كلما لزم الأمر ذلك لإبراز وتوضيح فكرة أو معطى معين يتطلب ذلك.

أما أسلوب المقابلة فقد استجذبت به لسد بعض الثغرات التي ظهرت خلال البحث وعجزت الوثائق الأرشيفية والمادة الخيرية المصدرية عن سدّها فكان ضروريا اللجوء إلى الشهادة الشفهية في حدود ما تتطلبه الحاجة إلى ذلك.

_ المصادر والمراجع المعتمدة:

اعتمدت خلال بحثي لإنجاز هذه الدراسة على الكثير من الوثائق الأرشيفية والمصادر المكتوبة الأصلية إضافة إلى عدة مراجع اهتمت بالفترة المدروسة، منها ما يمكن اعتباره وثائق ومصادر ومراجع أساسية في البحث؛ وهي التي سمحت لي بتغطية أغلب أجزاء موضوع الدراسة، ومنها ما كانت فرعية استخدمتها في سدّ بعض الثغرات التي ظهرت خلال رحلة البحث والتقصي، ويمكن تصنيف هذه المادة المصدرية والمرجعية ونقدها وإبراز أهميتها وفق ما يلي:

أ- مركز أرشيف ما وراء البحار (CAOM) بمدينة اكس آن بروفنس:

تمكنت من الاطلاع على بعض محتوياته من سلاسل مختلفة، وظّفت خلال بحثي العديد منها لا سيما السلسلة 81F التي حوت أرشيف وزارة الدولة للشؤون الجزائرية Ministère d'état chargé des affaires algériennes وضمت السلاسل الأرشيفية الفرعية من 81F1 إلى غاية 81F2449، وظّفت في دراستي ما يفوق الأربعون سلسلة منها.

كانت البداية مع أرشيف مديرية شؤون الجزائر مكتب الدراسات العامة الذي أخذت عنه من السلسلة الفرعية 81F24 ما يفيد الدراسة حول مشروع إصلاحات سوستال، 81F53 لإحصاء السكان ومتابعة حركة التمدن للسكان المسلمين في الجزائر والسلسلة الفرعية 81F57 الوضعية الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر.

أما من أرشيف ديوان وزير الدولة للشؤون الجزائرية فاستفدت من السلسلتين الفرعيتين 81F163 و81F169 وتعلق بتنظيم الشؤون العسكرية في الصحراء، أما السلسلة الفرعية 81F185 فهي حول التمدرس وخدمات المطاعم المدرسية، و81F195 تتعلق بالمهاجرين الجزائريين في فرنسا.

مصلحة الشؤون السياسية والأخبار استعملت من أرشيفها السلاسل الفرعية: 81F250، 81F532 و81F535 وتحوي أرشيف الديوان الجزائري للتنشيط الاقتصادي والسياحي (O.F.A.L.A.C) وبعض تقارير المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية (O.C.R.S).

أرشيف المكتب السياسي استفدت من سلاسله الفرعية 81F730 في المعلومات عن الشركة الفلاحية للاحتياط (S.A.P) وتقارير حول القرض الفلاحي، السلسلة الفرعية 81F965 حول تئمين اقتصاد الصحراء وتنميته، أما السلسلة الفرعية 81F991 فيها تقارير وزارة الخارجية حول وضعية الأهالي في الحجاز، 81F1033 حول هجرة المسلمين الجزائريين نحو فرنسا، 81F1037 شملت شؤون الأوربيين غير المسلمين في الجزائر وتقارير وإحصائيات حول شؤونهم العامة وحول إجراءات مغادرتهم التراب الجزائري غداة الاستقلال، 81F1058 فيها إحصائيات حول السكان الجزائريين والأوربيين في الجزائر إضافة إلى معطيات حول الصحراء.

مكتب الشؤون الإدارية كان للدراسة نصيب أيضا في أرشيفه لا سيما السلاسل الفرعية الخمسة التالية: 81F1290 حول قياد البلديات المختلطة كاملة الصلاحية والمراكز البلدية، 81F1292 بها ملفات حول التقسيم والتنظيم الإداري لأقاليم الجنوب، 81F1300 و81F1301 مخصصتين للمنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية (O.C.R.S)، أما السلسلة الفرعية 81F1356 فأحصت القضاة وأهم وثائق إصلاح العدالة.

ما يتعلق بالصحة والمساعدات الاجتماعية فقد وجدته في أرشيف مكتب الشؤون الاجتماعية لا سيما السلاسل: 81F1604 وتخص الصحة العمومية في الجزائر، 81F1611 مكافحة مرض السل في الجزائر، 81F1613 حملات مكافحة مرض الرمد الحبيبي، 81F1632 خصصت لوثائق معهد باستور بالجزائر،

81F1644 تحصى الطاقم العامل بالقطاع الصحي في الجزائر، 81F1653 بها أهم حملات المساعدات الصحية والاجتماعية، 81F1666 حوت مختلف تعدادات سكان الجزائر، أما السلسلة الفرعية 81F1575 فخصصت للمهن والحرف التقليدية في الجزائر.

فيما يخص أرشيف مكتب الوظيفة العمومية، استعنت بالسلسلة الفرعية 81F1754 حول متصرفي الشؤون المدنية، 81F1761 كل ما يتعلق بالقياد ما بين سنتي 1946 و1959، أما السلسلة الفرعية 81F1771 فأحصت موظفي البلديات وتابعت شؤونهم، والسلسلة 81F1706 حُصصت للشؤون المدرسية.

أما أرشيف مصلحة الشؤون الاقتصادية والمالية فأفادتني منه السلاسل الفرعية: 81F1799 حول المالية المحلية وجدول الضرائب المحلية، 81F1802 للإصلاح الزراعي والتجهيز الريفي والري، 81F1803 وثائق عن الوضعية الزراعية والتنمية الفلاحية، 81F1808 ضمت وثائق حو الأشغال العمومية، النقل، البريد والسكة الحديدية بالجزائر، 81F1883 ميزانية أقاليم الجنوب ثم الصحراء، وتقارير شهرية من مديرية أقاليم الجنوب، أما السلاسل: 81F1936، 81F1939، 81F1944، 81F1946 فزودتني بمعلومات وأرقام حول التنظيم الجبائي في أقاليم الجنوب والإصلاح الضريبي في الدوائر الصحراوية، علاوة على الضرائب المحلية والضرائب المباشرة والرسم على رقم الأعمال، أما ما يتعلق بأسعار مختلف المواد ومراقبتها ومتابعتها فقد وجدتها في السلسلة الفرعية 81F2004، وضعية التجارة الداخلية والخارجية وتقارير شهرية لنياية مديرية التجارة فاطلعت عليها من خلال السلسلة الفرعية 81F2120.

في قطاع الأشغال العمومية والنقل وجدت السلسلة الفرعية 81F2157 بها تقارير حول النقل العمومي والخاص ونقل المسافرين والبضائع عبر الطرقات ما بين سنتي 1941 و1961.

أرشيف مكتب الشؤون الفلاحية كان لي فيه نصيب وافر من المعلومات خاصة السلاسل الفرعية: 81F2250 حول اللحوم وتنظيم تسويقها بين سنتي 1949 و1962، 81F2250 فيها إحصائيات وتقارير حول السياسة الزراعية في الجزائر، 81F2264 وثائقها تتعلق بالشركة الأهلية للاحتياط (S.I.P)، 81F2303 وتضم كل ما يعالج موضوع التمور من إنتاج وتسويق وأسعار من خلال التقارير والإحصائيات، أما السلسلة الفرعية 81F2307 فمخصصة لكل ما يتعلق بالتبغ في الجزائر، 81F2325 بها أيضا معلومات حول سوق اللحوم،

81F2329 أعطيت معلومات حول الزريبة السوفية، 81F2338 تتعلق بالري وحفر الآبار وتطوير الواحات الصحراوية.

ب - مصلحة التاريخ للجيش البري (SHAT) في قصر فانسان بباريس:

ويأتي في المرتبة الثانية من ناحية الأهمية بالنسبة لتوظيف وثائقه الأرشيفية في بحثي، خاصة أرشيف الديوان العسكري للمندوبية العامة للحكومة في الجزائر cabinet militaire de la délégation générale du gouvernement en Algérie، خاصة السلسلة 1H وضمت السلاسل الأرشيفية الفرعية من 1H1091 إلى غاية 1H4881، وظفت في دراستي ما يربو عن عشرين سلسلة فرعية منها.

شرعت في الاستفادة من أرشيف الأمانة الدائمة للدفاع الوطني خاصة السلسلة الفرعية 1H1104 وتخص مراقبة الحدود والحرب الاقتصادية ضد المتمردين (المجاهدين) وتجميع الأهالي، والسلسلة الفرعية 1H1106 وبها تقارير حول الاقتصاد وحالة السكان ومشروع قسنطينة والتطوير الاقتصادي والاجتماعي للجزائر فيما بين سنتي 1955 و1962، كذلك الشأن بالنسبة للسلسلتين الفرعيتين 1H1117 و1H1149 فقد ضمت أيضا وثائق حول مشروع قسنطينة، أما 1H1128 فتوجد بها وثائق حول السكان والاقتصاد والمجتمع الجزائري بين سنتي 1955 و1962، السلسلة الفرعية 1H1148 حملت وثائق تخص الصحراء والتنظيم الإداري لأقاليم الجنوب (O.C.R.S)، أما 1H1107 ففيها إحصائيات وتقارير حول سكان أقاليم الجنوب، السلسلة الفرعية 1H1109 بها وثائق حول التنظيم الإداري للجزائر بين سنتي 1958 و1963، 1H1207 تمكنت من خلالها الاطلاع على أرشيف يخص الفرق الإدارية المختصة (S.A.S)، و1H1214 حول السكان البدو في الصحراء بين سنتي 1955 و1960.

أما أرشيف المكتب الأول للقيادة العامة المشتركة للجيش فقد كان للدراسة نصيب من أرشيفها من خلال السلسلة الفرعية 1H1338 التي تتحدث عن التنظيم الإداري والعسكري لأقاليم الجنوب بين سنتي 1949 و1958، والسلسلة الفرعية 1H1451 التي ضمت تقارير شهرية حول أقاليم الجنوب بين سنتي 1957 و1958.

تقرير النقيب فوزار قائد القطاع العسكري بالوادي تضمنته السلسلة الفرعية 1H1901 وهي من السلاسل التابعة لأرشيف المكتب الثالث للقيادة العامة المشتركة للجيش مع السلسلة الفرعية 1H2106 والتي من بين وثائقها مونوغرافيا لدائرة الوادي.

أرشيف المكتب الخامس للقيادة العامة المشتركة للجيش استفدت من سلاسله الفرعية: 1H2555 حول إجراءات التهدة في أقاليم الجنوب بين سنتي 1958 و1961، و 1H2565 تخص النشاطات الرياضية في الجنوب الجزائري، و 1H2566 تحمل وثائق حول التعليم المهني وتعليم الكبار، وفي الأخير السلسلتين الفرعيتين 1H2570 حول الصحة و 1H2571 بها وثائق عن الوضعية الاقتصادية في الجزائر بين سنتي 1955 و1961.

ت - مادة مصدرية:

كما استعنت ببعض المؤلفات الأصلية التي بحثت حول المنطقة، منها على سبيل المثال:

_ Cambiaire. A: Quelques observations au service du plan d'expansion économique et sociale de l'agriculture algérienne et de quelques autres agricultures sous-développées. École nationale d'Agriculture, Laboratoire de Recherches économiques et sociologiques appliquées à l'agriculture algérienne, vol 2, Alger, 1958.

_ Faucher. D: Les jardins familiaux et la technique agricole, in Annales, Paris, 14e année, n° 02, avril-juin 195.

Gabus. J: Au Sahara, Arts et symboles, Vol 02, Édit de la Baconnière, Neuchâtel, Société Française du Livre, Paris, 1958.

_C. Bataillan: LE SOUF, Etude De Géographie Humaine, Institut De Recherches Sahariennes, Université D'Alger, 1953.

_ C. Bataillan: Ressources et vie de relation du Sahara, l'exemple du Souf, Annales de Géographie, tome 69, n° 375, 1960.

_C. Bataillan: Nomades et Nomadisme au Sahara (Les Rebaia, semi nomade de SOUF), Graphische Betriebe GmbH, Imprimerie R. Oldenbourg, Munich, 1963.

_ CHAPELLE.J: Nomades noirs du Sahara, Plon, Paris, 1957.

_ SCHACHT. J: " Sur la diffusion des formes d'architecture religieuse musulmane à travers le Sahara", in Travaux de l'Institut de Recherches Sahariennes, t XI, 1^{er} semestre, E. Imbert, Alger, 1954.

Antoine. M et Chollet. P: A propos de la mortalité infantile dans une oasis du Sahara constantinois (El Oued), Archives de l'Institut Pasteur d'Algérie, n°01, mars 1959.

_ Edmond Sergent et Louis Parrot: Contribution de l'Institut Pasteur d'Algérie à la connaissance humaine du Sahara (1900-1960), INSTITUT PASTEUR D'ALGERIE, Alger, 1961.

_ Jean Pigoreau: L'émigration des musulmans de l'annexe d'El Oued, rapport dactylographié, El Oued, 30 septembre 1955.

_ Gabus, J. Au Sahara, Arts et symboles, Vol 02, Édition de la Baconnière, Société Française du Livre, Neuchâtel, Paris, 1958.

أما من الكتابات الأكاديمية المحلية والتي مهّدت لدراستي فأذكر:

_ علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1882 – 1954، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ، إشراف: عمر بن خروف، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، 2008 – 2009.

أما كتاب سوف مونوغرافيا لأندري روجي فوازن، ترجمة أبو بكر مراد ومن إصدارات دار المعرفة بالجزائر العاصمة سنة 2016، اختلف في كثير من النقاط عن نسخته الأصلية الفرنسية المرقونة والتي عندي نسخة منها، كما أنه أيضا لا يشير في أغلب الفصول إلى مصدر معلوماته وإن وجدت كثير منها متطابق مع الوثائق الأرشيفية.

ث - أعداد مجلة Bulletin de Liaison Saharienne:

وهي مجلة تصدر عن معهد البحوث الصحراوية التابع لمديرية الشؤون الصحراوية للحكومة العامة بالجزائر، صدر منها 46 عددا من أكتوبر 1950 إلى غاية جوان 1962، استضافت العديد من الأعلام العلمية المتخصصة والهاوية سواء كانت مدنية أو عسكرية، ومن اعتمدت عليهم كثيرا أذكر ما يلي:

- _ Chalumeau. P: Traditions du Souf, n°8, Alger, février 1952.
- _ Lieutenant CHABROLLES: Remarques Sur Le Bakhenouk Soufi, Les glands aux vêtements, symbolisme, n°13, Alger, Juin 1953.
- _ Sœur Claver: Fabrication des toiles de tentes, n° 14, Octobre 1953.
- _ Kh. Boukhari: Tradition du SOUF, n°14, Alger, Octobre 1953.
- _ Zoubeidi Hocine: L’histoire est un perpétuel recommencement, n° 17, Juin 1954.
- _ Chalumeau Pierre (ancien chef de l’annexe d’EL-OUED): Une Tapisserie-de-Bayeux saharienne, n° 23, Septembre 1956.
- _ Roger Leselle: Les noirs du Souf, n° Spécial, 1957.
- _ Goutret. M : Le Service des P.T.T. en Algérie, n° 29, Mars 1958.
- _ Leselle. R: Populations de l’O.C.R.S, n° 30, JUIN 1958.
- _ Paléo. D: Essai de Sociologie Saharienne, Exemple de SOUF, n° 31, Septembre 1958.
- _ Dix ans de réalisations communales dans l’annexe d’El Oued ,n° 32, décembre 1958.
- _ Pierre Chalumeau (ancien chef de l’annexe d’El-Oued): Feu le guide, n° 32, Décembre 1958.
- _ Assistance Médicale, Dix ans de réalisations communales dans l’annexe d’El Oued, n° 32, Décembre 1958.
- _ H, Z. Folklore du Souf, n°33, mars 1959.
- _ Passager. P: Les populations sahariennes, n° 34, Juin 1959.
- _ Dupuis .J: Dans le Grand Erg oriental, n°35, septembre 1959.
- _ Simone Hugot: Enfance Saharienne, n°36, Décembre 1959.
- _ VANNEY. J. R: Note sur l’émigration des Souafa, n° 38, Juin 1960.
- _ Najah. A: De l’étymologie du nakh ou danse des cheveux dans le Souf, n° 40, déc 1960.

_ B. Blaudin de Thé: La Clinique Ophtalmologique de la C.F.P. (A) à Ouargla, n° 42, Juin 1961.

_ André Voisin: La veillée du nomade soufi, n° 45, Mars 1962

_ Service de l'Enseignement au Sahara: l'Enseignement au Sahara, n° 46, Juin 1962.

إضافة إلى مجلات أخرى، تناولت في أعدادها شؤون مختلفة لمنطقة وادي سوف خلال الفترة المدروسة

ومنها:

_ Jus. H: Les Oasis Du Souf Du Département De Constantine (Sahara Oriental), Bulletin de L'ACADEMIE D'HIPPONE, n° 22, Imprimerie Emile Thomas, Bône, 1886.

_ Chalumeau Pierre: le Souf, in Algéria, N° 38, juillet-octobre 1954.

_ Paul Thibaud: Comment fonctionne la justice en Algérie, Esprit, Nouvelle série, N° 250, Editions Esprit, Paris, Mai 1957.

_ Normand. S: L'évolution des exportations algériennes vers l'étranger depuis 1950, Bulletin économique et juridique, Alger, n° 231, mars 1959.

_ Bertrand. P: Le bilan des Réalisations Sahariennes en 1959, Chroniques de la Communauté, n° 3, Paris, décembre 1959.

_ Bazin. H: En 1960 on peut parler de l'urbanisme au Sahara, Europe-France-Outre-Mer, Paris, 37e année, n° 361, décembre 1959.

_ Lebeau. L: La distribution du crédit agricole mutuel en Algérie en 1958, Bulletin économique et juridique, Alger, n° 236, hors série 1959.

_ MONTEIL. V: L'évolution et la sédentarisation des nomades sahariens, Revue internationale des sciences sociales, Unesco, vol. 11, n° 04, Paris, 1959.

_ Henri Thomas Lieutenant Colonel Commandant Militaire du Territoire de Touggourt: Migrations saisonnière et définitive des Indigènes du Territoire de Touggourt, Bulletin Algérien du Travail et de la Sécurité Sociale, 4^{ème} édition, N°52, Avril 1960.

_ Les Implications Socio-économique de l'Industrialisation au Sahara, bulletins de l'Organisation commune des régions sahariennes, juillet 1960.

_ Du Puigau. O: Enquête sur l'alimentation et les dépenses des familles Sud Constantinoise, Bulletin économique et social, n° 84, septembre 1960.

_ Régime de l'aide sociale dans les départements des Oasis et de la Saoura, bulletin de liaison des centres d'action sociale sahariens, Septembre 1960.

_ Lallemand. J : Dégradation de l'économie et de la société traditionnelles dans le Sahara moderne, Sahara 1960, Industries et travaux d'Outre-Mer, n° 84, novembre 1960.

_ Bulletin économique et juridique de l'Office algérien d'action économique et touristique (OFALAC), Service de presse et d'information du ministère d'État chargé des affaires algériennes, Novembre 1961.

_ Jean-Claude Echallier: "Sur quelques détails d'architecture du Sahara septentrional (III^e et dernière partie), le M'zab-Ouargla-Touggourt-le Souf" in Le Saharien, n° 46, 2^e Trimestre, 1967.

_ Jean Le Coz : De l'urbanisation "Sauvage" à l'urbanisation intégrée, in Bulletin de la Société Languedocienne de Géographie, n° 01, janvier-mars, Paris, 1972.

هذا إضافة إلى عدة لقاءات حوارية أجريتها مع بعض الذين عايشوا الأحداث التي تطلبت تفاصيل أكثر أو استزاده أملتها الضرورة البحثية.

_ خطة الدراسة:

قسّمت موضوع الدراسة إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، احتوت الفصول على مختلف جوانب ومجالات الدراسة.

الفصل الأول جاء تحت عنوان: التحوّلات الاقتصادية في وادي سوف من خلال الوثائق الأرشيفية (1954-1962)، تطرقت فيه لأهم التحوّلات التي مست أهم القطاعات الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة،

حيث تم خلال هذه الفترة توجيه كل المنظومة الزراعية لخدمة مصالح المتروبول، وذلك بالانتقال من إنتاج المحاصيل الغذائية التي كان مصدرها النخيل إلى تصدير المحاصيل المدرة للأرباح مما سبب تحولا على مستوى نمط الإنتاج التقليدي، كما شهدت زراعة التبغ تحولا بتراجع الكميات المنتجة بعدما أنتجت أرقاما قياسية، نتيجة هجران الفلاحين لنشاطهم ومصدر رزقهم احتجاجا على جشع وطمع السلطات الإدارية الفرنسية التي دأبت على هضم حقوقه، ثم تطرقت إلى التحول الذي مسّ نظم السقي باعتماد الآبار الحديثة بعد التنقيب عن المياه وتفجير العيون، ثم بينت التحول الذي لحق قطاعان الماشية وأثر ذلك على اقتصاد سوف.

كما أبرزت التحول الذي طرأ على مستوى التجارة؛ من تجارة القوافل إلى الاقتصاد الكولونيالي وتثمين العمل وارتفاع الأجور مما تسبب في استغناء الأهالي على العديد من المهن التقليدية الأساسية كمهنة الرعي، وتطرقت إلى الزيادة في استهلاك كميات الحبوب والمواد الاستهلاكية وتحول أنماطها، مع التعرض لطبيعة الضرائب المفروضة على الأهالي وتنوعها بين ضرائب عربية وأخرى أوروبية ومختلف مشتقاتها.

الصناعة الحرفية أيضا كان لها حضور في الدراسة خاصة حرفة النسيج وصناعة الألبسة الصوفية والزربية السوفية مع ذكر بعض الحرف الأخرى، إضافة إلى تنوع مصادر الطاقة من حطب وبتروول ودخول قارورة الغاز وتعدد استعمالاتها، لأنهي الفصل الأول بالتعريض على تجليات تحول موازنة الاقتصاد المحلي وقواعد ارتكاز التحول النوعي للاقتصاد عند مجتمع وادي سوف من خلال تنوع مصادره من مداخيل الفئة الأجيعة وتحولات المهاجرين السوافة في الخارج والاستثمارات أو المساعدات المالية الرسمية مع ما تُوفره حركة الأسواق المحلية وأثر تحول في وسائل النقل وشبكة الطرقات الحديثة ومختلف الخدمات كالهاتف والبريد وغيرها.

أما الفصل الثاني فكان عنوانه: التحولات الاجتماعية في وادي سوف من خلال الوثائق الأرشيفية (1954-1962)، استهللت الفصل الثاني من الدراسة بتناول تحول الهيكلية والسكان في ملحقة الوادي وكذا حركة الهجرة الداخلية وتفكك القرى القديمة، ثم شبه الرحل وبوادر الاستقرار كما قمت بإحصاء فئات الأجانب في سوف من زنوج ويهود وأوربيين وأهم نشاطاتهم. المرأة السوفية أيضا كان لها نصيب في الدراسة، وتطرقت بصفة خاصة لأهم مظاهر حماية المجتمع للمرأة من الغزو الثقافي الاستعماري، والتحاق الفتاة السوفية بمقاعد الدراسة بأعداد ملفته، إضافة إلى أهم أوجه مساهمة المرأة السوفية في الثورة التحريرية، وسلّط الضوء

على تحوّل المنظومة الصحية في وادي سوف والتحول العددي والكمي للأطقم والهياكل الصحية والتكفل بالأمراض السائدة كالرمد الحبيبي.

كما قدمت خلال هذا الفصل لمحة تاريخية للتحوّلات الإدارية ومختلف مراحل الإصلاح البلدي ثم الإصلاح الإقليمي لمنطقة الوادي وكذا أهم فئات أعوان الإدارة الاستعمارية في سوف 1954-1962 من قياد وشيوخ الفرق والحرس المساعد ومهامهم، وغير بعيد عنهم سلك القضاء وتحوله وأهم رجاله بسوف.

تطرقت أيضا للتحوّل المعماري في سوف وتحول أشكال النسيج العمراني سواء على مستوى العمارة المحلية أو المدينة الكولونيالية وعناصر التأثير في تحول طبيعة وشكل العمارة في مدينة الوادي كان لها نصيب وافر من الدراسة دون إهمال أثر الهجرة والأثر الكولونيالي في تطوير شكل ومقتنيات البناء، لأعرج إثرها على تحوّل أنساق البداوة وحياة الترحل نتيجة السياسة الاستعمارية لاجتثاث البداوة لما أصبحت هذه الأخيرة تشكل من خطر على الحدود الجزائرية التونسية خاصة، مشيرا إلى أثر تحوّل نسق البداوة على الفرد والمجتمع في وادي سوف خاصة من ناحية تقلص أعداد الماشية وكل ما يتعلق بذلك، معرجا على إجراءات مشروع قسنطينة الذي جاء به ديغول وكيف ألقى بضلاله على المنطقة، لأختم الفصل بدراسة التحوّل الذي أحدثته حركة الهجرة والبحث في أشكال وأسباب الهجرة من وادي سوف وطبيعة الفئات المهاجرة واتجاهاتها وحجم كثافتها، ثم نشاط السوافة في المهجر وأثر حركة الهجرة في التحوّل الحاصل للمنطقة.

الفصل الثالث وضعت له عنوان: التحولات الثقافية في وادي سوف من خلال الوثائق الأرشيفية (1954-1962)، وفيه درست تحوّل المنظومة التعليمية الفرنسية بكل مكوناتها من المدرسة إلى الإطعام المدرسي والتكوين المهني وتعليم الكبار والرياضة المدرسية ثم انتقلت إلى المنظومة التعليمية الأهلية وأهم التحولات التي حدثت بها، كما تطرقت إلى التحوّل العددي والنوعي الذي أضحى يميّز البعثات العلمية وكذا أهم مظاهر التحوّل الثقافي بوادي سوف وأهم فاعليه، لأقف بعد ذلك على أثر الحركة العلمية على التحوّل الثقافي في وادي سوف وظهور المكتبات الخاصة، انتقلت بعد ذلك إلى تحوّل الألعاب الشعبية والنشاطات الترفيهية والرياضية وبروز فريق أولمبي الواد لكرة القدم وتعرضه رفقة أنصاره في العديد من المرات لتنمر الجنود الفرنسيين، ثم عزّجت على تحوّل الثقافة الشعبية موضحا كيفية تحول أغراض الشعر الشعبي ومضامين الحكايات الشعبية عند الحكواتيين في ساحة السوق. في الأخير وقفت عند محطة أهم مجالات تحوّل السلوك اليومي لدى مجتمع

سوف بما فيها مظاهر تحوّل عادات الطعام ونوعية الوجبات والأطعمة وأدوات الطبخ والأواني المستعملة في المطبخ، كذلك تحوّل نوعية الألبسة وأقمشتها، ثم أهم التغيّرات التي حدثت في طقوس دورة الحياة كالميلاد والختان وبعض عادات الزواج.

في الختام ذيلت دراستي بخاتمة حوصلت فيها أهم نقاط مخرجات البحث، وأبرز النتائج التي توصل إليها.

_ الصعوبات التي اعترضت البحث:

تعترض الباحث خلال إنجاز دراسته عدة مصاعب وعقبات، خاصة إذا كان البحث متشعبا مثل الذي بين أيدينا، يجمع بين الاقتصاد والسوسيولوجيا والثقافة وما لهذه المجالات من تشعب وتوسع، ومما زاد الطين بلة أن مهمة الدراسة ترصد مكان التحوّل والتغيّر في هذه المجالات، والتحوّل كما هو معلوم من الصعوبة بما كان رصده في سنوات قليلة مثل الفترة التي ندرسها (1954-1962)، لا سيما أن المطلوب هو الوقوف على نقاط التحوّل في تلك المجالات بالذات من خلال الوثائق الأرشيفية، في الوقت الذي تنعدم فيه على حد علمي أي دراسة أكاديمية رصينة حول الموضوع أو حتى موضوع مشابه له يخص وادي سوف خلال هذه الفترة، مع عدم توفّر أي قاعدة أرشيفية تمكّن الباحث من الانطلاق في رحلة البحث، المركز الوطني للأرشفيف بالجزائر العاصمة سامح الله القائمين عليه، شددت الرحال إليه ثلاث مرات في رحلات منفصلة لم أتحصل منه ولو على وثيقة واحدة في ممارسة بيروقراطية مقيته، مصلحة الأرشفيف بولاية الوادي ومع التسهيلات التي قدمها لي مسؤول المصلحة إلا أنه يفتقد لمثل الوثائق التي تشبع نهم الباحث، فما كان مني إلا تغيير الوجهة نحو فرنسا حيث دقة النظام وحسن الاستقبال قبل توفّر الوثيقة أو عدمه، وما تجدر الإشارة في هذا الصدد أنه ومنذ سنة 1955 تغيّرت صيغة التقارير الإدارية لحصائل النشاط السنوية، فبعد أن كانت تقارير دسمة غنية بالمعلومات والأرقام والتفاصيل، أضحت مقتضبة ومختصرة جدا مقتصرة على معومات موجزة مع بعض الأرقام.

ثلاث رحلات كانت كافية لزيارة باريس ومرسيليا فمع ما اعترى هذه الرحلات من صعوبات كثيرة ومصاريف جمّة؛ من تذاكر السفر إلى الأكل والإيواء، حتى أنني اضطررت لشراء كل أعداد مجلة Bulletin de Liaison Saharienne بمبلغ فاق الثمانية ملايين سنتيم، وما يُتلج الصدر أنهم يعفون الكتب

والمجلات القديمة من الرسم على القيمة المضافة (TVA)، كما صادفت رحلة البحث تفشي وباء (كورونا) كوفيد 19 وما صاحب ذلك من حصر ومحدودية في الحركة، أما عن اللغة فالحمد لله تمكنت من اللغة الفرنسية جنبني الكثير من المعاناة، كما لا يفوتني أن أذكر أنني موظف إداري محدود الدخل والوقت الأمر الذي أثر سلبا على بحثي سواء من الناحية المادية أو الزمنية، ولا يسعني في الأخير إلا أن أحمد الله على توفيقه وعلى ما أمدني به من صحة وعافية لأتم هذا العمل، وما توفيقني إلا بالله.

الفصل الأول

التحوّلات الاقتصادية في وادي سوف من خلال الوثائق
الأرشيفية (1954-1962)

- _ المبحث الأول: تحوّل نظم الزراعة والسقي وتربية الماشية في وادي سوف.
- _ المبحث الثاني: تحوّل الحركة التجارية والصناعة الحرفية ومصادر الطاقة
- _ المبحث الثالث: قواعد ارتكاز التحوّل الإقتصادي في وادي سوف.

__ المبحث الأول: تحوّل نظم الزراعة والسّقي وتربية الماشية في وادي سوف:

شهد المجتمع الجزائري خلال الفترة (1954-1962) عدّة تحولات على مختلف الأصعدة والميادين، وكان حتما على الجزائري التفاعل معها ومواكبتها، ومن أهم الميادين المؤثرة على حياة وحركة المجتمع نجد الميدان الاقتصادي، هذا الأخير يُعتبر من أهم مقومات استقرار المجتمعات في الأوطان أو العكس كونه مصدرا للعيش وتلبية للحاجيات الضرورية، كما يعتبر أحد أهم عوامل التنمية وتحريك دواليب عجلة الأسواق وترويج السلع.

مجتمع وادي سوف بدوره يعتبر من المجتمعات التي تأثرت كثيرا بالتحوّلات الاقتصادية؛ فنظرا لبعدها المنطقة عن المدن والعواصم الكبرى، ارتكز السوفي شبه كليّا على مبدأ الاكتفاء الذاتي؛ فكان لزاما عليه الاستفادة قدر الإمكان من الموارد الطبيعية المحليّة المتاحة، دون أن يكون منغلقا على المحيط الخارجي؛ فقد كان وادي سوف على تواصل دائم مع المناطق المجاورة كالزّاب والنمامشة شمالا، والجريد التونسي شرقا، ووادي ريغ غربا، والمجال الجنوبي للعرق الشرقي جنوبا حتى غدامس وغات الليبيين.

اعتمد المجتمع السوفي منذ القديم على بيئته في توفير متطلّباته واحتياجاته الضرورية بما يضمن له معيشته وبقائه. لذا تعددت أنشطته الاقتصادية بين الزراعة وتربية الماشية والرّعي، والصناعات الحرفيّة والتجارة الداخليّة والخارجيّة، هذا التنوع في الأنشطة ساهم بشكل كبير في ضمان استمرارية الحركة الاقتصادية لا سيما عند ركود أحد تلك الأنشطة الاقتصادية لسبب ما، وعلى ضوء ما سبق يمكننا طرح السؤال التالي: ماهي طبيعة التحوّل الاقتصادي الذي ساد منطقة الوادي خلال سنوات الثورة التحريرية (1954 - 1962)؟

لتوضيح وتيسير الإجابة على السؤال، وجب التّطرّق إلى تلك العناصر المكوّنة للنشاط الاقتصادي خلال تلك الفترة والمتمثلة في الزراعة ونظام السقي السائد في المنطقة، تربية الماشية والرعي وكذا الصناعات التقليديّة والحرفيّة والتجارة الداخليّة والخارجيّة.

لكن قبل ذلك وجب توضيح طريقة تملك الأرض في سوف؛ هناك حق وضع اليد الذي يسمح بنوع من المضاربة العقارية، حيث لا تعتبر الأرض البيضاء ملكية خاصة، إلا إذا كان هناك أثر ما لوضع اليد عليها كغرس نخلة أو إنشاء زرب أو حفرة مهيأة لغراسة مستقبلية. حق الملكية أيضا يمتد إلى المنطقة

الافتراضية لتوسع الغوط¹، قد نجد أحيانا على بعد مئتي متر من الغوط زربا بلا جدوى ظاهرة هو بدون شك علامة ملكية لصاحب الغوط، وفي جميع الحالات الأرض في سوف وخارج مدينة الوادي تحديدا ليست ذات قيمة إذا لم تكن مستغلة.

أولا _ التحول الزراعي:

تعتبر غراسة النخيل إلى جانب زراعة التبغ من أهم محاصيل المنطقة خلال الفترة محل الدراسة، وتجدر الإشارة إلى أنه كانت تزرع بعض الخضروات والفواكه للاستهلاك المحلي؛ وما يفيض عن ذلك يباع في الأسواق، أما ما تعلق بطرق السقي التي كانت منتشرة بالمنطقة فتمثلت عموما في البئر والخطارة والماجن والسواقي والميزاب.

1 _ التحول في غراسة النخيل:

غرس أهل سوف النخيل تقريبا منذ منتصف القرن السادس عشر تقريبا في عهد الشيخ سيدي مسطور؛ الذي أمر أبناءه ومن خلالهم أهل سوف بزراعتها؛ فاستجابوا لنصحه وقاموا بجلب الكثير من أنواعها من وادي ريغ وفزان بليبيا، ومن الجريد التونسي ومن الزاب².

انتشر النخيل في كل ربوع سوف بمختلف أصنافه وإن كان أهمها على الإطلاق النخلة المنتجة لتمر دقلة نور ونخلة تمر الغرس، هذا الأخير يعتبر الغذاء الرئيس للسكان، ولقد ساعد على نمو النخلة قرب الطبقة المائية السطحية، من خلال حفر الغيطان التي كانت تُزرع فيها لكونها تتطلب كميات ماء معتبرة عند سقيها³، ولقد تعددت أسماءها تبعا لنوعية التمر الذي تنتجه، ومن أهم أسماء النخيل بسوف: دقلة نور، الغرس، تمر جرت، علي وراشت، كسباية، تاوراخت، تمرزيط، تنسين، تافزوين، تفرزايت وتكرمست وغيرها كثير بالإضافة إلى الذكار الذي تلتحق به النخلة.

1 _ عدي الهواري: الإستعمار الفرنسي في الجزائر، سياسة التفكيك الاقتصادي والإجتماعي 1830 - 1960، تر: جوزيف عبد الله، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، بيروت، لبنان، 1983، ص36.

2 _ SHDDE, 1 H 2106, (d.6): Monographie de l'arrondissement d'El-Oued (Souf), Janvier 1962, p 04.

3 _ Isnard. H: Agriculture Européenne et Agriculture Indigène en Algérie, Les Cahiers d'Outre-Mer, Bordeaux, n° 46, avril-juin 1959, p 147-159.

لكن تبقى دقلة نور النوع الفريد الذي يُصدّر إلى أوروبا، لذلك تحاط برعاية فائقة من فرز وتنظيف حتى تكون سليمة خالية من الطفليات ولحيمة ليس بها أثر للتخمر. في سوف قد يفوق وزن الحبة الواحدة ستة غرامات، مثل هذه التمور التي تتوفر على مثل هذه المزايا يُشحن أغلبها إلى ميناء بجاية ومنها إلى مرسيليا بواسطة المعمرين المحتكرين لتجارة دقلة نور وهما: اينود بو Eynaud Bo والسيد فيناتي Vinatier؛ الذّين يتحكمان في سعر وكمية دقلة نور المقتناة من الفلاحين، سواء بوجودهما الشخصي أو عن طريق وكلاء. في سنة 1959 اشترى أحد موردي التمور في مدينة مرسيليا ما يقارب ستة آلاف طن من دقلة نور وادي سوف¹.

أ _ **إنجاز الغوط:** الغوط أو الهود مسميين لنفس المكان، لكن حسب جهة تواجده؛ فإذا كان جنوب الملحقة يسمى غوط وإن كان شمالها فهو الهود. هو عبارة عن حوض ذو امتداد واسع يبلغ مئات الأمتار طولاً وعرضاً، يصل عمقه إلى حوالي 16م تزيد أو تنقص قليلاً حسب قرب وبعد المياه الجوفية عن سطح الأرض، يحفرها الرّمّال بكل أناة متحلياً بالصبر واستخدام الذكاء والفتنة التي لا تغيب عن السوفي، ولإنجاز الغوط يجب الأخذ بعين الاعتبار مرحلتين مهمتين؛ تتمثل المرحلة الأولى في ملكية الأرض، فلإنشاء غوط نخيل يتطلب الأمر وضع خطة مسبقة لذلك، خاصة تحديد المكان مع الأخذ بعين الاعتبار العديد من المواصفات التي يجب أن تتوفر فيه؛ كإنخفاض مستوى الأرضية التي وقع عليها الاختار بالإضافة إلى مراعاة عدة نواحي أخرى وفقاً للأصول المتعارف عليها بين أهل المنطقة وفقاً للعرف والتقاليد المتبعة في مثل هذه الحالات².

أما المرحلة الثانية فتتمثل في عملية رفع الرمال حتى يصل إلى مستويات قريبة من سطح الطبقة المائية الجوفية، لقد كانت عملية الحفر ونقل الرمال إلى الأعلى عملية متعبة ومضنية جداً، حيث كان الرجل يحمل القفة على ظهره في البداية، ثم على ظهور الحمير لمن سمحت له ظروفه المادية بذلك، يُبعد الرمل قدر الإمكان حتى لا يرجع إلى القاع مرة ثانية بفعل الرياح، شيئاً فشيئاً يتم إزالة الرمال حتى

1 _ Normand. S: L'évolution des exportations algériennes vers l'étranger depuis 1950, Bulletin économique et juridique, Alger, n° 231, mars 1959, p 52.

2 _ AOM, 84 F 40: (d.13): L'Agriculture et la Pauvreté Dans L'Algérie (Annexe d'El-Oued), la Commission d'enquête sur les territoires d'outre-mer, 02 Mars 1961, p 47.

الوصول إلى قاع الحفرة بارتفاع متر فوق منسوب المياه الجوفية السطحية، ثم تغرس النخلة وتلحق جذورها بالماء بغية الاستغناء عن السقي مع تعهدها بالصيانة الدورية¹.

في محاولة لتقدير الجهد المبذول من أجل انجاز الغوط، تم حساب المواد المستخرجة بالاعتماد على صور جوية وعينة من الغيطان، فكان الحجم على أقل تقدير 186 مليون م³، وعلى سبيل المقارنة فإن المواد المستخدمة في بناء أهرامات الجيزة الثلاث مجتمعة بلغ حجمها 35 مليون م³، أما قناة السويس فإن حجم المواد المستخرجة منها بلغت حوالي 83 مليون م³.²

يقوم على خدمة النخلة فريق متكامل: الرمال، العزاق الفلاح، الخماس واللقام، الأول يتولى تحضير مكان الغرس ثم فك العزلة عن النخلة في بقية مراحل حياتها، أما الثاني فيعمل على تهيئة موطن غرسها لتتمكن جذورها من ملاسة الماء، والثالث منوط به متابعة التشريعات التي تحمي النخلة وما تعلق بها، من جهته اللقام يقوم باستخلاص مشروب النخلة التي تقرر التخلص منها، يُعرف محليا اللاقمي، أما الخماس فيقوم بالرعاية المستمرة للنخلة من تنظيف وقطع للجريد ونزع الليف الذي ينمو معه واقتلاع للكرناف (الجزء الأسفل من الجريدة) الذي يظل متصلا بجذع النخلة، كما يقوم أيضا بتلقيح النخيل ومتابعة كل شؤون النخلة من التلقيح إلى غاية انتهاء عملية الجني، فهو القائم على صيانة الغوط، سمي خماسا لأنه يتقاضى خمس (1/5) المحصول كأجرة عن عمله³.

ب _ التحوّل النوعي في غراسة النخيل: من أجل استغلال هذه الثروة الفلاحية المدرة للأرباح وحتى لا تبقى رهينة الإستهلاك المحلي لا سيما بعد التوقف الشبه التام لتجارة القوافل، قررت السلطات الإدارية بملحقة الوادي الإعتماد على نخلة دقلة نور من خلال توسيع عملية غراستها حتى توجه للتصدير لكونها مطلوبة في الأسواق العالمية. غير أن الحل في نظرها ليس في توسيع الغيطان القديمة، خاصة أن

1 _ AOM, 546 AP 11: Documentation sur l'Algérie et le Sahara, Rapport Commune Mixte d'El-Oued, Décembre 1958, p 02.

2 _ Marc côte: Si Le Souf m'était conté, "Comment se fait et se défait un paysage", Editions Média-plus, Constantine, 2006, p 25.

3 _ Cambiaire. A: Quelques observations au service du plan d'expansion économique et sociale de l'agriculture algérienne et de quelques autres agricultures sous-développées. École nationale d'Agriculture, Laboratoire de Recherches économiques et sociologiques appliquées à l'agriculture algérienne, vol 2, Alger, 1958, p 488.

هذه العملية مكلفة جدا من الناحية المادية وطول المدة الزمنية لتحقيق ذلك. بل الحل يكمن في توسيع شبكة الغراسة باتباع طرق ووسائل جديدة، باستحداث غيطان أخرى تخصص لدقلة نور فقط؛ كونها مصدر الدخل في المستقبل، وإعطائها الإهتمام اللازم والعناية بجودتها وتهيئتها للتصدير والاندماج في اقتصاد أوسع، وهو ما شرعت فيه السلطات فعلا، فقد تمّ غرس تسعة آلاف نخلة بمنطقة هبة، وخمسة آلاف نخلة في الحمراية تتغذى كلها عن طريق السقي¹، إنه متغيّر جديد له بالغ الأثر على معادلة التحوّل الاقتصادي في سوف من خلال التحسن الذي عرفته دقلة نور من حث الكمية والنوعية.

نخلة دقلة نور ظل عددها يتزايد من سنة إلى أخرى، فقد بلغ عددها سنة 1953 حوالي 36 ألف نخلة من مجموع 450 ألف نخلة مختلفة الأنواع²، عدد المنتجة منها 352253 نخلة بمجموع انتاج بلغ حدود ثمانون ألف قنطار³. أما سنة 1962 فقد بلغ عدد نخلة دقلة نور 70500 نخلة منتجة وتضاف إليها 60 ألف نخلة من نفس الصنف لم تصل مرحلة الإنتاج بعد. أما مردودها فقد بلغ حوالي ثلاثون ألف قنطار، ومثل ذلك سدس الإنتاج العام للنخيل.

المكان	دقلة نور		الغرس	
	العدد الإجمالي	المنتجة	العدد الإجمالي	المنتج
الوادي	6794	2437	64849	62493
قمار	16473	14642	57960	54246
تغزوت	4861	3002	33134	30824
كوينين	6407	5482	22807	21541
ورماس	5189	4445	11897	11144
الرقبية	14277	7527	12511	10361

1 _ SHDDE, 1 H 1107, (d.05): Notice descriptive, économique et statistique des territoires du Sud (1947-1962), MINISTERE du SAHARA, Département Des Oasis, Arrondissement D'El-Oued, 03 Mars 1962, p 207.

2 _ SHDDE, 1 H 1901, (d.03): Dossier d'informations géographiques et économiques sur différentes régions sahariennes, MONOGRAPHIE, Annexe d'El-Oued, Le Lieutenant-colonel Henri THOMAS, Commandant Militaire du Territoire de Touggourt, 22 Janvier 1953, p 02.

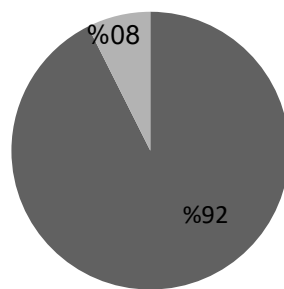
3 _ AOM, 81 F 2303, (d. 03): Enquête sur la situation économique des Territoires du Sud, NOTE SUR LA SITUATION ECONOMIQUE DE LA POPULATION MUSULMANE DE LA COMMUNE MIXTE D'EL-OUED, L'Administrateur des services Civils Chef de la Commune Mixte, 08 Juillet 1954, p 04.

629	703	62	73	الرباح
17184	23095	4177	6021	العقلة
9616	10673	796	1152	البياضة
5945	6826	2296	3402	طريفراوي
10625	13255	4457	5608	واد العلندة
30350	36772	5331	6310	الزرقم
3267	3858	1234	1775	سيدي عون
8422	10214	3000	4096	المقرن
12249	13061	3176	4188	البهيمة
11358	13968	4192	5601	حاسي خليفة
غير مغروس		800	800	سيف المنادي
12739	15694	3508	4736	الديبيلة
00	00	00	26000	هبة
00	00	00	7000	الحمراية
312983	351847	70564	130763	المجموع

جدول رقم 01: إحصاء عدد نخيل دقلة نور والغرس بسوف سنة 1962¹

حسب إحصاء سنة 1953، النسبة العامة لدقلة نور تضاهي ما نسبته ثمانية بالمئة².

■ عدد نخيل دقلة نور ■ العدد الكلي للنخيل



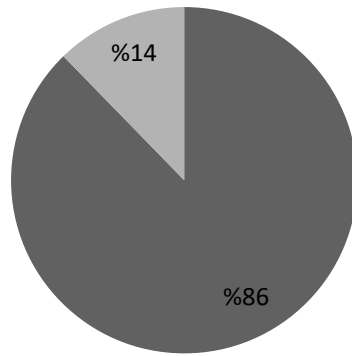
الشكل رقم 01: نسبة نخلة دقلة نور من العدد الكلي للنخيل سنة 1953 بملحقة الوادي.

1 _ SHDDE, 1 H 1107, (d.5), Op. cit, p 208.

2 _ SHDDE, 1 H 1901, (d.03), Op.cit, p 03.

بينما نجدها وحسب إحصاء سنة 1962 قد فاقت 14% كنخلة منتجة، و35% كنخلة حديثة الغرس (حشانة)، أما حسب جدول الضرائب لنفس السنة فهي تشكل أكثر من 32% في كثير من غيطان تكسبت وكونين¹.

■ النسبة الكلية للنخيل ■ نسبة نخلة دقلة نور



الشكل رقم 02: نسبة نخلة دقلة نور من العدد الكلي للنخيل سنة 1962 بالوادي.

معظم ما تم غرسه موجّه نحو التصدير، وإعادة التوجيه هذه تحمل عدة خصائص ومميزات، حيث نجد المراكز القديمة لغراسة النخيل قد حافظت على إنتاجها التقليدي، إذ نجد عددا قليلا من نخلة دقلة نور؛ فعلى سبيل المثال نجدها تمثل عُشر ($\frac{1}{10}$) النخيل المنتج في منطقة غمرة و $\frac{1}{28}$ من الحشان حديث الغراسة، كذلك الأمر في الوادي والزرقم نخلة دقلة نور لا تتجاوز سُدس ($\frac{1}{6}$) النخيل المنتج؛ وتبلغ على التوالي سُبُع ($\frac{1}{7}$) وعُشر ($\frac{1}{10}$) الحشان، أما في الجهة الجنوبية للملحقة فهي لا تبتعد عن الأرقام المذكورة سابقا ففي البياضة مثلا نجد نخلة دقلة نور لا تزيد عن ($\frac{1}{9}$)، وإذا اتجهنا شمالا نحو الدييلة لا تتجاوز الخُمس ($\frac{1}{5}$)، غربا الأمر سيان العُشر ($\frac{1}{10}$) في التوام والخُمس ($\frac{1}{5}$) في أميه أملاههم².

ما نلاحظه أن الأهمية موجّهة بصفة خاصة لتمر الغرس ذو الاستهلاك المحلي الواسع لأنه المصدر الأول للغذاء وعلف الحيوانات ولا يوجّه للتجارة بشكل أساس، غير أنه في المجمل خلال الفترة الحالية غراسة نخلة الغرس تراجعت وبالتالي إنتاج تمر الغرس شهد بدوره تراجعا، في ذات الوقت إنتاج دقلة نور

1 _ SHDDE, 1 H 1107, (d.05), Op. cit, p 208.

2 _ AOM, 81 F 965: Mise en valeur économique du Sahara, Ressources Agricoles du Souf, Rapport de L'Administrateur des services Civils Chef de Cercle Administratif du Souf, 29 Octobre 1959, p 03.

زاد بكل تأكيد؛ سواء من ناحية الكمية أو من حيث الثمن أيضا، وهو ما تمت ملاحظته على الخصوص بداية من سنتي 1958 و1959 من خلال مداخل الضرائب¹.

لقد شهد النمط الإنتاجي تحولا مفاجئا حيث تم الانتقال من إنتاج محصول غذائي إلى تصدير محصول مدر للأرباح، الأمر الذي سبب تحولا على مستوى نمط الإنتاج التقليدي، قد يؤدي إلى نقص في التزود بمادة تمر الغرس الغذاء الرئيس للأهالي وهو ما قد ينذر بالمجاعة في سوف في ظل غياب بديل، فقد بدأت هذه المنطقة بإنتاج كميات أكبر من التمور التي لا تحتاج إليها كثيرا وإنتاج كميات أقل من صنف التمور التي هي في أمس الحاجة إليها.

ت _ مشروع قسنطينة في وادي سوف: انتهج الجنرال ديغول مع نهاية سنة 1958 سياسة قمعية ضد الثورة التحريرية، هذه السياسة أخذت أبعادا خطيرة بفضل الوسائل المادية والبشرية التي وفرت لها بهدف إلحاق الهزيمة بالثوار. وبشكل يسمح بتوفير مناخ ملائم للقيام بإصلاحات اقتصادية وسياسية جذرية حفاظا على الجزائر الفرنسية. ولوضع مخططه حيز التطبيق أعلن ديغول يوم 03 أكتوبر 1958 من ساحة لا بريس بمدينة قسنطينة عن مشروعه الاقتصادي والاجتماعي للرقى بالجزائر، وكان لا بد من ضرورة الدخول في نظام إصلاحي صارم على مدار خمس سنوات، وهذا ما اعتبرته الصحف الفرنسية ومنها برقية قسنطينة بمثابة: "التجديد الفعلي لمستقبل الجزائر الفرنسية"²، أراد الجنرال ديغول من خلال مشروعه هذا سحب ورقة المظالم الاقتصادية والاجتماعية من أيدي المتمردين، أي القضاء على أصل المشكلة عبر تحقيق المساواة بين السكان المسلمين والمستوطنين، وبالتالي إرساء قاعدة قوة ثالثة "نخبة متميزة" تستفيد من مزايا هذا الإصلاح لاستعمالها في قمع الثورة التي بلغت مراحل متطورة من حياتها، وتكون بديلا معتدلا - وفق الرؤية الفرنسية - لجهة التحرير الوطني.

احتوى المشروع في شقه الاجتماعي والفلاحي خصوصا على المحاور التالية:

1 _ SHDDE, 1 H 2106, (d.06), Op. Cit, p 06.

2 _ SHDDE, 1 H 1117, (d.05): Campagne d'action psychologique pour l'application du «Plan français» du général de Gaulle, Rapport Annuel de l'action psychologique dans le sud algérien, 1959, p 13.

— يستفيد بصفة إلزامية الشباب المسلم خلال خمس سنوات من نسبة 10% من الوظائف المستحدثة لدى هيئات الدولة؛ في الإدارات والقضاء والجيش والتعليم، والخدمات العامة الفرنسية.

— استحداث أربعمئة ألف منصب عمل جديد خلال السنوات الخمس المقبلة، وتحقيق المساواة في الأجور بين المسلمين والأوروبيين وفق شبكة الأجور المطبقة في الميتروبول.

— وفي مجال التعليم تحدث ديغول عن إيجاد فرص التعليم لثلاثي الأطفال المسلمين من بنين وبنات لارتداد المدارس خلال الخمس سنوات المقبلة.

— العمل على ترقية الجزائر من خلال تهيئة الطرق والمرافئ والمواصلات والتجهيزات الصحية، وإنشاء مئتي ألف وحدة سكنية لحوالي مليون نسمة.

— في الميدان الفلاحي رأى الجنرال ضرورة القيام بإصلاحات جذرية عبر توزيع 250 ألف هكتار من الأراضي الفلاحية على الفلاحين المسلمين¹.

أما عن موقف جبهة التحرير الوطني من هذا المشروع، فإن الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية أدركت منذ البداية أن مشروع قسنطينة يخص الأقلية الأوروبية وأن هدفه الأساس هو خنق الثورة، خاصة أن جلّ الإنجازات كانت لفائدة المعمرين والاقتصاد الفرنسي، فمراكز التكوين المهني جاءت لتوفير اليد العاملة لتطوير الاقتصاد الفرنسي والذي سيكون المستفيد الأول من المشاريع الطاقوية، أما عن مناصب الشغل التي تحدث عنها الجنرال ديغول فكانت تجنيد عشرات الآلاف من الجزائريين لحصار الثورة عبر تشغيلهم في بناء خط شال، وحراسة أنابيب البترول².

لقد حاول ديغول أن يقنع الجزائريين المسلمين بأن مصلحتهم هي القبول بخياراته السياسية، لهذا أعلن عن مشروع قسنطينة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية وهو مشروع ضخم وطموح، غير أنه جاء متأخرا للغاية في وقت لم تعد فيه الامتيازات الاقتصادية قادرة على التأثير في خيارات الجزائريين الذين حسمو أمرهم واعتنقوا خيار الاستقلال التام.

كان الغرض من تطبيق مشروع قسنطينة (1959-1963) هو إحياء الريف، وذلك عن طريق إجراء تعديلات في نمط الحياة وتحسين ظروف السكن ببناء مراكز سكنية، واستصلاح الأراضي وإنشاء

1 _ Sliman chikh : L'Algérie en armes ou temps des certitudes, 2^{em} éd, Casbah, Alger, 1998, p 120.

2 _ SHDDE, 1 H 1149, (d.07): Documentation et coupures de presse sur l'économie et le plan de Constantine (1958-1961), p 32.

تعاونيات فلاحية وغيرها، لذلك قامت السلطات الفرنسية في الوادي بإنشاء القرى الفلاحية النموذجية على حد تعبيرها التالية:

__ **قرية هبة¹**: استحدثت هذه الواحة سنة 1958، غير أن الصعوبات المعترضة في السقي وحماية النّخيل من الأخطار المترتبة عن العواصف الرملية، دعت إلى تحديد حشان النّخيل بعدد 9600 نخلة مقسّمة إلى 96 حصّة مهيّئة، يستغلّها المستفيدون وقيمون فوقها، القرية تتشكل من 96 سكنا، أربع دكاكين تجارية، مسكنا للمدرسين، مدرسة نواتها حجرتين دراسيتين، وظلت تتوسع باطراد حتى ضمت في جانفي سنة 1961 ما عدده 176 عائلة و11 ألف نخلة، ووصلت سنة 1962 إلى 250 تحفيصة وُزّعت منها 170 حصة. العدد الإجمالي للنخيل ارتفع إلى 26 ألف نخلة بمعدل فاق المئة نخلة في التحفيصة الواحدة، نخلة دقلة نور تمثل ما نسبته 65 % من مجموع النخيل المغروس في واحة هبة، الدقلة البيضاء 25 %، والغرس عشرة بالمئة².

__ **قرية الحمراية³**: عند انطلاق المشروع عُرس فيها سبعة آلاف حشانة كمرحلة أولى، ثم ثلاثة آلاف أخرى سنة 1961، بإمكانيات سقي تستجيب لحوالي 17 ألف نخلة⁴.

__ **قرية الدبيلة**: لقد تم وضع مخطط ثلاثي لتهيئة محيطات مسقية بالدبيلة في ظرف سنتين انطلاقا من سنة 1962. استفاد من العملية مئتي مستفيد على مساحة قدرت بحوالي 240 هكتار. بها 150 سكن عائلي ومرافق مختلفة كالمدرسة، السوق، المسجد ووحدة العلاج⁵.

كانت طريقة الإسكان في القرى الريفية تمثل الوسيلة النهائية لتثبيت العائلات داخل مراكز سكنية جديدة. حيث رُصدت للبرنامج إمكانات مالية وبشرية وفنية ضخمة، فالمهم عند الإدارة أن تنجح في تحسيس سكان الريف باهتمام السلطات بتحسين ظروف معيشتهم قصد استمالتهم وإبعادهم عن الثورة أو تحييدهم على الأقل.

__ تبعد عن مدينة الوادي المركز بحوالي 32 كلم شمالا. 1

2 _ AOM, 81 F 123: réformes agricoles en Algérie, Arrondissement D'El-Oued, 21 Février 1962, p 04.

3 _ تبعد عن مدينة الوادي المركز بحوالي 110 كلم شمالا.

4 _ AOM, 81 F 2250: Politique Agricole, Rapport périodique, Département Des Oasis, 1961, p 13.

5 _ AOM, 81 F 123, Op. Cit, p 04.

2 _ التحول في زراعة التبغ:

تبغ الوادي متميز عن غيره ومرغوب فيه لأنه يُجنى محصوله مرتين، تُقطف أولا الأوراق السفلى والتي تعطي محصولا جيدا يفوق الأوراق العليا التي لا تقطف إلا في فصل الخريف، علما بأن النوعية المزروعة هي التبغ الذي لا يخلو من بعض الشوائب، ولكنه قوي جدا في مادة النيكوتين ورائحته قوية، نادرا ما يُستعمل خالصا لوحده، فبعد دقه وسحقه يضاف إليه الثمن ($\frac{1}{8}$) من كاربونات الصوديوم مع أوراق الآراك لإعطائه نكهة جذابة، كما تُمزج أوراق التبغ بنسبة 25 % أي الربع من نبات الطرونية لاستنشاقه أو مضغه¹.

زراعة التبغ لا تتطلب أرضا خصبة بقدر ما تحتاج إلى وجود الماء على عمق معين، لذلك تتركز زراعة التبغ في شمال الوادي، حيث متوسط بعد الطبقة المائية خمسة أمتار من السطح، يُزرع في مستطيلات مهيأة يطلق عليها اسم الغابة لما تكون مجموعة، تُحاط الغرسات بالجريد الطويل لحمايتها من الرياح الساخنة والعواصف الرملية.

أ _ لمحة حول تاريخ زراعة التبغ في وادي سوف:

ظهرت زراعة التبغ في سوف وفي منطقة قمار تحديدا منذ نهاية القرن السابع عشر، البذور جيئ بها من منطقة باجة التونسية. في البداية كان المنتج مقتصر على تغطية السوق المحلي، غير أنه بحلول القرن التاسع عشر وصل إلى مناطق عديدة بالشمال الجزائري². في مطلع القرن العشرين وتحديد سنة 1903 احتكر حكام الإيالة التونسية شراء التبغ من سوف، وتمت تهيئة مخزن له شمال قمار. وظل كل منتج تبغ وادي سوف يُصدر نحو تونس إلى غاية سنة 1914 عندما شرعت هذه الأخيرة في زراعته بمنطقة قابس. عندها توقفت تونس عن شراء التبغ المنطقة، وهو الأمر الذي دفع الفلاحين إلى البحث عن أسواق أخرى خاصة في بعض مناطق الشمال الجزائري³.

1 _ SHDDE, 1 H 2106, (d.6), Op. Cit, p 10.

2 _ علي غنابزة: مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن الثالث عشر (13 هـ) التاسع عشر (19 م)، مطبعة الرمال، الوادي، (د.ط)، 2019، ص 79.

3 _ SHDDE, 1 H 2106, (d.6), Op. Cit, p 10.

عندما شعرت السلطات الفرنسية بأهمية هذا المحصول وقيمتها المضافة للإقتصاد الفرنسي فتحت سنة 1941 فرعا متخصصا للشركة الفلاحية للاحتياط (S A P) للإشراف على زراعة التبغ وتنظيمها، من أجل احتكار تسويقه والتحكم في تجارته حتى لا يزيد العرض عن الطلب وبالتالي ضبط الأسعار لصالح المحتكرين، لذلك هذا الفرع في حقيقة الأمر ماهو إلا أداة من أدوات المعمرين للاحتكار الزراعي لهذه المادة ذات الاستهلاك المعتبر والدخل المادي المغربي.

غير أن هذا الفرع للشركة الفلاحية للاحتياط تصادم سنة 1950 مع النقابة المحلية لمزارعي التبغ، وهي تنظيم صغير مستقل استفاد من الصراع بين المصنّعين والفرع¹، الأمر الذي أعطى الفلاحين فرصة تجاوز الفرع والاتجاه مباشرة نحو المصنّعين. هذا الأخير أي فرع الشركة وجد نفسه معزولا، ولإنقاذه عرضت الشركة على الفلاحين استفادتهم من قروض بفوائد منخفضة، ويبيعهم البذور المنتقاة التي تنتجها مشتلها المختبرية، غير أنها حافظت على أثمان تخدمها ما أمكنها ذلك².

ب _ التحوّل في المساحة المزروعة وكمية الإنتاج: لم تقتصر زراعة التبغ على منطقة قمار فقط، بل يساهم كل شمال الوادي تقريبا بنسب متفاوتة في كمية انتاج التبغ حسب الجدول التالي:

الرقم	المنطقة	النسبة المئوية للإنتاج
01	قمار	66 %
02	الرقيبة	13 %
03	الهود	10 %
04	الدميثة	05 %
05	الدريميني، الجديدة، أميه خليفة وحاسي خليفة	03 %
06	الدييلة، الوادي، الدبدابة، عرق السواري، تغزوت وهبة	02 %

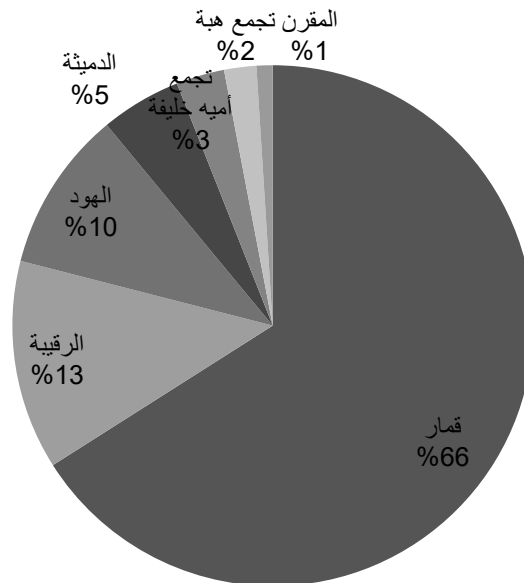
1_ علي غنايزية: مجتمع وادي سوف من الإحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1882 - 1954، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ، إشراف: عمر بن خروف، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، 2008 - 2009، ص 165.

2 _ AOM, 81 F 2307, (d. 05): Coopératives agricoles de planteurs de tabac en Algérie, Règlement d'un litige entre les planteurs du Souf et la société agricole de prévoyance d'El-Oued, (1951-1962), p 02.

07	المقرن والبهيمة	% 01
----	-----------------	------

جدول رقم 02: يوضح توزيع ونسبة إنتاج التبغ في الوادي سنة 1961¹

وزيادة في التوضيح تم رسم الدائرة النسبية التالية:



الشكل رقم 03: دائرة نسبية لمناطق إنتاج التبغ في دائرة الوادي سنة 1962

وذلك على الرغم من أن قمار ظلّت لمدة طويلة تنفرد محليا بزراعة التبغ. لقد كانت العائلة هي التي تمارس هذا النشاط الزراعي، حيث تقوم بمختلف العمليات من تهيئة وسقي وتسميد وحصاد، لأن المردود قليل لا يغطي تكاليف العمال ولا يكون مربحا إلا في السنة الرابعة من زراعته.

أما في المزارع الكبيرة فيتم الاستعانة بأجيرين؛ أحدهما مدوّر الحرق ويكون طفلا في أغلب الأحيان، مهمته سدّ وفتح السواقي لتوزيع الماء وضمان وصوله لسقي المزروعات، يحصل على طعامه في موسم الزراعة، ويستفيد عند جني المحصول من لباس وألفين أو ثلاثة آلاف فرنك على حسب المردود، أما الثاني فهو الذي يغرف الماء من البئر ذات الخطارة، أو يقود البغل إذا تعلّق الأمر بسانية، يحصل على الأكل ويقبض مئتي فرنك كأجرة يومية كما يستفيد من لباس في آخر الموسم².

1 _ SHDDE, 1 H 2571, (d. 01): Situation économique de l'Algérie, études sur l'économie du Sahara, Section Tabac, (1955-1961), p 61.

_ علي غنابرية: مجتمع وادي سوف من الإحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1882 - 1954، المرجع السابق، ص 2.162

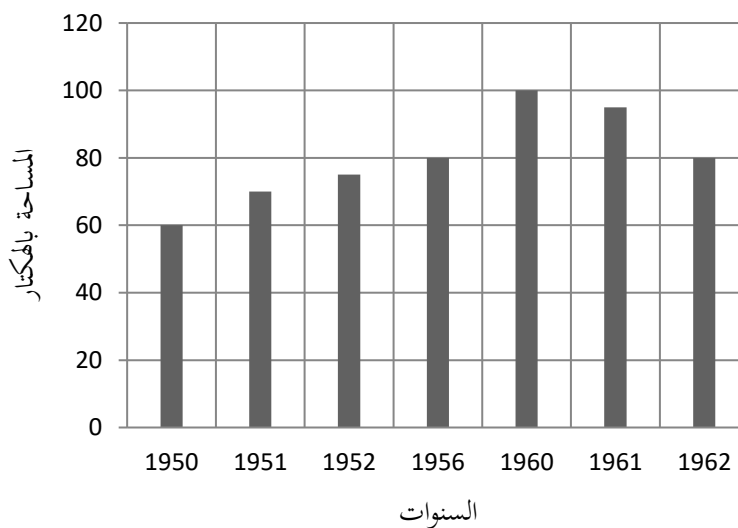
الملاحظ خلافا لعمل رفع الرمل في الغيطان هناك اتصال دائم بين المزارع والعامل، وأن الأجرة العينية تحتفظ بقيمتها، زد على ذلك اعتبار العامل في مزارع التبغ من ذوي الاختصاص لذلك يربح ضعف أجرة ما يربحه الرمال، وإذا وضعنا في الحسبان أن كل مزارعي التبغ تقريبا يملكون النخيل فيمكننا أن نرجح أفضلية ظروف العيش التي تسمح بها زراعة التبغ مقارنة بغراسة النخيل.

مساحة التبغ المزروعة عرفت توسعا ثم تقلصت، وهو ما نلاحظه في الجدول أسفله:

للسنوات	1950	1951	1952	1956	1960	1962
المساحة (بالهكتار)	60	70	75	80	100	80

جدول رقم 03: يوضح تطور مساحة التبغ المزروعة في وادي سوف (1950 - 1962)¹

كما أن المخطط البياني الموالي يترجم بشكل أوضح ما ورد في الجدول أعلاه:



الشكل رقم 04: مخطط بياني يوضح تطور مساحة زراعة التبغ في ملحقة الوادي (1950 - 1962)

بلغت المساحة المزروعة سنة 1950 حوالي ستون هكتارا، لتشهد توسعا مضطربا بعد ذلك، فقد بلغت 76 هكتارا سنة 1952، وتوسعت بصفة كبيرة حتى وصلت مئة هكتار سنة 1960، لتشهد تراجعاً منذ السنة الموالية 1961، حيث أضحت تعاني تقلصا وتراجعا ملحوظا.

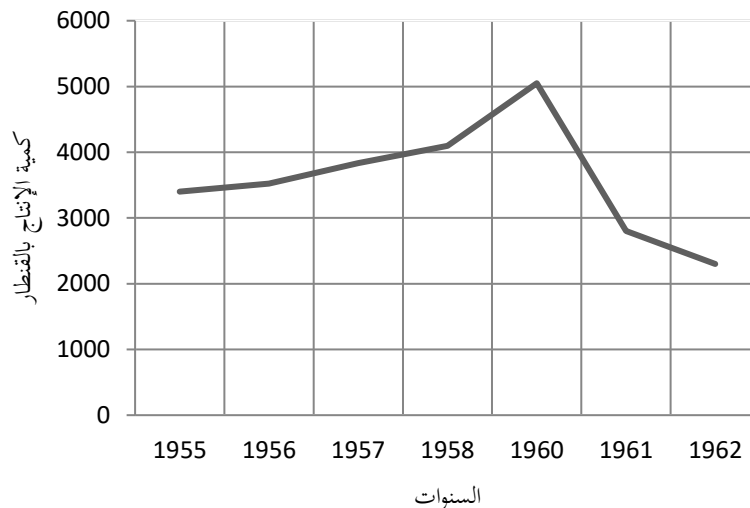
قطعة أرض صغيرة يمكن أن نغرس فيها حوالي ألفي نبتة تبغ، في حين أن ثلاثة آلاف نبتة تعطي حوالي قنطارا واحدا من التبغ، ونتتبع كمية الإنتاج في الجدول أدناه:

1 _ AOM, 81 F 1803, (d.04): Situation agricole en Algérie, Notes et Statistiques, LE TABAC, (1950 - 1962), Avril 1962, p 33.

السنة	1955	1956	1957	1958	1960	1961	1962
كمية الإنتاج (بالقنطار)	3400	3520	3836	4098	5049	2800	2300

جدول رقم 04: يوضح كمية إنتاج التبغ في ملحقة الوادي (1955 - 1962)¹

وهو ما يترجمه المخطط البياني التالي:



الشكل رقم 05: مخطط بياني يوضح كمية إنتاج التبغ في ملحقة الوادي (1955 - 1962)

المحصول السنوي بلغ 3400 قنطارا سنة 1955، وتزايد بشكل ثابت تصاعديا إلى حدود سنة 1960 حيث بلغ الإنتاج رقما قياسيا لم يتم تسجيله من قبل وهو 5049 قنطار، ليسجل سنة 1961 انتكاسة غير معهودة وسقوط حر إلى حوالي نصف الكمية تقريبا في ظرف سنة واحدة، حيث بلغ 2800 قنطار، ليتدهور سنة 1962 إلى حدود 2300 قنطار، وهو مردود يعكس التناقص المتواصل.

تجاوز كمية الإنتاج سببه الأساس عزوف الفلاحين عن ممارسة زراعة التبغ، وهو ما يوضحه هذا

الجدول:

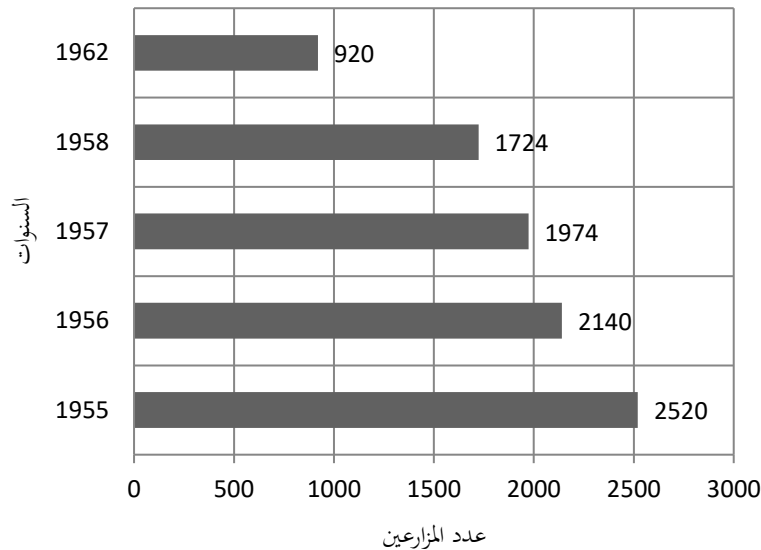
السنوات	1955	1956	1957	1958	1962
عدد الفلاحين	2520	2140	1974	1724	920

جدول رقم 05: يوضح تقلص عدد مزارعي التبغ في وادي سوف (1955 - 1962)²

كما يوضح الجدول البياني التالي:

1 _ AOM, 81 F 1803, (d. 04), Op. Cit, p 34.

2 _ SHDDE, 1 H 1128, (d.6): L'économie et la société d'Algérie, Sahara Algérienne, (s.d), p 93.



الشكل رقم 06: مخطط بياني يوضح تقلص عدد مزارعي التبغ في وادي سوف (1955 - 1962)

لقد تحوّل عدد منهم إلى زراعة الخضر والفواكه، بينما فضّل عدد آخر الهجرة خارج الديار، فشهد بذلك عددهم تناقص كبير فمن 2520 فلاحا سنة 1955 تقلص العدد إلى 920 سنة 1962.

3 _ الخضر والفواكه والبقول بوادي سوف:

يعتمد اقتصاد سوف عموما على ما تنتجه النخلة من التمور ثم تليها زراعة التبغ في المرتبة الثانية، إضافة إلى ذلك اهتم مزارعو المنطقة بزراعة بعض الفواكه والبقوليات والخضراوات على الخصوص، والتي كانت موجّهة في الغالب للاستهلاك المحلي. هذه المنتجات مهمة تقريبا في التقارير والإحصائيات رغم دورها الغذائي المهم خاصة لدى المستقرين، أما عند شبه الرحل فتعوضها وفرة الحليب والألبان المختلفة المصادر من ضان وماعز ونوق¹.

بدأت هذه الزراعات منذ زمن بعيد في غيطان النخيل التي لم يكد يخلو منها غوط في حدود البيئة المصغرة التي تسمح بها الغيطان، مع أن المناخ والتربة وغياب الأمطار المنتظمة والجفاف ثم العواصف الرملية، جميعها عوائق تهدد هذه النباتات الصغيرة وتعرق نموها الطبيعي، فزُرعت الكروم والخضر وبحماية مدروسة للتخفيف من التبخر واختزان الرطوبة ومنع تبيس النبات. لقد تم توزيع بعض

1_ SHDDE, 1 H 2106, (d.6), Op. Cit, p 14.

هذه الزراعات على الفصول، في فصل الصيف اختيرت لها مساحات ظليلة لتقيها لفح الشمس وفي فصل الربيع مال بها إلى الأماكن المشمسة، هذا ما يُمكن من استمرار الإنتاج على مدار السنة¹. ومع كل هذه الصعوبات والمعاناة، زرع فلاحوا الوادي المنتجات بغية الاستهلاك العائلي وحتى للبيع في السوق المحلية، فعلى ضئالتها تعتبر هذه المنتجات اكتفاء ذاتيا، لكون الحصول عليها يتم بعد جهد كبير وبفضل سقي نصف يوم تقريبا.

المساحة المخصصة لهذا النوع من الفلاحة في الغيطان سواء في الميزاب أو تحت النخيل قُدرت في أحد التقارير بألف هكتار²، والتي تغلب عليها بالخصوص أصناف الخضر والفواكه السائدة في المنطقة، فالسوفي لا يعود من غوطه بالبلح والرطب والتمر فقط، بل يجلب معه شتى أنواع الخضر الموسمية، كما ينذر الغوط الذي لا يحتوي على أشجار بعض الفواكه التي تتوسط بين النخلة والأخرى. ومن بين هذه المنتجات نذكر على سبيل المثال:

أ _ **الخضر:** على طرف الغوط، وبجوار البئر توجد حديقة صغيرة تتباين مساحتها من واحة إلى أخرى ما بين خمسين وثمانين متر مربع، فإذا كان النخيل بغير حاجة إلى السقي فلا مفر من سقاية أحواض الخضر التي جُرِّت إلى مربعات صغيرة، يغذيها الماكن عن طريق سواقي من الجبس تتخللها فتحات تسمح بمرور الماء إلى كل حوض بالترتيب³، هذه الحديقة يحلو للبعض أن يسميها (الحرث) ويطلق عليها البعض الآخر (الجنان)، ولصدّ هجمات الطيور التي تفسد مختلف المزروعات استعمل السوفي ما يطلق عليه اسم اللارا⁴.

تربة سوف رملية فقيرة في موادها العضوية تحتاج إلى تهئته وتخصيب، ثم إن تسميد التربة جدّ مهم وأفضله إطلاقا سماد الطيور والأرانب أو الماعز والأغنام، وكذلك السماد الخصري وهو السماد العضوي المتأثي من اختمار وتحلل النبات في التربة، أما السماد الكيماوي الذي عمل الفرنسيون على ترويجه لسدّ عوز النبات المتزايد إلى المعادن الرئيسية وعناصرها فهي: الآزوت والبوتاس وحامض الفسفور.

1 _ موسى بن موسى: الوضع الاجتماعي والاقتصادي لوادي سوف خلال مطلع القرن العشرين، مقال ضمن مدونة دراسات تاريخية واقتصادية وثقافية متنوعة، مطبعة مزوار، ط 1، الوادي، 2008، ص 39.

2 _ SHDDE, 1 H 1901, (d.3), Op. Cit, p 14.

3 _ AOM, 81 F 965, Op. Cit, p 05.

4 _ هي دمية خشبية ألبسها ثيابا بالية، تجسيدا لقامة إنسان واقف، بغرض التمويه لدرء خط الطيور حتى لا تؤذي محاصيل حديقته.

يقوم البدو الرحل من جهتهم بجمع بعير الجمال (الجَلَّة) من أماكن مرور الجمال أو توقفها قرب الآبار أو عند طرق القوافل، تُجمع ثم تُعبأ في أكياس مصنوعة من وبر الجمال (الغراير) أو في جيوب كبيرة مظفورة من سعف النخيل (الشواري) لاستعمالها كسماد أيضا¹.

الفلاح في سوف يحرص دائما على حماية النباتات الصغيرة، فهي مستظلة بالنخيل محمية بالجريد، مغطاة بالحلفاء أو بسعف النخيل غير بعيدة عن البئر حيث الرطوبة لتلطيف أثر حرارة الشمس².

بعد تسميد النخيل يستغل الفلاح محيطه لزراعة بذور الدلاع والبطيخ، ويغرس أيضا شتلات الطماطم في هذه التربة الرطبة (الطلوع) مما يعفيه مشقة السقي، أما الأنواع المحبذة عنده فهي الأكثر تبكيرا في الإنتاج. فما هي إذا الخضر التي يزرعها السوافة لتغطية الاستهلاك المحلي؟

إنها أنواع عديدة وعلى اختلافها نذكر منها: الكابو (اليقطين)، القرع، الفت والجزر الذي يُزرع على مساحات واسعة لأنه يُقدم أيضا كعلف للحيوانات المنزلية، إضافة إلى غنى الجزر بفيتامين (أ) الذي يُصح به لبعض أدواء العيون، ثبت أيضا أنه مُدر للحليب خاصة لدى الماعز. هناك أيضا البرطلاق أو البندراق (الرجلة)، لُكْرْم، البيتراف (البنجر)، الفجل، الخردل، الباذنجان، القناوية، الفقوس، الخيار، البطاطا، الطماطم، الفلفل، الخس، السلُق (السبانخ)، الفلفل، البصل والثوم.

كما لا تخلو حديقة المزروعات (الحرث) من زراعة الذرة على امتداد السواقي، فهي تنمو على شكل باقات، وتُقدم غذاء للحيوانات. إضافة للخروج وعباد الشمس، وبصفتهم من مستهلكي الشاي ومدمنيه فإن أهل سوف يخصصون مساحات معتبرة لزراعة النعناع الذي يعطرون به الشاي، ومساحات أخرى للدبشة والمعدنوس والكرفس، التي تُزَيَّن بها موائد الطعام في سوف خاصة في شهر رمضان المعظم، كما لا يتخلون عن بعض شتلات الزعتر والإكليل وشجرة مريم للتداوي³.

أما البقول المنتجة فنذكر منها: الحمص، الفاصوليا، الفول، الكروية، ثم الحلبة والكمون.

1 _ Isnard. H, Op. Cit, p 151.

2 _ AOM, 84 F 40, (d.13), Op. Cit, p 52.

3 _ Faucher. D: Les jardins familiaux et la technique agricole, in Annales, Paris, 14^e année, n° 02, avril-juin 1959, p 302.

يبقى الإنتاج الغيطاني وإن كان موجها للاستهلاك المحلي فهو من مصادر تأمين الغذاء رفقة محاصيل بعض الأشجار المثمرة التي تتزايد باستمرار وأثبتت تكييفها وتلاؤمها مع المناخ¹.

ب _ الفواكه: تتواجد بالمنطقة ما لا يقل عن 144 شجرة تين، لكن مردودها ضئيل وإنتاجها ضعيف للغاية، مثلها مثل بعض الأشجار الأخرى التي تلاءمت مع مناخ المنطقة كأشجار الزيتون التي عُرست حتى أمام بعض المنازل، الرمان، البرتقال، الليمون، السفرجل والتفاح، ذلك دون حساب أشجار الورود المنتشرة عبر أرجاء الملحقة. وغير بعيد عن الزقم، قامت بعض العائلات بزراعة حوالي ثمانئة شجرة عنب، أنتجت سنة 1961 حوالي خمسين قنطارا، المنتج سُوّق محليا بقيمة عشرين فرنكا للكيلوغرام الواحد، كما جُفّف جزء منه للحصول على الزبيب.

كما أجريت عام 1941 تجربة لزراعة القطن أعطت نتائج مُرضية لكنها لم تستثمر، حيث أننا نعثر في مناطق مختلفة أشجار القطن ذات مردود لكنها مهملة².

أما في قمار فقد انطلقت زراعة الفول السوداني التي أعطت نتائج باهرة، كما نصادف أيضا شجرة الأركان أو ما يسمى لوز البربر، التي يستخرج منها زيت البربر أو ما يعرف محليا بزيت الأركان. إن تواجد هذه الأنواع وبهذا العدد خلال هذه الفترة لا يُعد أمرا غريبا عن المنطقة، خاصة إذا علمنا أنه في سنة 1883 كانت تتواجد بالمنطقة حوالي خمسين ألف شجرة مثمرة³.

ومما يميّز فلاحي المنطقة شغفهم بتجربة زراعة بعض الأصناف من المزروعات الغريبة عن المنطقة حتى إذا لاحت بوادر نجاحها قاموا بتوسيعها وتطويرها وتنافسوا في إنتاجها، من ذلك البطاطا التي زُرعت في قمار سنة 1857، ومع نجاح التجربة إلا أن العملية توقفت ولم تعط التقارير سببا لذلك⁴.

الجدير بالذكر أن قائد ملحقة الوادي جلب في مطلع القرن العشرين خمسمئة نبتة لشجرة الرمث (saxaul) إلى المنطقة، وهو جنس نباتي يتبع الفصيلة القطيفية ينتشر في غرب ووسط آسيا لا سيما بلاد

1 _ Gabus. J: Au Sahara, Arts et symboles, Vol 02, Édit de la Baconnière, Neuchâtel, Paris, Société Française du Livre, 1958, p 371.

2 _ AOM, 81 F 57, Op. Cit, p 16.

3 _ Jus. H: Les Oasis Du Souf Du Département De Constantine (Sahara Oriental), Bulletin de L'ACADEMIE D'HIPPONE, n° 22, Imprimerie Emile Thomas, Bône, 1886, p 73.

4 _ AOM, 81 F 57: Situation économique et sociale de l'Algérie, Culture Traditionnelle dans le Souf, MINISTERE du SAHARA, Arrondissement D'El-Oued, 07 Aout 1961, p 20.

تركستان، يبلغ طولها حوالي خمسة أمتار، تضرب جذورها المتفرعة المتشعبة في الأرض بعمق ثمانين سنتمترا، استفيد من أوراقها لاستحضار الأصباغ، كما يُعدّ من الأطعمة المفضلة للإبل، ومصدرا للحطب والوقود والتدفئة لأنه قابل للاشتعال مهما كان مبللا بالماء، وبفعل جذوره التي تغوص عميقا في التربة يحول دون تعرية الكثبان وتآكلها، كما أن كثافته تقلّل من أخطار العواصف الرملية. غير أنه لم يجلب مرة أخرى¹.

بالإضافة إلى تلك الأنواع من الأشجار وُجدت أنواع أخرى كنبات الدفلى، وهو من النباتات البرية والتزيينية المعمرة من فصيلة الدفليات، كما وجد الكالتوس الذي يقاوم ملوحة المياه وقد يفوق علوه 15 مترا، وتصل جذوره الثلاثين مترا، شجرة الأثل أيضا أعطت للمدينة ومحيط مدارسها الخضرة والظل، كما يُستغل حطبها الأخضر لصنع أوتاد الخيام، وبعيدا عن المجال العمراني نلاحظ النباتات الرئيسية التالية: العصيد، الأرطى، العرفج، العلندة، القريطفة، العريش، الباقل، الدليلعي، الدرين، فولة البل، الحمير، الحلمة، الحارة، حلمة الغزال، المضينة، الرتم، الصفرة، السماهري، السعد، السعدان، الزرقية والزيتة².

الملاحظ أن مواطن الكالأ والعشب تتراجع من سنة لأخرى، وذلك ليس بفعل الطبيعة بل مصدره ذلك الإنسان الذي يبحث عن الحطب لاستعماله كوقود فيتسبب في تدمير موحش لكل ما ينمو بالقرب من محيط القرى، أو يقتلع جذور الأشجار لاستعمالها في أفران الجبس. إنه تدمير للبيئة وتجريد للتربة من غطائها النباتي. حدث ذلك بمساهمة الشاحنات الحديثة، لا سيما بعد ظهور مشروع قسنطينة سنة 1958، حيث استفاد كثير من المواطنين بحوالي 250 ألف فرنك كقرض لاقتناء شاحنات، بالإضافة إلى المساهمة الشخصية للمستفيد، حتى بلغت نهاية سنة 1961 ما يفوق 109 شاحنات تجوب مختلف مناطق الوادي³.

1 _ SHDDE, 1 H 2106, (d.06), Op. Cit, p 17.

2 _ Bazin. H: En 1960 on peut parler de l'urbanisme au Sahara, Europe-France-Outre-Mer, Paris, 37^e année, n° 361, décembre 1959, p 59.

3 _ AOM, 81 F 2157, (d.02): transports privés routiers de voyageurs et de marchandises, Département Des Oasis, Arrondissement D'El-Oued, 16 Avril 1962, p 08.

كما أن تحوّل الرمال وانتشارها بفعل العواصف الرملية ساهم في استفحال هذه الظاهرة، علما أن انخفاض أو صعود مستوى الطبقة الجوفية يؤدي إلى غياب بعض النباتات.

مع الظروف المناخية السائدة في سوف خاصة جفاف الجو، الإشماس الكثير، البرودة الليلية، الرياح الباردة أو الحارة المحملة بالرمال، الأمطار النادرة، الفروق الحرارية بين الليل والنهار، تربة جبسية رملية ومياه مالحة، كل هذه المؤثرات لا تتوافق مع زراعة النباتات التي تتطلب عناية مكثفة ومناخا معتدلا ومياها لذيدة وفيرة، إلا أن السوفي ومع كل تلك التحديات، تمكن من إنتاج الخضر وزراعة الأشجار المثمرة ومختلف المحاصيل البسيطة الأخرى.

ملوحة المياه تعوق كل الزراعات، فالمناطق المالحة التي تنتشر شمال الوادي في الزقم وقمار يصعب استغلالها، وهي مراكز سكنية عريقة ومأهولة، حتى أن عدد من التقارير تُرجّح أن بعض الزراعات تلعب دورا في تركيز الملح في مياه الطبقة الجوفية، تُفسّر هذه الملوحة المتزايدة بخاصية جذور النخيل التي تضخ الماء بطريقة انتقائية فالمياه الواقعة جنوب النخيل تحتوي على 5,2 غرام ملح في اللتر الواحد، بينما الواقعة شمالا بعد اجتياز الغوط تحتوي على أربع غرامات، بهذا يمكن توقّع زيادة خطورة الملوحة، لأن نسبة الملوحة تتزايد مع تقدم السنوات، فشط الوادي مثلا يحتوي على تسع غرامات من الكلوريدات¹.

ثانيا _ نُظْم السّقي التقليدية والتحوّل للآبار الحديثة:

الملكية الخاصة للأرض في العادة أساسها الحقيقي ندرة الأرض نفسها، تلك الندرة التي لا تسمح للفرد بتملك قطعة أرض عندما يحتاج إليها، لذا يمكن تعريف ندرة شيء ما بأنها علاقة كمية بين قيمته الاستعمالية ودرجة قدرته على توفير كمية الطلب المرغوبة، أي عدم وجود الوفرة التي تلبي الرغبة التامة، تبعا لذلك قيمة الأراضي الصحراوية لا تُقاس بكمية توفّرها لأنها كثيرة وفي متناول الجميع بدون عناء، بل القيمة هنا في سوف وفي عموم الصحراء ترتبط أساسا بكمية الماء المتوفرة والمطلوب منها تأمين الحاجات الاستهلاكية للفرد والجماعة على حد سواء، لذلك فإن الأرض بالنسبة للجماعات البشرية الصحراوية إن كانت بدون ماء فهي غير ذات منفعة بالنسبة لهم على توفّرها بكثرة، وبالعكس وبما أن

1 _ SHDDE, 1 H 2106, (d.6), Op. Cit, p 15.

الماء هي النادرة فإنها هي من المفروض تكون موضوع التملك الخاص في الصحراء، وهي التي تشكل أساس العلاقات بين التشكيلات الاجتماعية بدلا عن الأرض، بل هي الحياة¹.

1 _ نظم السقي التقليدية:

جميع آبار النخيل في سوف حُفرت بنفس الطريقة، يتم إنجازها عادة وفق ما يعرف بالعوانة (التويضة)؛ وهي تعاون الرجال مع بعضهم البعض دون مقابل سوى ضمان توفير الغذاء والعشاء لهم، يُبدأ أولا باستحداث حفرة قطرها ثلاث أمتار وعمقها مترين بغرض الوصول إلى التربة الرطبة، وسط هذه الحفرة يتم وبسرعة فائقة حفر البئر ذاته بشكله الأسطواني بقطر يبلغ مترين خوفاً من الانهيارات، يقوم البناؤون بإنجاز البئر مبتدئا من الأسفل نحو الأعلى، ثم يتواصل الحفر إلى حدود الماء مع مواصلة البناء من أسفل إلى أعلى، بمجرد الوصول إلى الطبقة المائية، يتم التخلي عن الجدار الأول ويُبنى جدار ثانٍ أوسع من الأول مع تواصل نزع الماء والتراب إلى أن يصبح من غير الممكن تخفيف الماء، حينئذ يتوقف الحفر وتُبنى جابية البئر²، موقع البئر غالباً يكون في مكان مرتفع قليلاً على طرف من الغوط حتى يستطيع الماء الانسياب نحو الحرث، ولا يوجد في وادي سوف تقريبا غوط بدون بئر، ولاستغلال ماء البئر يُثبت جهاز لاستخراج الماء بطريقتين:

أ _ بئر الحُطارة: الحُطارة عبارة عن رافعةٍ محمولة على ركيزتين من الخشب أو الجبس، يُثبَّت على طرف الذراع القصير ثِقَالَةٌ من حجر أو كتلة من جبس، يُوصَلُ الطرف الآخر بجبل يُدَلَّى منه الدلو المصنوع من الجلد أو إناء معدني يدعى محليا النحاسة، أما قبل هذه الفترة فاستعملت العمُورة وهي عبارة عن سَلَّة مظفورة من الجريد وغير نفوذة. هذه الطريقة تُمَكِّن من اغتراف الماء لساعات عديدة متواصلة، إنها طريقة غير مكلفة ولا تتطلب صيانة مستمرة، وشخص واحد يمكنه القيام بمهمة السقي.

ب _ بئر السانية: هي بئر تعلوها ركيزتان يُثبَّت عليهما محور أفقي، يحمل بَكْرَةً كبيرة من الخشب يشدّ عليه وعاءٌ يسمى الدلو، هو عبارة عن جيب جلدي كبير تتراوح سعته من خمسين إلى ثمانين لتراً، يحمل في أسفله منفذ تفرغ أو مصباً مرفوعاً بواسطة حبل مواز للأول، ينزلق فوق مدارج صغيرة من الحطب مبنية في أعلى الحِزَان، الحبلان قد يجرها معاً حمار أو حصان أو جمل في بعض

1 _ Nadir Marouf : Lecture de l'espace oasien, sindbad, paris, 1980, p158.

² _ جستون كوفي: مذكرات حول سوف والسوافة، تر: عبد القادر ميهي، مطبعة الرمال، ط 1، الوادي، الجزائر، 2016، ص ص 24 - 25.

الأحيان، حيث يقطع أفقيا انطلاقا من البئر مسافة مساوية لعمقه وطول الحبلين محسوب بطريقة بحيث طوال مدة صعود الماء تظل فتحة المصب فوق فتحة الدلو، في نهاية المطاف يجر الحبل الكبير الدلو إلى أعلى في حين الحبل الصغير يجر مقبض التفريغ أفقيا في أعلى الخزان وهكذا يسمح للماء بالتدفق¹.

ولتتم عملية السقي في أفضل الظروف لابد من:

أ _ الماجن: وهو حوض من الجبس ملاصق للبئر، يُملأ بالماء وبه فتحات تتصل بالسواقي، يُستعمل عادة لتسهيل وتسريع عملية تفريغ المياه المستخرجة من البئر لكونه يستوعب أكبر كمية ممكنة من الماء.

ب _ السواقي: هي عبارة عن مجاري مائية تتفرع عن الماجن كونها قناة ناقلة للماء ليسقي مختلف المزروعات، يتم تشكيلها فوق الرمل بطبقة رقيقة من الجبس، في غالب الأحيان تخضع لعملية صيانة دورية بغية إصلاح الثقوب أو الكسور التي تطرأ عليها حتى لا يتسرب الماء من خلالها ولا يواصل تدفقه نحو الميزاب محطته الأخيرة².

2 _ طبيعة الآبار في سوف:

آبار منطقة سوف عديدة ومتنوعة، متوسط ارتفاعها عن سطح البحر يبلغ 68 مترا، تختلف من حيث العمق والمذاق ودرجة الحرارة.

آبار الحدايق وغيطان النخيل بواحة الوادي يصل عمقها إلى أربع أمتار، قد تبلغ بالمدينة 12 م بدرجة حرارة تتراوح بين 15° و 17°.

ترتفع قمار عن سطح البحر بمعدل 51 مترا، اشتهر سكانها بممارسة النشاط الفلاحي وبالتالي الحاجة الواسعة إلى حفر الآبار، مياهها أقل عذوبة من الوادي، يصل عمقها إلى خمس أمتار بغيطان النخيل وإلى سبع أو ثماني أمتار بالمدينة بدرجة حرارة تتراوح بين 16° و 18°³.

1 _ AOM, 81 F 2338: L'habitat des nomades sédentarisés à Ouargla, par : Brigol. M (Travaux de l'Institut de Recherches Sahariennes), n° 02, Alger, 1957, p187.

2 _ Lucien Daviault : LE SOUF (sud constantinois), L'imprimerie Aegitna, Cannes, 15 Novembre 1947, p 17.

_ Jus. H, Op. Cit, p 76.3

كوينين الواقعة بين الواحتين السابقتين ماؤها أقلّ عذوبة منه في مدينة الوادي، تتراوح حرارته بين 15° و 18°، والأمر نفسه ينطبق على تغزوت.

فيما يخص خطّ غيطان النخيل الواقعة في اتجاه الشرق ماؤها حلو، من ذلك: الزقم، التي يصل عمق آبارها في الداخل بين خمس وست أمتار، ومن ثلاث إلى خمس أمتار في حدائق النخيل، وبمحاذاتها قرية البهيمة متوسط ارتفاعها خمسون متراً¹، الفارق يبدو جلياً بين آبار الغيطان 3,5 م عمقا وتلك الواقعة بالمدينة 3,10 م وبدرجة حرارة تتراوح بين 16° و 18° حسب عمق المياه من مكان لآخر. بالنسبة لمنطقة الديلة فإن آبار غابات نخيلها لا تتعدى ست أمتار، أما في داخل القرية تصل إلى حوالي سبع أمتار ونصف، بدرجة حرارة تنحصر بين 17,3° و 18,3°، أما في سيدي عون فلا يتجاوز عمق الآبار 2,5 م بوسط الحدائق ويصل إلى حوالي 3,9 م داخل القرية.

في الجهة الجنوبية للملحقة نجد المياه أكثر عمقا؛ بير صعونة 12 م، بير برّ الصف 24م، بير رومان 26 م وبير صحن الصوان 45 م، قالب هذه الآبار مصنوع من أخشاب النخيل وحزم الأغصان، إلا أن غياب العتبة عند فتحها جعلها عرضة للرياح بما تحمله معها من أتربة وأوساخ أدت إلى ردمها وتعكير مياهها².

3 _ التنقيب عن المياه وتفجير العيون:

منذ دخول الفرنسيين أرض سوف شرعوا في عمليات البحث والتنقيب عن الماء، فعلى المسلك الرابط بين بسكرة وتقرت تضاعفت الجهود للبحث عن مياه الطبقة الارتوازية، حُفر أول بئر سنة 1886 بشط ملغيغ بالمقيرة على بعد 133 كلم شمال الوادي بمعدل تدفق 316 ل/د. وعلى عمق يتراوح بين خمسين و 78م تدفق الماء بمعدل 125 ل/د. أما في سيف المنادي وعلى عمق يتراوح بين 53 و 56 م انبعث الماء بمعدل 95 ل/د.

لقد استمرت عمليات التنقيب غير أنها لم تكلل كلها بالنجاح، كالتّي أجريت في قمار سنة 1894م، وفي تكسبت على عمق 120م، الفشل في عمليات التنقيب الارتوازية التي أجريت بين سيف المنادي والوادي أدّى إلى التخلّي عن هذه العمليات لمدة نصف قرن تقريباً³.

1_ جستون كويني، مذكرات حول سوف والسوافة، المرجع السابق، ص 26.

2 _ Jus. H, Op. Cit, pp 77 – 78.

3_ جستون كويني، مذكرات حول سوف والسوافة، المرجع السابق، ص 31 – 33.

على بعد ستين كلم شمال غرب الوادي بمنطقة سيف المنادي أجري سنة 1953 أول تنقيب ارتوازي على عمق 435 م أعطى 02 م³/د، مما مكّن من عمليات الغرس الأولى للنخيل المسقي¹.
أجريت حفرية ثانية سنة 1955 ببرج الحمراية وعلى مسافة 110 كلم شمال غرب الوادي على طريق بسكرة. أعطت 07 م³/د.

أما الوادي المدينة فقد تدفق فيها الماء في ربيع سنة 1956 إثر تنقيب على عمق ثلاثمائة متر، غير أنه كان بمعدل تدفق ضعيف 3,3 ل/ثا، أعقبه آخر سنة 1957 بمنطقة هبة، ثم حفر بئران آخران كانا أكثر غزارة بمعدل 158 ل/ثا، وهذا على عمق وصل حتى أربعمائة متر، أما التنقيب الثالث فعرفته مدينة قمار، كان منسوبه 8,3 ل/ثا أي خمسمائة لتر في الدقيقة على عمق يصل إلى 350 مترا، كما تواصلت سنة 1960 عملية التنقيب مع إدخال بعض التحسينات عليها.

في سيف المنادي أعطى البحث عن الماء معدّل 25 ل/ثا، الحمراية أعطى التنقيب فيها على مستوى 470 م منسوب 115 ل/ثا، وهي كمية ضخمة من الماء كان من نتيجتها إنشاء واحة نخيل هناك. لقد تحسّن منسوب الماء فوصل في قمار إلى ألفي لتر في الدقيقة، وفي غمرة وصل إلى 12 ألف لتر في الدقيقة.

عرفت أيضا سنة 1961 ما لا يقل عن 12 عملية حفر في كل من: الحمراية، الوادي، قمار، عميش، الدييلة، كوينين، المقرن والبهيمة، وهذان الأخيران كانا الأكثر استفادة.

يتم مدّ كل من الوادي وقمار بالماء الشروب بفضل توفر كل منهما على خزان لتوزيع الماء مزوّدين بمحطتي ضخّ، خزّان الوادي أنجز سنة 1957 وتبلغ سعته خمسمائة م³، أما في السنة الموالية 1958 فقد تم تشييد خزان الماء بقمار الذي سعته ثلاثمائة م³.²

ما يمكن الإشارة إليه، وجود مراقب دائم يسهر على متابعة نسبة صعود وهبوط منسوب المياه الجوفية. حاليا، المستوى يرتفع مرتين في اليوم، كما يصعد كل سنة خلال شهري أكتوبر ونوفمبر، علما أن خط الصفر حدد تحكيميا وفقا لمستوى الماء يوم 17 جوان 1951 وهو اليوم الذي تم فيه تركيب

1 _ AOM, 81 F 1802, (d. 13): développement des oasis sahariennes, Gouvernement Générale, Service Hydraulique, Décembre 1953, p 13.

2 _ Dix ans de réalisations communales dans l'annexe d'El Oued, Bulletin de Liaison Saharienne, n° 32, décembre 1958, Imprimerie E. IMBERT, Alger, pp 380-381.

جهاز المراقبة¹، هذا الأخير أظهر أن الماء في حركة دائمة يطلع وينزل في حدود طول ثلاثون سم خلال السنة، أقصاها نهاية شهر أفريل بزيادة قدرها عشرون سم، وأدناها في نهاية شهر أوت حيث يصل المؤشر إلى ناقص 12 سم. ما قد يؤخذ عن الجهات المختصة أنها لم تنتبه إلى ما قد يحدث مستقبلا لمنسوب المياه الجوفية السطحية إذا تمت تغذيتها بهذا الكم الهائل من المياه المتدفقة من طبقات أعمق، فقد لوحظ بداية من سنة 1956 ارتفاع منسوب مياه الطبقة السطحية حتى نصف متر في بعض مناطق الملحقة، أما عند نهاية سنة 1962، فقد أضحى ملاحظة أثر الرطوبة في الغيطان أمر مألوف².

ثالثا _ التحوّل العددي لقطاع الماشية:

أحدث الاستعمار الفرنسي اختلالا متعدد الأشكال؛ اقتصادي وسياسي اجتماعي على مستوى بنية مجتمع وادي سوف، لا سيما نسق حياة البدو الرحل الذي شهد تحولا عميقا وتصدعا كبيرا نتيجة السياسة الاستعمارية المفروضة على المنطقة غداة اندلاع الثورة التحريرية في أول نوفمبر 1954، لقد قلبت كل القواعد والتقنيات التقليدية التي كانت تتمفصل حولها البداوة.

تم اقتلاع البدو من مضاربهم وإجبارهم على تغيير نسق عيشهم المعتاد؛ من حياة الحل والترحال إلى ممارسة حياة الاستقرار في القرى. بل إذا لزم الأمر، الزج بهم داخل محتشدات خصصت لذلك، كمحتشد البغازلية بمنطقة الرباح جنوب سوف، الذي حُشد فيه كل أفراد نجع البغازلية (عائلة بوغزالة)، ومحتشد أميه ربح في عمق العرق الشرقي الذي ضم أيضا معظم أفراد نجع الشواشين (عائلة شوشاني) على الحدود الشرقية.

لقد ثبت لدى السلطات الاستعمارية بما لا يدع مجالا للشك دعم البدو الرحل للثورة وانخراطهم الالمحدود فيها، فقد أمدوها بالموثون والرجال، كما كانت خيامهم محطات ومراكز للاتصال والتخابر وتبادل المعلومات بين مجاهدي الداخل وأولئك الرابضين على الحدود³.

1 _ AOM, 81 F 2303, (d. 03), Op. Cit, p 09.

2 _ Marc côte, Op. Cit, p27.

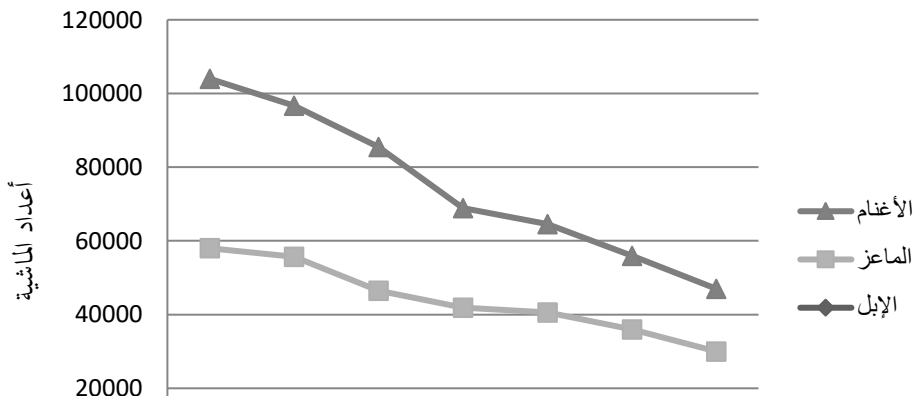
3 _ SHDDE, 1 H 1104, (d.8):Regroupements de populations, Rapport de Commandant Militaire du Territoire de Touggourt(1957-1958), p 07.

لذلك، لجأت السلطات إلى إحكام السيطرة وفرض المراقبة الدائمة وتحديد حركة هؤلاء السكان، بغرض اجتثاث تواجدهم في هذه المناطق الحساسة لتجفيف مصادر تموين الثوار وقطع أي اتصال للسكان بهم، وفرض منطقة عازلة بين الحدود مع ليبيا وتونس شرق وادي سوف والمناطق الحضرية غربا. فشكّلت بذلك منطقة محرّمة يُمنع دخولها على غير القوات الفرنسية¹.

فما مدى أثر هذا الإجراء على الإنسان والحيوان في تلك المناطق؟

تعتبر تربية الماشية أكثر من ضرورة بالنسبة للبدو الرحل في الصحراء وعلى تخومها، إن لم تكن هي النشاط الوحيد لهم؛ فبفضلها يحصلون على الحبوب وغيرها من منتجات من خلال نظام المقايضة والمبادلة، حيث في الأوقات العادية يعيش ثلثا السكان المحليين في الواقع من حياة الرعي، يوقّر الماعز الحليب الذي يعتبر الطعام الرئيس للمربي وعائلته، ويُستخدم صوف الخروف لنسج مختلف الملابس والأفرشة، كما يُستعمل بعد مزجه بالوبر لتحسين الخيمة، هكذا نفهم أهمية الخراف والماعز في حياة أبناء المنطقة².

لقد أدى تقلص مجالات الرعي والترحل على مستوى ملحقة الوادي إلى تراجع كبير في أعداد البدو، وهو ما انعكس سلبا وكان له بالغ الأثر في السقوط الحر لأعداد رؤوس الماشية بمختلف أنواعها.



شكل رقم 07: مخطط بياني يلخص تناقص أعداد الماشية في ملحقة الوادي (1954 - 1962)

1 _ SHDDE, 1 H 1104, (d.04): surveillance des frontières terrestres, (SAHARA), Territoire Militaire de Touggourt, Juillet 1955, p 02.

2 _ Vergnaud. Fr: Sahara, Édition du Seuil, collection Petite Planète, Paris, 1959, p 69.

الأثر كان حادا وأعمق مما نتصور، لقد أمسى البدوي السوفي يرعى أعدادا ضئيلة من الماشية ولا يربي الإبل، يقطع مسافات طويلة ولكن بعدد قليل من الحيوانات، بمتوسط كل عائلة متكونة من ستة أشخاص تمتلك في العادة جمل أو اثنين في أحسن الأحوال ، وعلى عدد محدود من الماعز والخرفان، الجدير بالذكر أن بعض العائلات تخلّت عن الخيمة لأنها لا تجد ما تحملها عليه، إنها بدون شك تربية يمارسها فقراء.

1 _ الإبل:

لقد ارتبطت الإبل كثيرا بأهل المنطقة وكانت لها فوائد متعددة، فمنهم من يتاجر بها ويعتبرها مصدرا للرزق، ومنهم من يستفيد من لحمها ووبرها وحليبها. الجمل يعتبر أهم حيوان لدى أهل النجع حيث يعرف بسفينة الصحراء، لأنه يستطيع تحمّل عناء السير مع العطش والجوع لمدة طويلة، وهو ما يمكنه من قطع مسافات طويلة ولو كان ذلك صيفا. يستهلك الجمل في الظروف العادية حوالي ثلاثون لترا يوميا، أما عندما تكون الحرارة لافحة فإن صاحبه يورده الآبار كل يومين أو ثلاثة، يبقى أن نوع الكلاء الذي يرتاده هو الذي يحدّد حاجته للماء، فحين يتغذى على عشب مشبع بالماء تقل حاجته للماء تبعا لذلك. أظهرت دراسة أجريت سنة 1956 أن متوسط ما يستهلكه الجمل يوميا من العشب هو واحد كلغ في الساعة، علما بأن نسبة إشباع النبات بالماء بلغت ستون بالمئة، الجمل حينها يكتفي بشرب خمس لترات من الماء مع غذائه، يقطع مسافة أربعون كلم في اليوم بحمولة تصل إلى 150 كلغ، حيث يحمل كيسين ضخمين مصنوعين من وبر الجمال يسميهما أهل سوف الغراير، توضع فيها الحبوب والتمور وغيرها من المواد¹.

وحتى تُنسب الإبل للعروش المالكة لها وُسمّت برموز وعلامات مميزة متعارف عليها بين القبائل. في حين تضاف علامات ثانوية للرموز الأساسية لتحديد فروع العرش.

1 _ Dekeyser, P. L. et Derivot, J: La vie animal au Sahara. Édit A. Colin, coll. Armand Colin, section biologie, n° 332 Paris, 1959, p 203.

على مستوى وادي سوف ونتيجة للسياسة الإستعمارية المنتهجة تجاه البدو الرحل عرفت ثروة الإبل سقوطا حرا من حيث العدد، فإذا استعرضنا إحصاءها منذ اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954 نلاحظ أن أعدادها في انخفاض مستمر كما يوضحه الجدول التالي:

السنوات	1954	1955	1956	1957	1958	1960	1962
العدد (رأس)	8000	7700	7500	6900	6600	6000	5000

جدول رقم 06: يوضح انخفاض عدد رؤوس الإبل بملحقة الوادي (1954 - 1962)¹

مع الخدمات الكبيرة التي قدمها هذا الكائن الصبور للصحراء، إلا أنه واجه أخطارا جمّة، منها التقليل والتضييق الذي عرفه محيط البيئة البدوية من جهة، وتزايد نسبة الحضر واستغناؤهم التدريجي عن خدماته من جهة أخرى، ناهيك عن توسع شبكة الطرقات المعبدة، هذه العوامل المترامنة خلال فترة قصيرة نسبيا (1954-1962) أدّت إلى تناقص سريع في عدد الجمال، مما انعكس سلبا على البدوي وبقية الماشية التي كان الجمل خدوما لها؛ من نقل للماء، وحمل للحيوانات الصغيرة والضعيفة، وترحيل خيمة البدوي وعدته.

2 _ الماعز:

ساد في منطقة الوادي نوعين من الماعز:

_ عنز الصحراء أو العنز العُربي: ذات شعر غزير وترعى مع الأغنام ، ذات لو أسود في الغالب كما تميزها في بعض الأحيان بقع بيضاء ، يمزج شعرها مع وبر الجمال لنسج الخيام والأكياس (الغرابير) والأفرشة، وغيرها من المنسوجات المستعملة.

_ العنز البلدي: تعيش داخل التجمعات السكنية، تسمى أيضا الماعز السوداني، ملطاء الشعر ذات لون ناصع أو بيضاء منقطة، السلالة الأصلية منها بدون قرون وذات أذنين متدليتين، مع بروز ذائبتين تحت الحنجرة، هذا النوع الأصيل مدرارا للحليب، جلده ثمين، يعيش على ما يقدم له من

1 _ AOM, 81 F 2325, (d. 03): Élevage, Rapport sur L'avenir de Cheptel au Sahara Oriental, Département Des Oasis, Arrondissement D'El-Oued, 22 Mai 1962, p 02.

أعشاب وشعير ومن بقايا الخضر التي تستغني عنها الأسرة، مقابل الاستفادة من حليبيها، وهناك البعض من يتاجر بها أو بحليبيها وسمنها¹.

وللأسباب نفسها كما هو الحال لكل أصناف الماشية، أعداد رؤوس الماعز أيضا في تديني مستمر، وهو ما يبيّنه الجدول التالي:

السنوات	1954	1955	1956	1957	1958	1960	1962
عدد الرؤوس بالآلاف	50	48	39	35	34	30	25

جدول رقم 07: يوضح انخفاض عدد رؤوس الماعز بملحقة الوادي (1954 . 1962)²

هذه الإحصائيات تحيلنا مباشرة على ملاحظة الانخفاض المستمر وتهاوي عدد الماعز عبر إقليم الملحقة، ففي أقل من عقد من الزمن تم فقدان نصف ثروة الماعز.

3 _ الغنم:

الأغنام الصحراوية أو التونسية هي الأكثر شيوعا في الوادي، وهي أغنام صغيرة الحجم نسبيا، رأسها في العادة أحمر وذات صوف وفير من الجيد الملائم للنسج، تُربي خصيصا بغرض التجارة ولا يحتفظ الملاك إلا بالعدد الذي يضمن له تكوين القطيع من جديد³، لكن الملاحظ أن السياسة الاستعمارية كانت أشد وطأة على قطع أغنام سوف مقارنة ببقية القطعان، وفيما يلي جدول إحصائي يبين الانخفاض المستمر لأعداد الأغنام بالملحقة.

السنوات	1954	1955	1956	1957	1958	1960	1962
عدد الرؤوس بالآلاف	46	41	39	27	24	20	17

جدول رقم 08: يوضح انخفاض عدد رؤوس الأغنام بوادي سوف (1954-1962)⁴

1 _ Dekeyser, P. L. et Derivot, J, Op. Cit, p 198.

2 _ AOM, 81 F 2325, (d. 03), Op. Cit, p 05.

3 _ André Voisin: La veillée du nomade soufi, Bulletin de Liaison Saharienne, Imprimerie LA TYPO-LITHO et J. CARBONEL, n° 45, Mars 1962, Alger, pp 380-381.

4 _ AOM, 81 F 2325, (d. 03), Op. Cit, p 09.

من خلال الأرقام الواردة في الجدول أعلاه، نحصي نقص يُقدر بحوالي 29 ألف رأس، وهو رقم مهول فيما يشبه الإبادة لهذه الثروة النفيسة، قد يعود السبب الرئيس لتقلص عددها بهذا الشكل إلى شبه الاستغناء التام عن تربيتها، بعد أن دخل أغلب البدو حياة الاستقرار، وحصر تربية الماشية على بعض الرعاة من أبناء العائلة خاصة.

أما الخيل والبغال والحمير فعُدّت في بعض الأحيان نوعا من الترف، لا يمتلكها عامة الناس، استعملها السوفي كوسائل نقل للأشخاص والسلع، إضافة إلى الأعمال التي تتطلبها غراسة النخيل من رفع للرمال ونقل لصناديق التمور واقتناء المستلزمات الضرورية من سوق الوادي، إن امتلاك هذه الدواب تفرضه الضرورة التي لا مناص عنها، لهذا أحاطها أهل سوف والفلاحون خاصة برعاية خاصة في إطعامها والعناية بها¹. حاليا ومع اتساع شبكة الطرقات وتوفر النقل ولو نسبيا، تناقص عدد هذه الدواب حتى وإن ظلّ البعض منها موجودا في القرى يؤدي بعض الخدمات، فالبغال والحمير تستعمل خاصة لقيادة العربات التي تنشط بصفة كثيفة في السوق لنقل البضائع لمختلف المقاصد.

من خلال المعطيات السابقة، وما جاءت به الجداول أعلاه لحالة الماشية في ملحقة الوادي، وحتى تكون الصورة العامة لما آلت إليه تربية الماشية خلال سنوات الثورة التحريرية أكثر وضوحا، تم إعداد الجدول التلخيصي التالي:

نوع الماشية	عدد الرؤوس الناقصة	نسبة النقص	النسبة العامة للنقص
الإبل	3000	37.5 %	أكثر من 50 %
الماعز	25000	50 %	
الغنم	29000	63 %	

جدول رقم 09: يوضح نسبة نقص قطاع الماشية في سوف خلال الفترة (1954 - 1962)²

1 _ Vergnaud. Fr, Op. Cit, p 81.

2_ الجدول من إنجاز الطالب.

هذه الإحصائيات وهذه النسب تحيلنا كلها على نتيجة واحدة، هي تحاوي حياة البداوة في سوف والتداعي الحر لاقتصادها، هذا النقص المسجل على مستوى جميع أصناف الماشية لما نترجمه إلى لغة الموازنات الاقتصادية، يفيدنا بما يلي:

__ عجز في مادة وبر الإبل بنسبة قدرها: 37.5 %.

__ عجز في مادة شعر الماعز بنسبة قدرها: 50 %.

__ عجز في التموين بمادة الصوف بنسبة قدرها: 63 %.

__ عجز في التموين بمادة اللحوم الحمراء بنسبة عامة قدرها: 50 %، إضافة إلى النقص المسجل في السنوات السابقة، حتى أصبحت الملحقة تستورد اللحوم بعد أن كانت منطقة مصدرة لها.

لقد كان للعجز المسجل في التموين بمواد الوبر والشعر والصوف خلال هذه الفترة، إضافة إلى التدهور الذي شهدته خلال السنوات السابقة، بالغ الأثر السلبي على حركة وعدد أنوال النسيج في سوف، أي تدهور الصناعة المحلية التقليدية، وما يسببه من تدني لمستوى معيشة فئة عريضة من الأسر التي تعتمد على هذه الصناعة كمصدر عيش.

إن الحياة البدوية تعرضت لاستنزاف قاتل في مواردها، لقد أجهزت السياسة الإستعمارية على أسلوب عيش ونسق حياة كان بالإمكان المحافظة عليه، هكذا تراجع نمط اقتصادي مألوف على حساب نمط جديد لم تتضح معالمه ولم تعد له العدة فهو بلا ملامح.

__ المبحث الثاني: تحوّل الحركة التجارية والصناعة الحرفية ومصادر الطاقة:

منذ القدم تحصّصت سوف في إنتاج التمور المختلفة والتبغ الجيد والزربية ذات الشهرة العالمية، مقتصدة في احتياجاتها منتهجة سياسة الاكتفاء الذاتي منذ أمد بعيد، فهي لا تستورد إلا بعض السلع الضرورية التي لا تنتج محليا مثل: الحبوب بأنواعها، زيت الزيتون والأقمشة القطنية بالإضافة إلى الشاي الذي يعد نوعا من الكماليات في نظر السوفي وبعض المنتجات الكمالية.

أولا _ التحوّل من تجارة القوافل إلى الاقتصاد الكولونيالي:

التجارة في وادي سوف لم يختص بها البدو فقط، فليس غريبا أن نصادف الميسورين في كل من كوينين، تكسبت وقمار مثلا يمتلكون إبلا، الحضر لم يكونوا تحت رحمة البدو فيما يتعلق بتجارة القوافل؛ التي هي وسيلة النقل الوحيدة التي كانت متداولة، هذا يؤشر إلى أن المستقرين ظلوا على صلة بالصحراء وكانوا على الأقل على دراية بالمسالك الشهيرة، كما يؤكد على مشاركتهم للبدو كرعاة لماشيتهم ويحصلون على الجلّة والحطب دون الحاجة إلى شرائها.

1 _ نهاية تجارة القوافل:

احتفظ النقل بواسطة الجمال بأهميته في بعض المجالات، وإن أصبح يخص البدو بالدرجة الأولى، تتم تجارة موارد العرق ذات القيمة الضعيفة بكل تأكيد عن طريق الجمل، يتعلق الأمر بتجارة الحطب والحلفاء والجلّة المخصصة للتسميد.

كما يبقى الجمل ضروريا في قطاع آخر أكثر أهمية بكثير، لتمكنه من العبور خارج المسالك المعبدة المعروفة.

تحتل منطقة وادي سوف بموقع استثنائي لممارسة التهريب، لأنها قريبة من الحدود التونسية والليبية، إضافة إلى أنها منذ منتصف سنة 1951 أصبحت منطقة عبور حرة لسلع: السكر، الشاي، الأقمشة، المحروقات والأدوية، بسبب تكاليف النقل، لكنها لم تعمّر طويلا فما إن حلت سنة 1953 حتى تم الاستغناء عنها وحُرمت الوادي من هذا الامتياز، فاقصر التهريب على مادي الشاي والتبغ وإن شملت في فترات ماضية حتى السكر، كما تم تسجيل تهريب كميات من السلاح من الإقليم الطرابلسي نحو الأوراس عن طريق وادي سوف¹.

كانت حمولة 150 كلغ من الشاي نحو نفزاوة تعطي ربّحا خاما يقدر بحوالي 15 ألف فرنك، أي ثمانية آلاف فرنك فائدة صافية، يقبض مالك الجمل أربعة آلاف فرنك، والباقي يستعمل لشراء صمت

1 _ Normand, S: L'évolution des exportations algériennes vers l'étranger depuis 1950, Bulletin économique et juridique, Alger, n° 231, mars 1959, p 42.

الرعاة التوانسة الذين يقومون بدور الجمارك كما كان شائعاً، بالنسبة للتبغ وصل سعر البيع في سوف ما بين ثلاثمائة وأربعمائة فرنك للكيلو غرام الواحد، ثم ينزل إلى مستوى الأسعار الرسمية من 180 إلى مئتي فرنك، يكلف نقل القنطار على الجمل من ثلاثة إلى أربعة آلاف فرنك، تتوجه الشحونات السرية إلى غرداية ونفزاوة إضافة إلى منطقتي تبسة ووادي ريغ، عبر مسالك أخذت أسماءها من المواد التي تعبر عليها، فظهرت طريق الشاي وطريق السكر وطريق الدخان وغيرها¹.

غير أن أكبر كتلة تجارية في سوف تتعلق بتمر الغرس والقمح والشعير، لذلك كانت هذه التجارة ذات أهمية جهوية، تُمارس مع الجيران في الزاب الشرقي ونمامشة تبسة أو خنشلة، تأتي قوافلهم إلى سوف في الخريف محملة بالحبوب. حالياً الأسعار أصبحت في صالح تجار المنطقة، لأنه تقليدياً كانت تتم مقايضة كيلا واحداً من القمح مقابل كيلين من تمر الغرس إلى غاية مستهل سنة 1954، حيث ارتفع سعر قنطار الغرس إلى 3500 فرنك، أما قنطار القمح فثمنه 5500 فرنك. قد نستنتج من هذه الأرقام ندرة تمر الغرس خلال هذه الفترة ووفرة محصول القمح².

الجدير بالملاحظة في هذا الصدد هو النمط الاستهلاكي لدى الفرد السوفي، حيث يتضح وجود ظاهرة غريبة ومعقدة للغاية تغطي على سلوك استهلاك أهل سوف للحبوب ومشتقاتها. من المفترض خلال السنوات التي يقل فيها منتوج النخلة خاصة تمر الغرس، الذي يُعرف بخبز السوافة وبصفة أقل عملة التبادل دقلة نور، يُقبل السكان على استهلاك الحبوب ومشتقاتها كتعويض على نقص أو رداءة التمر الذي يعتبر قوتهم الأساس، وذلك بسبب بعض الآفات التي تصيب التمر؛ مثل: بوفرة، الفُظ أو نتيجة الخمج الذي يظهر عليه. الملاحظ على النمط الاستهلاكي في سوف هو عكس ما يُتوقع حدوثه، خلال سنوات نقص التمر ينقص استهلاك الحبوب ومشتقاتها في سوف، لكن ما هو متوقع العكس؛ إذا نقصت كمية التمر المعد للاستهلاك اليومي يُعوّض بمقدار من الحبوب، لكن السوفي يعتمد على التمر ويتصرف حسب الكمية المتوفرة منه، إذا نقص التمر لا يُعوّض النقص باستهلاك مادة بديلة كالقمح مثلاً. السنوات العجاف ومكابدة ظروف العيش في الصحراء أوحّت له بانتهاج سياسة اقتصاد النملة،

1 _ AOM, 81 F 2303, (d. 03), Op. Cit, p 19.

2 _ SHDDE, 1 H 1106, (d.2): inspection générale des territoires du Sud, rapports mensuels sur l'économie, Mars 1954, p 02.

وسط تفعيل دائم لنمط الادخار طويل المدى، اكراهات الطبيعة ونسق الحياة الصحراوية وظروف الحرب التحريرية التي يخوضها، أجبرته على ما اصطلح على تسميته باقتصاد الحرب حسب التعبير الحالي لخبراء الاقتصاد، بينما قد يصفه بعض الخبراء والأنثروبولوجيين بالاقتصاد البدائي، بل يذهب أحد التقارير الفرنسية وبلغة توحى بنوع من التهكم والتنازع إلى وصفه بأنه سلوك اعتاده الجياشة والمهريين¹. غير أن هذا السلوك عمليا أثبت نجاعته وفعاليته في هذا الوسط الصحراوي المتقلب الظروف، فما هو متوفر اليوم قد لا يكون غدا، وعصفور في اليد أفضل من عشرة عصافير على الشجرة.

2 _ تثمين العمل وارتفاع الأجور:

تتطلب زراعة النخيل نوعين أساسيين من الأشغال؛ رفع الرمال الذي يُشغّل أكبر عدد من العمال، وهو عمل يدوي لا يتطلب كفاءة مهنية أو تقنية، بالمقابل من أجل وضع الزروب أو غرس الحشان أو تلقيح النخيل، لابد من يد عاملة مختصة.

عند تنفيذ عمل يتطلب الاختصاص يتفق الملاك والعامل على نوع الأجرة، وعادة ما تساوي من اثنين إلى أربعة كلف من التمر، أو مبلغ يتراوح ما بين مئة إلى مئتي فرنك²، يُلقح العامل النخلة خلال فصل الربيع ويساعد على جني المحصول خلال موسم القطع في فصل الخريف، ينظف النخيل، يقطع الجريد، ينزع الكرناف والليف الذي يتنازل الملاك للعامل على جزء منه، حتى وإن كان الملاك يترحل في الصحراء جزءا من السنة، في هذا الوقت يكون في عين المكان ليدفع أجرة العامل حسب الاتفاق، إذا علمنا أن عاملا مختصا يمكنه أن يُلقح من ثلاثين إلى أربعين نخلة في اليوم الواحد، فحتمًا تكون قيمة مضافة للبلد، خاصة إذا عرفنا أيضا أن عامل الزروب يمكن أن يتقاضى في اليوم الواحد ثلاثمائة فرنك³.

بما أن عمل رفع الرمال يأخذ حصة الأسد في تكلفة إنجاز الغوط وغرس النخيل ويعتبر الأكثر أهمية، فقد وجدت عدة أنظمة للقياس، القَدّ هو حجم يحسب بالذراع، على مستوى الوادي المدينة

1 _ AOM, 81 F 2303, (d. 03), Op. Cit, p 25.

2 _ Lallemand. J: Dégénération de l'économie et de la société traditionnelles dans le Sahara moderne, Sahara 1960, Industries et travaux d'Outre-Mer, n° 84, novembre 1960, p 163.

3 _ Mangy. MM: Le Pétrole et les problèmes humains, Cahier Nord-Africains, Etudes sociales nord-africaines, n° 76, décembre 1959 et janvier 1960. P 268.

يعتمد القياس على أساس القد الطرودي، أما خارجها أي في القرى يعتمد القياس بالقد السعودي وهو أكبر¹، من المحتمل أن القد الطرودي الذي هو القد القبلاوي وهو الأصغر، يعتمد عادة في الأماكن الأكثر صعوبة بسبب عمق الطبقة المائية الجوفية.

كما يتم الحساب بعدد القفف التي يحملها العامل على ظهره، أو بعدد مرات ملأ الزنبيل؛ الذي ينقل على ظهر البغل أو الحمار²، في حالة العامل لا يملك الدابة فإن صاحبها يقبض ثلث الأجرة³.

الأجور المتداولة حسب الحجم الموحّد تتغير تناسبيا مع المسافة والارتفاع عند نقل الرمال، الأكثر أهمية هو التغير المحسوس بين المراكز الفلاحية وذلك حسب تقلبات سوق العمل، نجد الأجر الأكثر انخفاضاً في الوادي حيث ينزل أحيانا إلى أقل من مئة فرنك كأجرة يومية مع شيء من الشاي، ما يفسر ذلك أن الوادي المدينة هي المكان المفضل للباحثين عن العمل وبالتالي هناك تشبع في العرض، فمنطقيا ينخفض مقدار الأجرة اليومية.

غرب الوادي في منطقة التوام تصل الأجرة 120 فرنك، بينما قد تصل 140 فرنك في وادي العلندة؛ التي هي منطقة ملكيات كبيرة، حيث الباحثين عن العمل لا يستقرون طويلا لأنه مركز صغير. أيضا في كوينين وتغزوت تتجاوز الأجور مبلغ مئة فرنك في اليوم، هنا ترتبط الأجور المرتفعة بالدور الاقتصادي للمهاجرين، لا يوجد في كوينين أحد من سكانها يعمل في رفع الرمال، إنهم بدو عميش القادمين لكوينين بعائلاتهم في أغلب الأحوال، ينجزون أعمالا فلاحية غير مختصة، كما نجدهم أيضا يأتون إلى ورماس وتكسبت وحتى إلى سيدي عون. أغلب هؤلاء القادمين يغادرون في فصل الربيع إلى مناطق التل القريبة ليشاركوا في حملة الحصاد⁴.

1 _ AOM, 546 AP 11, (d. 06): Documentation sur l'Algérie et le Sahara, Rapport Commune Mixte d'El-Oued, Février 1959, p 37.

2 _ ج. كوفي، غراسة النخيل في سوف، ص 26.

3 _ C. Bataillon: Ressources et vie de relation du Sahara, Op. Cit, p 492.

4 _ C. Bataillon: LE SOUF, Etude De Géographie Humaine, Op. Cit, p 87.

على العموم وحتى نلمس الفرق، كان الرّمال قبل هذه الفترة يحصل على حوالي فرنك واحد ينقص أو يزيد قليلا عن كل دورة طلوعا وهبوطا للغوط، يكون قد قطع خلالها ما يربو عن 15 كلم؛ يقطع نصفها صاعدا حاملا قفة وزن عشرون كلغ أو تزيد، على انحدار مائل بمقدار ثلاثون بالمئة¹.

أما اللّقام؛ المختص في تحجيم قلب النخلة عندما يُراد الاستغناء عنها، لجمع اللاقمي يقوم بالتسلّق إلى رأس النخلة عدة مرات في اليوم؛ سواء لوضع القلة وهي فارغة، أو لئِنْزِلها وهي مملوءة بذلك السائل الثمين الذي يبيع نصفه مقابل أجرته، يباع اللاقمي بثمان عشرون فرنكا للتر الواحد، حيث تنتج النخلة من ألف إلى 1500 لتر خلال مدة حجامتها.

سابقا، تنزيل النخلة أيضا له ثمنه، فحين تنخفض الطبقة المائية الجوفية وتعرض النخلة لخطر الموت عطشا، يعمل السوافة على إنقاذها بإنزالها إلى مستوى أعماق، إنه عمل لا يخلو من خطر سقوطها في أي لحظة خلال عملية التنزيل، يتقاضى العاملون من 250 إلى ثلاثمائة فرنك عن كل يوم عمل.

كما أضحت بعض المنتجات الثانوية للنخلة تجد أيضا طريقها للبيع، الجريدة ثمنها عشر فرنكات، كيس الليف الذي تملأ به البطانيات سعره خمسون فرنكا ويظفر حبالا بثمان مئتي فرنك لكل 35 ذراعا، كما تباع أيضا نواة التمر كعلف للمواشي للتخفيف من استهلاك الشعير، الرُّبْعِي من النواة يصل سعره حتى 120 فرنك.

الدُّكَّار أو أزهار الطلع الذكرية، مطلوب جدا عند بداية فترة التلقيح، يتراوح سعره بين مائتين و250 فرنك، ليتراجع عند قرب نهاية الموسم إلى مئة فرنك وحتى أقل أحيانا.

حين تموت النخلة تُقطع وتفصّل، في العادة تقسم إلى أربعة أجزاء ثمن الجزء من الخشبة 320 فرنك، ويقبض العامل نظير عمله في القطع والتفصيل ستون فرنكا عن كل خشبة².

1 _ AOM, 81 F 226: Rapport (Un Journalier du Dattier au SOUF), Sociétés agricoles de prévoyance, 1959, p 02.

2 _ AOM, 81 F 2264: Sociétés indigènes de prévoyance, Les palmiers et la valorisation des œuvres d'accompagnement (l'Exemple du Souf), 20 Octobre 1961, p 16.

فيما يخص الرعاة، الذين قلَّ عددهم في الوقت الحالي، يختلف التعويض بين الراعي الحر والراعي الزنجي المملوك، الحر المؤجر لمدة سنة يحصل إما على نعجة صغيرة وعشرون كلغ من التمر عن كل عشر رؤوس، أو عن 16 كلغ من التمر مع عشرون فرنكا عن كل رأس ماشية مع احتفاظه بكامل الحليب، أما حين يؤجر لنصف سنة فيحصل على رأس ماشية صغير وعشرون كلغ تمر عن كل 15 رأس¹. الراعي من العبيد لم يُعْمَط حَقُّهُ وعُومِلَ بكل طيبة وسماحة، فله نصيب من الدقيق والتمر، ويستفيد من قندورتين من القماش أو الصوف، برنسا، سروالا، شاشا وزوج من العفان إضافة إلى رأس صغير عن كل 25 رأس من القطيع الذي يرباه².

تحوُّل الأجور حسب الأماكن وتوسُّعها، لها علاقة بالموارد المحلية الأخرى، في حين يقلل تطور الهجرة من اليد العاملة المتاحة، تبدو أيضا تربية الماشية أقل ربحا لهذا نجد يد عاملة وفيرة قادمة من مناطق استقرار البدو الرحل.

ما يجب أن نشير إليه وما شهد تحوُّلا سريعا في ظرف سنوات قليلة؛ هي ظروف عمل اليد العاملة، العامل يحفر ويرفع الرمل في الوقت الذي كان جزء كبير من الرمال يحمل على الأكتاف يتلقى سنة 1953 مقابلا قُدر بأقل من مئة فرنك ليوم عمل، بينما ارتفع أجر نفس العامل إلى عشرة أضعاف في ظرف سنوات قليلة حيث بلغ مع نهاية سنة 1961 ألف فرنك بالإضافة إلى لمجة، مما سمح لكثير من الرِّمَّالة اقتناء حمار أو حصان وهو ما يُعتبر أحد مظاهر الترف³، هذا التثمين المفاجئ إن صح التعبير للعمل نتج عن توفُّر أعمال أخرى غير فلاحيه وظهور الأجور الحديثة ولا يمكن بأي حال من الأحوال إرجاع ذلك إلى الظروف المحلية للمنطقة. حسب بعض التقارير وفي ظل هذه المعطيات الجديدة تصبح غراسة دقلة نور وحدها فقط ذات مردودية تمكِّن من تغطية المصاريف وتحقيق الربح المرجو، وهو ما لم يتفطن له كثير من الفلاحين التقليديين من الأهالي.

1 _ AOM, 81 F 2325, (d. 06): Rapport G.SALVY (L'économie Pastorale Saharienne), Janvier 1961, p 23.

2 _ Roger Leselle: Les noirs du Souf, Bulletin de Liaison saharienne, n° Spécial, Imprimerie E. Imbart, Alger, 1957, p 40.

3 _ AOM, 81 F 2264, Op. Cit, p 18.

3 _ الحبوب والمواد الاستهلاكية:

أ _ الحبوب: منطقة وادي سوف لا تنتج الحبوب، وكل الأنواع يتم جلبها من الشمال عن طريق:

_ قوافل فمامشة خنشة وتبسة الذين يقايضونها بتمر الغرس والمنسوجات، لقد تم جلب حوالي أربعون ألف قنطار من الحبوب سنة 1955.

_ السكة الحديدية التي بدأ استعمالها منذ سنة 1946، لينتهي العمل بها سنة 1958 حيث خدمت المنطقة لمدة 12 سنة كاملة¹.

ولمعرفة استهلاك ملحقة الوادي من مختلف السلع الغذائية واسعة الاستهلاك تم إنجاز الجدول أسفله.

السنة	سكر	شاي	قماش	زيت	حبوب ومشتقاتها				قهوة	صابون
					قمح	شعير	فرينة	سميد		
1958	255	42.5	776	116	17104	9452	1610	222	19	23
1959	263	44	788	163	16927	2357	2069	320	40	24
1960	282	47	853	180	16582	2959	2377	455	48	40
1961	306	51	893	199	20381	5441	3229	438	57	42
1962	330	55	906	208	31672	4650	3308	387	62	93

جدول رقم 10: يبين واردات ملحقة الوادي من السلع الأساسية بالقنطار (1958 – 1962)²

1 _ AOM, 81 F 1808 (d. 01): rapports d'activité des Chemins de fer algériens (Cout de l'infrastructure et des transports au sahara), Septembre 1958, p 31.

2 _ AOM, 81 F 2004, (d. 04): Le Commerce de Détail dans Le Souf, Cercle d'EL- OUED, MINISTERE du SAHARA, 02 Juin 1962, p 03.

ما يمكن التنبيه إليه في هذا الجدول، أن نصف كمية الشعير فقط تدخل في غذاء السوفي، أما النصف الثاني فيستعمل إضافة إلى بعض الأعلاف الأخرى النباتية، كعلف لحوالي عشرة آلاف حيوان يشارك السوفي معيشته اليومية كالماعز الحلوب والبغال والحمير وبعض الطيور والدواجن¹.

شرع فرع الحبوب للشركة الأهلية للاحتياط (SIP) في العمل بملحقة الوادي منذ جانفي 1951، هذا الفرع باع في الفترة الممتدة من أول جانفي سنة 1961 حتى 31 ماي من نفس السنة ما قدره 1800 قنطار قمح و150 قنطار شعير، أما الفترة الموالية بداية من هذا التاريخ الأخير وإلى غاية نفس اليوم والشهر من السنة الموالية 1962، باع الفرع 8470 قنطار قمح و1079 قنطار شعير، وهو ما يضاهي ربع الواردات².

الارتفاع المذهل والمفاجئ للأسعار في خريف 1961، ضاعف تقريبا أسعار السلع ذات الاستهلاك الواسع، فقد انتقل ثمن قنطار القمح إلى ستة آلاف فرنك لقمح الهذبة وهو قمح الصنف الأول، أما القمح الثري وهو من صنف أقل جودة فقد تراوح بين 4500 فرنك وخمسة آلاف فرنك. الشعير بدور انتقل ثمن قنطاره من 3600 فرنك إلى خمسة آلاف فرنك للقنطار بمختلف أصنافه: الصفرة، ديفور وشعير الزاب³، هذه الزيادة أثرت وعمق على التوازن الاقتصادي في سوف، تبعا لذلك شهد فرع الشركة للحبوب اختلالات واضحة في موازنته، مما جعله لا يلتزم بالسعر الرسمي وتخلي عن دعمه لهذه المواد واعتماده سعر السوق للخروج من ضائقته المالية على حساب المواطن السوفي البائس أصلا، إنها المجاعة لا محالة.

السنة	1953	1960	1961	1962
ثمن القنطار (الفرنك)	3300	3600	5500	6000

جدول رقم 11: يوضح تطور سعر القمح الصلب في ملحقة الوادي (1953 - 1962)⁴

1 _ SHDDE, 1 H 2106, (d.6), Op. Cit, p 18.

2 _ AOM, 81 F 2004, (d. 04), Op. Cit, p 06.

3 _ AOM, 81 F 2120: Aperçu Sur La Situation du commerce Détail Au Territoire Militaire de Touggourt, 20 Septembre 1961, p 11.

4 _ AOM, 81 F 2264: Sociétés indigènes de prévoyance, Réforme commercial au SAHARA, Notes et Observations, 2^{ème} trim 1962, p 56.

ب _ الزيت: زيت الزيتون هو الذي تستهلكه سوف، حيث تستهلك العائلة المستقرة ما يربو عن ست لترات سنويا، أما الأسرة البدوية فلا يزيد استهلاكها عن نصف لتر، ارتفاع أو نقصان استهلاكه عندهم يتحكم فيه كمية الحليب ومشتقاته المتوفرة، وكذا شحوم الماشية، والأهم لكلا الأسرتين هو طبيعة محصول تمر الغرس، الذي يتناسب طرذا زيادة ونقصانا مع نسبة استهلاك الزيت وبقية السلع الضرورية الأخرى، أما كمية الزيت التي تُستهلك سنويا في سوف فهي في حدود 18 طن كمتوسط استهلاك خلال السنوات القليلة الأخيرة.

السنة	1959	1960	1961	1962
ثمن اللتر (الفرنك)	240	250	270	300

جدول رقم 12: يبين تطور سعر زيت الزيتون في ملحقة الوادي (1959 - 1962)¹

ت _ الأقمشة: وهي تشغل حيزا مهما في حياة الأسرة السوفية، حيث يحوز كل من القماش الخام والساتان الأسود على نصف مشتريات السوافة من القماش، أما النصف الآخر فهو من نصيب قماش القندورة الأبيض، ويوضح الجدول الموالي ثمن المتر من القماش في ملحقة الوادي:

السنة	1960	1961	1962
ثمن المتر (الفرنك)	160	180	200

جدول رقم 13: يبين تطور سعر الأقمشة في ملحقة الوادي (1960 - 1962)²

ث _ الشاي: استهلاك الشاي المحلي والمعطر بالنعناع حديث في سوف وتوسع بطريقة معتبرة، يتناوله البدو والحضر على حد سواء منذ سنة 1890 تقريبا، في حين زاد انتشاره بعد سنة 1910، فقد كان غير معروف قبل هذا التاريخ إلا من قبل بعض التجار، لقد جُلب في البداية من غدامس ثم في مرحلة ثانية من قابس.

منذ سنة 1918 توسع استهلاكه أكثر، أما بعد الحرب العالمية الثانية فقد أصبح أمرا أساسيا لدى السكان. لقد أصبح حضوره ضروريا في أي تجمع، مع أنه يعتبر الكمالية الوحيدة التي يفضلها السوفي

1 _ AOM, 81 F 250, (d. 06): Office algérien d'action économique et touristique (OFALAC), Statestiques Commerciales, SAHARA, Cercle d'EL- OUED, p 04.

2 _ AOM, 81 F 2120, Op. Cit, p 09.

ويحرص على الوقوف عليها مع أنه يذمها، لأنها تكلفه مصروفاً إضافياً. يلقي الشاي في سوف عناية واهتمام كبيرين حيث يُطهى على نار هادئة وبمقادير موزونة بدقة مع ملاحظة أنه يستورد من خارج الجزائر¹.

في إبريق عادي للاستعمال اليومي، يتم استهلاك عشر غرامات من الشاي والتي تمتص بدورها ستة أضعافها من السكر للتحلية، هذه النسبة يحرص السوفي على الالتزام بها دوماً، الشاي الأخضر هو النوع الوحيد الذي يتم استهلاكه في سوف وهو ينقسم إلى أربعة أصناف هي:

الذيري: ثمن الكيلو غرام منه 850 فرنك.

الصغيرة أو السعفة: ثمن الكيلو غرام منه 480 فرنك.

البانفريد (Panfired) رقم 4 ورقم 7، ويسميه السوافة شاي 71: ثمن الكيلو غرام منه 420 فرنك.

السيفتانغ (Sifteng)، ويسميه السوافة شاي العرايس لوجود صورة عروستين على غلاف صندوقه الخشبي ذو عشرين كلغ: ثمن الكيلو غرام منه ثلاثمائة فرنك².

ج - السكر: السكر المستهلك في سوف فهو السكر الأبيض البلوري العادي، واستهلك منه الوادي حوالي 330 قنطار سنة 1962، وهو ما يحيلنا إلى استنتاج كمية الشاي المستهلكة لنفس الفترة إذا علمنا أن كمية الشاي تقل بست مرات عن كمية السكر المستعمل، وبالتالي نجد أن سوف استهلك ما لا يقل عن 55 قنطار من الشاي في نفس السنة، وذلك وفقاً للمعادلة الرياضية التالية:

$$\text{كمية السكر} = \text{كمية الشاي} \times 6.$$

ومنه يمكن أن نستنتج كمية الشاي المستهلك وهي كالتالي:

$$\frac{\text{كمية السكر}}{6} = \text{كمية الشاي}$$

أما تطور سعر السكر فيوضحه الجدول التالي:

1 _ AOM, 81 F 2004, (d. 04), Op. Cit, p 07.

2 _ Mousset. P: Ce Sahara qui voit le jour, Presses de la Cité, Paris, 1959, p 179.

السنة	1953	1960	1961	1962
ثمن الكيلو غرام (الفرنك)	90	100	110	120

جدول رقم 14: يوضح تطور سعر السكر في ملحقة الوادي (1953 - 1962)¹

ح - التمور: الغراسة البعلية لنخيل سوف هي من تقف وراء سر تفوق تمورها على تمور بقية المناطق الأخرى، هذا التفوق تترجمه الأسعار التفضيلية المطبقة في عين المكان عند كل حملة جني من طرف اثنين من ممثلي أكبر مستوردي التمور في جنوب فرنسا عموما ومدينة مرسيليا تحديدا، إنهما: إينود بو Eynaud-Bo وفيناتي Vinatier.

يوجد بملحقة الوادي ما يفوق نصف مليون نخلة، نحصى من بينها حوالي 131 ألف نخلة دقلة نور منها ما يربو عن خمسين ألف حديثة الغرس، تمورها ذات جودة عالية، يُصدر معظمها نحو أوروبا.

السنة	كمية دقلة نور المصدرة (قنطار)	متوسط ثمن القنطار (بالفرنك)
1952	10810	10500
1956	13765	9850
1957	8521	12750
1958	10360	10000

جدول رقم 15: يرصد كمية وسعر تمر دقلة نور التي تم تصديرها من ملحقة الوادي (1952 - 1958)²

وكما هو متعارف عليه يخصص جزء من المردود المالي لصيانة وإعادة الاعتبار للنخيل المنتج، أما نخلة الغرس فقد فاق عددها ثلاثمئة ألف نخلة، وهي عكس دقلة النور يُحتفظ بمعظم تمورها للاستهلاك المحلي، بينما يتم تصدير الكمية المتبقية كما هو مبين في الجدول التالي:

السنة	كمية الغرس المصدرة (قنطار)	ثمن القنطار (بالفرنك)
1952	1500	2250
1956	700	6000

1 _ AOM, 81 F 2004, (d. 04), Op. Cit, p 08.

2 _ AOM, 81 F 2303, (d. 05): Statistiques de L'Exportations de dattes de L'arrondissement d'El-Oued, Rapport de La Commission administrative de la datté, 25 Décembre 1962, p 07.

4400	448	1957
3500	697	1958

جدول رقم 16: يرصد كمية وسعر تمر الغرس التي تم تصديرها من سوف (1950 - 1958)¹

وفيما يخص العدد الباقي من النخيل فيتوزع على بقية الأنواع من دقول ونهوش، تأتي على رأسها الدقلة البيضاء بحوالي 25 ألف نخلة يُصدر منتوجها نحو غرب أفريقيا وإسبانيا لتقطيرها واستخراج بعض مشتقاتها، أما البقية فتقدر بحوالي عشرين نوعا موجهة للاستهلاك المحلي فقط².

كانت نخلة الغرس تمثل نسبة تسعون بالمئة من مجمل النخيل الذي غرسه قدماء السوافة، أما دقلة نور فلا تمثل سوى ثمانية بالمئة فقط. أما في الواحات المستحدثة فتصل نسبة الدقلة إلى الربع وهي مرشحة للارتفاع مع تزايد الغراس الجديدة للنخيل، الواضح أن الفلاح السوفي كان يعتمد على تمر الغرس سواء للاستهلاك أو نقله عن طريق القوافل للمتاجرة به جنوبا نحو غدامس وغات، لكونه مادة صالحة للتصبير أطول مدة ممكنة، وبصفة أقل يتبادلها شمالا مع نمامشة تبسة وخنشلة، ولا يعتمد على دقلة نور كمصدر للدخل مع ثمنها المرتفع مقارنة بتمر الغرس، ربما لأنها لا تتحمل طول مدة التصبير وأكثر عرضة للتلف والأمراض. حاليا ومع توفر الأدوية الفعّالة والأسمدة الحديثة واليد العاملة الرخيصة، ومع تغيّر وُجهة تصديرها شمالا نحو أوروبا أضحت ذات مورد مالي هام وذات مردود يغري بتوسيع غراستها.

خ - التبغ: هناك عدة ملاحظات سجلتها التقارير الصادرة عن السلطات الإدارية للملحقة الوادي حول تبغ سوف، حيث ألحت على وجوب تعديل القوانين المنظمة لزراعة التبغ وسن أخرى تكون أكثر صرامة لا سيما من ناحية المراقبة، كما نبهت إلى عدم وجود مراقبة كافية لمتابعة شؤون التبغ لا على مستوى الوادي ولا بسكرة القرية نسبيا، أقرب مركز للمراقبة يوجد في قسنطينة ويبعد عن المنطقة بأزيد من أربعمئة كلم. عملية المراقبة تتم مرتين أو ثلاث فقط في السنة وهي غير كافية بجميع المقاييس، خاصة على مستوى منطقة تعددت فيها بؤر غراسته، الأمر الذي حال دون وضع حدّ لحركة تهريب التبغ من الملحقة، كما لاحظت التقارير أن القوانين السارية لا تمنع بيع التبغ في المنزل من المنتج للمستهلك

1 _ AOM, 81 F 2303, (d. 05), Op. Cit, p 08.

2 _ AOM, 81 F 250, (d. 06), Op. Cit, p 07.

مباشرة، وهو ما تعتبره السلطات الفرنسية عملية تحايل بعيدة عن المراقبة، كما تدخل تحت طائلة التهرب الضريبي¹.

فرع الشركة الأهلية للاحتياط يقوم حسب أديباته على حماية الفلاحين من جشع المصنعين، فنصّب نفسه وسيطا عن طريق احتكار بيع المنتج، مستغلا القروض والتسيقات التي يقدمها للمزارعين كوسيلة ضغط لتسليمه المحصول نظرا لاحتياجهم وضعف إمكانياتهم المادية التي تتفاقم من سنة لأخرى، مع ذلك فإن نصيبه لا يتجاوز نصف المنتج وهو يسعى للحصول على كمية أكبر وبسعر أقل².

ومن خلال معلومات مؤكدة لدى الفرع سنة 1955، تبين له أن تبغ منطقة زربية الوادي وهو بنفس جودة وقوة تبغ الوادي، الذي تبلغ نسبة النيكوتين به حوالي 12% يباع بسعر 125 فرنك للكيلو غرام الواحد في غياب أي تنظيم نقابي، في نفس الفترة اشترى الفرع تبغ سوف بثمن مئتي فرنك للكيلو غرام، لقد تأثر السعر بضغط ذلك التنظيم المحلي الغير معترف به قانونا، إنها نقابة صغار الفلاحين غير المعتمدة، التي وقفت حجر عثرة أمام جشع فرع الشركة الأهلية للاحتياط الذي يسيطر عليه المعمر المحتكر شيكا Chicka³.

ومن المهم معرفة أنه خلال التسيير التونسي للتبغ كانت حمولة ما مقداره ثلاثة آلاف قدم أو ستمئة كغ ترن حوالي خمسون كغ تباع بثمن 7500 فرنك⁴، أضحت يومنا هذا ترن 108 كغ وإذا حسبناها بالسعر الحالي 220 فرنك للكيلو غرام، فإن ثمنه سيكون 23760 فرنك، وهو فارق لا مجال لمقارنته.

سنة 1957 تم شراء تبغ ملحقة الوادي من الفلاحين على أساس الأسعار التالية:

1 _ AOM, 81 F 2307, (d. 03): Marché du tabac, la société agricole de prévoyance d'El-Oued, 13 Aout 1957, p 13.

2 _ AOM, 81 F 2307, (d. 03), Op. Cit, p 06.

3 _ AOM, 81 F 2307, (d. 04): Notes Sur Le Marché du tabac et fixation du prix, 05 Décembre 1955, p 02.

4 _ Isnard. H, Op. Cit, p 157.

__ الصنف الأول: أكثر من 18 كلغ في 100 كف، بلغت 345530 كلغ بثمان 301,20 فرنك الكلغ.

__ الصنف الثاني: من 15 إلى 18 كلغ في 100 كف، بلغت 22581 كلغ بثمان 276,10 فرنك الكلغ.

__ الصنف الثالث: من 10 إلى 15 كلغ في 100 كف، بلغت 8888 كلغ بثمان 251,10 فرنك الكلغ.

__ الصنف الرابع: أقل من 10 كلغ في 100 كف، بلغت 6618 بثمان 226 فرنك للكلغ، أما البقايا الغير مصنفة فقد بلغ وزنها 4811 كلغ بيعت بثمان 140 فرنك الكلغ، بمتوسط عام قدره 238,88 فرنك للكلغ الواحد¹.

أما سنة 1958 ومع تخلي حوالي 250 مزارع عن زراعة التبغ، فقد شهد الموسم بيع حوالي 4098,38 قنطار، بمبلغ قدره 123.123.986 فرنك، بمتوسط عام قدره 300,42 فرنك للكلغ، أي زاد سعر الكلغ من التبغ عن السنة الماضية بحوالي 61,54 فرنك وهي زيادة معتبرة في ظرف سنة واحدة، غير أن فرع الشركة الأهلية في تقريره لنفس السنة سجل مشكل تدني الأسعار وهو ما لا يشجع الفلاحين على الاستمرار حسب، ويعود الفضل لتحسن نوعية التبغ وزيادة مردوده لمحطة التجارب التي أنشأتها الشركة الأهلية للاحتياط في الملحقة، حتى أصبح الصنف الأول منه يمثل نسبة 72% من منتج سوف².

من وجهة نظر اقتصادية تجدر الإشارة إلى الصيغة التي وُضعت حيز التطبيق، بعد تحقيق عميق بغرض ربط سعر التبغ في ملحقة الوادي ببقية السلع الاستهلاكية في البلاد؛ لأن فلاحى التبغ في سوف

1 _ AOM, 81 F 2307, (d. 03), Op. Cit, p 14.

2 _ AOM, 81 F 2307, (d. 07): Commercialisation des tabacs en Algérie, la société agricole de prévoyance d'El-Oued, 26 Aout 1958, p 07.

لم يوافقوا على الصيغة التي اعتمدها المصنعين والتي على أساسها تم إمضاء الاتفاقية الثلاثية في 27 فبراير 1951¹.

لقد تم اعتماد صيغة جديدة أكثر ملائمة للواقع المعيشي في سوف لاقت ارتياحا كبيرا لدى الفلاحين، تعتمد على نسبة استهلاك السوفي للمواد ذات الاستهلاك الواسع، على أن تستبعد القيم الاستهلاكية التي تساوي أو تقل على نسبة اثنان بالمئة، والاتفاق على أسعار السلع في سنة مرجعية يتم تحديدها بالإجماع كمعلم يتم الحساب وفقه، فإذا علمنا أن العائلة السوفية حاليا تعتمد في غذائها اليومي على استهلاك المواد الضرورية التي تمثل النسب التي يوضحها الجدول التالي:

المواد واسعة الإستهلاك	النسبة المئوية
التمر	50 %
القمح	30 %
القماش القطني	08 %
زيت الزيتون	06 %
السكر	06 %
الشاي	02 %
الوقود	01 %

جدول رقم 17: يوضح نسبة استهلاك المواد الضرورية في ملحقة الوادي سنة 1950²

على حسب الجدول ووفقا للاتفاق لن يتم احتساب نسبة مادتي الشاي والوقود لكونها تساوي أو تقل عن نسبة الاثنان بالمئة المتفق عليها، وعليه فإننا رمزنا إلى:

__ ثمن التمر في سنة الحساب بالرمز "ت"، وإلى ثمن التمر في السنة المرجعية بالرمز "ت".

__ ثمن القمح الصلب في سنة الحساب بالرمز "قم"، وإلى ثمن القمح الصلب في السنة المرجعية بالرمز "قم".

1 _ SHDDE, 1 H 1901, (d.3), Op. Cit, p 12.

2 _ Ibid, p 13.

__ ثمن القماش القطني في سنة الحساب بالرمز "ق"، وإلى ثمن القماش القطني في السنة المرجعية بالرمز "ق".

__ ثمن زيت الزيتون في سنة الحساب بالرمز "ز"، وإلى ثمن زيت الزيتون في السنة المرجعية بالرمز "ز".

__ ثمن السكر في سنة الحساب بالرمز "س"، وإلى ثمن السكر في السنة المرجعية بالرمز "س".

أمكننا صياغة معادلة حساب قيمة الزيادة السنوية في ثمن التبغ في سوف على الشكل التالي¹:

$$\text{مقدار الزيادة} = \frac{50 \frac{\text{ت}}{\text{ت}} + 30 \frac{\text{قم}}{\text{قم}} + 8 \frac{\text{ق}}{\text{ق}} + 6 \frac{\text{ز}}{\text{ز}} + 6 \frac{\text{س}}{\text{س}}}{100}$$

أما من حيث تحديد بدقة مدى مردودية زراعة التبغ، فإن الأمر يبدو صعبا، غير أنه حسب المعطيات المتوفرة، المردود في بداية الأمر منخفض نسبيا، حيث ثمن البئر خمسة آلاف فرنك، كما تعد تكلفة شراء السماد البشري معتبرة أيضا حيث تجلبه قمار من الوادي على وجه الخصوص، إذ يقوم بعض الفقراء بعملية جمعه وتجهيفه من أجل بيعه، إضافة إلى تكلفة الزروب والسواقي المجبسة. يقدر الثمن بالنسبة لثلاثة آلاف شتلة تزن أكثر من القنطار بقليل وتعد محصول متوسط بحوالي 22 ألف فرنك. غير أنه لا يمكن أن نحدد قيمة الفائدة بالنظر إلى النفقات غير القابلة للتقويم كقيمة العمل العائلي على سبيل المثال، لكن الشركة الأهلية للاحتياط والتي لديها مزرعة تُحسب كل مصاريفها نقدا، وتدفع أجورا مرتفعة بقليل عن تلك المتداولة عادة وتستعمل بئرا بمحرك، تعتبر تقاريرها التبغ ذو مردود ضعيف².

تسمح زراعة التبغ للفلاح من الاستفادة بقرض موسمي، حيث تقرض الشركة الأهلية للاحتياط الفلاح حتى نصف المبلغ المتحصل عليه من محصول الموسم الفارط لكنها تشترط أن يحصل عليه سوى الفلاحين الذين باعوا محصولهم لمصالحها وشرعوا في العمل فعلا.

1 _ AOM, 81 F 2307, (d. 05), Op. Cit, p 02.

2 _ Ibid, p 05.

من جهة أخرى، يمارس تجار محليون ولو بصفة محدودة قروضا ربوية مقنّعة في شكل قروض بيع القمح أو تمر الغرس تصل نسبة الفائدة إلى نحو 120%¹.

فلاحة التبغ والتي هي أكثر قدرة على التأقلم مع هزات الوضع التجاري، هي أيضا شهدت تحولا وتطورا في الإنتاج انتقل من ألفي قنطار إلى أربعة آلاف قنطار في ظرف سبع سنوات، كما ارتفعت الأسعار أيضا خاصة بعد القضاء على التجارة الموازية والتهريب الذين كانا سائدين سابقا، حيث بلغ الثمن الرسمي للكيلو التبغ سنة 1952 ما قيمته 220 فرنك، بينما يتفاوت سعره ما بين ثلاثمائة وأربعمائة فرنك في السوق الموازية أما حاليا فيبلغ ثمن الكيلو 330 فرنك، وهو ما يعكس رواج صناعة التبغ في الجزائر، هذا النوع من الفلاحة تعتبره السلطات الفرنسية عنصرا مشجعا على استقرار الفلاح في منطقة قمار على وجه التحديد، غير أنه على مستوى ملحقة الوادي سارت الأمور عكس ما تروّج له التقارير الفرنسية، حيث من بين 2520 فلاحا يشتغلون على زراعة التبغ سنة 1955، لم يبق منهم سنة 1962 إلا 920 فلاحا فقط، وهو ما ينسف تلك الادّعاءات من العمق².

4 _ الضرائب:

لقد تنوعت واختلفت الضرائب المفروضة على الجزائريين في العهد الاستعماري، وتبعاً لذلك انقسمت إلى قسمين؛ قسم يتعلق بالضرائب التي كان يؤديها المسلمون دون غيرهم والثاني يشمل الضرائب التي كان يدفعها المسلمون والفرنسيون على حد سواء، ولم يفتأ المسلمون يطالبون بوضع حد لهذه الازدواجية الضريبية وبوضعهم على قدم المساواة مع الأوروبيين فيما يتعلق بالجباية ولكن دون جدوى.

أ_ **طبيعة الضرائب المفروضة:** يُعتبر إخضاع السكان المسلمين الجزائريين إلى ضرائب متنوعة ومجحفة في حقهم إذلالاً لهم، وما مبالغة الفرنسيين في فرضها إلا إمعانا في الحصول على مزيد من خضوع وخنوع فئة واسعة من الجزائريين، لذلك كان السكان المسلمين الجزائريين يخضعون لنوعين من الضرائب؛ الضرائب العربية والضرائب ذات الأصل الفرنسي.

1 _ AOM, 81 F 1803, (d.04), Op. Cit, p 35.

2 _ Ibid, p 36.

أ _ 1 _ **الضرائب العربية:** منذ أن وطأت أقدام الفرنسيين الجزائر شرعوا في فرض الضريبة العربية التي كانت تقبض نقدا وتشكل الضريبة العربية من:

- **الحكر (كراء أراضي).**

- **العشر (ضريبة الحبوب والمنتجات الفلاحية المختلفة).**

- **الزكاة (الضريبة على الحيوانات).**

ثم أضيفت إليها ضريبة الزمة التي تنقسم إلى نوعين في المناطق الخاضعة للحكم العسكري: لزمة النخيل، والزمة الثابتة الخاصة بمناطق الجنوب.

عموماً قُسمت الضرائب العربية إلى أربعة أنواع لكل واحدة نوعها الخاص والمميز، بدءاً بـضرائب الأرض، العشور والحكور، ثم ضرائب الماشية والزكاة.

_ **العشور:** وهي ضريبة على المحصول، وتظهر كأهم ضريبة من بين تلك التي كانت تفرضها السلطات الفرنسية، تتغير قواعد فرضها بتنوع النواحي، أما جبايتها فتتم بصورة مختلفة في كل مقاطعة من مقاطعات الجزائر، وما تجدر الإشارة إليه أن ضريبة العشور يدفعها جميع السكان المسلمين، غير أنه استثنى منها الخماسة المشتغلين في مزارع الأوربيين.

_ **الزكاة:** هي ضريبة على الماشية من جمال وأغنام وماعز، وهذه ضريبة واجبة الدفع من قبل جميع المواطنين المسلمين دون استثناء في جميع المناطق¹، غير أن قيمتها تختلف باختلاف نوع الحيوانات والمناطق، واحتفظت بشكلها إلى غاية سنة 1958، حيث تم ضبطها بتحديد قيمة الزكاة بعد أن عرفت عدة تعديلات.

نوع	قيمة الرسم سنوات			
	1951	1957	1959	1961
الماشية	300	400	200	200
الإبل	80	150	100	50

1 _ Remy .B: Les Impôt Coloniaux, condition juridique et régime fiscal des sociétés coloniales, LAROSE, Paris 5^e, 1930, pp 03 – 09.

50	100	150	100	الماعز
----	-----	-----	-----	--------

جدول رقم 18: يوضح تطور قيمة ضريبة زكاة الماشية (بالفرنك) بملحقة الوادي (1951 . 1961)¹

ووصلت حتى أصبحت تفرض بلا تمييز على كل الحيوانات الأليفة سواء المعدة منها للتجارة أو للفلاحة وأعفيت منها الخيول والحمير والبغال.

وما تجدر الإشارة إليه أن قوانين المالية للسنوات التي تلت الإعلان عن مشروع قسنطينة في مستهل أكتوبر 1958 راعت بصفة مدروسة وبنوع من الرحمة المعاناة الاجتماعية للأهالي في محاولة لكسب وُدّهم واستمالتهم لصفها بدل دعمهم للمجاهدين، حيث تم تسجيل تراجع في قيم الضرائب المفروضة، مثلما كان الشأن بعد الحرب الكونية الثانية هذا من جهة²، ومن جهة أخرى تداركا لأعداد رؤوس الماشية التي تشهد تناقصا مستمرا.

— الزمة: وتُفرض على كل شاب قادر على حمل السلاح كل حسب ثروته في المنطقة الصحراوية فُرضت على القبائل الزمة الثابتة، وأُعتبرت بمثابة ضريبة حرب، لم يكن يؤخذ فيها بعين الاعتبار تعداد السكان أو درجات ثرائهم، وكانت تُفرض على البدو الرحل الذين لم يكونوا يقومون بدفع ضريقتي العشور والزكاة.

أما لزمة النخيل فكانت تفرض حسب صنف وعدد النخيل ونوعية المحصول، وعموما كانت تقوم على نفس قواعد العشور وعن كل نخلة، كانت تعريفاتها تتراوح في بداية الأمر ما بين 0,25 فرنك و0,50 فرنك، بحسب المناطق، ووفقا لمردود كل سنة، أما غيطان النخيل التابعة للأوروبيين فلم تخضع للضريبة.

لزمة النخيل والماشية تشهد تغيّرا وتزايدا مستمرا تطبيقا لمختلف المراسيم المنظمة لها كمرسوم العشرون من ديسمبر 1922، ومرسوم الثامن من جوان 1930، كما أحدث مرسوم 19 أوت 1936 زيادة في رسوم الزمة على النخيل ولكنه لم يطبق عمليا إلا في الفاتح من جانفي 1940، حيث جرى تمديده بسبب تدهور الأوضاع الاقتصادية لسكان المنطقة، وهذا ما يفسر قرار الإدارة الفرنسية في إقرار

1 _ AOM, 81 F 1791, (d. 01): Rapport de Robert Rigard chef du service des affaires économiques et financières du ministère d'État chargé des affaires algériennes, La fiscalité Au Sud Algérien, 12 Janvier 1962, p 16.

2 _ Thomas. M-R: Sahara et Communauté, Presses Universitaires de France, Paris, 1960, p 173.

تخفيضات في رسوم الزمة على ملحقة الوادي للتخفيف من آثار الأزمة الاقتصادية وأحداث الحرب العالمية الثانية التي أثّرت على المزارعين بالدرجة الأولى¹.

السنة				أنواع التمور المصنفة
1960	1959	1956	1950	
400	450	500	400	نخيل الصنف الأول تمر دقلة نور للتصدير
150	200	250	200	نخيل الصنف الثاني تمر غرس للاستهلاك المحلي
85	100	150	100	نخيل الصنف الثالث تمر جاف محدود الاستهلاك

جدول رقم 19: يبيّن تطور ضريبة لزمة النخيل (بالفرنك) بملحقة الوادي (1950 . 1960)²

هذه الضرائب والغرامات ليس لها أي أساس أو مرجع أو مصدر ديني إلا الاسم، فهي خاضعة لقوانين المالية والقوانين الخاصة التي تصدر من حين لآخر، كما تخضع في أغلب الأحيان لأمزجة القياد والمتصرفين الإداريين، كما تلعب الرشوة والمحابة والرضى والغضب على دفعيها دورا كبيرا في تحديد قيمتها زيادة أو نقصانا أو حتى الإعفاء منها كليا، والحضوة لدى هؤلاء تقاس بمدى الكرم والسخاء وقيمة الهدايا والعطايا، وكذا المساهمة في تنظيم الضيقات والتكفل بمختلف الزوار الرفيعي المستوى، الذين ينزلون ضيوفا على الملحقة من رسميين وغيرهم، حيث يساهمون بذبح رؤوس الأغنام وإهداء أجود عراجين تمر دقلة نور وأحسن الزرابي والبرانيس صنعة وإتقانا وغيرها من قرايين، خوفا من غضب وسخط الحكام والقياد حيناً وطمعا في نيل رضاهم والتمتع ببعض الامتيازات الممنوحة حيناً آخر.

لو رجعنا إلى سجلات الضرائب فإننا نلاحظ أن الرجال الأصحاء الخاضعين لضريبة اللحية (الفرد) المسجلين يدفعون في نفس الوقت ضريبة الزمة على النخيل، كما نجد أيضا ضريبة الزمة مفروضة

1 _ Le cadre institutionnel du développement saharien (dispositions fiscales), publication de la Documentation française, série Notes et Documents, n° 2801, 31 juillet 1961.

2 _ AOM, 81 F 1799, (d. 08): Secrétariat d'État Chargé des Affaires Algériennes, Tableaux des Impositions Locales, Arrondissement d'El-Oued, 08 Février 1961, p 03.

على أفراد لا يخضعون للضريبة كالنساء والأطفال والشيوخ وحتى المهاجرين فإذا كان عدد الخاضعين للضريبة سنة 1957 يصل إلى حوالي عشرة آلاف، فإن حصص ضريبة اللازمة تفوق إلى 16 ألف¹.

حسب معطيات حصص الضرائب المذكورة آنفا، نجد لكل منطقة ضريبة النسب الخاصة بها، حيث ترتب حسب عدد الحصص، منها الأقل من عشرين نخلة وتعتبر ملكيات صغيرة، أما إذا فاقت خمسين نخلة فتُعد من الملكيات الكبيرة، مع الأخذ بعين الاعتبار درجة ملوحة المنطقة المعنية بفرض الضريبة².

الرقم	المركز	عدد الملكيات			
		من 01 إلى 10 نخلات	من 11 إلى 20 نخلة	من 21 إلى 50 نخلة	من 51 إلى 100 نخلة
01	الوادي	35	38	30	09
02	مالحة الوادي	43	43	22	01
03	عميش	41	35	30	07
04	مالحة عميش	47	33	23	03
05	قمار	45	30	27	04
06	المقرن	51	33	21	03
07	كوينين	45	30	27	12
08	الدييلة	49	27	27	08
09	غمرة	40	28	32	07
10	ورماس	41	25	27	12
11	تكسبت	32	37	23	15
12	مالحة تكسبت	30	42	23	08
13	حاسي خليفة	40	29	33	06
14	وادي العلندة	30	31	38	12

1 _ Remy .B, Op. Cit, pp 03 – 09.

2 _ Thomas. M-R, Op. Cit, p 174.

15	البهيمية	37	32	34	13	04
16	تغزوت	35	30	35	17	01
17	سيدي عون	33	26	29	14	07
18	الرقبية	35	35	34	15	07
19	الطريفراوي	35	32	37	09	03
20	الزقم	37	27	36	13	02

جدول رقم 20: يوضح عدد الملكيات الخاضعة لضريبة الزمة بملحقة الوادي سنة 1959¹

الأرقام الواردة في الجدول أعلاه تبقى نسبية وأقل من الواقع بكثير، خاصة إذا علمنا أن ثلثا أو ثلاثة أرباع النخيل فقط مقيدة على سجل ضريبة اللازمة، وإذا أردنا أكثر تفصيلا بالنسبة للملكيات الصغيرة والمناطق القديمة حيث التأطير الإداري أكثر قدما وأكثر قوة في نفس الوقت، تكون الأرقام صحيحة وحتى مبالغ فيها أحيانا، حيث النخيل الميث مازال مقيدا في سجل الضرائب، المناطق ذات المردود الضعيف واسعة أكثر من المناطق المعروفة بالملوحة، وكلها مناطق تكثر فيها الملكيات الصغيرة، ثم أن المناطق الجديدة أيضا كوادي العلندة يصعب فيها وضع أرقام صحيحة ودقيقة، مع أخذ في الحسبان النخيل الذي بدأ في الإنتاج ولم يصل بعد إلى عشر سنوات وهي سن الخضوع للضريبة، مثل هذه الحالات موجودة بكثرة في المناطق الجديدة.

ما يزيد الأمر تعقيدا، أن الجدول أعلاه لا يشير إلى مجمل ملكيات عائلة ما فالعائلة الواحدة تدفع الضريبة في مركزين مختلفين، من جهة أخرى هناك حالات عديدة قُسمت فيها الملكية الواحدة على عدد من الورثة، في جميع الحالات الأمر يتطلب متابعة ودقة كبيرة خاصة للملكيات التي تم تقاسمها عن طريق الميراث والعكس تلك الملكيات المتناثرة التي جمعها مستثمر واحد عن طريق الشراء.

بالعودة إلى الأرقام، الأمر واضح في الوادي وعميش وتكسبت وكل منطقة قمار، هي مناطق مالحة وبالتالي مناطق الملكية الصغيرة بامتياز، في الجهة المقابلة الملكية الكبيرة توجد في وادي العلندة، حيث يكون المردود كبيرا والفائدة أيضا أكثر.

1 _ AOM, 81 F 1883, (d. 12): Le bureau des affaires économiques et financières, Régime fiscal et Organisation financière du Sahara, Territoire de Touggourt, 02 Avril 1960. p 15.

تُضاف الرقبة إلى وادي العلندة، فهما منطقتي الاستثمار لكن بأهمية متفاوتة، الملكيات الكبيرة في الرقبة تمثل تقريبا نصف عدد وادي العلندة، أما فيما يخص الحالات الأخرى يبدو أن الأمر أكثر تعقيدا، فقضية توفر رأس المال تظهر أهمية المركز التجاري وإمدادات المال الخارجي، إذن نوعية الهجرة ومدى بداوة المجموعة السكانية التي قد تفضل قطعان الماشية عن غراسة النخيل هي من يحدد مستقبل المنطقة الفلاحي،

في الرقبة والبهيمة فارق عدد الملكيات الكبيرة بينهما ناتج عن الطابع التجاري للهجرة في البهيمة، في حين أن مهاجري الرقبة في غالبيتهم الساحقة بروليتاريا بسيطة، في حين تقترب كوينين من البهيمة في هذا الجانب وربما ورماس كما أن تكسبت لا تبتعد كثيرا.

هيكلية الملكية في سوف لا تظهر بالوضوح الكافي إلا نادرا، لذلك أمكننا القول أن سوف كلها بلد الملكية الصغيرة جدا، فلما نتكلم عن الملكية الكبيرة في سوف نقصد الأكثر من خمسين نخلة، بينما هذا العدد يدعو للسخرية مقارنة بمنطقتي الزيبان أو وادي ريغ، العدد المتوسط من النخيل لكل فلاح في ورقلة أربع مئة نخلة، في بسكرة 180 نخلة و 170 نخلة في تقرت، أما في سوف عشرون نخلة فقط¹.

من البديهي أن تنعكس هذه الظروف الخاصة على عدد اليد العاملة وأجرتها، ففي منطقة سوف وحدها يحسب الملاكون على أنهم فلاحين، في أي مكان آخر غير وادي سوف لا يحسب فلاحا إلا الخماس أو العامل الزراعي لذلك نجد نسبة الفلاحين في سوف هي الأكبر $\frac{9}{11}$ ، بينما في ورقلة الثلث وفي بسكرة النصف أما تقرت فتبلغ الثلثين².

وإضافة إلى تلك الضرائب يمكن إضافة ضرائب أخرى غير مباشرة، والتي تحصلها الإدارة الاستعمارية وتدخل في خزينتها ويمكن حصرها فيما يلي:

— السخرة: تجب كل عام على كل رجل بلغ عمره 18 سنة ولم يتعد 55 سنة، تعد واجبا خاصا في كل قرية لإصلاح الطرق والمسالك، حيث يقضي الفرد ثلاثة أيام في خدمة طرق البلدة ومسالكها،

1 _ Roux .M: Le désert de sable, le Sahara dans l'imaginaire des français (1900-1994), L'Harmattan, Paris, 1996, p 84.

2 _ SHDDE, 1 H 2106, (d.11): Commandement en chef des forces en Algérie, Atlas des départements sahariens, Etat-major interarmées, Antenne de documentation géographique, 1960, p 22.

وإن كانت له عربة أو دواب للعمل أو للركوب وجب عليه أن يزيد عن الخدمة المذكورة ثلاثة أيام أخرى، ويمكنه التعويض عن الخدمة بمقابل مادي؛ مقابل اليوم الواحد من خدمة الرجل اثنين فرنك والجواد ثلاث فرنكات والفرس والبغل والعربة اثنين فرنك كذلك أما الحمار فنصف فرنك¹.

أ _ 2 _ **الضرائب الأوروبية:** وهي ضرائب إضافية فرضتها السلطات الاستعمارية بعد احتلالها للجزائر، زيادة عن الضرائب العربية التي كان يؤديها الأهالي للسلطة العثمانية، وهي بصفة عامة تشبه مثيلاتها المطبقة في فرنسا، وتمثلت خصوصا في الضريبة على الملكيات الثابتة (العقارية) وضريبة المهن والمكوس.

_ الضريبة على الملكيات الثابتة: كانت هذه الغرامة تؤدي على المساكن والمعامل وغيرها من المباني، ماعدا المعد منها للفلاحة كمخازن الأعلاف ومرابط المواشي، ومخازن الغلال أما المنازل والمعامل الحديثة لم تكن تدخل تحت هذه الضريبة إلا بعد مضي خمس سنوات.

وكان يقدرها أعوان إدارة هذه الضريبة في كل بلدة، وقوائم هذه الضريبة يوافق عليها عامل العمالة ويستخلصها أعوان إدارة الأداءات المختلفة².

_ ضريبة الحرف: طبق حق ضريبة المهن منذ اليوم الأول للاحتلال، وكانت جباية هذه الضريبة مماثلة لما هي عليه في فرنسا سواء على شكل ضريبة الدولة أو ضريبة إضافية، ويلاحظ أن عُشر الدخل الخام لضريبة المهنة يعود لصالح البلديات.

_ المكوس: وهي مماثلة للضرائب المباشرة وتشمل ثمانية مكوس؛ خمسة منها يعود دخلها لميزانية الجزائر، وأهمها على الإطلاق مكس الأسواق؛ فقد كانت الإدارة الاستعمارية تفرض على كل شخص يقدم إلى السوق لبيع محصول من محاصيله أن يدفع مبلغا من المال يقدر حسب مساحة الموضع الذي يشغله محصوله في السوق، وكان يقوم بتحصيل المكس في السوق لصالح خزينة البلدية أعوان إدارة البلدية، الذين يعينهم المتصرف الإداري، أو شيخ البلدية فيما بعد، بعد سنة 1958 أصبح يُستخلص

1 _ لقاء مع السيد عبد الكريم شتحونة، بمنزله بحي النزلة ببلدية الوادي، يوم 28 نوفمبر 2019، على الساعة العاشرة صباحا، المعني من مواليد سنة 1923.

2 _ AOM, 81 F 1936, (d. 01): Le bureau des affaires économiques et financières, Notes Sur Le Régime fiscal des territoires du Sud, 23 Octobre 1959, p 11.

المكس عن طريق الكراء وفق دفتر شروط تعدده البلدية وتتم مزايدة في هذا الشأن ويرسو الكراء على المزايد الأكثر عرضاً¹.

ب _ ضرائب أخرى: لم يقتصر الأمر على تلك الضرائب المذكورة، بل هناك غرامات أخرى تفنن المستعمر في فرضها على الأهالي نذكر منها: حقوق التحقق من المكاييل والموازين، حقوق التسجيل التي تُحصل عند التقاضي أو إبرام العقود والمواثيق، الرسوم على البيع والكراء والمبادلة والهبة والإعارة وغيرها، رسوم على تراخيص المرور وجوازات السفر والحج، رسوم ذبح المواشي، غرامات يصدرها القاضي أو المتصرف الإداري كعقوبات عند التقاضي أو مخالفة النظام العام، الرسم على طلبات الرخص لفتح محلات أو الرسوم على الطابع؛ والتي هي عبارة عن أوراق مطبوعة بالطابع الرسمي للجمهورية تستعمل لتحرير العديد من المعاملات الشبه رسمية وتتراوح قيمتها ما بين ستون سنتيماً وأربعة فرنك، غير أن بعض الأوراق تقدر بنسبة من قيمة المبلغ الذي ذكر فيها وليس بقيمة الطابع².

نوع الضريبة		الضريبة المباشرة		الضريبة غير المباشرة
السنة	المتوقع	المحصل	المتوقع	المحصل
1953	15.215.970	15.215.970	9.222.300	7.900.440
1954	18.440.797	18.440.797	8.402.400	7.586.760
1956	18.324.076	18.324.076	7.590.900	8.110.410
1957	23.216.692	23.216.692	10.783.200	7.808.473
1958	26.944.827	26.944.827	10.369.200	1.294.751
المجموع	83.836.686	83.836.686	46.368.000	32.700.834
المجموع الكلي للضرائب المحصلة		116.537.520		

جدول رقم 21: يوضح قيمة الضرائب المباشرة وغير المباشرة (بالفرنك) بملحقة الوادي (1953 - 1958)³

1 _ AOM, 81 F 1939, (d. 03): Direction des Impôts directs, contribution foncière à l'assiette de la taxe sur l'activité industrielle et commerciale au territoires du Sud, Janvier 1961, p 13.

2 _ AOM, 81 F 1936, (d. 06): Le bureau des affaires économiques et financières, Réforme fiscale dans les départements sahariens, 29 Novembre 1959, p 07.

3 _ AOM, 81 F 1946, (d. 07): L'Administrateur des services civils, Chef de la Commune Mixte d'EL-OUED, Rapports Annuelles des années (1953 - 1958).

ما تمت ملاحظته سنة 1961، أن الضريبة على الدخل والتي تم تأسيسها سنة 1950 شكلت 37% من إجمالي الإيرادات الضريبية، وأن الضريبة على الثروة بلغت ثمانية بالمئة، والرسم على رقم الأعمال ثلاثون بالمئة، وحقوق الجمارك اثنان بالمئة، وبقية الاقتطاعات 23%، أي أن نسبة الضرائب غير المباشرة كانت في حدود 55%، وهو ما يبرز الضغط الجبائي الكبير على الأهالي من الفلاحين والفقراء. ووصل تفاقم الأوضاع المزرية سنة 1961 أيضا، أن الخزينة لم تحصيل سوى 16% من قيمة مبلغ الضرائب المباشرة لفائدة الميزانية الاستثنائية، و 26% من مبلغ الضرائب غير المباشرة و 27% من المبلغ الإجمالي؛ والحال أن هذه النسب كانت سنة 1953، تفوق 66% ضرائب مباشرة، 28% ضرائب غير مباشرة، و 41% من مجموع المبلغ¹، وهو ما يلخصه الجدول التالي:

نوع الضريبة	نسبة التسديد سنة 1953	نسبة التسديد سنة 1961
الضريبة المباشرة	66 %	16 %
الضريبة غير المباشرة	28 %	26 %
متوسط الضريبة	47 %	21 %

جدول رقم 22: يبين نسب انخفاض سداد الأهالي للضرائب في ملحقة الوادي (1953 - 1961)²

الأرقام والنسب والإحصائيات على الورق توحي بأن هناك تساهل في جباية الضريبة وأن هناك فئة كبيرة من الأهالي لم تعد تؤدي ما عليها من أتاوى، لأنها أضحت غير قادرة ماديا على تسديد تلك الأداءات مهما خفّضت السلطات في قيمتها، نفس الأرقام تقول أن الحصيللة العامة للضرائب لم تسجل النقص الذي تسوّق له السلطات الإدارية في ملحقة الوادي، ما عدا الانخفاض النسبي المسجل على مستوى تحصيل الضرائب غير المباشرة، التراجع المسجل قد يعود إلى التهرب الضريبي من قبل التجار أو توقف أنشطتهم أو نقص فادح في استهلاك السلع التي تخضع لمثل هذه الضرائب.

لقد بلغ سوء الوضع الاقتصادي والاجتماعي في سوف حدا لا يطاق، نتيجة السياسة الاستعمارية التي أدت إلى تفكير الأهالي وعجزهم عن تحصيل قوتهم اليومي، حتى أنهم أصبحوا يتهللون

1 _ AOM, 81 F 1944, (d. 02): Le bureau des affaires économiques et financières, Taxes sur le chiffre d'affaires, Réglementation Au territoires du Sud, Cercle du SOUF, 31 Décembre 1961. pp 24 – 31.

2_ الجدول من انجاز الطالب.

فرحا عندما يغزو الجراد المنطقة لطهيه وملاً بطونهم، وحتى تملّحه وتخزينه لقادم الأيام، فمن الطبيعي أن يعجز السوفي عن سداد الغرامات المفروضة عليه، بل اضطرت أعداد كبيرة للهجرة ومغادرة مسقط الرأس لا حبا في التغرب ولكن شظف العيش بلغ منتهاه.

ثانياً _تحوّل الصناعة الحرفية:

المتابع لتاريخ الإنسان منذ نشأته يلاحظ أن الحاجة هي التي دفعت بهذا المخلوق لإيجاد ما يلي رغبته. كما أنه لم يُخلق عبثاً أو للعيش على هامش الحياة، بل على النقيض من ذلك ، كان عليه أن يكد يجد ليعيش، وأن يسعى لضمان بقائه. فما كان عليه إلا أن يبتكر الوسيلة ويطوّر الأداة.

من هنا ظهرت الصناعة الحرفية من أجل تلبية حاجة الإنسان وأضحت ركيزة أساسية اقتصاديات الشعوب والمجتمعات، لهذا لا يمكن بأي حال من الأحوال تجاوز هذا المعطى المهم، بل تُعد هذه الصناعات أساساً ومعيّاراً لتقدم مختلف الشعوب والأمم أو تخلفها، كما يميّز كل مجتمع عن غيره من المجتمعات.

أهل سوف وبصفتهم مجموعة بشرية كسائر المجتمعات، لهم أيضاً ما يميّزهم عن غيرهم في هذا الأمر، فتاريخهم عامر بالخصوصية والتميز، مثلما يبرزه ماضيهم الغني بالإنجازات، خاصة في ميدان الصناعة اليدوية والحرفية، هذا المضمار الذي شكّل فيه الحرفي السوفي الركيزة الأساسية في التميّز والإبداع، إذ لا يكاد يخلو أي نشاط يدوي أو حرفي من أداة صنعها مبدع أو مبدعة، ملكوا الخبرة والتجربة وتمرّسوا في أعمالهم حتى صارت بعض الحرف حكرًا عليهم، من هنا تظهر عبقرية الصانع الحرفي ومهارته وإبداعه اللامتناهي في قدرته على التفاعل مع ما حوله.

لذلك لقي الصانع اليدوي مكانة محترمة وسط مجتمعه، وأثبت وجوده بما يبذله من مجهود لتلبية مختلف حاجات ذلك المجتمع. الأمر الذي انعكس بالإيجاب على مردوده مما عاد عليه وعلى بيئته بالفائدة، حيث ظهرت أدوات وصناعات قام بتطويرها مع مرور الزمن، وكان لها دور أساسي ومهم في رقيّ المجتمع وازدهاره اقتصادياً.

1 _ حرفة النسيج:

الصوف في سوف يعيد إلى ذهنك البرنوس والبخنوق والقشايية والعفان والزربية، وهو ما يترجم إبداع السوفي الذي تكيف مع صحرائه، فمن صوف غنمه ووبر جماله نسج ملابسه وزرابيه وأفرشته ووساداته وأكياسه.

أ _ **الألبسة الصوفية:** المصنوعات النسيجية الأساسية الأكثر طلبا هما: البرنوس الصوفي المطلوب جدا في كل من تونس وكل عمالة قسنطينة، والقندورة السوفية التي تحضى بطلب محترم¹.

يكفي أن تنزل في السنوات السابقة إلى سوق الوادي، لتكتشف أنه يباع أسبوعيا حوالي 350 برنسا وما يقارب ثلاثمئة جلابة ومئتي حنبل، قمار تباع لوحدها في سوقها النصف شهري خمسين برنسا²، إنه دليل قاطع على أن البيت السوفي كان يمارس الاقتصاد المنزلي وبتفوق، وأن هذا البيت كان يسعى ليوفر حاجاته دون أن يكون كلاً على غيره.

تُنتج الصناعة العائلية في سوف كميات هائلة من قماش الصوف الأبيض، في كل بيت وتحت كل خيمة، يوجد منسج أو عدة مناسج أحيانا، لحياكة عدة أنواع من الملابس، اكتسبت سمعة طيبة داخل الجزائر وحتى خارجها، النسوة هن من ينسجن هذه المنتجات بينما يكتفي الرجال بحكها بقطعة من الكرناف، لينزعوا عنها الصوف الزائد والشوائب.

أهل كوينين وورماس لم تشهم أوضاع الحرب عن ممارسة خدمة الحرير، فأبدعوا غاية الإبداع في نسج الحولي ويُسمى الحايك ذي النوعية الرفيعة، في الوقت الذي كان الحايك المشهور في الصحراء يُصنع من الصوف، كوينين عرفت ومنذ سنوات صناعة الجلابة، الوشاح والخمار الحايك كساء واسع للنساء ينتهي أسفله بسفيفتين تحيطانه بالكامل، لونه أسود وسفيفته وردية وصفراء، كل منطقة تختلف عن غيرها، فمنطقة الوادي تتميز بالحولي الأسود والبخنوق البرتقالي، أما منطقة قمار فالألوان تختلف؛ العجوز ترتدي قندورة برتقالية اللون والحولي عنابي غامق والبخنوق أسود، أما المتزوجة فترتدي غطاءً

1 _ Lucien Daviault, Op. Cit, p 11.

2 _ AOM, 81 F 1575, (d. 03): Notes sur L'Artisanat Soufi, Direction du service des affaires administratives et sociales, Bureau des affaires sociales, 06 février 1961, p 02.

أسودا على الرأس وبخنوق عنابي فاتح اللون وقندورة خضراء، الفتاة العازبة تضع على رأسها رداءً أسودا وُحولي برتقالي وقندورة بيضاء، يكون الحُولي مطعماً بحزام مصنوع من الصوف وكثير الألوان¹.

أما العَرَقِيَّة فإنها المنسوج الذي اختص به أهل سوف، وهي طربوش يصنع بالصنارة، التي تناسب بين أيدي النساء والفتيات، وهي متنوعة الأحجام وتعوض الطربوش الأحمر المستورد من تونس لأن أثمانه مرتفعة، وتكون العرقية عادة مثقبة.

قبعة سوف تزينها أشكال هندسية فإذا تناوب فيها البياض والسواد، فهي معدة لفصل الشتاء، أما العرقية البيضاء المخرمة فهي للصيف يزين بها السوفي رأسه وتحميه من أشعة الشمس الحارقة؛ فالمعروف في سوف أن عري الرأس ليس محبذا خاصة لدى البالغين.

العفان نعل من الصوف الأبيض وشعر الماعز، تُمتنه شرائط خشنة من شعر الماعز، هذا الحذاء المنسوج بمهارة عازل ضد البرودة شتاء والحرارة صيفا، مع ضرورة حماية هذا النعل من الماء حتى يحافظ على مرونته، الملاحظ في السنوات الأخيرة تدعيم أرضيته بقطعة سوداء من جلد غرفة هواء عجلة السيارة، حتى تزيده متانة وطول عمر، مع تسجيل خلال هذه الفترة الظهور المتزايد لصناعة الجوارب التي تلبس كخف الأرجل في الشتاء اتقاء البرد وتكون للرجل والمرأة، تصنع من الصوف المظفور بالصنارة وهي أداة على شكل إبرة حديدية طولها حوالي عشرون أو ثلاثون سم وعرضها حوالي ربع سنتيمتر تسمى أيضا المصنعة وجمعها مصانع، تبدأ المرأة بأخذ خمس مصانع؛ أربع منها تضع فيها 16 عقدة في كل مصنعة والخامسة لتداول رفع الغرز بينها، عندما تصل إلى النصف يصنع القدم وحده، وبعدها تكمل صناعة البقية للنهائية حتى يصير جوربا.

المحازم أيضا تصنع من الشعر والصوف وتُمزج بالوبر، تزينها رسوم وأشكال هندسية بيضاء وسوداء، عرفت رواجاً واسعاً لها في منطقة عميش².

1 _ AOM, 81 F 1575, (d. 03), Op. Cit, p 03.

2 _ BISSON. J: L'industrie, la ville, la palmeraie au désert, Un quart de siècle d'évolution au Sahara algérien, Maghreb-Machrek, n° 99, Paris, 1983, p 16.

البرانيس وهي زينة الرجال في سوف، ظلت الإنتاج التقليدي الواسع الانتشار، لكل قرية نصيبها الوافر من صناعته التي كانت تعد بالآلاف على مدار السنة مع تراجعها اليوم، ولعلنا نورد تدليلا على ذلك الأرقام التالية: الوادي ما يفوق خمسة آلاف برنوس، عميش ثلاثة آلاف وقمار حوالي 2500 برنوس.

نوع آخر من المنسوجات اليدوية ظهر حديثا، إنه صناعة القفازات التي هي على شكل اليد، تظفر من الصوف وتلبس اتقاء البرد شتاءً، تنسج بالمصنعة حيث يكون العمل بستة عقدات، ويخرج الأصبع الكبير من جهة واحدة، ثم يقسمون ويصنعون كل أصبع وحده، ويبقى الأصبع الصغير وهو الأخير يكون نهاية الخيط¹.

النوع المنطقة	البرنوس	العراقية	جوارب صوفية	العفان	القندورة	الجلابة	الزربية م2	الحايك م2
الرقم	1300							
تغزوت		9000	2800					
الوادي	5150			4000	1550			
عميش	3000			1500	1000			
الرقبية	500				200			
البهيمه	200							
المقرن	650				250			
قمار	2460			320		1300	71	340
SIP							500	200
المجموع	13260	9000	2800	5820	3000	1300	571	540

جدول رقم 23: كمية المصنوعات الحرفية النسيجية السنوية المنتجة في ملحقة الوادي سنة 1961²

الجدول يوضح أهم المنتجات الحرفية النسيجة التي تتم حياكتها في مختلف مناطق سوف، فالبرنوس اشتهرت بصناعاته مناطق الوادي وعميش وقمار والزقم، وبصفة أقل المقرن والرقبية والبهيمه،

1 _ BISSON. J, Op. Cit, p 11.

2 _ AOM, 81 F 532, (d. 01): Bulletin économique et juridique de l'Office algérien d'action économique et touristique (OFALAC), Service de presse et d'information du ministère d'État chargé des affaires algériennes, Novembre 1961, p 37.

بينما تغزوت اختصت دون غيرها بإنتاج العرقية والجوارب الصوفية، أما العفان والقندورة فهما من صناعة منطقتي الوادي وعميش وبدرجة أقل الرقية والمقرن وقمار، الجلابة صناعة قمارية بامتياز ودون منافسة.

فرع النسيج للشركة الأهلية للاحتياط إلى جانب حاضرة قمار استحواذا على جل مبيعات سوف من الزرابي والحايك، مع أن كوينين وورماس اشتهرتا أيضا بصناعة الحايك إلا أنه لا يجد المشتري لجودته العالية، وهكذا فإن صناعة هذه المنسوجات من قنادير وجلايب وأفرشة وعفافين وغيرها تظل إنتاجا ذا مردود وفير مع تراجعها، فكل منزل وكل خيمة، هي خلية إنتاج، حتى ولو أن المنسوجات المنسوجة لا ترق إلى مستوى جيد وليست بكميات وفيرة إلا أنها ضرورية لكل بيت.

كما تجدر الإشارة أن السوفي لا يمكن أن يستغني عن الغراير، حيث تتم صناعة هذه الأكياس الكبيرة بنسيجها الأسمر الداكن أو الأسود، وتُعد للحمولات الكبيرة من الحبوب والتمور على ظهور الجمال، أما المخلاة فتوضع فيها وجبة البغال والحمير، حيث تُعلق على رقبتها حتى تأخذ كفايتها من الشعر وجبتها المفضلة فتأتي عليه دون تبذير.

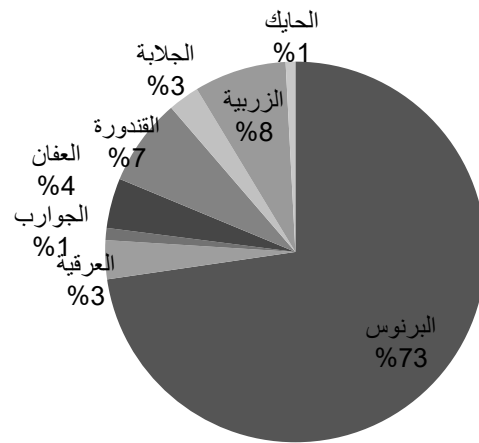
الخيمة بيت البدوي تُنسج هي أيضا، وتُزينها كما تزين البيت السوفي البُسُط السميكة المقاومة بألوانها الزاهية المتنوعة التي يسمونها الحنبل، والتي هي عنوان رفاهية في البيوت والخيم. كما أن مالك الفرس يغطي سرجها بزربية لينة تجعل المقام مريحا¹.

ساهمت حرفة نسج الألبسة الصوفية على مستوى ملحقة الوادي سنة 1961، بأكثر من 54 مليون فرنك، بينما كان رقم الأعمال الإجمالي يصل حتى 75 مليون فرنك عند بداية الخمسينيات، إنه بدون شك تراجع واضح، لقد ولّى العهد الذي كانت البرانيس والجلايب والقنادير تُصدّر بعشرات الآلاف إلى قسنطينة وتونس، مع ذلك البرنوس والقندورة يظلان يحتكران النصيب الأوفر من النسيج السوفي الحالي.

1 _ Sœur Claver: Fabrication des toiles de tentes, Bulletin de Liaison Saharienne, n° 14, Imprimerie E. IMBERT, Alger, Octobre 1953, pp 17-25.

النوع	البرنوس	العراقية	جوارب صوفية	العفان	القندورة	الجلابة	الزربية 2م	الحايك 2م
المنطقة								
الرقم	3.9							
تغزوت		1.8	0.560					
الوادي	15.450			1.6	2.092			
عميش	9			0.6	1.350			
الرقبية	1.5				0.270			
البهيمه	0.6							
المقرن	1.950				0.338			
قمار	7.380			0.128		1.456	0.5325	0.289
SIP							3.750	0.170
المجموع	39.780	1.8	0.560	2.328	4.05	1.456	4.2825	0.459

جدول رقم 24: ثمن المصنوعات الحرفية النسيجية المنتجة في ملحقة الوادي سنة 1961 (بالمليون فرنك)¹



شكل رقم 08: دائرة نسب لمداخل كل منتج من مجموع المنسوجات في ملحقة الوادي سنة 1961

أما المناطق الأكثر طلبا لهذه المنتجات فنعرفها من خلال الجدول الموالي:

المنطقة	المنتجات المطلوبة
تونس	البرنوس، القندورة، الجلابة.
الثل	البرنوس، العراقية.
قسنطينة	البرنوس، القندورة، الجلابة، الزربية.

1 _ AOM, 81 F 532, (d. 01), Op. Cit, p 38.

وادي ريغ	العراقية، الجوارب الصوفية.
خنشلة	الجوارب الصوفية.
محلي	العفان، الجلابة.

جدول رقم 25: وجهة المنتجات الحرفية النسيجية المصنعة في ملحقة الوادي (1954 . 1962)¹

ب _ الزربية السوفية: صناعة أخرى ذات أهمية، لكنها نسبيا ضعيفة، مع ذلك يرجع لها نصيب كبير في شهرة سوف، إنها الزربية السوفية ذات الصوف البارز ووبر الجمل، ألوانها طبيعية وذات أربع أو خمس تشكيلات تقليدية متقنة الصناعة، إنها كثيفة وسميكة وثقيلة أيضا، حيث يصل وزنها حتى أربعة كلغ في المتر المربع الواحد ولم يكن النسيج يُنجز إلا بأصواف وأصباغ نباتية منها: الحناء، قشرة اللوز وقشرة الجوز، ولم يُشرع في إدخال وبر الجمال في صناعة الزربية إلا خلال سنة 1927، وهي الفكرة التي راودت السيد "لاكروا" مدير مدرسة الوادي.

ذاعت شهرة الزربية السوفية في فرنسا وبعض الدول الأوروبية الأخرى، لكن للأسف الشديد تدني أسعار المنسوجات المماثلة التي تنتجها المصانع الحديثة، تجعل الإقبال على الزربية التقليدية ضعيفا جدا، ويؤثّر عزيمة الاستمرار. مع ذلك نسجل أن سوف لو استعملت كل صوف خرافها ووبر جمالها، لا يمكنها أن تُلبّي سوى ما يقارب نصف الكمية الضرورية للإنتاج، الباقي تستورده سوف عن طريق النمامشة شمالا².

العناية بالزربية تضاغت منذ شرع تلاميذ الوادي في تعلم فن النسيج، وتكليف السيد "أندريه سيمون" بالحصص المهنية للنسيج، وهو الذي عُيّن فيما بعد مديرا للإعدادية التقنية بالوادي. أنجز عملا معتبرا، تمثل في إعداد عشرات النماذج، حتى أن نماذجه أُفترت وصدق عليها وصارت قاعدة لجميع الزرابي بسوف التي رُسم داخلها الوسم الخاص بملحقة الوادي³.

1 _ Le Sahara, Documents de la Revue des Deux-Mondes, n° 4, janvier 1959, pp 13 – 17.

2 _ Chalumeau Pierre (ancien chef de l'annexe d'EL-OUED): Une Tapisserie-de-Bayeux saharienne, Bulletin de Liaison Saharienne, n° 23, Imprimerie E. IMBERT, Alger, Septembre 1956, pp 95-98.

3 _ Armand. L: Le Sahara Français, Cahier Charles de Foucauld, 9^e série, vol 38 et 39, 2^e et 3^e trim, Paris, 1955, p 105.

كما أُستحدث سنة 1947 فرع للصناعة التقليدية من أجل ترقية فن النسيج وتوجيهه وتوحيد نمط الإنتاج وتطوير الوسائل، وهو ما مكن فعلا زربية سوف من التفوق على المقاييس المفروضة من قبل الديوان الجزائري للنشاط الاقتصادي والسياحي (OFALAC)، فرع هذا الديوان بالملحقة يموّن الصناعيين الشركاء بالمواد الأولية ذات الجودة، كما نجح في الترويج للزربية السوفية حتى أن ثلث منتجات الزربية التي يصنعها الفرع تتوجه نحو الجزائر العاصمة، بينما ثلث آخر يصدر نحو فرنسا وسويسرا وبلجيكا وحتى أمريكا، وما يدل على أن هذه الشهرة كانت مؤسسة، أرقام إنتاج الزربية منذ 1954 حيث بلغت 303م²، وظلت في تزايد حتى وصلت سنة 1962 حوالي 1218م²، أي ما لا يقل عن أربعة أضعاف ما تم إنتاجه سنة 1954. وإلى غاية سنة 1962 تمكنت هذه المدرسة من إعداد مئتي نسّاج أصبحوا صُنّاعا مهرة، كما ظهرت حوالي اثنتي عشرة ورشة عائلية استوعبت تقريبا أربعون صانعا انضموا جميعهم تحت راية الفرع، وهو تحوّل ترتب عنه تطوير وعصرنة ظروف معيشة الحرفيين ولو نسبيا بحكم الظرف العام الذي تعيشه البلاد¹.

من جانب آخر كان للإخوات البيض أيضا، مساهمة فعّالة في ترقية الصناعة التقليدية، حيث خصّصن ورشتهن لإنتاج الستائر وفنون التوشية والطرز².

وبفضل الدعم المقدم من طرف إدارة الملحقة، استطاع مركز التكوين في الصناعات التقليدية الذي يشغل قرابة ثلاثون عاملة، عرض قرابة 15 حرفة عصرية على الراغبين في الالتحاق بالمركز.

في نهاية سنة 1962 بادرت السلطات الجزائرية إلى تأميم منشآت الصناعة التقليدية والمؤسسات الصناعية، واستفادت الصناعة التقليدية من تدخلات فعّالة من قبل السلطات العمومية، حيث تمخض عن ذلك استحداث ديوان وطني للصناعة التقليدية، أوكلت إليه مهمة معالجة المشاكل التي تعيق إنتاج

1 _ AOM, 81 F 2329, (d. 10): Marché des tapis en Algérie, Rapport trimestrielle de L'administrateur civil Jean Ducollet, bureau des affaires agricoles, Avril 1962, p 04.

2 _ Riche. R: L'artisanat dans le département de Constantine et Le Territoire de Touggourt et des Oasis, documents algériens, Série Economique: artisanat, n° 102, Alger, 22 Juillet 1953, p 03.

وتسويق المواد التقليدية، وأضحت تعاضدية الزربية بالوادي تسير بشكل منتظم مع أنّ نوعية الزربية المنتجة أقل جودة مما كانت عليه في الماضي¹.

الزربية في سوف صناعتها متينة ورسومها تقليدية، نسجها مستقيم غير مائل وصوفها رفيع، سلسلتها مكوّنة من القطن المغزول عموديا، أما أفقيا فمن الصوف ووبر الجمال، تحتوي على سلسلة الألوان من الأبيض إلى الأسود مرورا بالأصفر الفاتح فالداكن فالأصفر ثم الرمادي. يُستخدم شعر الماعز للحصول على اللون الأسود، إلا أن الزربية تبقى ناطقة باللون الأبيض الذي يعكسه الصوف المجز من الأغنام بلونه الناصع البياض، ولأن السوق المحلي لا تغطي أصواف أغنامه الكمية المطلوبة، اضطر أهل الحرفة لشرائه من الشمال الجزائري، مع ضعفه وبياضه المتوسط الذي يعوق عند تداخل الألوان بروز الألوان الأخرى.

الصوف السوفي مطلوب لنوعيته الرفيعة رغم غلاء ثمنه، الخياطون المحترفون يستخدمونه في نسج البرانيس، إلا أن الحرفيين من النّسّاجين مضطرون لإستعمال الصوف السوفي خاصة لتجلية الوسم المميز الذي يعتبر قلب الزربية السوفية ببياضه الصارخ الذي يشد إليه الأنظار².

أما تدرج الألوان فيُتحصل عليه من خلال المزج بين الصوف والوبر، الثلثان ووبر والثلث صوف لتشكيل زربية داكنة، ومناصفة بينهما لنسج زربية فاتحة. فعلاوة عن انتقاء الصوف وندفه وغزله، تقوم النسوة بنفش النوعين المرغوبين معا ثم غزلهما، كما أن المرأة في سوف تقوم بغسل ما لا يقل عن عشرين كلغ من الصوف في اليوم الواحد ثم غزله، كما تقوم بندف وغزل المزيج من الصوف والوبر³.

تأخذ الزربية السوفية مقاييس مختلفة؛ حيث يتراوح عرضها ما بين نصف متر وأربعة أمتار، بينما طولها من متر واحد إلى ستة أمتار. أما النموذج الأكثر طلبا فهو الذي تتوفر فيه المقاييس التالية: الزربية التي يزن المتر الواحد منها ثلاثة كلغ كحد أدنى، علما بأن سُمْك الجزء الكثيفة والمرنة يتراوح من اثنين إلى

1 _ BISSON. J: Le Sahara entre explorations en indépendances, Cahiers d'URBAMA, l'Université Ouverte, Tours – Besançon, 1996, p 52.

2 _ AOM, 81 F 2329, (d. 10), Op. Cit, p 07.

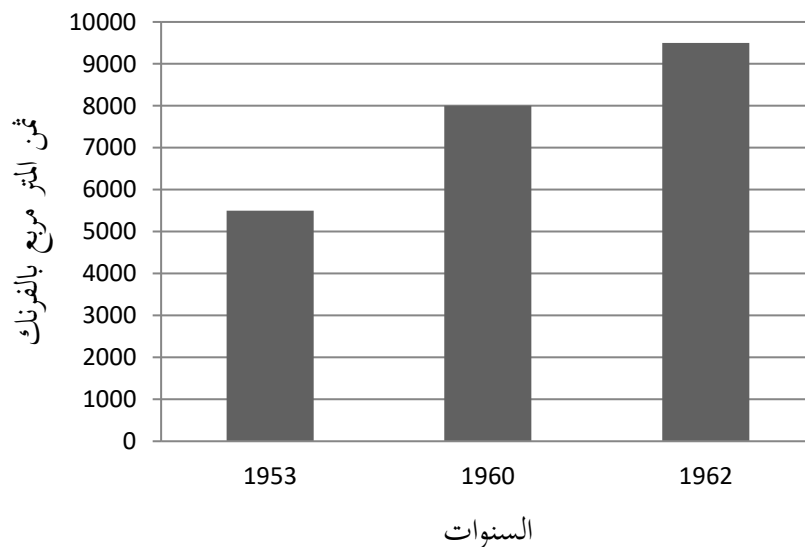
3 _ Chalumeau Pierre, Op. Cit, pp 95-98.

ثلاث ستمترات، من هنا فإن الزريبة السوفية تحتاج إلى 256 عقدة في الديسمتر المربع الواحد، الزريبة السوفية تشمل صليبا مفلوقا يتكون من معين، حيث أن كل زاوية من زواياه تمتد عبر فلكة خماسية¹.

الزرايبي المنتقاة والتي تُصدّر لما وراء البحار يضفي عليها ختم الديوان الجزائري للنشاط الاقتصادي والسياحي الضمانة الكبرى؛ التي يمكن أن يفوز بها منتج جزائري، الشركة الفلاحية للاحتياط (SAP) ومركز التعاون للإصلاح الزراعي يتكفلان بالتسويق، أما أسعار المتر المربع الواحد ظلت في تزايد من سنة إلى أخرى:

السنة	ثمن المتر المربع (الفرنك)
1953	5500
1960	8000
1962	9500

جدول رقم 26: يوضح تطور أسعار ثمن المتر المربع للزريبة السوفية (1953 - 1962)²



شكل رقم 09: مخطط بياني لتطور أسعار ثمن المتر المربع للزريبة بملحقة الوادي (1953 - 1962)

لقد شكلت الزريبة ولفترة طويلة مصدر رزق للعائلة السوفية فالتقديرات تشير إلى أنه إضافة إلى 12 ورشة تستخدم حوالي أربعين عاملا، هناك أيضا حوالي ثلاثمئة شخص يشتغلون في صناعتها³.

1 _ BISSON. J: L'industrie, la ville, la palmeraie au désert, Op. Cit, p 19.

2 _ AOM, 81 F 532, (d. 01), Op. Cit, p 40.

3 _ BISSON. J: L'industrie, la ville, la palmeraie au désert, Op. Cit, p 19.

الملاحظ أن مواد النسيج تظل دائما مطلوبة، غير أن هذا النشاط يبقى في الغالب ممارسا من قبل الشيوخ؛ لأن الشباب أضحى لا يتوارث هذه الصنعة الفذة، فهو يعزف عن هذه الحرفة إضافة إلى أن الأثمان الزهيدة المقترحة من قبل المؤسسات الاحتكارية الفرنسية تعيق تطور هذه الصناعة الجميلة.

2 _ حرف أخرى:

_ الصياغة: كانت مزدهرة منذ القديم، مارسها اليهود على نطاق واسع ثم ورثها عنهم أهل سوف ولو في نطاق محدود، فأغلب الحلبي التي ترتديها النسوة هي من الفضة التي يعمد الصائغ إلى إذابتها ثم إفراغها في قالب للحصول على سبيكته التي يشكلها، من أشهر حلبي المرأة السوفية: السوارات، الخلاخل، الخواتم والمشابك الفضية¹.

_ الإسكافي: يقوم بصنع الأحزمة والنعال والأحذية والزخارف الجلدية للمرايا، البعض منهم تحولوا إلى صناع للبرادع أو ما يسمى بالرخال، كما ظهرت أنواع أخرى من الجلود الصناعية قابلة للاستعمال الفوري وأقل ثمن وبنفس الجودة أو أحسن، مما مكّن الإسكافي من تطوير صناعته فظهرت أنواع وأشكال جديدة من النعال والأحزمة، وقد برع في ذلك أولاد خياري.

_ النجارة: تمارس هذه الحرفة على نطاق واسع في سوف مع الثمن المرتفع للخشب، تلي النجارة الطلبات المحلية من صناديق وطاولات، الخزائن والمقاعد الصغيرة، النجارون الذين استفادوا من تكوين مهني هم الآن مجهزون تجهيزا عاليا ويقدمون خدمات ممتازة كلزهاري زقب المدعو دندوش وعمراني عبد القادر، أما تجار الخشب فنجد منهم أحمد الأخوة الذي زوّد إدارة الملحقة بعشر قناطر خشب ثمن القنطار الواحد عشرة آلاف فرنك، ذلك ما أثبتته الفاتورة المؤرخة في 13 ديسمبر من سنة 1961².

1 _ AOM, 81 F 1807, (d. 04): Artisanat en Algérie (SAHARA), Rapport de Robert Rigard, chef du service des affaires économiques et financières du ministère d'État chargé des affaires algériennes, 02 Janvier 1962, p 42.

2_ CAWE, Archives non classées.

__ الحدادة: من المادة الحديدية التي بين يديه يشكل الحداد الفأس، المطرقة، المعول والمسحّة، ومختلف الأدوات التي يحتاج إليها الفلاح خاصة وكان السيد عبد القادر مراد يعمل حدادا وممون بالمواد الحديدية كما يشتغل في نفس الوقت مرصصا يتقاضى خمسون فرنكا عن كل ساعة عمل¹.

__ صانع السلال: هذه الحرفة سبق إليها الذين دأبوا على جمع الحلفاء وهي لا تزال طرية، شكلوا منها أواني كثيرة منها: الأطباق والصحاف وأوعية شرب الماء (القنينة) المظفورة من سعف النخيل بأنواعها الزاهية، صنعوا أيضا الأغشية المخروطية التي أستعملوها لحماية الأطعمة من الذباب والتراب، وقد سبق لهم أن شكلوا أيضا النعارات والدلاء، أما الحصائر فقد استوردها أهل سوف من منطقة الزيبان، وهم يميلون إليها لأنها خفيفة الحمل يسيرة الاستعمال؛ يستخدمونها لتغطية أرضية الغرف أو كواق من الشمس وهي لا تخلو من زخارف هندسية بسيطة، كما أن السوافة القدامى لا زالت أناملهم المبدعة تشتغل على جريد النخل، فبعد أن يُفصل السعف طريا عن الجريدة، يُعرض لأشعة الشمس ثم يُبلل ويُعاد عرضه على الشمس ثانية، ليُظفر بمهارة وتصنع منه منتجات عديدة هي من عطاء النخلة²، مثل: الزنبيل، القفة، المالاية، الشارية، الزمور، العلاقة، المظلة، المنشة، السجادة، القنينة، المكربة، المكب، القاروية، المثرّد، الحزام وغيرها من المصنوعات.

__ الخياطة: الخياط في سوف ليس في حاجة لأن يساير الموضة، فهو على دراية بعمله حيث القياسات معروفة والطلبات واضحة والنماذج متوفرة وكل الأذواق ملبأة، يُعد سلفا قطعة ويجهزها لإعداد القندورة أو السروال أو القميص وحتى الفستان، المادة متوفرة وآلة الخياطة تنجز الباقي، استعمل السوافة آلة الخياطة في فترة الخمسينيات من القرن العشرين، حيث كانت هذه الآلة تجلب من فرنسا، تركز من امتهن الخياطة بـدكان خاص به أو اتخذ إحدى زوايا أروقة السوق، تستعمل الخياطة جميع أنواع الأقمشة سواء كانت صوفية أو حريرية أو كتان أو قطنية، هذه الآلة تُدر مدخولا لا بأس به للخياط، أما عن وتيرة عملها فكان الخياط يخطط من خمس إلى ست قنادر في اليوم³.

1 _ CAWE, Op. Cit.

2 _ BISSON. J: L'industrie, la ville, la palmeraie au désert, Op. Cit, p 23.

3 _ AOM, 81 F 532, (d. 01), Op. Cit, p 34.

__ البناء: ويعرف أيضا في الوادي باسم لمعلم، له مكانته المحفوظة لأن مهنته مطلوبة، حيث يذكر السيد عبد الكريم شتحونة، الذي عمل كمعلم بناء في ورشة إنجاز المستشفى المحلي سنة 1959 أن أجرته اليومية بلغت ألف فرنك، وتعتبر أجرة مرتفعة، كونها تساوي خلال هذه الفترة أجرة أحد مخازنية (قومي) المركز الإداري المختص بالرباح (SAS)¹، أما مساعد المعلم فأجرته تتراوح بين ستمئة وسبعمئة فرنك، بينما العامل البسيط في البناء فيتقاضى حوالي 475 فرنك، عند الأهالي الأمر يختلف كثيرا والأجر متدني جدا، فهي على نفس القيمة منذ بداية الخمسينات ولا تتعدى أجرة لمعلم يومية عامل بسيط لدى ورشات القطاع العام².

تربة سوف وقرت لأهلها طبقة من الجبس موجودة على سطح الأرض، والتي يسميها البعض الدبدابة، إنها طبقة هشة قريبة من مستوى سطح الأرض في الجهة الشمالية للملحقة، يتراوح سمكها بين نصف متر ومترين ونصف في بعض الأماكن، توفر مجالا واسعا للعمل، إنها مصدر رزق للكثير من العائلات، لأنها تتطلب عمليات متعددة من استخراج ونقل للجبس الذي يستخدمه السوافة على نطاق واسع في البناء خاصة ثم في تهيئة المسالك.

أصحاب المقالع يوفرون هذه المادة لسائقي الشاحنات الذين يرغبون في اقتنائها ومن يتعذر عليهم الوصول إلى المصدر فالبغال تقوم بتذليل المهمة بواسطة كيسين مظفورين من سعف النخيل كالزنبيل وإذا صنع من حديد فهو الشكمبو، بعد أن تستخرج هذه الحجارة تنقل إلى الأفران التقليدية (الكوشة)، التي يتم تسخينها بعد أن تنضد الحجارة فوق بعضها ليترك فراغ في القسم السفلي من الفرن، يخصص لإشعال النار ليتم إحراق التافزة، عندها يشرع في تجميع الجبس الذي يتكدس عند قاعدة الفرن، ثم يتم استخراجه بعد أربع وعشرين ساعة.

الوقود المستعمل يتكون من جذوع النخل القديم وجذوره والشجيرات المتواجدة بالصحراء، استغلال هذه المادة تعد عملية خطيرة لأنها تعرية للغطاء النباتي وتدمير فوضوي للبيئة مما يمكن الرمال من التحرك بسرعة لأنها لم تعد مثبتة بواسطة النباتات³.

1 _ CAWE, Op. Cit.

2_ عبد الكريم شتحونة، اللقاء السابق.

3 _ C. Bataillon: Ressources et vie de relation du Sahara, Op. Cit, p 496.

__ الفخاري: لا تتوفر سوف على مقالع للطين بحكم طبيعة التربة الموجودة، لكنّ هذا لم يمنع سكان المنطقة من استيراد القلال بمختلف أحجامها من منطقة الجريد، لأنهم يستخدمونها لنقل وتخزين مختلف السوائل، مع العلم بأن أدوات منزلية أخرى كالطاجين وغيره تأتي إلى سوف عن طريق تبسة وبسكرة، سكان المنطقة يفضلون خبز الطاجين عن رغيف المخبزة¹.

__ الدبّاغ: تتوفر هذه البيئة الصحراوية على جلود الجمال والأغنام والماعز، التي تُطلى بالدبّاغ أو العفصة؛ لتشكّل من هذه الجلود الحزام بمختلف أنواعه وأشكاله، كيس التمر المعجون وغيره، القربة لحفظ الماء، الشكوة لحظ الحليب واستخراج الزبدة والعكة لحفظ السمن، هذه الحرفة تطورت إلى الصباغة بمختلف الألوان الحديثة لمختلف المنتجات كالقمماش والصوف.

__ الدّهّان: الذي يقوم برش المنازل الحديثة من الداخل والخارج بمختلف ألوان الجير عن طريق صبغه بمختلف الألوان، كما يدهن أبواب المنازل والنوافذ وتركيب الزجاج وعملية الدهن والطلاء عموماً من الحرف التي ظهرت حديثاً، ولم تكون موجودة قبل هذه الفترة، ويُعد السيد بشير كمرشو أحد الدّهّانين الأوائل الذين اشتغلوا بهذه الحرفة، فقد قام بدهن جدران الحي الإداري بالجير حسب فاتورة صادرة بتاريخ 21 ديسمبر 1961 بثمن قدره مئة فرنك للمتر المربع، وطلاء الأبواب والنوافذ سعره ستمئة فرنك للمتر المربع، أما اقتناء وتركيب الزجاج فسعره باهض نوعاً ما فقد بلغ ثمن المتر المربع ألفي فرنك².

كما لا يجب أن ننسى بروز مهنة الميكانيكي الذي يقوم بتصليح السيارات والشاحنات، وإلى جانبه صلاح الدراجات.

__ صناعة العطور: لا نغادر مجال الصناعة الحرفية قبل أن نتطرق إلى صناعة أولتها المرأة السوفية اهتماماً خاصاً، لأنها موجّهة إليها بالأساس، إنها صناعة العطور، مع أنه في الظرف الحالي بدأت تغزو الأسواق قارورات العطر الأوربية خاصة الفرنسية منها، لكنها تبقى باهضة الثمن وليست في متناول

1 _ Jest. C: La Poterie dans le Sahara oriental (Souf, Touggourt, Ouargla), Extr de Travaux de l'Institut de Recherches Sahariennes, Paris, 1^{er} et 2^{me} semestre 1960, p 106.

2 _ CAWE, Op. Cit.

الأغلبية الساحقة من نساء سوف، لذلك تمسكت بحرفتها التقليدية وأعطتها الرعاية اللازمة، لقد تفننت المرأة في هذا المجال، ومن أهم أنواع العطر التي برعت فيها نجد:

البخور: يُستعمل لتغيير رائحة الجو داخل الغرفة، حيث يوضع فوق الجمر ويطلق رائحة طيبة، يتكون البخور من السرغرين، جوزة الطيب، المسك، العنبر، عود لقماري والعطر السائل، هذه المكونات تُطحن معاً ثم تُبلل بالعطر وتخلط جيداً، تقوم المرأة بنشر المزيج على فراش لمدة زمنية معينة حتى يجف، عندها يصبح صالحاً للاستعمال، وصالحاً للحرق والتبخير، عندما يجف البخور يُغربل بالغربال لينزل منه بقايا رقيقة جداً، تجمعها المرأة وتبللها بالعطر، وهذا ما يسمى "بالفتول" ويستعمل للعروسة السوفية يوم زواجها¹.

السخاب (المعركة): وهو ما تلبسه المرأة السوفية لتزين به خلال المناسبات السارة، إنه ذو رائحة شديدة طيبة، يتكون من: القمح، الجوزة، الطيب، المسك، القرنفل وقليل من تمر الغرس والعطر المعجون، كل هذه المكونات تخلط حتى تصبح عجينة متماسكة، بعدها يجمع عجينة على شكل مثلثات صغيرة، ثم تجمع كلها في خيط وتزين باللوزة أو المسكة .

العطر اليدوي (الدبكة): هو عطر تصنعه المرأة السوفية، حيث تجلب إناء طين، وتضع في وسطه كأساً فارغاً، وحول ذلك الكأس تضع البخور والقرنفل، وتغطي إناء الطين بغطاء مخروطي الشكل مقلوب، وتملأ ذلك الغطاء بالماء وتغلق إناء الطين بالعجينة وتضعها على النار لمدة معينة وتضيف إليها الماء من حين لآخر، عندما يكتمل تجهيزه على النار لا يفتح حتى يبرد، عندئذ تمسحه وتحلله بالعطر السائل في إناء، ثم يصبح جاهزاً للاستعمال².

الجلاب: يلبسه الطفل الصغير يوم ختانه، يصنع من البخور الأصفر، حيث تحضر قطعة قماش بيضاء، وتصنع منه سبع كريات تحتوي على بخور ممزوجا بالزعفران والعطر، ويشد بخيط أحمر وأصفر، أما

1_ لقاء مع السيدة فاطمة قريون، بمنزلها بحي الاستقلال بلدية الوادي، يوم 17 أبريل 2019، على الساعة الرابعة مساءً، المعنية من مواليد قمار سنة 1934.

2_ لقاء مع السيدة بية جواوي، بمنزلها بحي الصحن بلدية الوادي، يوم 24 مارس 2019، على الساعة الحادية عشر، المعنية من مواليد الوادي سنة 1940.

حاليا فأصبحت خيوطه بألوان العلم الجزائري الذي تتوق أنفوس السواقة لرأيتة عالفا خفاقا بألوانه الأبيض والأخضر والأحمر.

البوش: هو مزيج من المردقوش، القرنفل، الورد، القرفة، العطر وزيت الزيتون، تدهن به المرأة شعرها لتكثيفه وترطيبه، مع وجود رائحة زكية.

الشب والمسكة: يهرسان جيداً ويضاف لهما قليل من بقايا البخور المرطبة إذا أرادت ربة البيت، يستعمل لإزالة رائحة عرق الإبط¹.

ما من شك أن الحياة الاجتماعية والاقتصادية كانت لها أهمية كبرى، في النشاط السكاني لمنطقة سوف وتأثيرها على حيويتها وتمكينها من فك عزلتها الجغرافية والاستجابة ولو نسبيا لحاجياتها المتزايدة مع تطور تعدادها السكاني، لقد كان للظروف الطبيعية القاسية والمناخ الصعب، وممارسات السلطة الاستعمارية بالغ الأثر على واقع نشاط الفرد السوفي، الذي استطاع أن يحسن وضعه المعيشي ويتميز عن غيره، بفضل حرفه اليدوية وتحديه وتغلبه على كل الصعاب بالعمل والمتابعة.

ثالثا _ تحوّل مصادر الطاقة:

1 _ الخطب: يبقى الخشب مصدر الطاقة الأساسي فالجميع يستعملونه، الحرفيون الصغار يستخدمون الخشب لتشغيل ورشاتهم، يقوم البدو بعد قطع النباتات البرية وتجميعها ثم حرقها بتحويلها إلى فحم، يبيعون هذا الفحم إلى حرفيي سوف وخاصة منهم الحدادون والصاغة، أما الشاحنات التي تأتي من الشمال محملة بالخطب فهي التي تغذي أفران الجبس التقليدية.

كما ظهرت قارورات الغاز الصغيرة التي تستعمل للإضاءة أو تشغيل الثلاجة التي ظهرت حديثا جدا عند بعض الأسر الميسورة، مادة الكربون أيضا مازالت تستعمل لشحن مختلف أجهزة الإضاءة²,

1 _ لقاء مع السيدة تركية جاب الله، بمنزلها بحي 20 أوت 1955 بلدية تغزوت، يوم 06 جانفي 2017، على الساعة العاشرة، المعنية من مواليد تغزوت سنة 1924.

2 _ C. Bataillon: Ressources et vie de relation du Sahara, Op. Cit, p 501.

أما الوقود فسعره مرتفع ولا يمكن الاعتماد عليه بصفة دائمة فقد بلغ سنة 1961 سعر اللتر منه أربعون فرنكا¹.

2 _ الكهرباء: انتهت أشغال إنجاز محطة الكهرباء في الملحقة سنة 1947، بدأت توفر الكهرباء لمستهلكيها منذ فاتح جانفي 1948، وبلغت طاقتها 180 كيلواط في الساعة، منذ ذلك التاريخ و طاقة المحطة في تزايد استجابة لعدد المستهلكين المتزايد، مع حلول سنة 1956 أنجزت شبكة الخيوط الكهربائية ذات ضغط منخفض محمولة على أعمدة خشبية في كل من حي المحطة وأولاد أحمد².

سنة 1960، أنتجت محطة توزيع الكهرباء والغاز 430 ألف كيلواط في الساعة، حيث يتواجد بها محركي توليد كهرباء، طاقة كل واحد منهما أربعمئة كيلواط، وبفضل الاعتمادات المالية المخصصة من قبل المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية (O.C.R.S) وانطلاقا من محطة الكهرباء بالوادي، تم مد خط ناقل للكهرباء بقدرة 30 ألف فولت، ليغذي المناطق الشمالية الغربية؛ كتكسبت، كونين، قمار، هبة، الرقية، وهذا مع نهاية 1962³.

3 _ البترول: عرفت المنطقة تجارب عديدة للتنقيب عن النفط، كانت جميعها دون جدوى ففي بداية 1959 تم حفر ثلاثة آبار بالقرب من خط عرض 32° بمناطق غرود الصغار والقنايفد والزمول لكبار، غير أن هذه المحاولات لم تثمر، أربع شركات تقاسمت فيما بينها المنطقة بغرض استكشافها، تكفلت بمنطقة قمار شركة S.N.R.E.P.A.L. أما المنطقة المحيطة بحاسي خليفة فكانت من نصيب شركة C.F.P.A، أما شركة S.A.F.R.E.P فأسندت لها مهمة استكشاف القطاع الصغير المحيط بمنطقة سيدي عون، تستطلع ناحية الرقية شركة C.O.M، لكن نتائج هذه التنقيبات كانت جميعها سلبية⁴.

1_ CAWE, Op. Cit.

2 _ SHDDE, 1 H 2106, (d.04): exploitation des centrales électriques au Sahara, rapport du capitaine Woisard, commandant le sous-secteur d'El-Oued, 14 Septembre 1959, p 09.

3 _ AOM, 81 F 1812, (d. 05): Organisation commune des régions sahariennes(OSCRS), Notes sur L'Électrification rurale au SAHARA, Réalisation à EL-OUED, Novembre 1962, p 16.

4 _ AOM, 81 F 2069, (d. 05): Bureau de Recherches de Pétrole, Recueil de Renseignements Concernant les Organismes de Recherches de Pétrole (Erg Orientale), 12 Juin 1959, p 17.

__ المناجم: لا توجد في سوف مناجم، كل ما هناك بعض أجزاء من الشطوط، تنتج ملحاً من نوعية مقبولة عموماً، كاف لتلبية الطلب المحلي.

__ المبحث الثالث: قواعد ارتكاز التحول الاقتصادي في وادي سوف:

أولاً __ الأسرة السوفية وتجليات تحول موازنة الاقتصاد المحلي:

1 __ أنموذج لميزانية أسرة سوفية:

هي لأسرة سوفية تقطن منطقة تغزوت، رب الأسرة فلاح يمتلك 55 نخلة، تتكون من الأب والأم و بنت ذات 14 سنة وثلاثة أولاد؛ واحد ذو 11 سنة والآخر ثماني سنوات، أما الابن الأكبر فهو عامل بإحدى مدن التل في شمال الجزائر، الأسرة في مجملها تتكون من 06 أفراد.

● مصاريف الأسرة:

1 __ مصاريف الإعاشة:

أ __ الغداء ويكون عند منتصف النهار؛ تستهلك خلاله الأسرة حوالي ثلاثة كلغ تمر غرس ورطل دشيثة مرتين في الأسبوع، أما عند العشاء فتستهلك حوالي واحد كلغ كسكسي وأحياناً رقاق¹.

__ استهلاك تمر الغرس: 03 كلغ × 365 يوم = 1095 كلغ. أي حوالي 11 قنطار.

وبما أن ثمن قنطار تمر الغرس هو 3500 فرنك²، فإن ثمن الغرس المستهلك سنوياً هو 3500×11 = 38500 فرنك.

__ استهلاك القمح: 01 كلغ دشيثة أسبوعياً أي 52 كلغ سنوياً + 01 كلغ كسكسي يومياً

أي 365 كلغ بمجموع: 52 كلغ + 365 كلغ = 417 كلغ قمح، وبما أن ثمن الكيلوغرام من القمح 36 فرنك³، فإن ثمن القمح المستهلك هو:

1 __ فاطمة قريون، اللقاء السابق.

2 __ SHDDE, 1 H 1106, (d.2), Op. Cit, p 02.

3 __ AOM, 81 F 2264, Op. Cit, p 56.

$$417 \times 36 = 15012 \text{ فرنك.}$$

__ الخضر اليومية: تستهلك الأسرة ما ثمنه حوالي 15 فرنك يوميا أي 5475 فرنك سنويا.

__ الدهون (الشحمة): يتم استهلاك ما قدره عشرة كلغ سنويا، وثن الكيلو غرام 190 فرنك أي 1900 فرنك سنويا.

__ اللحم: ويستهلك 12 مرة سنويا: 06 كلغ لحم غنم بثمان 500 فرنك للكيلو غرام الواحد أي بمجموع 3000 فرنك، و09 كلغ لحم جمل بثمان 250 فرنك للكيلوغرام أي بمجموع 2250 فرنك¹، حيث يبلغ ثمن اللحم المستهلك سنويا حوالي: $3000 + 2250 = 5250$ فرنك.

__ الزيت: تستهلك الأسرة 06 لترات زيت سنويا، وبما أن ثمن اللتر الواحد يبلغ 240 فرنك فإن الاستهلاك السنوي يقدر بحوالي 1440 فرنك.

__ التوابل: يقدر استهلاكها بحوالي 1200 فرنك سنويا.

__ الشاي والسكر: تطبخ الأسرة يوميا حوالي 10 غرامات شاي، أي حوالي 04 كلغ سنويا، علما أن الكيلوغرام الواحد ثمنه 480 فرنك، بالتالي يكون ثمن الشاي المستهلك سنويا: $480 \times 04 = 1920$ فرنك.

وكما نعلم أن السواقة يستعملون السكر بحوالي 06 أضعاف كمية الشاي المطبوخ أي: $04 \times 06 = 24$ كلغ سكر، علما أن ثمن الكيلوغرام 120 فرنك حيث نجد الاستهلاك السنوي منه: $24 \times 120 = 2880$ فرنك².

__ الحطب: وهو في العادة للطهي والتدفئة، يجلب معظمه من الغوط بالإضافة إلى شراء حمولة جملين من الحطب، علما أن ثمن الحمل بلغ 700 فرنك³ أي تستهلك سنويا: $700 \times 02 = 1400$ فرنك.

1_ عبد الكريم شتحنونة، اللقاء السابق.

2_ AOM, 81 F 2004, (d. 04), Op. Cit, p 08.

3_ عبد الكريم شتحنونة، اللقاء السابق.

وعليه يكون ثمن ما تصرفه الأسرة سنويا على الغذاء حوالي: 75000 فرنك

2 _ مصاريف اللباس:

أ _ لباس الرجل:

_ 01 قندورة + قميصين (02) رجالي، حوالي 10م قماش بثمان 160 فرنك للمتر الواحد،

بالإضافة إلى ثمن الخياطة المقدّر بحوالي 225 فرنك، بالتالي يكون ثمنها: $10 \times 160 + 225 = 1825$ فرنك.

_ عمامة ذات 05 أمتار بثمان 130 فرنك للمتر الواحد، أي: $05 \times 130 = 650$ فرنك.

_ برنوس وقندورة من الصوف كل سنتين؛ ثمن البرنوس 3000 فرنك أما القندورة فهي بمبلغ

1350 فرنك¹ وعليه يكون الثمن الإجمالي: $3000 + 1350 = 4350$ فرنك تقسم على سنتين (02) أي 2175 فرنك.

ب _ لباس المرأة والطفلة:

_ 04 قمصان نسوية، $3.5 \times 4 = 14$ م، ثمن متر القماش 175 فرنك، أما ثمن الخياطة فهو

100 فرنك، بالتالي يكون ثمنها كما يلي: $(14 \times 175) + 100 = 2550$ فرنك.

_ ملحفتين (02) كل ثلاث سنوات، أي (09م $\times$ 02) تقسم على 03 سنوات، علما أن ثمن

متر قماش الملحفة يبلغ 200 فرنك، بالتالي يكون الثمن: (09م $\times$ 02) تقسم على 03 $= 6 \times 200 = 1200$ فرنك.

_ 01 حولي صوفي كل ثلاثة سنوات، أي حوالي 2000 فرنك.

_ 01 بخنوق ذو واحد متر ونصف، ثمن المتر 150 فرنك، بالتالي الثمن $1.5 \times 150 =$

225 فرنك.

1 _Du Puigaudeau. O: Enquête sur l'alimentation et les dépenses des familles Sud Constantinoise, Bulletin économique et social, n° 84, septembre 1960, Alger, p 225.

— منديلين (02) غطاء الرأس، ثمن المنديل 150 فرنك، إذا $02 \times 150 = 300$ فرنك¹.

ج — لباس الطفلين:

— قندورة وقميص لكل طفل وهو ما يقدر بحوالي 10م قماش، ثمن المتر 150 فرنك و 180 فرنك ثمن الخياطة، أي ما ثمنه: $(10 \times 150) + 180 = 1680$ فرنك.

إضافة إلى برنوس وقندورة من الصوف يقدر مبلغهما 1300 فرنك، وعليه يكون ثمن لباس الطفلين:
 $1680 + 1300 = 2980$ فرنك.

د — متفرقات:

— فرش واحد: 1200 فرنك.

— جناح واحد: 500 فرنك.

— عفان واحد: 400 فرنك.

وما تجدر الإشارة إليه أن البرنوس والحولي والجناح تستعمل أيضا كأغطية².

وعليه يكون ثمن ما تصرفه الأسرة سنويا على اللباس حوالي: 17685 فرنك.

3 — السكن:

ويتكون في العادة من غرفتين ودار للخرين، بالإضافة إلى مطبخ ودار للخلاء وبئر، علما أن الأرضية غير مبلطة والجدران غير ملبسة.

4 — الأثاث:

في الغالب يتكون من صندوق خشبي لحفظ أثاث المرأة وآخر أصغر منه للرجل، في كلا الغرفتين حبل لتعليق الملابس، إضافة إلى رحي وطبق خشبي وصحنين وجفنتين، مع برمة نحاسية وأخرى طينية

1 _Du Puigaudeau. O, Op. Cit, p 226.

2_ تركية جاب الله، اللقاء السابق.

وقصعة للكسكسي، إبريق لتسخين الماء وإبريقين آخرين للشاي، طبق حديدي وغربالين وطبق من سعف
وسلة وقتين، كذلك موس وخمس ملاعق أكل وملعقة واحدة قهوة، كما تحوز الأسرة على سطلين
وآئيتين فخاريتين ومثرد وزمور¹.

5 _ مصاريف أخرى:

_ مواد تحميل: حنة وعطور وصابون وكحل: 2000 فرنك.

_ معلوم وواجب الزيارة: 750 فرنك.

_ ضرائب (رسوم ولازمة 55 نخلة): 10 آلاف فرنك.

_ عشور (110 كلغ $\times$ 40 فرنك): 4400 فرنك².

_ إنارة: 3000 فرنك.

_ متفرقات: 1000 فرنك.

وعليه يكون ثمن المصاريف الإضافية للأسرة سنويا حوالي: 21150 فرنك.

لذلك يكون المصروف السنوي العام للأسرة حوالي: 114550 آلاف فرنك، أي بمعدل مصروف يومي
حوالي: 310 فرنك³.

● مصادر دخل الأسرة:

1 _ مداخيل الرجل:

الرجل يعمل طيلة أيام الأسبوع ما عدا يوم الجمعة، وبالتالي فإن عدد أيام العمل هي 313 يوما.

أ _ نقل الرمال: 250 يوم عمل $\times$ 150 فرنك يوميا = 37500 فرنك.

1_Du Puigauodeau. O, Op. Cit, p 226.

2 _ AOM, 81 F 1799, (d. 08), Op. Cit, p 03.

3 _ Du Puigauodeau. O, Op. Cit, p 226.

ب _ العمل في الغوط عند جني التمور (الخريف): 10000 فرنك.

ج _ 50 يوم عمل في أشغال مختلفة (200 فرنك يوميا): 10000 فرنك.

د _ ظفر القفاف: 5000 فرنك¹.

2 _ محصول التمور (55 نخلة): 11 قنطار $\times$ 4000 فرنك = 44000 فرنك.

3 _ مداخيل المزروعات الاستهلاكية اليومية: 15000 فرنك.

4 _ مدخول حرفة المرأة:

_ ظفر ونسج القبعات والجوارب: 7500 فرنك.

5 _ مدخول الابن العامل في التل: 15000 فرنك².

وعليه يكون مجموع المداخيل السنوية للأسرة حوالي: 144000 فرنك، أي بمعدل دخل يومي: 390 فرنك.

نلاحظ من خلال المعطيات السالفة الذكر ومع اقتصار باب نفقات الأسرة على ما هو ضروري لعيش الكفاف، بعيدا عن حياة الترف والتبذير والإسراف، نجد أن هناك ثماني مصادر للدخل والأنشطة المدرة للسيولة النقدية بالكاد تكفي تغطية النفقات الإجبارية للأسرة على قلتها، وهو ما يحيلنا على حقيقة واحدة مرّة؛ إنها حياة البؤس والشقاء المفضي إلى الفقر الحتمي.

هذه ميزانية أسرة متوسطة الملكية بما قدره 55 نخلة بغض النظر عن مردودها الإنتاجي، فما بالك بالأسر معدومة الدخل وهي تمثل الأغلبية الساحقة للنسيج الاجتماعي السوفي.

إن التوازن الملاحظ بين كفتي المداخيل والمصاريف، توازن ظرفي لن يصمد طويلا أمام التزايد المضطرد لاحتياجات ضرورية أخرى تملئها ظروف وضغوط المعيشة اليومية، مع الوضع في الحسبان عدم ضمان توفر مصادر الدخل الثمانية مجتمعة بصفة دائمة، فأى خلل يطرأ على إحداها بالنقصان أو

1 _ SHDDE, 1 H 1901, (d.03), Op. Cit, pp 33 – 35.

2 _ Du Puigaudeau. O, Op. Cit, p 227.

التوقف؛ لأن معظمها لا يحمل طابع الاستدامة، يؤثر بصفة مباشرة على نفقات الأسرة، علاوة على عدم توفر احتياطي أو قيمة مضافة تمكن الأسرة من اللجوء إليها كلما حل أمر طارئ يقتضي مصروف إضافي، والله در الشيخ المجذوب القائل:

آش هي بلاد سوف أرض العطش والجوف

كسوتهم غير شعر وصوف معيشتهم لقمتين وينوضوا وقوف¹

وهو تعبير على صعوبة العيش فوق أرض سوف، فلا يسكنها غير السوافة الذين طحتهم الأرض وحنكتهم الطبيعة، فصاروا لا يبالون بالعطش وضنك الحياة، ينسجون ملابسهم من الشعر والوبر والصوف، ومعيشتهم لا تزيد عن لقمتين لسد الرمق، ثم يقومون للسعي في طلب الرزق.

إن تظافر جهود القوى القادرة على العمل داخل الأسرة والتي يمثلها؛ الأب والأم والابن الأكبر، واشتغالهم على مدار السنة، وهو ما ينفي عامل البطالة المتسبب الأول في حالات الفقر، هذا علاوة على حيازة العائلة للملكية فلاحية مهمة بالمقارنة ببقية الأسر الأدنى مستوى.

إننا أمام ظاهرة غريبة من الفقر، جسدها أحد الشعراء الشعبيين السوافة في أبيات من الجزل الشعري عبّر من خلالها عن شظف العيش الذي تعرفه المنطقة بقول بليغ ينم عن خبرة وتجربة لطبيعة ظروف العيش في سوف، وذلك بقوله:

سوف قاسية وكاملها ديمًا مخصوص

العيشة فيها غير مسايسة

وما يعيش فيها كان المقروس²

الأبيات الشعرية تخبرنا بشدة قساوة العيش في هذه المنطقة، إلى درجة أن من يعتبرون من الطبقة المرتاحة ماديا؛ هم في خصاصة دائمة، فما بالك ببقية الطبقات المسحوقة، لذلك لا حل في الأفق لهذه

1_ عبد الرحمان رباحي: قال المجذوب، دار الجزائر للكتب، ط 02، الجزائر، 2008، ص 44.

2_ حسان الجيلاني: قصة العودة، ج 1، دار هومة، الجزائر، 2011، ص 256.

الوضعية التي أحدثتها السياسة الاستعمارية في سوف، إلا زيادة الأفراد العاملين في الأسرة الواحدة، أو الهجرة خارج المنطقة لتحسين الدخل.

2 _ تجليات تحوّل موازنة الإقتصاد المحلي:

منذ خمس أو ست سنوات ظل التطور الاجتماعي في سوف بدون شك هو الأسرع في الصحراء الشرقية الجزائرية، ومع قدم المنطقة إلا أن مستوى معيشة سكانها المائة ألف بقي منخفضا، بالنظر إلى ظروف الحرب الدائرة يمكننا القول أن هذه الاضطرابات ظرفية، غير أنها هنا كما في أي مكان آخر في الجزائر، أضحت هذا الوضع دائم، في المحصلة نلاحظ ديمومة لهذا الاضطراب، بعد أن تم القضاء نهائيا عن التوازن القديم.

الحدث البارز هو تدفق رؤوس الأموال العمومية، خاصة التي استفادت منها المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية (O.C.R.S) الأجر والطريق هما قاعدة التحولات، لاسيما في هذا الظرف السياسي الخاص¹.

أ _ تحوّل المداخيل :

الأجور العمومية لاسيما العسكرية منها ارتفعت إلى سبع أضعاف، إنه الأثر الواضح للحرب الدائرة التي تعيشها البلاد، وللسياسة الاقتصادية التي انتهجتها السلطات الاستعمارية لمواجهة لهيب الثورة، في نفس الوقت المداخيل المتأتية من المهاجرين زادت بأكثر من أربع مرات، كانت تمثل إلى وقت قريب حوالي ثلثي الإيرادات غير التجارية إلى أن بلغت حاليا أكثر من النصف².

اعتمادات سوف ارتفعت في نسبتها العامة، غير أن أكثر من نصف المداخيل الناتجة عن التصدير تؤمنها دقلة نور لوحدها، فمع تراجع قيمة بعض المواد المصدرة إلا أن المداخيل العامة لهذه الأخيرة انتقلت لأكثر من الضعف، بينما التدفق النقدي غير التجاري الذي يغطي بقية النفقات زاد

1 _ C. Bataillon: Ressources et vie de relation du Sahara, Op. Cit, p 493.

2 _ R. Olivier: La population en Algérie: production, emploi et revenus en Algérie, rapport du Haut Comité consultatif de la population et de la famille, tome III, la Documentation française, Paris, 1958, p 123.

أكثر من خمس مرات على ما كان عليه قبل اندلاع حرب الجزائر، إنها عدم مردودية سوف التي تتضاعف في نسبها نظرا لتزايد الاحتياجات باضطراد¹.

المادة	سنة 1953	سنة 1962
تمر الغرس	35	06
تبغ	59	140
تمر دقلة نور	200	600
الزراي	25	04
المجموع	319	750

جدول رقم 27: يبرز قيمة صادرات ملحقة الوادي (بالمليون فرنك) (1953 - 1962)²

تطور الصادرات والموارد غير التجارية يعطينا مفتاح التحولات الحالية، معطيات موجودة من قبل لكن اهتزت جميعها.

إن الأغلفة المخصصة لفك العزلة، والاعتماد على موارد خارجية، مع نقص الموارد المحلية والمساعدة المباشرة التي تتمتع بها بعض القطاعات في الجزائر، خلقت حالة غريبة من الرخاء وعدم التوازن، لكن بعض السمات هنا هي صحراوية بالأساس كالضعف النسبي للكتلة السكانية، فضلا عن عمق الحرمان المتزايد منذ سنوات خلت، هذا يعني أن الكتلة المالية التي استفادت منها الملحقة زادت استثنائيا وبسرعة موارد مجتمع فقير بشكل استثنائي أيضا³.

التحوّلات التي حدثت كانت موحشة هنا أكثر من أي مكان آخر، لأن المحافظة وعدم الاستعداد للتحوّل هنا كانت أقوى من أي مكان آخر من صحراء قسنطينة.

ب _ تحويلات المهاجرين السوافة:

يمكننا القول أن الحوالات النقدية المرسلة من قبل المهاجرين في فرنسا قد تضاعفت أربع مرات، وذلك من خلال الحوالات المدفوعة عبر مكاتب البريد المنتشرة في سوف، الهجرة نحو فرنسا كانت تقريبا

1 _ AOM, 81 F 965, (d. 03): Les Implications Socio-économique de l'Industrialisation au Sahara, bulletins de l'Organisation commune des régions sahariennes, juillet 1960, p 06.

2 _ C. Bataillon: Ressources et vie de relation du Sahara, Op. Cit, pp 493-494.

3 _ Labasse Jean: L'économie des oasis, ses difficultés et ses chances, In: Revue de géographie de Lyon. Vol. 32 n°4, 1957, p 307.

معدومة سنة 1953، أصبحت في الوقت الحالي كبيرة وتمثل أكبر كتلة في المداخيل النقدية، وتزداد لما يرجع المهاجر إلى مسقط رأسه، حيث يجلب معه حوالي خمسين ألف فرنك، الارتفاع شمل أيضا الحوالات المرسلة من تونس، هذه الأخيرة لها أهميتها فهي تضم أكثر من نصف تعداد مهاجري الملحقه ولأن حركة الأموال القادمة منها أيضا ارتفعت مع الغلق الشبه تام للحدود في هذه الأثناء، في الوقت الذي تلعب فيه بقية المدن الجزائرية دور ثانوي مقارنة بمداخيل المهاجرين¹.

المصدر	سنة 1953	سنة 1962
مهاجري تونس	90	180
مهاجري فرنسا	00	485
المجموع	180	785

جدول رقم 28: يحصي تحويلات المهاجرين للملحقه الوادي (بالمليون فرنك) (1953 - 1962)²

الهجرة مصدر دخل متزايد للمراكز التي ظلت لأمد طويل منغلقة على نفسها وتعيش في أغلبها على تربية الماشية كمصدر رئيسي، الرقبة مثلا شهدت تضاعف عدد المغادرين بين سنتي 1956 و1958، لتشهد تراجعاً في السنة الموالية نظراً لتشديد الرقابة الإدارية حتى في فرنسا نفسها، نفس الشيء ينطبق على منطقة عميش حيث أجور المصانع الفرنسية أخذت مكان أجور أحواض الفوسفات التونسية³.

هذه المراكز وعلى الخصوص عميش أرسلت العديد من العمال للورشات البترولية في حاسي مسعود، ومع الإغراء الذي يقدمه البترول إلا أننا لا نجد سوى عُشر المغادرين استوعبهم هذا القطاع.

لقد بلغت الحصة المالية المحولة من قبل مهاجري تونس حوالي مئتي مليون فرنك، هذا في حالة اعتمادنا على حساب الحوالات البريدية فقط، دون الوضع في الحسبان الطرق الأخرى التقليدية التي ترد بها الأموال على المنطقة، ما يفوق 11 ألف حوالة بريدية مرسلة من تونس إلى الملحقه، بمتوسط مالي قدره حوالي 18 ألف فرنك لكل حوالة، تأتي في المقدمة مدينة الوادي بحوالي ثلاثين مليون، ثم مركز بريد

1 _ C. Bataillon: Ressources et vie de relation du Sahara, Op. Cit, p 499.

2 _ Labasse Jean, Op. Cit, p 309.

3 _ R. Olivier, Op. Cit, p 123.

البياضة والذي يؤمن خدمة عميش أيضا بما قدره 25 مليون، ثم الزقم عشرين مليون، المقرن 18 مليون وقمار 14 مليون، بالإضافة إلى المناطق الأخرى ككوينين، الرقية والبهيمة وغيرها¹.

ت _ الاستثمارات أو المساعدات المالية :

في تقديمنا للمخطط الاقتصادي لسوف فيما بين سنتي 1953 و 1962 نؤكد على الأهمية الكبيرة والمتزايدة للمداخل النقدية الغير تجارية المرتبطة بمساعدة الدولة والوضع السياسي.

المصدر	سنة 1953	سنة 1962
أجور عسكرية	31	400
أجور إدارية	50	330
عمال الصحراء	90	120
المجموع	171	850

جدول رقم 29: يوضح قيمة كتلة الأجور في ملحقة الوادي (بالمليون فرنك) (1953 - 1962)²

الإدارة والجيش والشركات البترولية تصب كتل من الأجور على ملحقة الوادي، الإدارة تدفع كتلة حجمها 330 مليون فرنك، الجيش حوالي أربعمئة مليون فرنك، كلها تَوَزَع على شكل أجور، وإذا كان الاستهلاك تنشطه هذه الموارد فلا يوجد بالتالي خلق للثروة، ولا يمكن أن نتحدث عن استثمار إلا في بعض الحالات، إلا إذا استثنينا جزء من نفقات الإدارة الذي يمكن اعتباره خالقا للثروة مثل الإنجازات المدرسية والصحية ومرافق الاتصالات والتنقيب عن المياه، لذلك قبل كل شيء يجب تحفيز التداول والتجارة لتغطية الاختلال الموجود، في النهاية نفقات المساعدة وأرصدة الجيش ترفع ولو بجزء بسيط زيادة الاستهلاك، وهو ما يمكن أن نرجعه للوضع السياسي، حيث انتقل عدد المنخرطين في مختلف الوحدات العسكرية من مئة إلى ألف فرد يتمتعون بأجر ثابت وتسبيقات وحوافز وتقاعد، يبدو أن هذه الظاهرة

1 _ VANNEY. J. R: Note sur l'émigration des Souafa, Bulletin de Liaison Saharienne, n° 38, Juin 1960, Imp LA TYPO-LITHO et J. CARBONEL, Alger, p 182.

2 _ C. Bataillon: Ressources et vie de relation du Sahara, Op. Cit, p 500.

كان لها تأثير كبير أكثر مما في مناطق التل، لأن اليد العاملة المتاحة هنا محدودة جدا، بسرعة تم استيعاب ما أمكن منها وبالتالي ارتفعت كتلة الأجور¹.

مردود الفلاحة التقليدية مهدد مثله مثل الرعي حيث أصبح من النادر أن نعثر على راع، كما أن ثمن حزمة الحطب المحلي الذي يجمعه الرّحل انتقلت من أربعمئة فرنك إلى 1500 فرنك لحمولة حوالي قنطارين تقريبا في ظرف بضع سنين، لذلك الإنتاج المحلي تحوّل كلياً تحت التأثير المتزايد لتدفق الأموال الخارجية، وهو ما حفّز أيضا الاستهلاك المحلي والتجارة².

إن كتلة الأموال الوافدة على سوف بما فيها الأموال المرسلة من قبل المهاجرين تُوزّع على أساس أجور؛ هذه الأخيرة تعتبر ظاهرة جديدة وتحوّلا في سوف، مع أن النشاط الاقتصادي في القرى لازال مرتبط في أكثر من نصفه على العادات القديمة للاقتصاد السوفي، ثنائية اقتصادية قلّ حدوثها تكشف عن تماسك هذا الوسط وقدرته على التغير في آن واحد.

ث _ تحوّل الاستهلاك المحلي:

استهلاك البلاد زاد بشكل كبير حيث تضاعف ثلاث مرات في ظرف سبع سنوات، وليس من السهل أن نعرف كيف تم ذلك، خاصة وأننا عرفنا المصادر الهشّة للدخل - حسب التعبير الاقتصادي - فهي بسيطة وغير مستقرة في الوقت نفسه.

المادة	سنة 1953	سنة 1962
الحبوب	325	591
الوقود	00	30
لحوم	00	104
زيت، شاي، قماش، سكر	80	320
المجموع (بالمليون فرنك)	405	1045

جدول رقم 30: يبيّن واردات وملحقة الوادي (1953 - 1962)³

1 _ AOM, 81 F 1830, (d. 02): notes sur les investissements publics réalisés en Algérie, (Territoire de Touggourt), étude de l'Institut de recherches économiques et sociales d'Alger, p 07.

2 _C. Bataillon: Ressources et vie de relation du Sahara, Op. Cit, p 501.

3 _ Ibid, Op. Cit, pp 501-502.

حاليا النفقات التقليدية زادت فمشتريات الحبوب زادت بالضعف تقريبا وبشكل أكثر استهلاك الدقيق، وكله عن طريق تجارة الجملة لأن قوافل النمامشة توقفت بسبب الحرب، بالإضافة إلى ذلك البلاد الآن تستورد الماشية من أجل اللحم بالدرجة الأولى والصوف بدرجة أقل، التساؤل هنا عن حالة قطاع البدو؟ لقد شاهدنا التراجع المذهل لعدد قطاع الماشية بالملحقة نتيجة السياسة الاستعمارية، غير أن التقارير الفرنسية تنسب استيراد الماشية لزيادة الطلب على استهلاك اللحوم المختلفة دون أن تشير للإبادة الممنهجة لتلك القطعان¹.

المادة	سنة 1953	سنة 1962
تمر الغرس	750	600
لحوم	100	240
المجموع	850	840

جدول رقم 31: يوضح الاستهلاك المحلي في ملحقة الوادي (بالمليون فرنك) (1953 - 1962)²

استهلاك المنتوجات المحلية بقي مستقرا في مجمله، ما عدا ما فرضته السياسة الاستعمارية من تحولات، إذ من غير المنطقي أن ننسب استهلاك 240 مليون فرنك من اللحوم للسكان المحليين في الوقت الذي تضاعف عدد المجندين في صفوف القوات الاستعمارية خمس مرات، كما أن التوسع العمراني يستهلك أيضا نصيبا من المداخل³.

على العموم النظام الغذائي تحوّل نحو الأحسن حسب التقارير ولكنه لم يتغير كثيرا، فقد دخلت في الثقافة الاستهلاكية الغذائية للسوفي استهلاك المصبرات على وجه التحديد.

هذه هي النفقات الجديدة التي تعتبر ذات أهمية وهي تمسّ الموظفين بالدرجة الأولى، لكن بشكل مفاجئ تنوّعت المنتجات المطلوبة مقارنة برتابة المشتريات التقليدية، فقد زاد الطلب على الأقمشة والسكر والشاي والملابس الجديدة العصرية المطلوبة من طرف الموظفين خاصة، بالمقابل يلاحظ زيادة

1 _ G. Salvy: L'économie pastorale saharienne (notices et statistiques), Note documentaire, n° 58, Paris, 1961, p 31.

2 _ Labasse Jean, Op. Cit, p 311.

3 _ Patrick-Charles Renaud: Combats sahariens 1955-1962, Sahara Algérien, Atlas saharien, Mauritanie, Sahara espagnol, Sud tunisien, Jacques Grancher Editeur, Paris, 1993, p 08.

إقبال النسوة على الملابس الشرقية الفاخرة، كما أن الأقمشة الشفافة ذات الألوان الزاهية عوّضت اللونين التقليديين الأسود والبرتقالي.

أما الحدث الأبرز على الإطلاق فهو شراء الراديو (المذياع) لا سيما من طرف العسكريين المهاريست والثلاجة من طرف بعض الموظفين، إنها مقتنيات تعكس المكانة والرفاهية وهو ما سينعكس على ترتيب طبقات المجتمع¹.

السكة الحديدية في سوف تم تعويضها بطرق معبدة، مسالك ممهدة تتصل بجميع المراكز تقريبا، إنه الانتقال من الحمار والحصان إلى السيارة، السيارات المرقّمة في سوف بلغ تعدادها حوالي ثلاثمائة سيارة خفيفة، و109 شاحنات وست حافلات، لكن الملاحظ أثناء السير بجانب الطريق أن عدد الشاحنات أكثر من السيارات².

ثانيا _ تحوّل أسواق سوف:

التجارة تركزت بالوادي وانتظامها تجلي في مظهرين؛ تجمع دكاكين الحرفيين من جهة، والسوق الأسبوعي النشط من جهة أخرى، وهو ما تعكسه رسوم السوق التي بلغت سنة 1960 حوالي 7,5 مليون فرنك ومن المتوقع أن تصل إلى عشرة مليون فرنك نهاية سنة 1962³، وفي جميع المجالات الوادي هي المركز.

من الطبيعي أن تزدهر جميع الأسواق بمنطقة سوف، غير أنه يلاحظ خلال هذه الفترة ركود بعض الأسواق كسوق الزقم ويعود ذلك لحركة الهجرة المكثفة التي تشهدها هذه الأخيرة، سوق تغزوت أيضا شهد ركودا بحكم قربها من قمار، وهذه الأخير أيضا شهدت حركة هجرة متسارعة؛ مع ذلك ظلت منافسة قوية لسوق الوادي⁴.

1 _ AOM, 81 F 2157, (d.02), Op. Cit, p 09.

2 _ C. Bataillon: Ressources et vie de relation du Sahara, Op. Cit, p 502.

3 _ AOM, 81 F 1944, (d. 02), Op. Cit, p 26.

4 _ le Centre d'études et d'informations des problèmes humains dans les zones arides: (PROHUZA): (LE SOUF), Etude sur l'évolution d'un groupe humain dans le Sahara moderne, Arts et métiers graphiques, n° 04, Paris, 1960, p 177.

ثلاثة أسواق تتواجد في مناطق البدو المستقرين منذ حوالي ثلاثين سنة، وهي تصنع الفارق حالياً، النشاط التجاري في سوق البياضة في تزايد، يقصده كثير من البدو وهو ما يفسر تزايد المبيعات من اللحوم. الحرف قليلة التطور وقليلة التنوع في الوقت نفسه، حيث يلاحظ تواجد بعض الخياطين خاصة، كما أن الحوانيت تشهد نوع من التحديث، الملابس تبقى تقليدية، كما تظهر خضر وفواكه التل؛ لكن قربها من الوادي يشكل تهديدا لوجودها ويكون مصيرها مشابه لسوق تغزوت الذي هو في طريقه للزوال، بعض تجار سوق البياضة غادروا إلى سوق الوادي الذي أصبح يغري كثير من التجار لحركته التجارية النشطة¹.

مسلك البياضة الوادي حديث الإنجاز، وتضمن النقل اليومي سيارتي أجرة، أما الحافلة فتضمن النقل يوم الجمعة فقط، كما توجد بالبياضة ثلاثة خطوط هاتفية؛ واحدة في البلدية والثانية في حانوت أحد تجار السوق والثالثة في الزاوية التجانية².

أما في المقرن نلاحظ وضع خاص حيث اللحوم تباع في عدة مناطق، والسوق الأسبوعي لا أثر له مثله مثل سوقيّ الدبيلة وحاسي خليفة، بالمقابل نلاحظ تضاعف عدد الحوانيت ودكاكين الحرفيين وهي في تزايد مستمر، وتتوزع عبر قرى مترامية الأطراف تتكون من بضع مئات من السكان³.

سوق المقرن يتلاشى ومع وجود مواصلات أكثر؛ حافلتين تضمنان النقل يوميا إلى الوادي وحافلة ثالثة مخصصة ليوم الجمعة، إضافة إلى ثلاث سيارات أجرة⁴، خلال هذه الفترة أضحت السوق تشهد تذبذبا في التزود بحبوب النمامشة، وعدم الانتظام هذا يعود بكل تأكيد إلى تأثير أحداث الحرب، فقبل

1 _ AOM, 81 F 52, (d. 01): Territoires du Sud, Notes Sur la Population Musulmane d' EL OUED et le développement économique et social, par une commission d'Enquête sous la direction de M^r: l'Administrateur Civil Luce-Catino Jean, 17 Sep 1960, p 03.

2 _AOM, 81 F 2157, (d. 01): Direction des Transports Terrestres, transports de voyageurs et de marchandises, taxis, Rapport de L'Administrateur des services Civils Chef de Cercle Administratif du Souf, 12 Juin 1962, p 07.

3 _ AOM, 81 F 52, (d. 02): Territoires du Sud et Sahara, Rapport Annuel de l'année 1958, Commune Mixte d'EL OUED, Le Commandant Militaire du Territoire de Sud, 05 Février 1959, p 11.

4 _AOM, 81 F 2157, (d. 01), Op. Cit, p 06.

سنة 1956 كانت هناك قافلتين أو ثلاث أحيانا؛ تتكون كل منها من عشرة إلى 15 جملا في الأسبوع، أما حاليا فقد تقلصت إلى قافلة في الشهر، بالإضافة إلى فقدان مصدر مهم للريح بعد توقف تهريب التبغ والشاي¹، كما لا ننس أنها شهدت معارك مع فجر الثورة، نشوب معركة صحن الرتم في 15 مارس 1955، وقبلها وليس بعيدا عنها معركة هود شيكة في الثامن من أوت 1955².

سوق الرقية يثبت وجوده، حيث يوجد بهو مخصص للحوم وآخر للأقمشة، عدد الحوانيت تضاعف حوالي ثلاثة مرات في ظرف أربع سنوات تقريبا حتى بلغ مئة حانوت، سوق الرقية يحتل المركز الرابع في سوف بفضل الصناعة الحرفية والثالث من حيث المبيعات، ما يميز سوق الرقية هو وجود بائعين اثنين للمجوهرات، وحرقي لامتنصاص مياه الصرف التحق حديثا بالسوق، لقد أظهرت السوق وجود كتلة نقدية معتبرة متداولة بفضل التجارة، أحد قدماء اليهود وأصله من صدراته بسوق أهراس تخصص في النقل بالشاحنات للمسافات الطويلة، يقوم بجلب الخضر والأسماك من فيليبيل (سكيكدة حاليا) إلى الوادي وقمار³، الرقية أصبحت قرية كبيرة نشطة ومزدهرة، وبعدها النسبي عن الوادي جنبها المنافسة، مع ذلك توجد حافلة واحدة تضمن النقل إلى الوادي يوميا، بالإضافة إلى ثلاث سيارات أجرة وخمس شاحنات⁴.

سوق الوادي تمارس فيه تجارة الجملة، خاصة التمور الموجهة للتصدير والمنتجات المستوردة التي يعيد أصحاب الحوانيت بيعها، تم إحصاء ما عدده ستمئة تاجر على مستوى الملحقة يسدون قيمة القروض، منهم أربعمئة من أصحاب حوانيت البقالة، في سوق الوادي تحديدا نجد 230 تاجرا من بينهم 141 بقالا⁵.

تجارة التجزئة تمثل ثلث حوانيت سوق الوادي، أما الحرف فتمثل خمس الدكاكين، أما من حيث المهن الحديثة فنجد تسعة كهربائيين وثمانية ميكانيكيين وأربعة مصورين وهم الوحيدون في المنطقة كلها،

1 _AOM, 81 F 52, (d. 01), Op. Cit, p 03.

2 _ Patrick-Charles Renaud, Op. Cit, p 08.

3 _ le Centre d'études et d'informations des problèmes humains dans les zones arides: (PROHUZA), Op. Cit, p 177.

4 _AOM, 81 F 2157, (d. 01), Op. Cit, p 06.

5 _ C. Bataillon: Ressources et vie de relation du Sahara, Op. Cit, p 504.

كما نجد ساعتين واحد، عشرة بائعي مجوهرات، بالإضافة إلى سبع دهّانين، هذه المهن الحديثة تتمركز كلها على جانب الطريق المعبد في مواجهة البرج الإداري والعسكري وعلى جانبي الطريق المؤدي إلى بسكرة¹.

بيع المنتجات العصرية أنتج طبقة جديدة من الأثرياء، فالسيد نسري على سبيل المثال بدأ بـدكان عند مفترق الطرق لبيع التبغ والروائح وغيرها، وهو يعتبر أول دكان بواجهة في سوف سنة 1952، تمكن من تملك ثماني محلات، واحد منها مؤجر للشركة الجزائرية للقرض والبنك ومحلين أو ثلاث يشرف عليهم بنفسه، كما يملك فندق ومحل لبيع المشروبات ومتجر، كما أنه واحد من الوكيلين الذين باعوا مالا يقل عن مئة ثلاثة والكثير من المذايع، وأكثر من ثمانمئة قارورة غاز يتم توفيرها كل شهر²، كما أنه الوكيل الحصري لبيع المركبات الخفيفة والثقيلة، حيث باع خلال سنة 1961 عشر شاحنات وثلاثون سيارة³.

ما تجدر الإشارة إليه، أن ثمن مبادلة قارورة الغاز يساوي ثمن حمل من الحطب، والقارورة مدتها أطول وفي نفس الوقت لها أهمية لا يستهان بها في الحفاظ على الغطاء النباتي.

في المحصلة سوق الوادي يقوم بأكثر من ثلثي المعاملات التجارية في سوف، وهو تحسن ملموس بالمقارنة بالسنوات الماضية لا سيما من ناحية حركة المبادلات، حيث تضاعفت السلع وتضاعف عدد الزبائن أيضا⁴.

أما بالنسبة لسوق الجمعة، فمنذ مساء الخميس يبدأ الناس وكذا السلع في التدفق على السوق، بائعو التجزئة يصففون عرباتهم على حواف غوط السردوك؛ حيث يُربط أكثر من مئتي حمار وبغل، لتخف الحركة بحلول الظلام، ومنذ الصباح الباكر ينتظم الباعة ولكن ذروة السوق تكون على الساعة الحادية عشر صباحا تقريبا ويمتد السوق إلى غاية ما بعد الزوال، ساحة السوق يقابلها غوط السردوك من الشرق ومحاطة بالخوانيت من بقية الجهات، وهم البقالون ومحلات نصف الجملة، مواد البناء وباعة

1 _ AOM, 81 F 52, (d. 01), Op. Cit, p 03.

2 _ Ibidem.

3 _ AOM, 81 F 2157, (d. 01), Op. Cit, p 06.

4 _ C. Bataillon: Ressources et vie de relation du Sahara, Op. Cit, p 505.

الأقمشة يعرضون سلعهم أمام محلاتهم وأحيانا يستغلون حتى ساحة السوق، بالإضافة إلى المصور الذي يعرض أعماله في إحدى زوايا الساحة أيضا¹.

من جنوب الوادي يسوق البدو عددا من الجمال على ظهورها الحطب والجلّة (روث الإبل) والأعلاف، في العادة تباع حمولتها منذ الصباح، أما بيع الأغنام من طرف البدو وبيع الماعز من طرف المستقرين فيأخذ وقتا أطول.

وسط ساحة السوق تباع الحبوب في شكل أكوام كبيرة، في الجهة الشمالية نجد سوق اللحوم محاط بالمنتجات الفلاحية؛ الصوف والتمور بمختلف حالاتها وأنواعها وكذلك السروج والسلال، هذه المنطقة يشغلها الفلاحين وهم يرتدون ألبسة ذات أقمشة أوربية لكنها مفصلة حسب التقاليد، في الوسط يضطرب النظام نوعا ما، حيث تختلط أنواع عديدة وغير متجانسة من المبيعات؛ الخبز والخضر والفول المطبوخ، السجاد والستائر والملابس المستعملة، التوابل، العطور التقليدية ولعب الأطفال المختلفة، غير بعيد نجد أيضا الخردة الحديدية وقطع غيار الدراجات بجانب الملح والجراد المملح، الجميع يطوفون في مختلف أرجاء السوق إلا الرّحل فيحرصون على قضاء شؤونهم باكرا².

في هذا الصدد يجدر التذكير أن زريبة سوف لا يمكن تسويقها محليا لغلاء ثمنها، وكذلك الحال بالنسبة للعفان المصنوع من شعر الماعز لأنه أكثر تكلفة من حذاء التنس المطاطي الحديث³.

لقد تضاعف نشاط التبادلات في ملحقة الوادي تحفّزه حركة النقل ونقود الموظفين، لكن الوادي وسوقها فقط من استفاد من هذه التحولات؛ لقد اجتمعت في سوف نوعية من السكان تتحمل أشق الأعمال وأضناها في الكسب.

ولكن لا يجب أن يغيب عن أذهاننا أن كل هذا الصرح الاقتصادي مبني على تضخم الإيرادات (كتلة الأجور)، فهو رخاء هش غير مبني على أسس اقتصادية متينة.

1 _ le Centre d'études et d'informations des problèmes humains dans les zones arides: (PROHUZA), Op. Cit, p 176.

2 _ C. Bataillon: Ressources et vie de relation du Sahara, Op. Cit, p 506.

3 _ AOM, 81 F 52, (d. 01), Op. Cit, p 04.

ثالثا _ تحوّل وسائل النقل والخدمات:

ظلت سوف لوقت طويل معزولة عن العالم الخارجي لعدم وجود طرق معبدة تربطها حتى بالمدن القريبة، فإلى غاية مطلع القرن العشرين لا يمكن الوصول إلى مدينة الوادي إلا بواسطة الجمال والدواب كالبعال والحميز، لهذا عمدت الهندسة العسكرية إلى استحداث آبار على طول المسالك الصحراوية في عمق العرق الشرقي، ووضع علامات (قماير) مرتفعة مبنية بالجبس المحلي والحجارة على طول المسالك كطريق الوادي توزر أو الوادي بسكرة، كما شيدت عدة أبراج على طول تلك الطرق.

1 _ تطوّر وسائل النقل وتعبيد الطرقات:

أول عربة قدمت سوف سنة 1911، أولها كانت عربة يقودها حصانان وعلى متنها شيخ الزاوية التجانية سيدي البشير التجاني، قادمًا من زاوية عين ماضي لزيارة زاوية قمار، الأتباع الذين خرجوا لاستقباله كانوا يضطرون أحيانا لحمل العربة من موضع إلى آخر بواسطة سواعدهم خوفا من غوصها في الرمال، أما العربة ذات أربع عجلات تجرها البغال فقد قدمت إلى الملحقّة انطلاقا من محطة السكة الحديدية بجامعة في عام 1917، حاملة الحاكم العام "ليتو" في أول زيارة لحاكم يزور سوف، عجلات هذه العربة كانت محاطة بأشرطة من الفولاذ تمنع عنها الغوص في الرمال، ويعود هذا الابتكار للرائد ديليلو¹.

ولم تلبث العربات التي تقودها الجياد أن أسلمت مكانها للسيارات ذوات المحرك، حيث استقبلت الوادي في الثامن من ديسمبر 1922 أول سيارة، والتي كانت من نوع سيتروين قادمة من مدينة تقرت وعلى متنها ستة أشخاص، من بينهم الرائد مارس قائد الملحقّة، أما أول ربط ما بين الوادي وغدامس فكان بسيارة من نوع لورين في أبريل 1938 من طرف الملازم ميقرى على مسافة 650 كلم تقريبا، ولم تتكرر العملية إلا في مارس 1945 من خلال القائد "فيري" الحاكم العسكري للملحقّة الوادي رفقة سائق من المنطقة حيث وصلا غدامس بعد أربعة أيام².

1 _ Marchond. A: Le Sahara, collection «connaissance de l'Afrique Française», Édit. L. Fouque, Oran, 1959, p56.

2 _ Ferry. J: Liaison Par Jeep El-oued Ghadamès, travaux de l'Institut de recherches sahariennes, Tome V, Université d'Alger, Alger, 1948, p 226.

سابقا، كان يوضع فوق الرمال نبات الشيلم أو ما يسمى شيلم البر¹، لتسهيل التنقل بحيث يشكل قشرة مرنة ومقاومة تسهل اجتياز الممرات الصعبة، غير أنه ومنذ سنة 1943 شُرع في رصف الكيلومترات المتبقية من المسلك الرابط بين الوادي وبسكرة بالحجارة، ومع حلول سنة 1946 أصبح من الممكن قطع هذا الطريق في ظرف خمس ساعات، ومع تعدد محاولات الاتصال بين قرى سوف، فقد وصلت لأول مرة سيارة إلى قريتي الطريفواي وليزيرق بتاريخ 23 أبريل 1948 وإلى وادي العلندة في 14 جوان 1948².

وتجدر الإشارة أنه في الفاتح من أبريل 1946 بدأت أشغال مد خط للسكة الحديدية بطول 145 كلم وعرض ستون سم يربط بين الوادي وسطيل، وبوتيرة أشغال سريعة جدا شرعت في شهر أوت القطارات الأولى في الحركة، ليتم تشغيل الخط في شهر أكتوبر من نفس السنة، هذا الخط رُبط بخط بسكرة تقرت، الذي انطلق منذ سنة 1914.

ظلت حركة النقل في سوف تتم في أغلبها عبر السكة الحديدية وعُشر ذلك يتم عن طريق الشاحنات، لأن الطرق والمسالك على رداءتها وصعوبتها لم تكن قادرة على تحمل حجما إجماليا لنقل البضائع يقدر بحوالي عشرين ألف طن، إن إنجاز السكة الحديدية بملحقة الوادي غطى 95 % من وارداتها³، ولم يستغل لنقل المسافرين لكنه جلب في رحلات معدودة أفواج من اللفييف الأجنبي خاصة السنغاليين منهم عند بداية الثورة.

غير أن هذا الخط لم يعمر طويلا وشهد تعثرا بداية من سنة 1954، وهي السنة التي ساهمت فيها السكة الحديدية في اتجاه سطيل الوادي من نقل حوالي 8300 طن؛ منها ستة آلاف طن من الحبوب وثمائنة طن مواد غذائية مختلفة كالشاي، نسيج، زيت، حبوب، قهوة، فريضة وصابون، وستمئة طن معدات مختلفة أيضا، وتسعمئة طن أغراض مختلفة، القسط الأكبر من هذه الحمولة يتم خلال الفترة ما بين شهري أكتوبر ومارس تزامنا مع حملة الحصاد في مناطق التل، أما في اتجاه الوادي سطيل فقد نقلت في

1 _ نبات عشبي بري من الخراطليات وفصيلة النجيليات، له ساق طويل ينمو على شكل باقات، كثير التواجد في الصحراء.

2 _ Marchond. A, Op. Cit, p 56.

3 _ AOM, 81 F 2159, (d. 02): Statistique annuelle des chemins de fer et tramways d'Algérie, rapports imprimés publiés par la direction des travaux publics et des transports du Gouvernement général de l'Algérie, 1958, p 44.

نفس السنة 4500 طن؛ منها 4400 طن تمور، $\frac{4}{5}$ منها تتم بين شهري نوفمبر وجانفي مواكبة لحملة جني التمور، إلا أنه بحلول سنة 1958 توقف الخط تماماً¹، فكان ذلك يصب لصالح كفة الناقلين الخواص، الذين تضاعفت إمكانياتهم مع توسيع شبكة الطرقات، التي تزامنت مع الإعلان عن مشروع قسنطينة، وتخصيصه لقروض للراغبين في اقتناء شاحنات.

إن مقاومة زحف الرمال على الطرقات تستدعي على الدوام تجنيد العديد من فرق العمل، وتتطلب حظيرة متنوعة من المركبات والآليات، لأن خطر الرمال لا يزال ماثلاً يهدد الطرقات والقرى والمزارع ويعقد حياة السكان ويجعلها صعبة التحمل لقد حاولت الكثير من الشركات تثبيت هذه الرمال وإعاقتها عن الحركة، بنشر بقايا سائلة لمواد التكرير، وهي مواد غير سامة تمكن مياه الأمطار من النفاذ، كما أنها لا تعيق نمو الأعشاب والجنبيات البرية، من ذلك أن شركة "إسو ESSO" جربت هذه الطريقة على الميدان منذ سنة 1961 بنشر غطاء من زيت البترول فوق الكثبان 200 غ/م²، كما أن المعهد الفرنسي للبترول بادر بالقيام ببعض التجارب لهذه التقنية الجديدة سنة 1962 بمحاذاة الطريق المعبدة بين تقرت والوادي لكنه تم التخلي عن هذه المحاولات بعد الإستقلال².

انطلاقاً من الوادي عُبِّدَت سنة 1952 ثلاثون كلم من طريق الوادي بسكرة البالغ طوله 222 كلم، وإلى غاية سنة 1954 لم يبلغ الشطر المعبد سوى 65 كلم والتي تتصل بالطريق المؤدي إلى تقرت عند منطقة الشقة. أُعدت القاعدة من مادة التافزة المفتتة أما الفجوات فملئت بالرمل الجبسي المبلل والملتحم، هذه القشرة المقاومة كُسيّت بالزفت أما التعبيد النهائي فقد أنجز ما بين سنتي 1954 و1956، كما أن الطريق انخرفت باتجاه سطيل، وبلغت تكلفة الكيلومتر الواحد مئتي ألف فرنك فرنسي³.

وبفضل السيارات والشاحنات ذات الدفع رباعي وسداسي المختلفة الأوزان والأحجام أصبح بالإمكان نقل حمولة كبيرة إلى نقاط متباعدة من العرق المترامي الأطراف، ودون أن تُهَيَأَ لذلك المسالك تهيئة خاصة.

1 _ AOM, 81 F 2159, (d. 02), Op. Cit, p 42.

2 _ KOUZMINE. Y: Le fait urbain au Sahara algérien, entre continuités et ruptures, in Actes du Colloque international, La ville au Sahara et dans le désert, IREMAM, Aix en Provence, 15-17 décembre 2005.

3 _ Bulletin de Liaison Saharienne, Op. Cit, p371.

وبغرض تأمين المواصلات مع القرى المحيطة بمدينة الوادي، شهدت كل سنة تقريبا طرقا معبدة جديدة تربط هذه التجمعات السكنية بالمحاور الكبرى، حيث تم سنة 1957 تعبيد مسلكي الوادي حاسي خليفة على طول 35 كلم، والوادي ورماس بمسافة ثمانية كلم. أما في سنة 1958 فقد انتهت أشغال طريق الوادي عميش على امتداد 11 كلم، وهبة الرقية بلغت سبعة كلم¹. لتعبد الطريق بين الدبيلة والمقرن سنة 1959، وفي السنة الموالية فُتحت الطريق الرابطة بين عميش والنخلة، ومسلك لبهيمه سيدي عون. سنة 1961 عرفت تعبيد ثلاث مقاطع؛ بين عميش والعقلة، وبين الرقية والجايخ، ثم الدرمني والجديدة. وما إن حلت سنة 1962 حتى تم تعبيد الطريق الرابط بين الوادي والطريفاي، لتليها الطريق الواصلة بين غمرة وسيدي عون، والزقم والطريفاي.

أما الطريق الرابط بين الوادي وتقرت، فقد شُرع فيها سنة 1962، هذه الطريق مكّنت من انتشار قريتي الطيبات ووادي العلندة من عزلتهما، فقد صار الوصول إليهما ميسرا، في حين كان المرور يتم عبر؛ المقيتلة، أميه الفرجان، أميه القايد وورماس. قبل ذلك وفي سنة 1952 كان المسلك يمر عبر طريق دار ميه، الخبنة، الدميثة وقمار². تطلبت هذه الطريق أشغالا إضافية للتسوية نظرا لطبيعة السطح الشديد الترمل وأرضه الرخوة (فخفاخة)، ولتأمين قاعدة صلبة للطريق وللصمود في وجه زحف الرمال في هذا الجزء غير المستقر، اضطر القائمون على الورشة لاستعمال وسائل حديثة تطيل أمد استعمال الطريق وتكسيبها صلابة حتى أنها قُسمت إلى ثلاث مقاطع؛ مقطع تقرت بن ناصر على مسافة 42 كلم، مقطع بن ناصر أميه ونسة بطول 32 كلم، وأخيرا مقطع أميه ونسة الوادي على امتداد 25 كلم، أما المبلغ الإجمالي لتكلفة العملية فقد قُدّر بحوالي 27 مليون فرنك فرنسي.

كما تواصل مد شرايين أخرى للمواصلات مع استمرار وضع المعالم بالعرق الشرقي، من ذلك الدراسات الطبوغرافية بين الوادي ونقرين على الحدود الشمالية الشرقية للملحقة، والتي وُضعت حيز الخدمة سنة 1960، كما تم وضع مخطط الطريق بين توزر والوادي ليعبد مع فجر الاستقلال³.

1 _ Bulletin de Liaison Saharienne, Op. Cit, p 372.

2 _ SHDDE, 1 H 1901, (d.03), Op. Cit, p 09.

3 _ SHDDE, 1 H 2106, (d.06), Op. Cit, p 17.

إن حيوية قطاع المواصلات بوادي سوف ووتيرة التحوّل المتسارعة التي تمّ وفقها، يُعبر عنه التطوير المستمر لبُنية المواصلات ومدّ سلسلة الطرق والمسالك، حتى أضحت الملحقة تحوز على أكثر من ثلاثمائة كلم من الطرق المعبدة، من مجموع أربعة آلاف كلم من الطرق الصحراوية المنجزة إلى غاية سنة 1962، فحتى الوسائل المستعملة واكبت هذا التطور، من ذلك أن شركتين تؤمنان المواصلات بصفة دائمة في الاتجاهين بين الوادي وبسكرة، ثم الرقيبة المقرن حاسي خليفة، بالإضافة إلى مدينة الوادي، وتعتبر نقاط حركة منتظمة للمواصلات اليومية.

وكدليل على تحوّل هذا القطاع بصفة مذهلة وسريعة، أنه خلال سنة 1961 مثلا نشطت بسوف 23 سيارة أجرة، أما سنة 1962 فقد ضمت الحاضرة المرورية بسوف 120 سيارة سياحية و239 شاحنة من مختلف الحمولات، في الوقت الذي كان من النادر عند مستهل الخمسينات وجود سيارة أو شاحنة في ملحقة الوادي¹.

ومنذ الأشهر الأولى للاستقلال أنشأ الديوان الوطني للنقل، الذي أسندت إليه مهمة تنظيم النقل البري. سعى هذا الديوان إلى إعادة النظام لمؤسسات النقل التي جُمع منها حوالي مئة مؤسسة من بينها مؤسسة "دقليون" التي كانت تنشط بالوادي قبل الاستقلال، والتي كانت تضمن النقل بين الوادي وبسكرة رفقة شركة محمد حلاسة، وشركة بن الشاوش على خط الوادي توزر مرورا بمنطقة نفطة.

2 _ ظهور الطيران المدني:

خصّص البرلمان الفرنسي سنة 1911 غلاف مالي قدره أربعمئة ألف فرنك، لإرسال ست طائرات إلى مدينة بسكرة التي اختيرت كحقل تجارب لاستحداث "مركز للدراسات الاستعمارية للطيران العسكري"، حيث انتقل العقيد "هيرشاور Hirshauer" إلى مدينة بسكرة ليدرس أرضية الميدان والتجهيزات الضرورية لذلك، تجسد المركز فعلا بفضل التجارب التي شهدتها بسكرة ما بين سنتي 1911 و1914.

بتاريخ 17 فيفري 1912، حلقت أول طائرة من نوع فرمان "Farman" في سماء الجزائر بقيادة الملازم "دي لافارج de Lafarge"، ليقوم هذا الأخير رفقة الملازم "ورامبار Ouarambert" بأول

1 _ AOM, 81 F 2157, (d. 01), Op. Cit, p 06.

طلعة جوية من بسكرة إلى تقرت على مسافة مئتي كلم، انطلق الملازمان يوم 22 مارس 1912 من بسكرة إلا أن هبوب عواصف رملية قوية اضطرتهما للهبوط مرات عديدة، ولم يصلا تقرت إلا بعد يومين، وانطلاقا من مدينة تقرت قام الملازمان بمجموعة من الطلعات القصيرة إلى كل من تماسين، بلدة عمر والأغفيان، ثم عادا إلى بسكرة في السابع والعشرين من نفس الشهر¹.

ظلت هذه الطائرات تقوم بطلعاتها الجوية كلما سمحت الأحوال الجوية، وذلك بغرض استكشاف المنطقة ورسم الخرائط الصحيحة وتوضيح النسيج المتداخل لكثبان سوف، في هذا الإطار وبتاريخ 26 فيفري 1913 استطاع سرب مكون من أربع طائرات فرمان يقوده المارشال هيارس المكلف بالتموين العسكري رفقة ثلاثة ملازمين؛ جولان، ورامبار وشاتان رفقة مجموعة من الميكانيكيين كركاب، القيام برحلة جوية بين بسكرة وتونس مروراً بوادي سوف، توزر، قابس، صفاقس وسوسة، وصل فريق الطيران إلى تونس في الثالث من مارس مع الأحوال الجوية الرديئة، غير أنها لم تحل دون هبوط هذه الطائرات بمطار لعوينة بتونس².

تُوجت هذه المحاولات الأولى للطيران عبر المجال الجوي لوادي سوف بإنشاء عدة مطارات عسكرية في عمق صحراء سوف تحت ضغط الحربين العالميتين الأولى والثانية، مثل مطارات برج فطيمة، فور سانت، برج مسعودة، برج الرباعة وبيير لحرش التي تم إنشاؤها مع اندلاع الحرب الكونية الأولى، أما عند نشوب الثانية فقد أنجزت المطارات التالية: برج الغرافة، أميه ربح وبيير الجديد، أنشأت هذه المطارات العسكرية تبعا لدراسة استراتيجية دقيقة، فكانت عبارة عن قواعد عسكرية على طول الحدود الجزائرية الليبية والتونسية، بها أبراج وحاميات عسكرية استعملت كمنافي ومحتشدات للسجن والتعذيب، وانطلقت منها أفواج قوات المهاريسست لصد هجمات المجاهدين وملاحقتهم طيلة سنوات الثورة التحريرية³.

1 _ Charles. R, Pierre. J: Le vol à voile en Algérie (1862-1962), Pierre Jarrige – Autoédition, paris, janv 1996, p 104.

2 _ SHDDE, Service historique de l'armée de l'air (SHAA), 9N1, (d. 03): Aviation en Algérie, Direction de l'infrastructure de l'armée de l'air (DIAA), (s.d), p 33.

3 _ Pierre. Jarrige: L'aviation légère en Algérie (1945-1962), Jarrige Pierre Editeur, Paris, Mars 1992, p162.

أما للأغراض المدنية فلم يُشرع في دراستها إلا بداية من سنة 1943، ولم يظهر مطار قمار للوجود إلا بين سنتي 1953 و1956، عندما أنجز مدرجان معبّدان لهبوط وإقلاع الطائرات أحدهما بطول 1500 م وعرض ثلاثون مترا في اتجاه شمال جنوب والآخر بطول 1500 م وعرض 45 م في اتجاه شرق غرب، مع تهيئة الممرات الضرورية لحركة الطيران وحظيرة لركن الطائرات. كما ألحقت بالمطار سكنات وظيفية ومحطة كهربائية وأخرى للأرصاد الجوية¹.

أصبح مطار قمار يشهد حركة حثيثة للطيران، حتى أضحي يستقبل الطائرات الكبيرة من نوع DC3 و DC لنقل المسافرين في رحلة أسبوعية الوادي الجزائر العاصمة عبر بسكرة، والرجوع من العاصمة عن طريق تقرت إلى الوادي، حيث بلغ عدد المسافرين سنة 1961 ذهابا وإيابا حوالي 5702 مقابل 4824 سنة 1960، ووزن الحمولة بلغ 66 طن في رحلات الوصول بينما بلغ 24 طن عند الذهاب².

بملحقة الوادي تكوّن أيضا نادي لهواة الطيران، ترأسه في البداية مدير مؤسسة النقل المهندس الإيطالي دقليون، ومنذ سنة 1951 انتخب على رأس إدارته المهندس المعماري رايغوند فريزي، واتخذ النادي من فنك الصحراء شعارا له.

استهل النادي نشاطه في جوان 1951 باقتناء طائرة تدريبية من نوع فيرشيلد، وبحلول نوفمبر 1953 تدعم النادي بطائرة ميليس 14A.

أما مع اندلاع الثورة فقد انتدب النادي مدرب جديد يدعى رولاند ريشي دي فورجس في ديسمبر 1954، وهو جندي شارك في حرب الفيتنام وتقاعد بعدها، كما اقتنى طائرة أخرى من نوع فيرشيلد، مما رفع عدد الطلعات الجوية حتى بلغت ثلاثمئة ساعة طيران سنويا. في جويلية 1956 اشترى النادي طائرة من نوع نوريكرا، وواحدة أخرى من نوع جودال في ديسمبر 1957، كما باع النادي في نوفمبر 1958 طائرتيه فيرشيلد والميليس ليشتري طائرة إمروود، ثم طائرة جودال أمبسادور في سبتمبر 1960.

1 _ SHDDE, 1 H 2619, (d.01): Infrastructure aéroterrestre au Sahara, Direction de l'infrastructure de l'armée de l'air (DIAA), Janv 1957, p 25.

2 _ Pierre. Jarrige: L'aviation légère en Algérie (1945-1962), Op. Cit, p 165.

كان يسهر على صيانة السرب الميكانيكي السيد قي مانيفيل Guy Magneville، أما من بين المتدربين الذين تكوّنوا في نادي سوف للطيران فوجد كل من بيار شاليمو متصرف الملحقة، جون لوك كاتينو متصرف الشؤون المدنية، لويس روبيسكي وغيرهم¹.

بالإضافة إلى مهمتها المعلنة، شاركت طائرات النادي في عدة عمليات عسكرية مباشرة، كما ساهمت في عمليات إجلاء للجرحى والمرضى العسكريين والمدنيين من الفرنسيين، كما نقلت عدة مسؤولين عسكريين في عمليات تفتيش ومراقبة روتينية، ساهمت أيضا في نقل فرق من مهندسي المسح الجوي ورسم خرائط للمنطقة وما جاورها، وفرق فلاحية وأخرى رياضية وسياحية، وما تجدر الإشارة إليه أن النادي كان له مطار خاص غرب تكسبت يبعد عن وسط المدينة بحوالي ثلاثة كلم، مدرجه مسلك الوادي تقرت، ثم انتقل إلى مطار قمار بداية من سنة 1956².

3 _ البريد والهاتف:

أول قباضة بريدية فتحت أبوابها بمدينة الوادي لأول مرة كان سنة 1890، أي بعد سنوات قليلة من الاستقرار الفرنسي في المنطقة، لتليها وكالة قمار سنة 1909، وكوينين سنة 1924، أما مكاتب بريد البهيمة، المقرن والزقم فكان افتتاحها سنة 1947، بعد عام من ذلك أي سنة 1948 شرع مكتب الرقية في العمل، ووُضعت حيز الخدمة وكالتي البياضة وورماس، ثم بُنيت أخرى جديدة بقمار سنة 1949 مرفوقة بسكن لقابض البريد³.

توفر الاتصال التلغرافي بين الوادي وقمار وتقرت سنة 1930، أما عن الاتصالات مع تونس فقد ربط بينهما خط هاتفي يصل حتى نفطة وتوزر منذ سنة 1928، أما في حاسي خليفة فقد تم تدشين غرفة هاتفية سنة 1946، وعُوّضت بوكالة بريدية سنة 1957⁴.

1 _ Francis Ducrest: J'ETAIS PILOTE EN ALGERIE, Jpo Altipresse, paris, 2013, p 97.

2 _ Pierre. Jarrige: Op. Cit, p 162.

3 _ SHDDE, 1 H 1344, (d.01): Liste des secteurs postaux des unités stationnées en Algérie et au Sahara, Service des transmissions de l'État en Algérie, Déc 1961, pp 05 – 14.

4 _ Goutret. M : Le Service des P.T.T. en Algérie, Bulletin de Liaison Saharienne, n° 29, Mars 1958, Imprimerie E. IMBERT, Alger, pp 72 – 76.

عدد المستفيدين من الخطوط الهاتفية بلغ 57 مشتركا سنة 1946، ليرتفع إلى 160 خلال السنة الموالية 1948، ويقفز إلى 240 مشتركا سنة 1961¹.

مع تقدم سنوات الثورة وتنامي نشاط المجاهدين بالجهة، عرفت الخدمات البريدية توسعا كبيرا خاصة بعد الزيادة الموهولة في أعداد المهاجرين. حيث تم إنجاز قباضتان بريديتين؛ واحدة بالوادي من القسم الثاني وأخرى بقمار من القسم الخامس، ثم قباضة توزيع بكوينين، ست وكالات بريدية في كل من الرقية، المقرن، الزقم، البهيمه، الديلة وحاسي خليفة. كما تم إنجاز 12 غرفة هاتفية في مناطق: الدرميني، ورماس، عميش، سيدي عون، سويهلة، تكسبت، طريفواي، غمرة، الجديدة، الرباح، النخلة وهبة².

كما تواصلت الوادي مع المناطق المجاورة عبر خطوط هاتفية؛ تشرت خطان، بسكرة ثلاثة خطوط وجامعة خط واحد³.

أما المركز الهرتزي فقد تشكّل من حزمه هاتفية عبر الفضاء بطاقة تصل حتى ستون خطا هاتفيا بصورة متزامنة، وهو العمود الفقري للمحاور الكبرى للاتصالات، معتمدة في الشمال على الروابط بين الجزائر وفرنسا، وفي الجنوب على مركز ورقلة المتصل مباشرة بباريس صوتيا وخطيا. في حين تم الانتهاء من هياكل المركز الهرتزي والبرج الذي يبلغ ارتفاعه أربعون مترا سنة 1961، في الوقت الذي انطلق فيه الوصل على الحزمة بين تشرت والوادي يوم 26 جانفي 1961. علما بأن هذا المركز الهرتزي الجديد يتطلب توظيف مفتش رقابة، ومهندس مختص بالمديرية الجهوية بمدينة الأغواط.

الشبكة الهرتزية الحالية تسمح بتمرير 12 مكاملة متزامنة، وترتبط بالحزمة الموجودة بين مدن ورقلة، تشرت، بسكرة وباتنة. وللتواصل مع الجزائر العاصمة لابد من المرور بإحدى المدن التالية: ورقلة، غرداية، الأغواط، أو بوغار.

المركز الهرتزي بالوادي تغذيه مباشرة المحطة المركزية، ويتواصل بتشغيل ترددات لاسلكية كهربائية بقدرة 165 ميغا سيكل في الثانية، وهو ما يناسب طول موجة تقارب واحد متر وثمانون سم، هذه الأمواج

1 _ SHDDE, 1 H 2055, (d.01): liaisons téléphoniques et télégraphiques, circuits spécialisés P.T.T., transmissions, 03 Mars 1962, pp 18 – 27.

2 _ SHDDE, 1 H 1344, (d.01), Op. Cit, p 14.

3 _ SHDDE, 1 H 2055, (d.01), Op. Cit, p 26.

تنتشر عن طريق البث في الطبقات الجوية السفلى التي تسمح بإجراء التواصل ما بين الفضاءات المختلفة¹.

4 _ المعالم السياحية:

تعتبر مدينة وادي سوف منطقة جذب سياحي، وأحد المعالم السياحية الخلابة لما تكتنزه طبيعتها الصحراوية وكتبانها الرملية، وسماؤها الصافية وهواؤها النقي، نخيلها وخيامها ومساكنها، عاداتها وتقاليدها، أنماط العيش فيها. كل هذا يغري السائح للتمتع بطبيعة بكر، بين أناس عرفوا بكرم الضيافة ومساعدة الغريب. منظر غروب الشمس فيها يكسبها بعدا ساحرا، هذا الجمال الذي أبهر العديد من الرحالة كهنري يورغان الذي كتب في رحلته عن سوف: "إذا كان جمال مدينة الوادي لا يوجد إلا في روائعها... وبياض قبابها العديدة... جمال وادي سوف ليس في غيرها من المدن...". لقد سحرت مدينة الوادي زائريها، تشد إليها أنظار الأجانب من مختلف أنحاء العالم، حتى أضحت إحدى أهم المدن السياحية التي يقصدها الأوروبيون في الجزائر، فمن تستبد به رغبة التوغل في الصحراء، تُوفّر له عند طلبه جولة على ظهور المهارى، بشرط أن يكون مزوّدا بعدّة النوم والمؤونة الغذائية، ليقضي يومين أو أكثر في صحراء العرق الشرقي في ضيافة البدو العارفين بشعابها ومضاربها، يأكل خبزة الملة ويشرب حليب النوق ويحتسي الشاي بعد شواء لذيذ، متمتعا بمشهد سمك الصحراء يغوص في الرمل، أو يتأمل اليربوع وهو يطلّ من جحره².

لقد بدأت حركية النشاط السياحي منذ الثلاثينات، ومع توسع حركة السياحة بعد الحرب العالمية الثانية، إلا أن السياح كانوا يصطدمون بقلّة الفنادق بالمنطقة حيث قال عنها متصرف الملحقة: ".. السياحة مورد بدأ يتطوّر وإذا كان في العالم مكان محدد للسياحة فهو سوف برمّله وشطوطه وأنس أهله، ونقول أن هذه المنطقة ولدت لثّزار..."³. ولتلبية رغبة العدد المتزايد للسياح تم فتح فندقين:

— فندق ترانزات: الذي فتح على شارع هنري لايرين من طرف المجموعة الفرنسية المتخصصة في بناء الفنادق، وهو فندق كلاسيكي عريق حافظ على الطابع الهندسي الأصيل لمدينة الوادي، به 18

1 _ SHDDE, 1 H 2055, (d.01), Op. Cit, p 53.

2 _ Dupuis J: Dans le Grand Erg oriental, Bulletin de Liaison saharienne, n° 35, septembre 1959, Imprimerie E. IMBERT, Alger, p 266.

3 _ Chalumeau Pierre, Op. Cit, pp 95-98.

غرفة مصطفة على جانبي الصحن وقاعتين واحدة للجلوس وأخرى للطعام، وكل غرفة به تعلوها قبة وتتسع لشخص أو شخصين، أما منارته الشهيرة والبارزة للعيان؛ تميزت عن غيرها من المباني المجاورة بالعلو، باعتبارها أعلى مكان بالمدينة في ذلك الوقت.

— فندق الكتبان: أنجز من طرف المعمر لوكا، وهو مقابل لفندق ترازات، يحتوي على ست غرف ومطعم ودكان للمواد الغذائية، إلا أنه مع اشتداد لهيب الثورة عرضه مالكه للبيع فاشتره أحمد باي المدعو الملاح.

هذه الفنادق تتواجد على مقربة من المنشآت الفرنسية والحي الأوربي، بفضلها تزايد عدد السياح بالمنطقة حتى وصل عددهم سنة 1936 إلى 28 سائحا ليرتفع سنة 1937 إلى 335 سائحا من مختلف الجنسيات الأوربية، أما منذ اندلاع حرب التحرير فلم تستقبل غير الجنود الفرنسيين¹.

— المتحف (دار العجب): مع زيادة عدد الوافدين إلى سوف، ولمساعدة السياح على التعرف على المنطقة فكرت السلطات الإدارية الفرنسية في إنشاء متحف، الذي تم افتتاحه يوم 17 جانفي 1954، تعلو هذا المتحف دمسيتين كبيرتين تتوسطها قبة كبيرة يصل قطرها إلى ثمانية أمتار، سُمي متحف "سوف والعرق"، احتوى على مقتنيات وصورا وأشكالا، مما جعلهم يطلقون عليه صفة أصغر متحف في العالم، كما يحتوي على مجموعة نماذج من مختلف الفترات الحضارية المتعددة من بينها: قطع نقدية مختلفة العصور، خيم، حلي من فضة، ألبسة تقليدية، صور وأواني فخارية ونحاسية وزرابي تقليدية، وأعداد من حجر الصوان المصقول التي تعود إلى العصور الحجرية القديمة للمنطقة، كذلك بعض المجسمات لحيوانات وزواحف صحراوية وأسلحة فرنسية، عرفت المعروضات إقبالا من طرف السواح على قلتهم خلال هذه الفترة، واستطاع السائح التعرف على بعض أسرار المنطقة².

1 _ AOM, 81 F 532, (d. 03): Documentation produite par l'Office algérien d'action économique et touristique (OFALAC), Service de l'Information du secrétariat général pour les affaires algériennes, service de presse et d'information du ministère d'État chargé des affaires algériennes, 21 Mai 1960, p 12.

2 _ SHDDE, 1 H 1124, (d.02): revues et brochures sur le tourisme, Service de Presse Militaire, Musée du Souf et de l'Erg, Octobre 1957, pp 03 – 05.

في الأخير، وكمحصلة لما تم تناوله خلال هذا الفصل أمكننا القول أن التوازن الاقتصادي في سوف وأنماط العيش المتعلقة به تحولت تماما، لقد كان الاقتصاد التقليدي في غاية الاستقرار، بالنظر ربما إلى كون الإحتياجات كانت أقل.

ارتبط الاقتصاد الحالي في ملحقة الوادي بعمق بباقي اقتصاد الجزائر ومنه باقتصاد المитروبول، إننا أمام أزمة اقتصادية أمست مزمنة؛ تقلص فرص العمل من جهة وتقلبات سعر التمر والتبغ من جهة أخرى؛ فإذا كانت غابات النخيل قد تزايدت، فإن قطعان الماشية تشهد تناقصا حادا، الأمر الذي دفع بالبدوي للبحث عن موارد جديدة؛ إما غرس أراضي جديدة، أو البحث عن مناصب شغل خارج الملحقة تتناسب مع إمكانياته وقدراته، حياة البدو في سوف تغيرت أكثر بكثير من حياة المستقرين.

المعطيات التي أمامنا، تطلعنا على حقيقة أن الفرنسيين لم يقدموا شيئا لوادي سوف، إلا ربما شيئا من الإحسان منع الناس من الموت عند تفشي بعض الأوبئة، ربما بُذل مجهود على مستوى شبكة الطرقات ووسائل النقل، لكنه أمر غير ذي بال إذا تمت مقارنته بما أنجزوه في جهات أخرى بالجزائر علاوة على أنه كان في خدمتهم وخدمة خططهم بالدرجة الأولى.

لقد كان للسياسة الفرنسية في وادي سوف نتائج سيئة ومؤسفة، بلد يعاني أزمة على جميع الأصعدة، يقترح الفرنسيون حلولاً لكنها تبقى قليلة وغير مقنعة على الأقل في الوقت الحالي، إنهم يأملون في إنشاء غابات نخيل على مستوى مناطق سيف المناادي والحمرية وحتى الديبيلة، إنهم يتكلمون عن نخيل يعد بمئات الآلاف، ويعدون بإدخال المكننة على فلاحه سوف.

يبدو أن مجال التفاؤل في سوف أقل مما هو متاح في أماكن أخرى كصحراء الجنوب الوهراني؛ حيث أُدخلت مكننة محدودة وشُرع في إصلاح منظومة الخماسة، غير أن كلا الحلين تُعتبر سوف غير معنية بهما.

في جميع الأحوال، الحضارة الأوربية تقف عاجزة عن التحرك في سوف انطلاقاً من التقنيات المحلية التي تبدو كاملة وإن تعلقت بمستوى معيشي منخفض جداً حالياً، لا يمكن للتقنيات العصرية أن تقدم شيئا للغوط، لقد حطمت عنجهية المستعمر اقتصاد بلد ظل مستقراً ومزدهراً قبل تدخلهم فيه، إنهم لا يريدون ولو أرادوا لاستطاعوا، يأملون في جني أكبر الأرباح بأقل التكاليف.

بعض التحليلات الفرنسية المتشائمة تنبأ بسوف خالية بعد قرن من الزمن؛ ما عدا من بعض الجمال، أو القباب بغرض السياحة، من المؤكد أن ذلك ناجم عن سوء تقدير فضيع لإمكانات التأقلم التقني عند السوافة، لكوننا أمام مجتمع صحراوي تحوله بطيء وهيكلته القديمة عصية عن الانقراض.

مما تقدم يمكن أن نستخلص أن تحوّل غراسة النخيل من الطريقة التقليدية البعلية التي يتم فيها حفر الغوط حتى الوصول إلى الماء دون حاجة إلى السقي، انتقلت إلى الغراسة السطحية التي لا تتطلب الحفر مع وجوب السقي الدائم، كما أصبح التركيز على غراسة نخلة دقلة نور المدرة للمداخيل على حساب غراسة نخلة الغرس ذات الاستهلاك المحلي الواسع.

عند بداية فترة الدراسة لاحظنا التوسع المستمر في مساحة زراعة التبغ وارتفاع كمية الإنتاج، غير أنه وبحلول سنة 1961 شهدت هذه الزراعة تحولا رهيبا، نتج عنه تقلصا كبيرا في المساحة المزروعة وسقوطا حرا لكمية الإنتاج حيث نزلت إلى النصف تقريبا، كما تجاوز عدد فلاحي هذه الشعبة من سنة إلى أخرى حتى بلغ عددهم ثلث ما كان عليه عند بداية فترة البحث.

المزروعات الأخرى شهدت أيضا تحولا في النوع والكمية فقد ظهرت أنواع من الأشجار المثمرة كأشجار الزيتون والبرتقال والليمون وحتى القطن كما ظهرت محاولة استثمارية في أشجار العنب، في المقابل تأثر الغطاء النباتي الطبيعي من كلاً وعشب خاصة القريب من العمران، حيث وصلت إليه أيادي جامعي حطب التدفئة المنزلية ووقودا لأفران الجبس التي تزايدت بتزايد حركة التعمير في الوادي.

أنظمة السقي بدورها تحولت بتحول نوعية الآبار، حيث ظهرت الآبار الحديثة العميقة والسقي عن طريق محركات تدار بالغاز والوقود، كما برزت ظاهرة صعود ونزول طبقة المياه الجوفية وتم وضع مقياس لرصد الظاهرة ومتابعتها، غير أنه يبدو أهمل العمل به بعد الاستقلال.

تقلص أعداد البدو الرحل بتقلص مجالات الرعي أدى إلى تحول في أعداد الماشية حيث تراجعت رؤوس الأغنام والماعز والإبل، مما نتج عنه نقص حاد في كميات اللحوم والصوف والشعر ووبر الجمال، واضطر المشتغلين في ورشات النسيج خاصة إلى استيراد المواد الضرورية لاستمرار صناعتهم.

على مستوى التجارة توقفت تجارة القوافل كليا، وعوّضت الشاحنات الحديثة النقل بواسطة الجمل، المواد الاستهلاكية شهدت ارتفاعا متزايدا في الأسعار ماعدا تمر الغرس ودقلة نور، كما سجلت التقارير تدمير السلطات من استمرار الفلاحين في بيع التبغ مباشرة للمستهلكين وارتفاع سعر هذا الأخير.

التحول لوحظ أيضا في توسع التعامل النقدي وانتشاره وارتفاع أجر العمل اليدوي بتحول مصادر التمويل حيث أضحي العمل الإداري والانخراط في الجيش تحويلات المهاجرين هي المصدر الأول للأجور بعدما كانت الفلاحة وتجارة القوافل هي المصدر.

الضرائب بدورها تحولت سواء من حيث النوع أو الكم بحسب ما يخدم السياسة الاستعمارية بين الشد والإرخاء.

مع تنوع الصناعة الحرفية النسيجية خاصة، غير أنها فقدت الوهج التجاري الذي كانت تعرفه من قبل وهو ما يعكسه حجم المبيعات والمداخيل المتأتية منها ، كما تأثرت بنقص المادة الأولية التي أصبحت تستورد من خارج المنطقة، الأمر لا ينعكس على صناعة الزربية السوفية حيث تضاعفت كمية إنتاجها حوالي أربعة أضعاف ما كانت عليه عند بداية فترة الدراسة، ثمناها بدوره تحول نحو الأفضل.

الفصل الثاني

التحوّلات الإجتماعية في وادي سوف من خلال الوثائق
الأرشيفية (1954-1962)

- _ المبحث الأول: تحوّل الحياة الإجتماعية في وادي سوف.
- _ المبحث الثاني: التحوّلات الإدارية والمعمارية في وادي سوف.
- _ المبحث الثالث: تحوّل نسق البداوة وحركة الهجرة في وادي سوف.

__ المبحث الأول: تحول الحياة الاجتماعية في وادي سوف.

أولا _ تحوّل الهيكلية والسكان في ملحقة الوادي:

كثيرا ما ترتبط الصحراء في مخيلة الإنسان بالانقطاع والعزلة والظروف المعيشية الصعبة؛ فالرمال والغبار والجو الحار والقحط والزوابع هي المكونات البارزة لتلك الصورة النمطية في أذهان الناس، غير أن ذلك كثيرا ما يَغْمِط حق ابن الصحراء ويُخفي ذلك الإبداع الذي وصل إليه عندما واجه كل تلك العوامل وأنشأ بيئة حضرية وسط تلك الندرة والعدم.

أضحت مدن الصحراء آية في الإبداع، استطاع سكانها مواجهة العوامل الصعبة ويُنشئون بيئة حضرية وسط القحط والجذب.

لقد كانت تلك المدن بمثابة عُقد داخل شبكة المسالك التي تغطي المساحات الخالية والفلوات الشاسعة وتسمح بالتواصل بين مجتمعاتها وقطع مسافاتها الطويلة والاستراحة فيها.

1 _ تحوّل هيكلية وسكان الوادي المدينة:

الوادي لم تشذ عن تلك البيئات الحضرية والمدن الصحراوية من ناحية النمو والتطور، فقد شهدت نموا ملحوظا منذ أواخر القرن التاسع عشر، وهو ما يوضحه مخطط الرسم لسنة 1890، وخريطة 1911 ثم الصور الجوية الملتقطة سنة 1949 وهي الصور الأقرب لفترة الدراسة، لقد حدث توسع خارجي لكل الكتلة الوسطى، الأبرز والأكثر أهمية هو امتداد البناء في حي أولاد أحمد إلى الجنوب لكن بطريقة مبعثرة ومتناثرة دون تخطيط، مع ذلك يحترم السكان شارعا رئيسيا يتجه شمال - جنوب، يربط سوق الوادي باتجاه المسلك المؤدي لعميش¹.

السنوات	1950	1955	1960	1961	1962
عدد السكان	12852	15204	16943	17721	18663

جدول رقم 32: يبرز الزيادة السكانية بالوادي المدينة (1950-1962)²

1_ Cl. Bataillon: LE SOUF, Etude De Géographie Humaine, Institut De Recherches Sahariennes, Université D'Alger, 1953, p 68.

2_ SHDDE, 1 H 1107, (d.02): recensements de la population algérienne (19-48 1960), MINISTERE du SAHARA, Département Des Oasis, Arrondissement D'El-Oued, Mai 1962, p 04.

يحصي التعداد السكاني لسنة 1955 بالوادي المركز رفقة النزالي المحيطة بها حتى واد زيتن ما يفوق خمسة عشرة ألف ساكن، بينما إحصاء سنة 1962 أفادنا أن عدد السكان تجاوز 18 ألف نسمة كلهم مستقرين، كما دلنا الإحصاء أيضا على وجود ممثلين لعدة فرق كالأعشاش وأولاد جامع حوالي خمسة آلاف ساكن، المصاعبة وأولاد أحمد ما يزيد عن خمسة آلاف ساكن لكل فرقة منهما، وأكثر من ألفين ينتمون للرباع، كما يوجد أيضا فرجان وشعامبة، يتجمع أولاد أحمد حول مسجدهم وإلى الجنوب منه أيضا، في حين يتقاسم الأعشاش والمصاعبة وسط المدينة أحدهما شرقا والآخر غربا¹.

التحوّل التدريجي للمدينة غيّر من طابعها، فلم يعد التجمع حسب الفرق محترما كما كان في السابق، الوادي في توسع مستمر لكنها تفتقر إلى الفضاء الذي يسمح لها بذلك، الغيطان تحصر المدينة من كل الجوانب تقريبا، لم يعد بوسع الناس البناء سوى في الجهة الشمالية الغربية حيث حي محطة القطار، وفي الجنوب امتدادا لحي أولاد أحمد نحو عميش، هذه المسألة التقنية المحضة شجعت المضاربة العقارية ولم يعد البناء متاحا لكل من يريد الإقامة في المدينة، تم إنشاء حصص للبناء بغرض تنظيم ومراقبة توسع المدينة، لكن المستفيدين لم يترددوا في إعادة بيعها لما ارتفع ثمنها، كل المنازل التي بُنيت أو هي بصدد البناء هي ملك لتجار أو موظفين بما فيهم العسكريين الذين من مصلحتهم العيش في المدينة أكثر من غيرهم، وبما أن الوادي لا تتطور بصفته مركز زراعي بل لنمطها التجاري والإداري، فإن تلك الفئات هي وحدها من تتوفر على رؤوس الأموال الضرورية للبناء والاستقرار بالمدينة.

كما تقلصت مساحات الساحات العامة خاصة بحي الأعشاش، نتيجة لجوء السكان إلى توسعة منازلهم على حساب تلك الساحات، حتى المنازل ذات الطوابق زاد عددها أكثر من أي مكان آخر في سوف، نجدها خاصة بالقرب من السوق وفي شمال حي أولاد أحمد غير بعيد عن المركز الإداري، مما يدعو للاعتقاد أن الأمر يتعلق بأناس أثرياء يتوفرون على مداخل من التجارة والمهن الإدارية².

تأجير المنازل ظاهرة عُرفت بها مدينة الوادي دون سواها، وليس من المبالغة إذا قلنا أن ربع المنازل تقريبا في الوادي موجهة للكراء. في حين نجد دائما مساكن شاغرة في المراكز السكانية الأخرى، خاصة في قمار فهم يعيرونها أو يبيعونها.

1_ SHDDE, 1 H 1107, (d.02), Op. Cit, p 05.

2_ Cl. Bataillon: LE SOUF, Op. Cit, p 70.

الحياة الإدارية في سوف كلها مركزة في الوادي مما يجعلها مركزا فريدا في الجهة، فيها أيضا يسكن كل التجار المهمين الذين يزودون كل المنطقة تقريبا بأهم السلع، كما يقع بها مقر أهم شركتين للنقل، مما يزيد في الدور التجاري للمدينة، هذه السمات الخدمائية والاقتصادية تؤهل الوادي إلى مصاف المدن العصرية¹.

أفادت دراسة حول الهيكل المهنية للمدينة في تحقيق حول السكن أجري سنة 1960، أن مدينة الوادي لا تمثل سوى 17 % من العدد الإجمالي للسكان، غير أنها في نفس الوقت تضم حوالي أربعون بالمئة من التجار والحرفيين و 45 % من الموظفين الإداريين؛ لكن علينا أن نضع في الحسبان أن حصة الوادي ليست في التجارة التقليدية الصغيرة حيث تحتفظ المراكز القديمة بأهميتها، بل تحوزها أيضا في تجارة الجملة².

ضواحي المدينة شهدت هي أيضا توسعا حديثا معتبرا، خاصة في الشمال والشمال الغربي، البعض منها أهلة منذ القدم كنزلة ضواحي روحة وتكسبت القديمة ونزلة سيدي عبد الله، وإلى الشمال أكثر نجد القارة التي تعتبر أقدم من قرية تكسبت الحالية، هذه الأخيرة أضحت بفضل الطريق المعبدة صاحبة عصرية، فقد سكنها العديد من التجار والحرفيين، الذين أصبح بإمكانهم التنقل إلى دكاكينهم بواسطة الدراجة لأن تكاليف السكن بها أقل من وسط المدينة.

يُحَيِّمُ البدو بصفة دائمة على أطراف الوادي، نجد على الضفة الشرقية وفي الجهة الجنوبية من حي أولاد أحمد ما يقارب أربعون زريبة تستند على الجدران الخارجية للمنازل وأحيانا نجد أكثر من هذا العدد، وضع هذه الزرائب بئس جدا، ثم أن المواد المختلفة التي يضيفونها إلى جريد النخيل تضفي على هذه الزرائب طابع البيوت القصديرية، سكانها بدو أفلستهم السياسة الاستعمارية المنتهجة نحوهم، في جميع الحالات هذه الزرائب لم تكن تظهر قبل سنة 1955 أي ظهرت خلال الثورة التحريرية، على العكس من ذلك فإن الخيام والزرائب المنتشرة إلى الجنوب الغربي بين الغيطان والكثبان هي لأناس ميسوري

1_ SHDDE, 1 H 2106, (d.6), Op. Cit, p 01.

2_ SHDDE, 1 H 2555, (d.01):Évolution de la pacification dans les territoires du Sud et au Sahara (bilans de pacification du SOUF), p 03.

الحال، ربما الأمر يتعلق بصفة أدق بالشعامة، ليس لعجزهم عن بناء أو شراء منازل في الوادي بل لكونهم لم يتعودوا النوم تحت سقف مبني¹.

لقد كان وراء تطور الوادي ووصولها للهيكلة الحالية، عدة عوامل نوجزها فيما يلي:

- قرب المياه الجوفية ووفرته: إن العامل الأساس وراء تطور منطقة الوادي، هو البحث عن أماكن صالحة لإنجاز الغيطان الجديدة، حيث تميّزت الوادي بقرب مائها وسهولة أرضها فاعتمد ساكنيها على الطبقة السطحية في سقيهم، حفروا الآبار الرعوية في الصحراء وآبار الشرب في الحواضر، غرسوا على هذه الطبقة نخيلهم في الغيطان التي كان لها دورا كبيرا في إعمار المنطقة والمساهمة الفعّالة في بناء مقومات الحياة.

__ زراعة النخيل: إن النشاط الفلاحي الرئيس في منطقة الوادي هو زراعة النخيل التي تعتبر من أهم مصادر الدخل بها، كما كان له الفضل في تحقيق تطور الحركة العمرانية بالمنطقة.

__ قرب النخيل من العمران: مما مكّن الرعاية الدائمة للنخلة ووفّر لها الاهتمام اللازم.

__ استيعاب مدينة الوادي لكل القطاعات الاقتصادية ومساهمتها في عملية التنمية محليا باستغلال الثروات المتاحة (الأرض، النخيل، الأموال) والقطاعات البشرية النشطة (الجهد العضلي، العمل الموجه).

__ التجارة المحلية: المتمثلة في حركة ونشاط السوق المركزي، حيث كانت سببا رئيسيا في توسع المدينة وامتدادها.

__ تأثير الهجرة: كان للهجرة داخل الوطن وخارجه تأثير بالغ على حياة السكان، وانعكاس واضح على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي في مجتمع يعاني العزلة الجغرافية وخطرسة السياسة الاستعمارية.

1_ AOM, 81 F 2338, Op. Cit, p186.

— القيم الدينية: يعتبر الدين الإسلامي أهم محدد لهوية المجتمع في سوف، تجلّى في السلوك اليومي وتصرفات السكان، فاهتموا بإقامة المساجد ورعاية المدارس القرآنية، كما كان المسجد أول نواة لاستقرار البدو الرحل والتوسع العمراني.

— النمو الديموغرافي: أدى تحسن الحالة الصحية إلى زيادة سكانية معتبرة، مما أدى إلى تضخم المراكز السكانية القديمة، فضلاً عن زيادة عدد أفراد العائلة في البيت الواحد، الأمر الذي نتج عنه حركة هجرة داخلية، خلقت توسعا فلاحيا وعمرانيا أحدث مراكز لنزالي حديثة في مختلف الجهات.

2 _ حركة الهجرة الداخلية وتحول القرى القديمة:

المعطيات الإحصائية للفترة المدروسة تفيد بأن عدد النخيل في ملحقة الوادي يتجاوز النصف مليون نخلة، إن دلّ ذلك عن شيء فإنما يدل على حجم الحركة وقوة اختلاط السكان داخل نطاق الملحقة، القرويون هم المحرك لهذا التوسع بتركهم إطار القرية القبلي والاختلاط بالآخرين، لقد حددت كل قرية قديمة مجال توسعها الجديد.

الرقم	البلديات	المركز	الأطراف	المجموع
01	البياضة	1858	3917	5775
02	البهيمه	1284	2184	3468
03	الدييلة	1857	3414	5271
04	الوادي	10494	6449	16943
05	حاسي خليفة	4516	541	5057
06	المقرن	3541	792	4333
07	النخلة	2442	1886	4328
08	ربايع الجنوب	00	6941	6941
09	الرباح	4377	626	5003
10	سيدي عون	1037	1653	2690
11	الطريفراوي	1777	460	2237
12	الزقم	1176	1544	2720
13	قمار	8000	3032	11032
14	الرقبية	7500	1663	9163

15	كوينين	7887	1189	9076
16	وادي العلندة	2560	2287	4847
	المجموع	60306	38578	98884

جدول رقم 33: يبين توزيع السكان بملحقة الوادي سنة 1960¹

يتضح من خلال الجدول أن نسبة السكان الذين فضلوا الاستقرار بالمراكز الحضرية إن صحت هذه التسمية قد بلغت ستون بالمئة، بينما نسبة الذين ظلوا على الأطراف حوالي أربعون في المئة، مقارنة هذه النسب بنظيرتها التي أوردها الباحث كلود باطيون في كتابه سوف دراسة في الجغرافية البشرية والتي يقدرها سنة 1948 بحوالي ثلاثون بالمئة للمستقرين وسبعون في المئة من المنتشرين، تجعلنا نقف على تحوّل كبير في ظرف سنوات قليلة نحو جنوح الأغلبية لحياة الاستقرار، مقر الإقامة الجديد يمثل للمقيم قطيعة مع نسق القبيلة ومجتمع البداوة والانخراط في مجتمع حضري في طور النشوء.²

أ _ **تجمع أولاد سعود وقمار:** تنتمي كوينين إلى سلسلة القرى القديمة، يقع التجمع السكاني إلى الغرب من الغيطان، يسكنها حاليا أكثر من تسعة آلاف نسمة بينما كان سنة 1954 لا يزيد عن الستة آلاف، جنوبها يتمركز حول السوق في حين يمتد شمالها على جانبي شارع رئيس يتجه شمال جنوب ويتفرع في أزقة ثانوية شرق غرب، يظهر الطابع الحضري للقرية في تناسق الشوارع المغطاة والقباب والأقواس بالقرب من السوق، كما تنتشر المنازل على ضفاف الغيطان في الشمال الغربي والجنوب، أما التوسع الأكبر على الإطلاق فقد حدث في قمار التي تعد أكثر من 11 ألف ساكن بما فيها تغزوت، غير أن الملاحظ أن قمار كانت عامرة أكثر قبل هذا التاريخ، فقد أصبحت كل الأحياء الشمالية والشرقية مهجورة وتفرق أهلها بين المزارع خاصة في الدميثة وبوركة، السكنات المنجزة هناك أكثر حداثة ومرتبطة باستغلال حدائق التبغ أكثر منه بغراسة النخيل، الانتشار كان أسبق نحو غمرة اللوطى أي الجنوبية ثم في غمرة الفوقانية أي الشمالية، حيث تشكل مجتمعة مركزا معتبرا بعدد سكانه الثلاثة آلاف، غير أن المساكن هناك متناثرة، أما عرق السواري فقد أنشأ منذ سنة 1913 ومناطق التوسع إلى الشمال الغربي من قمار فتعود إلى سنة 1943.³

1_ SHDDE, 1 H 1107, (d.02), Op. Cit, p 06.

2_ Cl. Bataillon: LE SOUF, Op. Cit, p 68.

3_ Paléo. D: Essai de Sociologie Saharienne, Exemple de SOUF, Bulletin de Liaison Saharienne, n° 31, Septembre 1958, Imprimerie E. IMBERT, Alger, p 216.

ساهم سكان قمار أيضا في إعمار مراكز أكثر بعدا، نجدهم في أميه صالح وانظم إليهم بعض الرباع فيما بعد، أما جديدة قمار فقد استحدثت مؤخرا، وأميه خليفة فيها ثلاثمائة ساكن من قمار وعدد من مصاعبة عميش، نفس المصاعبة أسسوا الدميثة مع وجود حوالي 550 قماري. رغم ما شهدته من تفكك فإنه إذا كان هناك تجمع سكاني يكتسي طابعا حضريا في سوف فإنها بلدة قمار.

في نفس الفترة تقريبا التي أنشأت فيها ما يقارب مئة عائلة من سكان ورماس وعلى بعد حوالي 20 كلم إلى الجنوب الغربي كل من منطقتي القويرات والهدودي، التحق عدد من سكان كوينين بالرقبية ووادي الترك، كما غادر سكان من تكسبت إلى أميه باهي؛ حيث توجد سبع أو ثماني عائلات، ثم أنشأوا النزلة الغربية في البهيمية وآخرون تنقلوا إلى الجايخ بالرقبية، ومع حادثة مركز واد زيتن في الوادي إلا أن عدة عائلات ذهبت إلى أميه باهي، ومن الوادي أيضا قصدت عدة عائلات من أولاد أحمد منطقة الطريفاي، ومن تغزوت انطلقت سلسلة من الغابات الجديدة نحو الجنوب، وهي من إنجاز السكان القريين من الخط الرئيسي الواقع إلى الشرق، ومنها أيضا تنقلت 47 عائلة إلى بقوزة، أما العرفجي إلى الجنوب الغربي من الرقية فتضم حاليا 92 عائلة، كما وسّع سكان البهيمية والزقم من أراضيهم الزراعية في الأراضي القريبة دون التنقل إلى أماكن أبعد¹.

في الزقم التي يسكنها حوالي ثلاثة آلاف ساكن، أصبح الكثير منهم يسكن بصفة دائمة قرب الغيطان عوض العيش في القرية، كما تصطف المنازل في سيدي عون التي بها ما يفوق 2500 نسمة بنفس الطريقة وتوجد مساكن دائمة منتشرة حول القرية. نفس الشيء يحدث في الدبيلة التي تجمع حولها أكثر من خمسة آلاف ساكن، أما البهيمية بها حوالي 3500 نسمة ينتشر أغلبهم خارج القرية الأم، مع ما شهدته القرية من تراجع تبقى من الناحية التجارية الزقم هي المركز الأكثر أهمية².

ب _ تجمع عميش: تمتد عميش جنوب الوادي حتى العقلة، من الناحية الديموغرافية هي الكتلة السكانية الأكبر في سوف بأكثر من 25 ألف ساكن، في عميش بدأت حركة الإعمار إلى الغرب من غيطان النخيل، جنوب الوادي مباشرة تظهر نزلة لقطوطة التي تعد مركزا حديثا فمسجدها لم يبن إلا سنة 1943، يسكنها حوالي ثلاثون عائلة من أولاد أحمد وخمسون عائلة من البدو المستقرين حديثا، لضيق

1_ Zoubeidi Hocine: L'histoire est un perpétuel recommencement, Bulletin de Liaison Saharienne, n° 17, Juin 1954, Imprimerie E. IMBERT, Alger, p 116.

2_ Cl. Bataillon: LE SOUF, Op. Cit, p 57.

المكان المساكن متراسة تقريبا، لأن الغيطان تحصرها من الغرب والشرق، إلى الشمال تمتد النزلة دون انقطاع حتى نزلة الكرايمة، على العكس من ذلك تفصل منطقة فارغة نزلة لقطوطة عن نزلة محدة جنوبا، حيث لا تشكل المنازل أي اصطفاف.

إضافة إلى المنازل العادية تنتشر منازل في طور الإنجاز إما ملتصقة أو معزولة، يبدو أن الكثير من قاطني لقطوطة ونزلة الكرايمة ونزلة محدة كانوا يترحلون إلى الصحراء وكانت لديهم قطعان الماشية قبل اندلاع الثورة.

سلسلة المساكن في عميش تضعف كلما تقدمنا نحو الجنوب، مع ذلك التوسع السكاني كان جنوبا نحو النخلة والعقلة، ظروف السكن في عميش أيضا غير ثابتة؛ منازل قرية سيدي سليمان المركز القديم غمرتها حاليا الرمال وهي تزحف نحو نزلة الترايكة، الشعامبة أيضا الذين استقروا جنوب نزلة الشعامبة بالرباح قدموا من نزلة العبابسة التي لم يكن لهم فيها منازل ثابتة غير الخيام، عميش هي دون شك المنطقة الأكثر تعقيدا؛ تنقص الوثائق التاريخية مع القدم النسبي للإعمار¹، غير أن الصعوبات أقل في المناطق الأكثر حداثة في وادي العلندة.

ت _ تجمع وادي العلندة: هذه الأخيرة بها اليوم حوالي خمسة آلاف ساكن، كثرت المنازل في النزلتين الشمالية والجنوبية التي لها أكثر أهمية لوجود السوق وبعض الدكاكين والعيادة التي دخلت الخدمة مؤخرا.

التوام نزلة حديثة وصغيرة، في المجمل تعيش فيها ثماني عائلات؛ خمسة شعامبة عائلتان منهم لا زالت تسكن تحت الخيام وعائلتان من القطاطية وواحدة من المصاعبة، في حين لازالت تترحل 12 عائلة من الشعامبة والقطاطية ولأنهم يملكون نخيلا يعودون خريفا لجني محصول التمر، كلهم حديثي العهد بالفلاحة، تشهد على ذلك الزروب المشيدة بنبات الحلفاء، وهي في وضعية سيئة وليست في مكانها المفترض فهم في حاجة إلى مساعدة تقنية من مختصين². الملاحظ في التوام أن من يشترون أو يغرسون أو يبنون يتوفرون على دخل مالي من مصدر خارجي كالإدارة أو الجيش على وجه الخصوص.

1_ Zoubeidi Hocine, Op. Cit, p 114.

2_ Paléo. D, Op. Cit, p 217.

أميه مولاهم يسكنها القطاطية القادمين من جهة جامع سيدي علي دربال بالرياح جنوب عميش حيث كانت أملاكهم هناك، في الربيع تسكنها ثلاثون عائلة، أما في الخريف فيرتفع عدد العائلات إلى الضعف، لكن المنازل ظهرت مع بداية الثورة التحريرية، حيث زاد عدد المستقرين الدائمين. من أبرز المراكز ذات النزعة القروية نجد ودي الترك، الواقعة على بعد ساعتين من السير غرب وادي العلندة، أغلب سكانها من الأعشاش، ولحد الآن هناك ملاكين اثنين منها لازالا يسكنان الوادي أحدهما حداد والآخر تاجر، كما نجد قوراري من كوينين يسكن بالقرب من نخيله، وأحد أولاد جامع من الطيبات القبيلية، النزلة تشبه الآن القرية المنظمة حيث تتقابل منازل 25 عائلة حول شارع يتجه من الشرق إلى الغرب، في الشرق يوجد المسجد الذي تعود بنيته إلى سنة 1924 كما توجد بقره ثلاث دكاكين¹.

ث _ تجمع الرقية: الرقية تمثل كتلة بشرية تقارب عشرة آلاف ساكن، منهم حوالي ثلاثة آلاف مصعي ويفوقهم بقليل الربيع، 1600 من أولاد جامع، ألفان من أولاد أحمد و350 من قمار والبعض من أولاد سعود، الرقية تتكون الآن من أربعة مراكز متفاوتة الأهمية، حيث يتجاور السكان من أصول مختلفة، يسكن أولاد جامع شمالا والمصاعبة جنوبا، أما في الوسط فقد سكن الأعشاش، الرقية قرية مهمة يوجد بها مدرسة ومكتب بريد وعيادة، يحتل سوقها الذي يعتبر من أكبر الأسواق في سوف بساحته الواسعة التي تحيط بها الدكاكين، غير أننا لا نجد في شوارعها أو أبنيتها ذوقا هندسيا مما يدل على أن الرقية تختلف عن القرى القديمة².

إلى الجنوب نجد قرية الوكاويك الحديثة يسكنها أكثر من ألف ساكن، أصولهم من مصاعبة الصحن الماسط شمال عميش، بالقرية 157 عائلة معظمهم من مصاعبة أولاد حميد إضافة إلى 25 عائلة من أولاد أحمد عميش، منازلها مجتمعة ومنظمة مع وجود عدة منازل منتشرة حولها خاصة في محيط حدائق غراسة التبغ³.

1_ Zoubeidi Hocine, Op. Cit, p 115.

2_ AOM, 81 F 1666, (d.11): Délégation générale de l'Algérie. Service de statistique générale, Analyse sociale et Carte des densités humaines au Sahara, Alger, 1960, p 03.

3_ Cl. Bataillon: LE SOUF, Op. Cit, p 86.

أما العوايسة فيسكنها أكثر من ألفي ربيعي تنتشر مساكنهم ما بين الرقيبة والوكاويك، تمتد المزارع نحو الغرب في كل من منطقتي علق الواد وخبينة عادة، شمالا نجد نزلة الجايخ وهي أصغر وتضم هي أيضا مجموعة مركبة، سكنها الربايع ثم لحقهم أولاد جامع والمصاعبة من تكسبت وعميش والبعض من أولاد سعود، حيث نجد أكثر من أربعون عائلة وما يقارب ألف ربيعي مساكنهم منتشرة خارج النزلة¹.

بعض عناصر الخلاصة التي نخرج بها من الرقيبة وعميش خاصة، تشمل أيضا المقرن وحاسي خليفة حيث نفتقد إلى الوثائق والمعلومة الدقيقة، المقرن وحاسي خليفة حديثين ويغلب فيهما السكان الطرود، حاسي خليفة أحدث بقليل من الرقيبة وتضم أكثر من خمسة آلاف ساكن، خلافا لذلك المقرن أقدم خاصة إذا وضعنا في الحسبان الدريميني والنزالي الواقعة جنوب البلدة، كل هذه المجموعة تسكنها كتلة تفوق قليلا أربعة آلاف نسمة².

3 _ شبه الرحل والرعي في سوف:

تحصي سوف إلى غاية نهاية سنة 1962 ما يفوق مئة ألف ساكن من بينهم حوالي عشرون ألفا من شبه الرحل، الربايع حوالي 14 ألف نسمة تقريبا، بينما الفرجان والشعامبة والقطاطية يشكلون مجموعة من حوالي ستة آلاف نسمة، كلهم تقريبا يملكون ويغرسون النخيل في منطقة سوف، يرحلون أكثر من نصف السنة مع قطعانهم إلى الشمال والشرق والجنوب الشرقي من العرق الشرقي، إنهم واحدة من أكبر التجمعات المرتحلة شمال الصحراء.

المنطقة الأكثر استقطابا لهم هي الوادي التي فيها أضرحة أجدادهم وضواحيها يوجد نخيلهم، لكن الملاحظ أن غراسة النخيل في تضاعف سريع وهو نخيل للقبائل التي في طور الاستقرار أكثر منه من تلك التي استقرت فعلا، قبائل طرود شيئا فشيئا هجروا حياة الترحل لاسيما أولاد أحمد وهم الذين يعتبرون الأقدم استقرارا.

1_ Zoubeidi Hocine, Op. Cit, p 115.

2_ AOM, 81 F 1666, (d.11), Op. Cit, p 03.

البدو هم الأكثر اشتغالا بتربية الماشية في نفس الوقت هم الأقل اكتسابا للنخيل حيث تمثل أملاكهم من النخيل الخمس $\frac{1}{5}$ في الرقبة والربع $\frac{1}{4}$ في الشمال الشرقي مابين حاسي خليفة والبهيمة هذه النسبة تصل إلى الخمسين $\frac{2}{5}$ في جنوب سوف في منطقة عميش حيث نخيلهم الأكثر قدما¹.

اسم القبيلة	اسم العرش	العدد	تاريخ دخولهم سوف	نمط المعيشة
الطرود	الربيع	14 ألف	القرنين 17 و18م	شبه رحل
	القطاطية	06 آلاف		
	الفرجان			
	الشعامة			

جدول رقم 34: يبين تاريخ قدوم البدو إلى سوف وعددهم سنة 1962²

أ _ **الرحلة الدورية:** شبه الرحل الرعاة السوافة يقطنون على الأقل شهرين من فصل الخريف في الغوط وقت جني محاصيل التمور إن لم يكن الفصل كله، في هذا الوقت هناك رعاة يتكفلون بشؤون الماشية، ثم رحلة العودة تنطلق من ديسمبر إلى فيفري نحو المراعي الربيعية، حيث ينمو العشب حسب نسبة كمية الأمطار المتساقطة كل سنة، في السنة المطيرة تتجمع العائلات وقطعانهم ويفضلون الاستقرار في مكان خصيب، منذ نهاية شهر ماي تنتشر القطعان بحثا عن أماكن أكثر توفرا للأعشاب، وهو نفس الوقت الذي يبدأ فيه شد الرحال للعودة نحو الواحات وتبدأ أيضا الرحلة المرهقة للرعاة في التنقل المستمر بحثا عن الكلاء³.

هذه الفترات الثلاث خلال السنة، تختلف بين الرعي شمالا والرعي جنوبا؛ قبائل الشمال تمر على الحدود الشمالية للشطوط موسم العشب، وتظل في هذا الرواق حتى أسفل جبال النمامشة، حيث ظل البدو يتقدمون شيئا فشيئا منذ نصف قرن تقريبا، وهنا تزداد الحيلة والحذر في حراسة القطعان، أما قبائل الجنوب فتعيش أساسا في العرق الشرقي خاصة الجهة الشرقية على الحدود التونسية أثناء موسم العشب،

1_ C. Bataillon, Nomades et Nomadisme au Sahara (Les Rebaia, semi nomade de SOUF), Graphische Betriebe GmbH, Imprimerie R. Oldenbourg, Munich, 1963, p 113.

2_ SHDDE, 1 H 1107, (d.01): Monographie éditée par l'office algérien d'action économique et touristique sur: L'histoire des Nomades Soufi, Mars 1962, p 02.

3_ Balandier. G: Structures sociales traditionnelles et changements économiques –Sud Est Algérien–, Cahiers d'Études Africaines, n° 01, janvier 1960, Paris, p 13.

ثم داخل العرق قرب الآبار خلال موسم الصيف، في هذه الفترة تترك الماشية دون حراسة، لتعود وحدها لما تستشعر العطش، تجدر الإشارة هنا أن قطعان الماشية لقبائل الشعامبة والقطاطية لا تغادر أبدا العرق¹.

المكان	اسم الفرقة	المرعى	المنازل
شمال الملحقة	أولاد حجاج، المصاييح، الزيود، أولاد زقزوا، العلاونة، أولاد عيسى	شمال العرق الشرقي على سفوح جبال النمامشة	الرقيبة، الدييلة، البهيمه، حاسي خليفة
جنوب الملحقة	أولاد بلول، العتاييرة، لغواث، لفايز، الشواشين، الحوامد، المعاتيقي، الرقيعات	الظهر التونسي، جنوب شرق العرق الشرقي	جنوب الوادي، عميش

جدول رقم 35: يبين فرق الربيع وحركتهم الموسمية²

ب _ شبه الرحل وبوادر الاستقرار: إن الطابع المميز لغراسة النخلة في سوف سهّل على شبه الرحل ممارسة هذا النوع من الفلاحة، إنهم يشتركون مع فلاحين آخرين قد يكونوا اشتروا منهم بعض النخلات أو يساعدونهم على صيانتها، موسم جني التمور هو الذي يغري المربين على الالتحاق بسوف حيث توجد منازلهم، فماعدًا موسم الذكّار أي موسم تلقيح النخيل أو القطع أي موسم جني التمور لا شيء آخر يجبر المالك على البقاء قريبًا من نخيله، لأن نخيل سوف لا يتطلب السقي فهو نمط لا يربط الفلاح بالأرض كالأراضي المسقية، أما الرحل من ميسوري الحال الذين هم في العادة من منتسبي الجيش فيقوم الخماس على خدمة النخيل وصيانتته³.

تمر الغرس هو النوعية السائدة والأكثر استهلاكًا في سوف، حيث يحفظ معجوننا داخل جلود الضان وأكياس الكتان، الإنتاج السنوي لنخلة نالت حقها من العناية يفوق أربعون كلغ سنويا.

ولهذه التمور المحلية الاستهلاك أضيفت شيئًا فشيئًا دقلة نور المخصصة للسوق الأوربية، ولكن نسبة هذه الأخيرة ضئيلة في ملكيات شبه الرحل فهي تمثل العُشر ($\frac{1}{10}$) تقريبًا، أما عند عموم السكان فهي تمثل حوالي الربع ($\frac{1}{4}$) في مجمل سوف⁴، ويمكن تقدير ملكية البدو بحوالي 46 ألف نخلة أي بمعدل 16 نخلة لكل عائلة، على أساس أن عدد السكان الشبه الرحل يبلغ حوالي عشرين ألف نسمة وكل

1_ C. Bataillon, Nomades et Nomadisme au Sahara, Op. Cit, p 115.

2_ Ibid, p 114.

3_ André Voisin, Op. Cit, pp 380-381.

4_ Balandier. G, Op. Cit, p 14.

عائلة تتكون بما معدله سبع أفراد وهو ما يعطينا ضمينا حوالي ألفان وتسعمائة عائلة من الشبه الرحل، هذه الملكيات الصغيرة ماثلة لبقية الفلاحين من المستقرين.

الملكية الفلاحية ملكية فردية، لكن طريقة غراسة النخلة وصيانتها فيما بعد تجبر الفلاح من شبه الرحل اللجوء لطلب المساعدة من غيره من الفلاحين، وفي أغلب الحالات يكون من أحد الجيران في الملكية، ويرجع ذلك لكثرة الأشغال التي تتطلبها العناية بالنخلة، وما تجدر ملاحظته في الغوط تجاور عدة ملكيات لأفراد ينتمون لفرق أو عروش مختلفة، وهي الحالة العامة حيث نجد الفرق البدوية في جوار الفرق المستقرة من طرود أولاد أحمد، والمثال الأوضح لهذه الشراكة نجده في غيطان منطقة عميش، حيث يقارب عدد نخيل الغوط مئتي نخلة مقسمة على عشرات الملاك والجدول أسفله يبين بكل وضوح الاشتراك بين الطرود المستقرين والشبه الرحل كالفرجان والربايع.

العدد	الشبابطة	العزازلة	أولاد أحمد	الربايع	الفرجان	المجموع
الملاكين	10	01	01	09	02	23
النخيل	77	04	03	89	18	191

جدول رقم 36: يحصي الملاك في أحد غيطان عميش¹

القاعدة العامة، السكن في الخريف بجانب الواحة أو فيها، في الخيمة أو الزريبة، الخيمة تنصب كل عام في نفس المكان، كل عائلة تمتلك غرفة للخزين (دار الخزين)، وهي عموما مستطيلة الشكل ذات خمسة أمتار طولا ومترين ونصف عرضا وتعتبر النواة الأولى للاستقرار النهائي، فيها تُخزن محاصيل التمور والقمح وغيرها من المخزونات، في السنوات الأخيرة الخيمة أصبحت قليلة الاستعمال، لهذا حاليا وفي العادة خلال فصل الخريف يقام حاجز من جريد النخل يعرف بالزرب يحيط بدار الخزين والخيمة إن وجدت، وفي حالة الاستقرار النهائي يعوّض الزرب حائط يضم عدة غرف تفتح على بهو يتوسط الحوش وهو المخطط النموذجي التقليدي لجميع منازل المستقرين².

لكن إنجاز مسكن كبير وجديد مثل كثير من المستقرين لا يستطيع إنجازه إلا الرحل الميسورين أي منتسبي الجيش وهو ما نلاحظه لدى الربايع والشعامبة على وجه الخصوص.

1_ SHDDE, 1 H 1214, (d.03):Populations nomades du Sud Algérien, Rapports mensuels de renseignements reçus de la direction des territoires du Sud, Rapport du Décembre 1958, p 02.

2_ BISSON. J: Le Nomade, l'oasis et la ville, Cahiers d'URBAMA, n° 20, 1989, Tours, p 288.

في العادة منازل شبه الرحل هي تجمع لأفراد العائلة البطيركية أو تجمع لفرقة أو عرش في منازل متراصة مثل ما هو موجود في الرقبة، حيث نجد ثلاث قرى خاصة بالشبه الرحل في نزلة بير البشير ونزلة الجايخ ونزلة العوايسه؛ بعيدا عن السكان المستقرين، كذلك الحال في منطقة عميش في نزلة لبامة أين نجد منازل فرقة الربيع الرقيعات وشيخهم البشير بن لحميم، هناك منازل قليلة للسكن وتكاد تكون دور خزين فقط¹.

هناك أيضا منازل يعيش فيها أعضاء الفرقة مشتركين، والحالة الأكثر وضوحا نلاحظها في جامع ميده شمال قرية الديلة، في الوقت الحالي نجد 152 خيمة أنجزت دور مخازنها على طول الشارع، والتي أصبحوا يشغلونها معظم الوقت، بالمقابل كنا نجد قبل هذا التاريخ في نفس المكان في الربيع أربع أو خمس خيم أو زرائب قد نصبت في الواحة، إنهم بدو بدون ماشية وبدون نخيل أيضا وكذلك بدون أولاد يستطيعون الذهاب للمراعي لجمع الجلة أو الحطب، مجتمع مشابه نجده في نزلة الجديدة حيث منازل شبه الرحل والمستقرين من الشبابة والعزالة.

أحيانا نجد تجمع شبه الرحل من فرق مختلفة؛ مجتمعين حول ضريح أحد الأولياء طمعا في بعض الاستفادة من الأسرة المرباطية، الاستقرار أكثر سرعة من قبل في المنازل المأهولة حول زاوية سيدي ليمام في عميش، أما النزلة الأقدم فهي البياضة فقد نشأت نتيجة الاستقرار التام للشبابة والعزالة قرب زاوية الطريقة التجانية².

4 _ الأجنب في سوف:

أ _ الزواج:

لقد ظل عدد الزواج في ملحقة الوادي في تناقص مستمر حتى انخفاض إلى ثمانين أو تسعين بالمئة. بلغ عددهم سنة 1955 حوالي 528 فردا يتوزعون كالتالي:

الفئات العمرية														القبيلة
المجموع		أكبر من 80 سنة		من 60 إلى 79 سنة		من 46 إلى 59 سنة		من 26 إلى 45 سنة		من 16 إلى 25 سنة		أقل من 15 سنة		
		إ	ذ	إ	ذ	إ	ذ	إ	ذ	إ	ذ	إ	ذ	
110	151	01	01	05	16	08	20	32	43	26	44	38	27	المصاعبة

1_ Zoubeidi Hocine, Op. Cit, p 115.

2_ C. Bataillan, Nomades et Nomadisme au Sahara, Op. Cit, p 118.

30	29	00	00	02		01	02	07	12	07	04	13	11	الأعشاش
50	84	01	02	00	04	01	09	19	27	09	18	20	24	الأعشاش (البدو)
36	38	00	00	01	08	08	05	11	09	02	04	14	12	أولاد سعود
226	302	02	03	08	28	18	36	69	91	44	70	85	74	المجموع
528		05		36		54		160		114		159		

جدول رقم 37: يحصي عدد الزنوج بملحقة الوادي سنة 1955¹

منذ القدم يعتبر السود أداة للإنتاج، لذلك نجد على الدوام عدد الذكور أكثر من الإناث، كما أنهم قليلي التكاثر، لا يتحملون مناخ سوف، صحتهم سريعة العطب، الأمر الذي جعلهم فريسة سهلة للأمراض والأوبئة، غير أن تجارة الرقيق التي كان سوقها مزدهر على الدوام، كانت تحول دون ظهور النقص الفادح في أعدادهم²، كما لهم ثلاثة قادة منهم تم تعيينهم قديما في كل من الوادي، كوينين وعميش، لم يبق حاليا سوى قايد الوصفان في الوادي، حيث عددهم مازال يستوجب وجوده. ما هو إلا قائد للرقص، ولا تعود عليه وظيفته سوى بحصة أكبر عند توزيع الهدايا التي يتحصل عليها ديوان مجلس الوصفان³.

إنهم ينتشرون عبر إقليم الملحقة، ولا يشكلون مجتمعا منظما قائما بذاته، كلفهم هذا التشتت خسارة عاداتهم وتقاليدهم وحتى لغتهم الأصلية؛ الحاوسة التي كانوا يستعملونها بكل طلاقة قبل 50 سنة، وربما لم يبق من تقاليدهم سوى احتفاظ النساء بتسريحة الشعر في ضفائر صغيرة متراصة، أو حفلهم السنوي المعروف بسيدي مرزوق، حيث نشهد ما تبقى من رقصات وأغاني موروثة.

يتضامنون فيما بينهم حسب الإمكانيات المتاحة، وحتى إن لم يشكلوا مجتمعا منظما؛ تبقى تربطهم تلك الصلة العميقة والقوية، صلة وحدة الجنس⁴.

1_ Leselle. R: Les Noirs du Souf, , Op. Cit, p 26.

2_ CHAPELLE.J: Nomades noirs du Sahara, Plon, Paris, 1957, p 211.

3_ Breil. J: La population en Algérie, Etude de démographie quantitative, Documentation française, Paris, 1957, p 76.

4_ Passager. P: Les populations sahariennes, Bulletin de Liaison Saharienne, n° 34, Juin 1959, Imp LA TYPO-LITHO et J. CARBONEL, Alger, p 180.

ـ وضعهم الاجتماعي: يشكل الزوج السوافة طبقة دنيا حتى وإن كانوا أحراراً، يبقى لقبهم يحمل آثار ارتباطهم القديم؛ وصيف عادة أحمد، وصيف عثمان، عتيق زيد وغيرهم، يؤسهم أو عيشهم الميسور لا يختلف كثيراً عن باقي السوافة، يتوزع القادرون من الرجال على العمل حسب الوظائف المعروضة كما يلي:

الرقم	الحرفة	المصاعبة	الأعشاش	الأعشاش (البدو)	أولاد سعود	المجموع
01	عامل يومي	68	09		10	87
02	الرعي	29	02	54	08	93
03	الفلاحة	01	03			04
04	إسكافي		01			01
05	التجارة	02				02
06	سائق		01			01
07	السقاية		01			01
08	الجيش	07	01			08
	المجموع	107	18	54	18	197

جدول رقم 38: يوضح مهن الزوج في ملحقة الوادي سنة 1955¹

من بين هؤلاء، هناك حوالي عشرة يعملون لحسابهم الخاص؛ يملكون بعض رؤوس الماشية أو نخلات معدودات، يجدون الإضافة الضرورية لتحسين مدخلهم؛ إما في حراسة قطع الآخرين أو في نقل الحطب والجلّة، التي يبيعونها في السوق.

أغلبهم رعاة أو عمال يوميين؛ يعملون في ورشات البلدية، في مصلحة صيانة الطرق والسكة الحديدية مع الطابع المؤقت للعمل، إلا أنهم يتأسفون عند المغادرة، لأن هذا العمل أقل تعباً وأكثر أجراً من العمل في الفلاحة أو الرعي، يتأسف الكثير من الأحرار منهم على الزمن السابق؛ حين كانوا أقل حرية لكنهم لم يكونوا قلقين على مستقبلهم الذي يحرص عليه سيدهم².

1_ Leselle. R, Op. Cit, p 20.

2_ Passager. P, Op. Cit, p 180.

يعيش زنوج سوف مدمجون في العائلات التي ينتسبون إليها، يخضعون بعفوية لسلطة رب العائلة، الذي يعتبر كالأب وليس كالسيد، روابط أساسها العقيدة الدينية المشتركة ويطبعها الود المتبادل، أحسن دليل على ذلك؛ الحاج علي عتيق زيد كبير الخدم في زاوية عميش، يحترمه الناس كثيرا لأنه يحمل صفة الحاج، إحدى زوجاته بيضاء وابنته متزوجة برجل أبيض، أنجب ثلاثة أبناء؛ أحدهم عسكري والآخر تلميذ في المدرسة الابتدائية والثالث مازال صبيا¹، يعد صغار الزنوج الذين يزاولون الدراسة في سوف على أصابع اليد الواحدة، يكفي هذا أن يبين مدى تدني مستوى الخصوبة لديهم².

بما أن سود سوف مسلمون فإنهم ينتسبون لنفس الطريقة الصوفية التي يتبعها أسيادهم، كما يتبنون نفس أفكارهم السياسية³، كما التحق العديد منهم بصفوف المجاهدين مع فجر سنة 1955.

ب _ اليهود:

إن تتالي هجرات اليهود على المنطقة وتزايد أعدادهم، كان وراء توسعهم وانتشارهم في العديد من القرى والمناطق المختلفة كالرقبية، قمار، الوادي، تغزوت، كوينين، الزقم ومنطقة عميش⁴.

_ انتشارهم في وادي سوف: في الوادي المدينة كان أكبر تركز لهم بحي الأعشاش في رحبة اليهود، التي كانت تسمى في القديم زنقة البلد؛ وهو أول شارع في السوق يربط بين رحبة اليهود ومقر المكتب العربي، وهذا الاختيار ليس اعتباطيا.

من أسماء اليهود المتداولة في الرحبة نجد؛ السمح، مرخادي، حواتي، توتة بن شمعون وغيرهم، هؤلاء عاشوا في الرحبة الصغيرة، أما الرحبة الكبيرة فكان فيها شلومة، حايم وشعيا وغيرهم، أما النساء فمنهن خميسة، غزالة، شلبية الأرملة بية، علجية، حنة، رحيل وسمحة بنت حايم وغيرهن، عددهم برحبة اليهود بالوادي يتراوح بين 32 إلى 50 عائلة⁵، أما في تغزوت فوجدت حوالي سبع عائلات على حسب

1_ Zoubeidi Hocine, Op. Cit, p 116.

2_ J. Breil: La population en Algérie, Etude de démographie quantitative, Documentation française, Paris, 1957, p 76.

3_ Leselle. R, Op. Cit, p 47.

4_ علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الإحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1882 - 1954، المرجع السابق، ص 277.

5_ عبد الكريم شتحنونة، اللقاء السابق.

البيوت التي ملكوها الواقعة كلها بحي العتيق يسار الطريق المعبد، بينما بعضهم سكنوا غيطانهم الواقعة شرقي البلدة.

كما استقطبت قمار حوالي 30 عائلة استقرت بباب الظهر اوي، ونظرا لتزايد عددهم فإن البعض من العائلات اضطرت للاستقرار في بير بوسته الواقع شرق المقبرة الكائنة بحي السوق، بحيث وصل عدد مساكنهم نحو 16 منزلا .

في الرقبة ملكوا الغيطان، كما في واد زيتن وخبينة عادة؛ وهي مناطق معروفة بغراسة النخيل، كانوا يأتون أوائل الصيف من قمار والوادي ويرحلون أواخر الخريف بعد جني تمورهم، وجدت منازل في قلب سوق الرقبة كانت لليهود منها منزل الربى شلومة وموشي الذي كان المسؤول عن الصلاة لدى الطائفة، أما إسحاق الربى فكان يأتي من قمار كل نهاية أسبوع للقيام بعملية ذبح حيواناتهم¹، كوينين قدموا إليها من قمار والوادي لغرض العمل والتجارة سواء في السوق أو التجول في الشوارع كدلالة، كما وجد من ملك غوط، أما البياضة قصدوها بغرض ممارسة حرفة الحدادة والتجارة ولم يسكنوا فيها، كذلك الرباح كان فيها يهودي اسمه الحبيب ويتجول لبيع القرايش، في كل المناطق التي قصدوها كانوا ذوي نمط انعزالي يفضلون العيش ضمن تكتلات اجتماعية ربما من أجل الحفاظ على مجتمعهم وعلى خصائصه الدينية².

— اللباس: اتسم لباسهم بالطابع السوفي المحلي، لبس اليهودي الشاش على الرأس والقندورة وأيضا القشابية والبرنوس، أما اليهوديات فلم تبتعدن كثيرا عن لباس النساء السوفيات، ارتدين الحايك الذي كان يعد اللباس التقليدي للمرأة السوفية، أما الروب فقد عرفت به يهوديات قمار ويتميز بألوانه الزاهية، الفتيات الصغيرات ترتدين الفساتين القصيرة ذات الطابع الورقلي أو المزاي الواسع قليلا، هن أيضا مثل السوفيات فيما يتعلق بوضع الزينة كالحناء وكحل العينين والسواك وغيرها.

1_ عبد الفتاح ونيس: تاريخ قمار وأخبار أهلها، كتاب مخطوط بمكتبته المنزلية، حي الباب الغربي، قمار، ولاية الوادي، ص 28.

2_ نجيب الله خليل: اليهود في المغرب العربي وسوف، كتاب مخطوط بمكتبته المنزلية، حي أولاد أحمد، الوادي، ص 08.

فيما يتعلق بالمظهر العام لليهود، الرجال في الغالب يربون اللحى ويضعون السالف، عادة لا يظهر لأنه تحت الشاش، أما الصغار والرجال الأقل من سن الأربعين، فإنهم حليقي الرؤوس واللحى وبيقون على سواف صغيرة¹.

هياتهم مشابة للسوافة، مع تميزهم عموما ببشرة فاتحة اللون وبيضاء ومنها ما هو لدرجة الاحمرار، تعلق وجوههم نقط سوداء اللون (النمش)، كما وُجد من هم يشبهون السوافة في لونهم، نسائهم حسنات المظهر، ذوات شعور ملساء وطويلة، فيهن من اتصفت بالجمال الخلاب مثل الممرضة ياقوتة، غير أنهم بصفة عامة غير نظيفين لا في الهيئة ولا في بيوتهم مع أن بعضهم ميسوري الحال ومرتب المظهر والهندام.

كما تمكنوا من إجادة اللهجة السوفية، وإن كان يميزهم الخفة والسرعة في الكلام، أما فيما بينهم يتكلمون العبرية، والوثائق الرسمية تدل على ذلك، فعقود البيع والشراء مكتوبة باللغتين العربية والعبرية².

يهود الوادي يعقدون قرائهم في المعبد اليهودي، في قمار نجد الربى فراجي مكلفا بعقد القران، وكأعراس أهل سوف فإنهم يحتفلون بالغناء والطبل، وكان شلومة بعوده يعزف في حفلات الزفاف بأغاني محلية وتونسية، كما يتغنون بأورشليم وزاد النبي وفرحنا بيه مجاملة للسوافة ترافقها زغاريد نسائهم، اللائي وجدت منهن مغنيات وعرفن بحلاوة أصواتهن مثل سيرة بنت أشير، أما الفنان اليهودي التونسي الشيخ العفريت فقد قام بزيارة خاله داوود في الوادي عام 1937م وغنى رفقة شلومة³.

عرف اليهود أيضا تعدد الزوجات ويتفاوت عددهن حسب ثروة الزوج ومكانته، فكان لحايم زوجتين؛ السمحة وحنة، وفي قمار كان لشمعون زوجتين إحداهن عاقرا.

__ التعليم: كبعض أبناء سوف، حظي أبناء اليهود أيضا بقدر من التعليم في المدارس الفرنسية، واعتبر المتدربين اليهود مثلهم مثل السوافة في الدرجة وكلهم أقل بالنسبة للمعمرين الفرنسيين، سجلت

1_ Leselle. R: Populations de l'O.C.R.S, Bulletin de Liaison Saharienne, n° 30, JUIN 1958, Imprimerie E. IMBERT, Alger, p 153.

2_ الجباري عثمانى: النشاط الإقتصادي لطائفة اليهود في مدينة الوادي أواخر القرن الـ 19 م على ضوء وثائق المحاكم الشرعية، مجلة البحوث والدراسات، العدد 14، السنة 9، جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي، صيف 2012، ص 308.

3_ عبد الفتاح ونيس، المرجع السابق، 29.

المدرسة الابتدائية بالوادي 69 تلميذ يهودي منذ تأسيسها حتى سنة 1947، في نفس الفترة تقريبا عرفت قمار تدرس 51 من أبناء اليهود¹.

__ الأوضاع الدينية: باعتبار الجالية اليهودية لها عقيدة وخصوصية دينية، فقد أنشأت بيع في سوف، بيعتين بالوادي الأولى صغيرة بالرحبة الكبيرة والتي ملكها الرخ فيما بعد، والثانية كبيرة بالرحبة الصغيرة حولها غيلاني إلى محل تجاري بعد الاستقلال، هذه الأخيرة كانت مخصصة لتعليم التوراة، أما الأخرى فهي لأداء الصلوات والطقوس الدينية المختلفة، بينما بيعة قمار تقع في الباب الظهرراوي، أنشأت سنة 1931، والربي فراحي هو المسؤول على التعليم بها.

__ النشاطات الحرفية: احتكر اليهود حرفة الصياغة التي تعد من الصنائع المركبة والدقيقة والمرحلة أيضا، ويُعد حاييم من أمهر الصاغة في الوادي، اهتموا بصناعة الحلبي المحلية التي عليها الطلب في المنطقة كالخلاخل، الخواتم، الأساور وغيرها²، كما عملوا بالحدادة وصناعة أدوات الاستخدام اليومي وتصليح أعطاب الأواني المنزلية، حيث كان داويد الأعمى ينادي في الشوارع متجولا: جبار أماعين.. جبار أماعين..³، كما احتكروا صناعة قراديش الصوف وكل ملحقات وأدوات النسيج والرحي والغرايل، كما يصنعون الخطارة، بقمار عملوا في مهنة الخياطة، عمل فتالي وإسحاق في دكان بها أربعة آلات من نوع سانجير، أصبحت فيما بعد ملكا للسيد محمد الصغير لمخبط؛ الذي اشترى الدكان ولوازمه منهما⁴، عرفوا باحتكارهم للحرف ولا يعلمون الناس ليقوهم في حاجة دائمة لهم.

أتقنت النساء اليهوديات بعض الأشغال اليدوية وأعمال الحياكة كالكروشي، نسج الزرابي وحياكة الأغطية، ووجدت يهوديات يقمن بثقب آذان الفتيات الصغيرات، كما عملت أربع يهوديات في مشفى الوادي، حيث تعلمن أساسيات تطبيب الجراح وغرز الحقن⁵، وهن: ياقوتة بنت توتة، مليكة، وية بنت حواتي الأصلع وغزالة بنت شلبية.

1_ نجيب الله خليل، المرجع السابق، ص 07.

2_ علي غنايزية: مجتمع وادي سوف من الإحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1882 – 1954، المرجع السابق، ص 277.

3_ عبد الكريم شتحنونة، اللقاء السابق.

4_ عبد الفتاح ونيس، المرجع السابق، 28.

5_ Leselle. R: Populations de l'O.C.R.S, Op. Cit, p 153.

— اشتغالهم بالتجارة: تبعا لوضع المنطقة الاقتصادي ومكانتها جغرافيا، مارس اليهود التجارة على غرار أهل سوف، خاصة بهيمنتهم على قطاع الحرف، كما استغلوا حاجة الناس وعوزهم لتوريثهم بقروض ربوية، والاستحواذ على أملاكهم في حال عجزهم عن سداد ديونهم. تاجر اليهود بالعقار وملكوا الدكاكين والبيوت، كما سعوا للتوسع خارج أحيائهم، لم تقتصر التجارة على الرجال من اليهود فقط، بل حتى نساؤهم مارسن الدلالة بين النساء السوفيات في البيوت، بسلع متعددة كالحلي والعقاير والطلاسم السحرية، كما روج يهود الوادي الخمر كحانة شلومة بن اتياس في رحبة السوق¹.

يجدر التذكير بأن يهود سوف كان لهم حضور على الساحة السياسية المحلية، حيث شارك اليهودي اتياس رمون المدعو توتة ضمن القائمة الانتخابية الفائزة بانتخابات بلدية الوادي في الخامس من أفريل 1959، والتي ترأسها المعمر روبسكي بذلك أصبح توتة عضو بالمجلس البلدي بالوادي².

غير أن تمادي اليهود في ممارسة الربا والغش، نفر منهم السكان وجعلهم يتحاشون التعامل معهم، فاضطروا لمغادرة قرى تغزوت، الزقم وكوينين، في حين بقي في الوادي وقمار والرقية ما يقارب 300 يهودي، تناقصوا إلى حوالي مئة مع حلول سنة 1959، في قمار لم يبق سوى يهودي واحد عام 1960 يدعى "ولد مرمك"؛ كوكيل عن ألفي يهودي الذين غادروا، آخر من تبقى منهم حزم حقائبه نحو فلسطين المحتلة في شهر جوان 1962³.

ت _ الأوربيون:

لقد كان وجود الأوربيين لا يمثل إلا نسبة ضئيلة من مجموع سكان الملحق، كما تباين عددهم من سنة لأخرى:

السنة	1931	1942	1954	1956	1960	1962
عدد الأوربيين	50	100	300	310	450	187

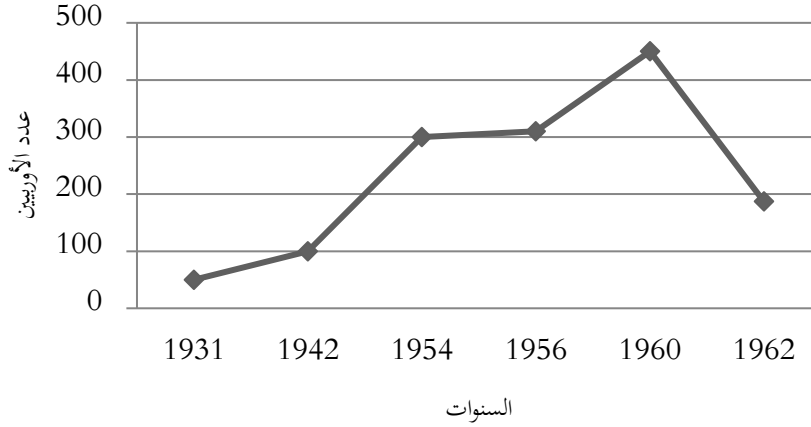
جدول رقم 39: يوضح عدد الأوربيين بملحق الوادي (1931 - 1962)

وللتوضيح أكثر لما ورد في الجدول نرسم المخطط البياني التالي:

1_ علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الإحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1882 - 1954، المرجع السابق، ص 116.

2_ Passager. P, Op. Cit, p 180.

3_ أندري روجي فوازان: سوف مونوغرافيا، تر: أبوبكر مراد، دار المعرفة، الجزائر، د. ط، 2016، ص 128.



شكل رقم 10: مخطط بياني لحركة الأوربيين بملحقة الوادي (1931-1962)

لقد كان عددهم في ازدياد مضطرد من سنة إلى أخرى وإن تسارعت وتيرة تلك الزيادة مع اندلاع الحرب التحريرية حتى بلغ أوجه سنة 1960، ليشهد ذلك التحول العددي التصاعدي السريع سقوطاً حراً مع نهاية السنة المذكورة، وسرعان ما انقلب إلى تحول عكسي تناقصي بفعل الانتصارات الميدانية للمجاهدين، حيث تناقص عددهم إلى أقل من 200 فرداً سنة 1962 بفعل رحيل أغلب عناصر الجيش ولم يبق منهم سوى 25 عسكرياً. معظم الباقين من الإطارات الإدارية أو الشبهيين من بينهم خمسون طفلاً، أما البقية فهم: 42 موظفاً منهم 32 معلماً، 13 من الإخوة والأخوات البيض، 15 من منتسبي مركز التمهيين وعشرة ينتمون للقطاع الخاص¹.

ثانياً _ المرأة السوفية والاستعمار الفرنسي:

1 _ مظاهر حماية المجتمع للمرأة من الغزو الثقافي الاستعماري:

حاول المستعمر الفرنسي منذ أيامه الأولى أن يكشف ستر المرأة السوفية ويدمجها في حياة الرجال ويخرجها إلى المجتمع بحجة نشر الحضارة؛ ولكن المجتمع فهم اختلاط المرأة بالرجال وخروجها الحر بأنه اعتداء سافر على العقيدة والهوية في مجتمعهم المحافظ.

1_ AOM, 81 F 1037, (d.02):Départs d'Européens d'Algérie, statistiques et états numériques des départs (1961), service des affaires politiques et de l'information du ministère d'État chargé des affaires algériennes, août 1962, p 15.

أ _ مظاهر حماية المجتمع للمرأة:

ظل أهل سوف يعتبرون مجرد وقوع عين الفرنسي (الأجنبي) على المرأة انتهاكا لعرضها الذي يستوجب منهم الدفاع المستميت، ولو كلف الرجل حياته، مثلما فعل الطالب "صالح بالزلاسي" الذي مر بعض الجنود بالقرب من بيته المكشوف فشاهدوا نساءه في المنسج، فاسترعى ذلك انتباههم فبقوا ينظرون بفضول فخرج إليهم وواجههم لوحده واستمات في الدفاع عن عرضه المهان، فحاولوا أن يشرحوا له الأمر ولكنه أصر على مقاتلتهم فحملوه بعيدا عن بيته وقتلوه.

_ تجنب علاج المرأة عند الطبيب الفرنسي، لأن الكشف عن المرأة من طرف الطبيب الفرنسي في نظر المجتمع المحافظ يعتبر نوعا من الاستهتار الذي لا يجوز السكوت عنه، ومجرد الكشف عن وجهها للأجنبي يعتبر جريمة نكراء فما بالك أن يلمس جسدها أو يعالجها رجلا من الفرنسيين؛ وهو ما أدى إلى تنظيم مظاهرة احتجاجية في منطقة اعميش في حدود سنة 1910 عندما أراد الطبيب الفرنسي فحص النسوة وتطعيمهن ضد الأوبئة.

_ محاربة الاختلاط بين الجنسين: لقد وقف المجتمع متحفزا من كل سلوك تبادر به الإدارة الفرنسية بوادي سوف ومنعوا أبناءهم من الاختلاط بهم في التعليم خوفا من تغيير عقيدتهم واعتبروا أي شكل من الاختلاط بين الرجال والنساء من المحرمات الشرعية، حتى اضطرت السلطات الإدارية إلى فتح مدارس خاصة بالبنات وأخرى للبنين¹.

ب _ التحوّل إلى تعليم الفتيات:

التعليم هو أحد سبل التغيير ورسم معالم حياة أفضل، وهذا ما كان يراه أهل سوف إلا أن ذلك الأمر لم يدخل حيز التنفيذ لعدة اعتبارات، خاصة عندما يتعلق الأمر بمسألة تعليم المرأة.

كان هناك تردد كبير من سكان وادي سوف في بادئ الأمر، وتأخروا في إرسال بناتهم إلى المدارس، وظل الإقبال بطيئا ومنحصرا في فئة الذكور، أما الفتيات فلم يكن لهن أدنى اعتبار في العملية التعليمية، فالعائلة تستغل الفتاة في العمل المنزلي الذي تدرب عليه لتكون ربة بيت في مقتبل عمرها

1_ علي غنابزيّة: مجتمع وادي سوف من الإحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1882 – 1954، المرجع السابق، ص 117.

وعقب بلوغها مباشرة تجد الزواج ينتظرها، حينئذ سعت الإدارة المحلية إلى إقحام الفتاة الصغيرة وفق مرحلة دامت نحو عقدين من الزمن، وبدأ دخولها بمبادرة من المعلم الأهلي "العيد بن الساسي هقي" بتدريس بناته الثلاث بالقسم المختلط بمدينة قمار في أكتوبر 1919؛ وهن الزهرة، وفاطمة، وتبر، وفسح المجال لابنته الرابعة مريم، فكانت أول فتاة تدرس في المدرسة الأهلية، وتم تسجيلها يوم 17 ديسمبر 1942 بمدرسة الوادي¹.

ليتم سنة 1942 فتح ورشة الأخوات البيض بمدينة الوادي، وهي بمثابة مركز للتكوين الحرفي والتدبير المنزلي، ضم عددا معتبرا من البنات، يتلقين فيها تكوينا ميدانيا. وهو الأمر الذي مهد لفتح مدرسة البنات بقمار في مستهل شهر أكتوبر 1948، في حين أن مدرسة البنات بالوادي بنيت سنة 1949².

تعتبر الكتابات الفرنسية إخراج البنات إلى المدارس بوادي سوف وغيرها، دفع لعجلة التطور قدما وفسح مجال الحضارة التي تغزو المنطقة شيئا فشيئا من قبل المرأة، وهكذا تم إقحامها واكتظت صفوفها بالبنات، وصار الإقبال مطلبا شعبيا، حتى بلغ سنة 1960 حوالي 564 تلميذة ومما إن حل الموسم الدراسي في أكتوبر 1962 حتى وصل إلى ما يربو عن 949 بنتا متمدرسة³.

2_ المرأة السوفية وتحول الأدوار:

لقد كانت المرأة السوفية تسهم منذ القدم في تدعيم اقتصاد الأسرة، عملت إلى جانب الرجل في الغوط إضافة إلى تحملها لجميع الأعمال والأعباء المنزلية، مشكلة بذلك شريحة اجتماعية أساسية ومكونا رئيسيا من مكونات المجتمع السوفي، لذلك كان حضورها ضرورة ملحة في مقاومة الواقع اليومي، سواء أكانت ربة بيت تعني بالأسرة وتوفر لها لوازمها وتدير شؤونها المنزلية، أو عاملة في الغوط أو في المنسج أو راعية للغنم، دورها الاقتصادي والاجتماعي كان حاضرا بقوة، لذلك لا يمكن فصل المرأة وأنشطتها عن الأسرة والأهل، ولا يمكن عزلها عن الشريحة الاجتماعية التي تنتمي إليها، ولا عن الواقع الجديد الذي أفرزته الحرب التحريرية.

1_ علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الإحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1882 – 1954، المرجع السابق، ص 111.

2_ أندري روجي فوازان، المرجع السابق، ص 320.

3_ نفسه، ص 322.

السوفية لم يقتصر دورها على تكوين رجال أشداء قهروا المستعمر في كثير من المحطات، بل شاركت في بعض المعارك وأبلت البلاء الحسن متى سنحت لها الفرصة.

كثيرات هن النساء اللائي خضن معارك الشرف والكرامة ولم ييخلن بالتضحية من أجل تحرير الوطن واستقلاله منذ أن وطئت أقدام المستعمر الفرنسي أرضنا عام 1830، كما سجل التاريخ ومازال يسجل حضورها المشرف من خلال مقاومتها الباسلة ودفاعها المستميت إلى جانب الرجل، فكانت عنصرا فعالا تشد أزره وتموينه بالزاد، وتضمّد جراحه وتجيّد مواساته فهي المجاهدة والمسبلة والمناضلة والفدائية بالإضافة إلى كونها ممرضة ومرشدة.

لقد كانت المرأة السوفية على موعد مع التاريخ عبر مختلف مراحلها خاصة خلال حرب التحرير لتبرز مشاركتها الفعالة في الكفاح المسلح عبر تأديتها لعدد من المهام التي اقتضت ضرورة الكفاح القيام بها، ومع خطورة هذا الأخير إلا أن قوّتها الروحية وحبها للجزائر مكنتها من التصدي لقهر المستعمر الفرنسي والمساهمة في تحرير الجزائر، لقد احتفظت لنا سجلات أعضاء جيش وجبهة التحرير الوطني بما لا يقل عن 120 مجاهدة وخمس شهيدات سوفيّات¹، كما احتفظت الذاكرة الشعبية بوادي سوف بأسماء ما لا يقل عن خمسين امرأة تم اعتقالهن إثر معركة صحن الرتم بالمقرن في 15 مارس 1955، حيث تم تجميع عوائل المجاهدين داخل برج المراقبة العسكرية بالعضل في صحراء حاسي خليفة يوم 17 مارس 1955 لمدة إحدى عشرة يوما، ثم ألحقوا بهم عرش أولاد زقزاو²، فاجتمعت بالبرج حوالي خمسون امرأة، ليتم تحويلهم إثرها مشيا على الأقدام لمدة عشرة أيام تحت حراسة مشددة من طرف مھاريست العرق الشرقي، زج بهم في النهاية داخل برج أميه ربح الموحش³، عرضة للشمس والرياح الموسمية الحارة والحشرات الزاحفة في تلك الصحراء الخالية، ومن النساء من وضعت مولودها هناك، بعد يأس السلطات من الحصول على أي معلومة تفيد مصالحها تم الإفراج عن الدفعة الأولى في السابع من أوت 1955 والثانية عند نهاية نفس الشهر بعد خمسة أشهر من الإرهاب النفسي والعنف الجسدي، وبعد بحث في الأمر توصلنا إلى القائمة التالية بأسماء المعتقلات:

1_ مديرية المجاهدين، المرجع السابق.

2_ هو العرش الذي ينتمي له القائد الشهيد حمه لحضر.

3_ برج المراقبة في عمق العرق الشرقي الكبير على الحدود الجزائرية التونسية، تم إنجازه مع بداية الحرب العالمية الأولى سنة 1939.

الرقم	الاسم واللقب	الرقم	الاسم واللقب	الرقم	الاسم واللقب	الرقم	الاسم واللقب
01	غربي فاطمة	13	لمقدم الضاوية	25	داسي مريم	37	علاق جمعة
02	عماري عرعار	14	لمقدم مسعودة	26	داسي مبروكة	38	بن بوزيد خديجة
03	عماري مبروكة	15	لمقدم جمعة	27	معيزة مسعودة	39	بن بوزيد خيرة
04	عماري حدي	16	لمقدم عائشة	28	وابنتها	40	بن عمر خديجة
05	عماري هنية	17	الشايب مبروكة	29	سديرة دلولة	41	بلنوار الزهرة
06	برايسة اليامنة	18	الشايب جميلة	30	سديرة حفصية	42	سولم الصافية
07	برايسة عايشة	19	الشايب بشيرة	31	لسود فاطمة	43	شعباني فاطمة
08	برايسة الجبارية	20	بلالة فجرة	32	عمارة خديجة	44	شوية مسعودة
09	برايسة مسعودة	21	بلالة مسعودة	33	عمارة الزهرة	45	شنيبة فاطمة
10	لمقدم عائشة	22	بلالة عائشة	34	عماري مبروكة	46	رزيق شويخة
11	لمقدم مبروكة	23	بلالة خديجة	35	عماري هنية		
12	لمقدم عائشة بنت محمد	24	داسي الزهرة	36	عماري غنية		

جدول رقم 40: قائمة النساء المعتقلات ببرج أميه ربح سنة 1955¹

3 _ مظاهر مساهمة المرأة السوفية في الثورة التحريرية:

ساهمت المرأة السوفية بأعمال عديدة تمكنت من خلالها الاندماج في العمل الثوري داخل وخارج الوطن، وأوكلت لها أنبل الأعمال من جهة وأخطر المهام من جهة أخرى أهمها:

- حمل السلاح: لعبت المرأة دورا مشرفا في الثورة فكانت الجندية المجاهدة ضمن وحدات جيش التحرير وتدربت على أساليب الحرب وحمل السلاح، مشكلة بذلك عنصر الإصرار والتحدي الذي لا يلين، لهذا لا غرابة لما نجد مريم رحومة في عمق هود شيكة برفقة المجاهدين عند اشتداد المعركة تحفر البئر وتسقي المجاهدين، كما كانت الفدائية الشهيدة بحير الحادة مكلفة بدور مهم كقيامها بعمليات خاصة ودقيقة مكانا وزمانا، ومثلها أختها الشهيدة حمي مسعودة التي تنقل الأسلحة للفدائيين للهجوم على مراكز أو ثكنات العدو وغيرها من المهام²، كما لا ننسى الفدائية زينب حرة التي ساهمت في عدة

1_ قائمة توصل لها الطالب من خلال جمع عدة شهادات شفوية.

2_ عبد الحميد بسر: صرخة الأم والحزن "شهداء رمضان 1957"، ط 1، مطبعة سامي للنشر والتوزيع، الوادي، 2020، ص 165.

عمليات فدائية بضواحي باريس في كل من نانثير، سانت دوني وحي جون فيليي، استطاعت أن تقلق العدو وتنتشر الرعب في عقر داره¹.

- مسيلة: كانت تقوم بالاتصالات بين الجبهة والجيش وحراسة المجاهدين أثناء تأدية مهامهم، كما تقوم بحمل الوثائق والسلاح وشراء الملابس والأدوية وإيصالها لإخوانها المجاهدين مع حراسة العدو المشددة وحملاته التفتيشية مثل: فاطمة طليبة، فاطمة قويدري، فار الجبارية وغيرهن كثير، كما أسندت لها مهمات مختلفة منها القيام بإنجاز مخابئ في الخواري والمطامير لإخفاء المجاهدين أثناء عمليات التطويق والمتابعة.

- التموين والتمريض: كانت النساء ينقلن المال والأدوية وبوتيرة أقل المؤن من المدن إلى الجبال لما يتعذر ذلك على المجاهدين لوجود حصار أو طوق مضروب على مكان تواجدهم، كما قامت بإخفاء المجاهدين متصدية بذلك لكل المخاطر، دون أن ننسى المهمة الرئيسة التي قامت بها المرأة حيث عملت كممرضة إلى جانب الرجل بالمستشفيات حتى تتمكن من الوصول إلى إخبار المجاهدين المساجين وضحايا التعذيب والعناية بهم، وتقوم بتسريب الأدوية والمعدات الطبية وتسليمها إلى بعض المناضلين، كما تداوي المجاهدين المصابين خلال المعارك وتعتني بهم حتى الشفاء التام وهو الدور الذي قامت به أفضل قيام المجاهدة الممرضة يمينة شراد التي التحقت بالمجاهدين في الجبل يوم 12 نوفمبر 1956 بنواحي سطيف، تزوجت سنة 1960 في قلب الجبل بابن المنطقة الصيدلي بشير بن ناصر الذي استشهد بمدينة قسنطينة في الثاني من ديسمبر 1961²، وغير بعيد عن التمريض وعن المستشفى المدني بالوادي يوجد منزل المجاهدة هقي مسعودة التي كانت تقصد المستشفى صباحا وتستلم من عند المجاهد إبراهيم النجعي العامل بالمستشفى صناديق فيها أدوية موجهة للمجاهدين في الجبال، حيث يأتي النجعي مساء لمنزلها ويستلم الوديعة التي يسلمها بدوره للخلية المكلفة بهذه المهمة، تكررت العملية عدة مرات إلى غاية إلقاء القبض على إبراهيم النجعي في الثاني من أبريل 1961 بتهمة تحويل أدوية وعتاد طبي³.

1_ لقاء مع المجاهدة زينب حرة بمنزلها في حي أول نوفمبر ببلدية الوادي، يوم الثلاثاء العاشر ماي 2022 على الساعة التاسعة صباحا.

2_ عبد الحميد بن نصر بسر: الأمجاد من أبناء سوف، ج1، سامي للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، الوادي، نوفمبر 2019، ص 119.

3_ Assistance Médico-Social, Op. Cit, p 01.

- الاستخبار والدعاية: إضافة إلى الأدوار المهمة التي لعبتها المرأة الجزائرية في العمل المسلح المباشر وفي مجالات التموين والتمريض نجد المجاهدة الزهرة حسونة رفقة ابنتها رزاق لبزة خديجة التي كان لها دور من الأهمية بما كان في الاستخبارات والدعاية، حيث كانت تغالط العدو بمظهر اللباس الأوربي حتى تفلت من التفتيش أو مطالبته باستظهار هويتها بل كانت تمتطي دراجتها النارية لنقل الرسائل المستعجلة والمنشورات والأسلحة والقنابل بين الخلايا الفدائية وسط باريس¹، ولا يمكن أن ننسى المجاهدة حدة دحمري التي لعبت دورا رياديا في مصنع الأسلحة بمدينة الناظور المغربية²، حيث كانت المرأة الوحيدة بالمصنع السري المخفي عن عيون مخبري القوات الفرنسية بالمغرب.

كان للمرأة أيضا دور سياسي دعائي يبرز شجاعة المجاهدين وبطولاتهم عن طريق الغناء في أفراح الزفاف والختان، فكانت كلماتها تنفذ إلى قلوب المواطنين ولألحانها وقع خاص يهز أفئدتهم، كما أن زغاريد النساء عند المعارك كانت سلاحا معنويا فتاكا لا يقل خطورة عن الأسلحة التي استخدمها المجاهدين، فكما هو معروف لا يمكن الانسحاب أو الاستسلام مادامت زغاريد النساء ترفع المعنويات وتلهب الحماس من كل صوب وحذب.

ولعل من أبرز مظاهر التمسك بروح الانتماء للوطن لدى المرأة السوفية عموما، نجدها خلال مراسم الاحتفال بختان الأطفال، حيث تتجلى بكل وضوح ألوان الراية الوطنية في القندورة البيضاء للطفل وعليها أشرطة حمراء وخضراء، هذه الأخيرة وبنفس الألوان لكن أكثر عرضا تُشد إلى عصا وتثبت في أعلى نقطة على سطح المنزل عند فجرية الختان، تسمى عند السوفيات رفع الراية مصحوبة ببعض الأهازيج المحلية تتخللها الصلاة على الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، كما أن حولي المرأة السوفية كثيرا ما يرصع بمثل تلك الأشرطة ذات الألوان المقدسة³.

وما يقال عن المرأة السوفية في وادي سوف يقال عنها أيضا في التل وفي ديار الغربية في فرنسا أو في تونس خاصة منطقة الحوض المنجمي في المتلوي والرديف وأم العرايس وغيرها من المناطق التي يتواجد فيها السوافة بكثافة.

1_ لقاء مع المجاهدة رزاق لبزة خديجة بمنزلها في حي غمرة ببلدية قمار بولاية الوادي، يوم الأحد 29 ماي 2022 على الساعة التاسعة والنصف صباحا.

2_ دحمري حدة بنت عماره بن بلقاسم وبوخريص مباركة، ولدت في 11 سبتمبر 1930 بمدينة سطيف، أصيلة ببلدية حساني عبد الكريم بولاية الوادي.

3_ عبد الكريم شتحنونة، اللقاء السابق.

ثالثا _ تحوّل الهياكل والأطقم الصحية:

لقد كان للنظام الغذائي البسيط والمعتدل، ولأشعة الشمس الدائمة والمرتفعة معظم السنة بالغ الأثر الإيجابي على صحة السكان، بالإضافة إلى بساطة الحياة التي نجم عنها عدم وجود أوساخ أو مستنقعات التي تكون عادة مساعدة لانتشار الجراثيم والميكروبات فبقي المحيط نظيفاً، كما مكّنت حركة الهواء والرياح من تجديد الهواء وتنقيته، كما حرص أهل سوف على ممارسة حياة عملية نشيطة، وفعالية الفرد السوفي من خلال حركته الدائمة وعمله العضلي المستمر طول العام وعدم ركونه للراحة لأن كل أعماله يدوية الأمر الذي حصّنه من العديد من الأمراض والأوبئة، إلا أن الأطفال الصغار كانوا أكثر عرضة لبعض الأمراض بفعل ظروف الحياة القاسية وبعض الأوبئة الفتاكة والحوادث المختلفة التي تخلف جميعها خسائر بشرية كبيرة، خاصة عند الرضع خلال سنواتهم الأولى، هذه الخسائر تتضاءل عند بلوغ هؤلاء الأطفال سناً أكبر حيث يصلب عودهم، كما أن الوعي الصحي لدى الحضر من أهل سوف جعلهم ينتفعون من الخدمات الطبية بترددهم على المستوصفات كلما دعت الضرورة إلى ذلك.

1 _ الهياكل الصحية:

لقد ظلت سوف حتى منتصف القرن العشرين تجهل أمراضاً عديدة بدأت في الظهور والانتشار بفعل التنقل والسفر وتواجد الأجانب من ذلك الملاريا والسرطان، الملاحظ أيضاً أن المرضى لا يلجؤون إلى العلاج إلا عند استفحال المرض؛ فقد يعاني الطفل من الإسهال الشديد فلا يستعان بالطبيب إلا بعد مرور بضعة أيام، في حين أن معظم النسوة يفضلن الولادة في البيوت عوض المستشفى إلا في حالة الاستعصاء مستعينات بالقابلات العجائز¹.

القدامى في سوف لا يزالون يفضلون العلاجات التي كان الأجداد يتداوون بها، مع أن الأطباء يدركون جيداً أن انضباط المرضى وتقيدهم بأنماط العلاج ضعيف جداً، فبمجرد استشعاره الراحة والعافية ينقطعون عن مواصلة التداوي، فالمصابون بالرمد الحبيبي والذين تستوجب حالتهم مواصلة العلاج أشهراً يكفون عن استعمال القطرات والمرهم الموصوفة لهم لكونهم استشعروا تحسناً في حالتهم المرضية.

1_ Dr. ESCARD: Etude Médicale et Climatologie sur le Pays de l'oued – Souf, publié dans les archives de médecine militaire en 1886, T7, p 05.

مع المجهودات التي تبذلها السلطات الاستعمارية لترقية ذهنية الطبقات الشعبية الأقل وعيا، والتي لم تمسها آثار التطور الحاصل، خاصة الفئة حديثة الاستقرار من البدو، غير أنها تبقى مجهودات محتشمة وغير كافية لا سيما هياكل التكفل بالمرضى على مستوى إقليم الملحقة.

لقد كانت الرعاية الصحية من بين اهتمامات الإدارة الفرنسية في سوف، والتي انتدبت بمجرد تنصيب "بيرو عرب" بالوادي مجموعة من الأطباء العسكريين لتقديم الرعاية الصحية للعسكر والسكان في آن واحد، فمنذ سنة 1908 وضعت تحت تصرف الطبيب العسكري قاعة للتمريض تتكون من عشرين سريرا، وكان عليه أن يقوم بزيارات دورية كثيرة للتطعيم، ولما كان يتعذر عليه أن يدخل إلى المنازل قام هذا الطبيب بتكوين امرأة سوفية لتساعده في مهمته¹.

كان الهيكل الصحي الوحيد الموجود عبارة عن بناية واسعة في قلب الحي الإداري بالمدينة تقوم مقام المستشفى، تحولت القاعة سنة 1944 إلى مستشفى ذو خمسين سريرا مدعما بغرفة للعمليات الجراحية وأخرى للأشعة، لم يكن كبير الحجم يحتوي على قاعة للفحص وأخرى لمعالجة الجروح وتطهيرها، قاعة لأمراض النساء وغرفة جراحة مجهزة بمصباح كهربائي كتوم، حيث أن التيار الكهربائي كان يوفره مولد أحد المقاولين بالمدينة.

الزيادة السكانية المعتبرة وتطور الرعاية الصحية وتوسع الإقامة بالمستشفى أظهرت أن الهياكل والتجهيزات القديمة لم تعد قادرة على تلبية الاحتياجات فكان لابد من حل سريع، تمثل الحل في إنشاء مستشفى جديد بدأت ورشة العمل به سنة 1958، لم يلبث أن دُشن يوم 06 نوفمبر 1959 من قبل الوزير المنتدب لدى الوزير الأول مكلف بالشؤون الصحراوية "جاك سوستال"، هذا المستشفى خطط له وأنجز طابقه السفلي والأرضي المهندس البلدي بالوادي رايغوند فريزي، أما الطابق الأول فقد تكفلت به مقولة روداري من بسكرة².

1_ Assistance Médicale, Dix ans de réalisations communales dans l'annexe d'El Oued, Bulletin de Liaison Saharienne, n° 32, Décembre 1958, Imprimerie E. IMBERT, Alger, p 372.

2_ SHDDE, 1 H 2570, (d.01): Action sanitaire, compte rendu du Médecin-capitaine EME, Chef de l'Assistance médico-sociale à El Oued, 07 Novembre 1959, p 01.

شرع في استغلاله في شهر جوان 1959، بني المستشفى فوق قبو يعلوه طابق يتمركز حول قسم الجراحة، يضم في الأسفل مصلحة الأشعة، في حين تحتل المصالح الإدارية الطابق الأرضي، بالمستشفى العديد من المصالح منها: مصلحة الطب العام، السل، الجراحة، طب الأطفال، الولادة والأمومة بالإضافة إلى المخبر والصيدلية، يحتوي المستشفى على 150 سريرا ويعمل به العديد من الممرضين المسلمين الذين يدعمون كبير الأطباء إضافة إلى فريق من الأخوات البيض وبعض الممرضات، ولم تنته الأشغال به نهائيا إلا سنة 1961 وبلغت تكلفة إنجازه 77.919.080 فرنك¹.

السنة	عدد الأسرة	عدد المستوصفات	عدد أيام الاستطباب	عدد الفحوصات
1951	28	10	7842	202945
1953	32	11	9455	203272
1955	47	11	13644	225924
1957	47	11	17983	255077
1959	100	11	23138	282539
1961	150	13	42155	398995

جدول رقم: 41: يوضح تطور الهياكل الصحية بالملحقة وعدد المستفيدين (1951-1961)

قرى سوف أيضا عرفت تواجد بعض المراكز الصحية التي يشرف على كل واحد منها ممرض، سنة 1948 أنشأت مراكز للإسعاف يقوم عليها ممرض مكلف وهذا بقمار، البهيمه، سيدي عون، الرقية، كوينين، المقرن، ورماس، البيضاء، واستحدثت ثلاثة أخريات سنة 1958 بالزقم، غمرة وحاسي خليفة، وبحلول سنة 1960 شملت المراكز كل من الديلة، الجديدة، الطريفاي، ليزيرق، هبة، وادي الترك، الفطاحزة والرباح، أما مركز وادي العلندة فقد ظل الإقبال عليه ضعيفا لصعوبة الوصول إليه².

وحتى نهاية سنة 1962 ومع المجهودات الكبيرة المبذولة من قبل الحكومة الجزائرية، لم تستفد سوف سوى بطبيين من مجموع الأطباء الموزعين على الصحراء والبالغ عددهم 61 طبيبا، منهم أطباء من الصين الشعبية ومن رومانيا ومن دول أوروبية أخرى.

1_ SHDDE, 1 H 2570, (d.01): Action sanitaire, compte rendu du médecin-colonel SANTINI, directeur du service de santé des départements sahariens, 09 Novembre 1959, p 02.

2_ Assistance Médicale, Op. Cit, p 374.

2_ طاقم التمريض:

منذ نهاية سنة 1943 يشرف على الهيئة الطبية بالوادي الطبيب المعالج الملازم "ليفافر"، الذي يعود له الفضل في تنظيم المستشفى وتكوين المرضى واستحداث الجولات الطبية، حيث يمتطي ظهر جملة ويرافقه الممرض على الحصان في رحلة تقودهما إلى بمختلف مراكز الملحقة، الطبيب الرئيس في المؤسسة الاجتماعية الصحية بسوف يتحمل عبء مستشفى يتكون من ستين سريرا تم وضعها بمقرات البرج، الذي يطل مباشرة على الشارع الرئيسي بمدينة الوادي والذي يقود إلى إدارة الملحقة، لذا كان لابد من فريق يقدم له المساعدة، يتمثل حاليا في أربعة من الأخوات البيض قدمن إلى الوادي سنة 1942 مع مشاركة أحد عشرة ممرضا من أبناء المنطقة من بينهم ممرضة قابلة نُصِّبت سنة 1946¹، يؤطّرهم رجلان كان لهما أكبر الأثر على الصحة في وادي سوف خلال هذه الفترة إنهما السيد ناجح عبد الحميد الذي كان يشغل منصب ممرض مساعد جراح والسيد هقي أحمد، وظل العدد في تزايد حتى بلغ سنة 1961 حوالي 19 فردا ينقسمون حسب مهامهم كالتالي:

الرقم	الاسم واللقب	الوظيفة	الرقم	الاسم واللقب	الوظيفة
01	عبد الحميد ناجح	ممرض	11	العزوزي تلية	ممرض
02	أحمد هقي	ممرض	12	صديق حساني	ممرض
03	أحمد بوترعة	ممرض	13	الصادق سويد	سائق
04	لمين هقي بن الساسي	ممرض	14	علي بوقطاية	سائق
05	بخيته زيداني	ممرضة	15	بكار غزال	معقم
06	ريني شربولوط	ممرض	16	عمار خياري	منظف
07	لمين هقي بن الطيب	ممرض	17	عبد الرحمان بكوشة	مساعد طباط
08	البخاري نوبلي	ممرض	18	التجاني غومة	مساعد طباط
09	علي شامي	ممرض	19	علي ونيسي	مساعد طباط
10	عبد الكريم مجيدي	ممرض			

جدول رقم 42: قائمة الأهالي العاملين بمستشفى الوادي سنة 1961²

1_ PASSAGER. P:Le service de santé dans les territoires du Sud Algérien, Quarante années d'existence médicale aux populations (1918-1958), La Typo-Lypho, Alger, 1958, p 49.

2_ AOM, 81 F 1644, (d. 01):Personnel médical et administratif des hôpitaux d'Algérie, direction du service de santé des départements sahariens, 29Mai 1961, p 08.

العلاجات المقدمة كانت مجانية والسكان ومن سواهم كانوا يأتون بثقة مع أن الطبيب في هذه الفترة كان وحيدا، فعند استدعائه للجبهة خلال أحداث الحرب التحريرية يعوضه النقيب الدكتور "باكير" من جيش الاحتياط، ومع

أنه خلال سنتي 1950 و1951 جرت عدة محاولات لتعويض الطبيب العسكري بآخر مدني متعاقد اجتماعيا، لكنها باءت بالفشل¹.

عُين الطبيب "هنري أنطوان" بمستشفى الوادي كطبيب عام سنة 1955، شغل وظيفة كبير الأطباء بالمؤسسة الطبية الاجتماعية بالوادي، وطبيب لفرقة المهارى بالعرق الشرقي، إضافة لمسؤولياته تلك اضطلع بمهمة طبيب مدرسي لمدارس سوف وأيضا كطبيب بالسكة الحديدية الجزائرية منذ شهر أوت 1955، لم يكن سوى طبيب ضابط شاب بتجربة قصيرة بالمستشفى العسكري بسطيف، أهله للممارسة الطبية على مستوى ملحقة الوادي وكل العرق الشرقي تقريبا، ويرجع ذلك للنقص الكبير التي تعرفه المنطقة في هذا المجال، فمن غير المعقول أن يسند هذا الحجم من المسؤوليات لممارس حديث العهد، غير أنه وبعد شهور من تعيينه تم تعزيز الطاقم الطبي بطبيب يؤدي خدمته الوطنية².

كما كان للطبيب مسؤوليات عسكرية لم تكن أقل أهمية خاصة التزاماته تجاه الملحقة، المتمثلة في الرعاية الصحية لفرقة المهارى الخاصة بالعرق الشرقي، وأيضا فرق المرور، أما بالنسبة لنشاطاته كطبيب مدرسي، علاوة عن مدارس الوادي المدينة كانت له زيارات دورية لمختلف مدارس المنطقة، لقد مكّنت تلك الزيارات الدكتور أنطوان من اللقاء مع المعلمين الذين كانوا مع عزلتهم كأوربيين وسط المواطنين، ومن الصدف الجميلة لديه ذلك التعاون الذي كان قائما بينه وبين الأنسة أوجي المشرفة الاجتماعية بالصحة المدرسية، تلك العلاقة استمرت حتى بعد رحيله من سوف سنة 1958، حيث تزوجا في السنة الموالية³.

1_ PASSAGER. P, Op. Cit, p 50.

2 _ Antoine. Met Chollet. P: A propos de la mortalité infantile dans une oasis du Sahara constantinois (El Oued), Archives de l'Institut Pasteur d'Algérie, n° 01, mars 1959, Alger, p 62.

3_ Raymond Debenedetti: "La Médecine militaire", coll. Que sais-je, Presses universitaires de France, Paris, 1961, p 108.

يضاف إلى كل تلك الأعباء مهامه كطبيب لعمال السكة الحديدية الجزائرية، وإن كانت مهام غير شاقة، وإشرافه أيضا بحكم مهامه النبيلة ذات البعد الإنساني على معالجة عدد من السوافة الذين لم يستفيدوا من بطاقة الأهالي، وكذا الموظفين الذين بحكم عملهم أصبحوا من سكان بسوف.

غير أن العناية الصحية والاجتماعية لا تنحصر فقط في المستشفى، إنها أيضا الفحوصات الخارجية والزيارات الأسبوعية أو النصف الشهرية للوحدات المحيطة بالملحقة، وتفقد قاعات التمريض الصغيرة (بيوت العينين) المنتشرة عبر قرى سوف المتناثرة شمالا وجنوبا.

— **حملات التطعيم:** في سنة 1943 كان يشتغل بمستشفى الوادي الطبيبان الدكتور "باكير" والملازم "دينيس بولودان تيدي" قائد مفرزة المهارى بمنطقة سوف، وهي نفس السنة التي عرفت فيها الجزائر استئراء وباء الحمى الصفراء الطفحية، والتي سرعان ما مسّت الصحراء، وكان لابد من قيادة حملة تطعيم واسعة لأهل سوف باستعمال المصل المعد من طرف معهد باستور بالجزائر العاصمة، ولكن العائق الأكبر يتمثل في عدد أعضاء الفريق الطبي الذي يمثله طبيبان وبعض الأخوات البيض، أمام حملة ضخمة يجب أن تمس عشرات الآلاف من السكان الموزعين على شتى القرى الصغيرة والكبيرة المتناثرة، كان لابد إذن من تنظيم العمل والاستعانة ببعض العمال الذين يستدعيهم الظرف وليس كل العمال، فأهل سوف صارمون ولا يهضمون أن يسلموا نساءهم وبناتهم بأن يُطعمن من طرف أي كان، ففي بعض القرى كالبهيمية والدييلة وحاسي خليفة لم يتقبل السكان تأدية العمل إلا من قبل الأطباء، والأخوات البيض والممرضون والضباط المكلفون بشؤون الأهالي على أن يجرى التطعيم بالمساجد وساحاتها، وأن تخلّى القرى من الرجال لحين الانتهاء من حملة التطعيم¹، لم يكن حينئذ سوى ثلاثة ملازمين ساهموا بتقديم خدماتهم للمصلحة الصحية، التي كلفت بالتحضير المادي والنفسي لتهيئة هؤلاء السكان الكادحين².

في العادة، وعند الإعلان عن حملة التلقيح في الجهة، عند الصباح الباكر يرتفع صوت المؤذن من فوق مئذنة مسجد القرية مطالبا الرجال بإخلاء الأماكن، تشرع النساء برفقة أطفالهن في التجمع داخل صحن المسجد، مزيج تشكله مئات النسوة والأطفال المتراحمون في ساحة ضيقة، وفي ظل هذه الضوضاء

1 _ Antoine. Met Chollet. P, Op. Cit, p 67.

2 _ AOM, 81 F 1632, (d. 01):Institut Pasteur d'Alger, rapport annuel 1943, p 72.

والجلبة التي يمتزج فيها صراخ الأطفال بكاء الرضع الملتصقين بظهور أمهاتهم، إنه يوم استثنائي وفر لمن فرصة اللقاء فالبعض منهم لم يلتقين منذ سنوات.

طاقم التطعيم لم يكن سوى اثنين أو ثلاثة في مواجهة جمع مندفع ومتوتر، كان عليهم تصنيفهم وتوجيههم نحو باب المسجد حيث سيتم بداخله التطعيم من طرف الأخوات البيض والمرضات، وفي إحدى زوايا المسجد يوقد مساعد الممرض النار ليقوم بتعقيم الأدوات الطبية فليس هناك بعد أدوات ذات استعمال واحد¹.

وما ينبغي الإشارة إليه، أن النظام المدني لجبهة التحرير الوطني بوادي سوف تمكن من زرع بعض العناصر الوطنية داخل مصالح المستشفى، حيث سجل في الثاني من أبريل سنة 1961 توقيف السلطات الاستعمارية للممرض نجعي إبراهيم بعد اكتشاف تحويله لكميات كبيرة من أدوية صيدلية المستشفى لصالح إخوانه المجاهدين، مع مضي أربعة أشهر فقط على توظيفه غير أنه استطاع في هذه المدة الوجيزة أن يكسب ثقة رؤسائه، وتمت إدانة المعني من طرف المحكمة الدائمة للقوات المسلحة في الحادي عشر جويلية 1961².

3 _ الأمراض بسوف:

عرفت المنطقة انتشار أمراض عديدة نذكر منها:

_ الرمد الحبيبي: إن الرمد الحبيبي في منطقة سوف يعد من الأمراض الأكثر انتشارا والمتسبب المباشر لعدة إعاقات أين نجد الكثيرين من هذه المنطقة من فقد بصرهم أو مشوه النظر³.

حيث قامت بعثة معهد باستور سنة 1958 بفحص 328 طفل تقل أعمارهم عن السنة، فتوصلت إلى أن حوالي 87 % منهم يحملون حبيبات الرمد الحبيبي، بينما 13 حالة فقط أي ما نسبته 3,9 % أصحاء، من جهة أخرى 138 حالة أي ما نسبته حوالي 42 % يحملون حبيبات الرمد في فترة

1_ AOM, 81 F 1604, (d. 01): Médications Sahariennes, rapport du Capitaine Guy Dugros, direction du service de santé des départements sahariens, 02Septembre 1961, p 04.

2_ Tribunal Permanent Des Forces Armées De La Zone Sud Constantinoise: Affaire NADJAI et autres, 30 Juin 1961, Batna, p 01.

3_ Raymond Debenedetti, Op. Cit, p 117.

النشاط، أما 177 حالة أي 53,9 % مصابون بالرمد المشوّه أو هو في طريقه إلى تشويه العين، أما لدى الأطفال المتدربين فتوصلت الدراسة إلى النتائج المبينة في الجدول أسفله:

سنوات الفحص	عدد التلاميذ المفحوصين	عدد التلاميذ الأصحاء	عدد التلاميذ المصابين	نسبة الإصابات
1954	346	26	320	48,92 %
1955	355	28	327	92.11 %
1957	338	11	327	96.74 %

جدول رقم 43: يحصي نسبة الأطفال المتدربين المصابين بمرض الرمد الحبيبي بالوادي سنة (1954 – 1957)¹.

نظرة بسيطة على الجدول تظهر محدودية التدخل الطبي خاصة الوقائي في هذا المجال، قد نلتمس الأعذار للسلطات بالنسبة للأطفال غير المتدربين، أما بالنسبة للمتدربين فالجهود يبقى دون المأمول ولا نلاحظ أي نتائج ملموسة في الميدان.

__ انحراف الأهداب: وهو من أمراض العيون الخطيرة أيضا، لأن فرك الأهداب فوق مقلة العين قد يؤدي إلى فقدان البصر، ولا يمكن معالجة الأمر إلا بعملية جراحية تؤدي إلى رفع الجفون حتى لا تلامس الأهداب قرنية العين.

__ التهاب الملتحمة المتقيح: يتفشى عادة عند موسم حصاد التمور في فصل الخريف، فالانتشار الكثيف للذباب يتسبب في تقيح الأجفان بفعل تأثير الجراثيم².

وتظل مكافحة أمراض العيون متواصلة، حيث مكثت البعثة الخاصة بذلك الفترة الممتدة ما بين التاسع من شهر ديسمبر 1957 إلى غاية العشرون منه، تحت قيادة الأنسة الدكتور أنطوان، وكان للبعثة الأثر الطيب على السكان بفضل زيارتها لمختلف المراكز المنتشرة عبر إقليم الملحق، حيث سجل عداد السيارة

1_ AOM, 81 F 1613, (d. 01): Lutte contre le trachome en Algérie, Le bilan de la Mission ophtalmologique saharienne (Quinze ans d'assistance ophtalmologique itinérante), L'équipe de la Mission ophtalmologique saharienne, Direction de la Santé, Territoire de Touggourt, 06 Janvier 1959, p 10. Voir aussi; Bulletin de Liaison Saharienne, n° 33, Mars 1959, Imp LA TYPO-LITHO et J. CARBONEL, Alger, pp 57-68.

2_ B. Blaudin de Thé: La Clinique Ophtalmologique de la C.F.P. (A) à Ouargla, Bulletin de Liaison Saharienne, n° 42, Juin 1961, Imp LA TYPO-LITHO et J. CARBONEL, Alger, p 184.

الموضوعة تحت تصرفهم قطع مسافة 42231 كلم، مع ذلك تبقى المنطقة تسجل أعدادا مرتفعة لأمراض العيون، لأن الأمر يتطلب متابعة دائمة وليس حملات موسمية محدودة التأثير¹.

__ السل الرئوي: في دراسة لواد سوف قام بها الدكتور "إسكارد" لم يذكر فيها مرض السل، أما الدكتور "لوغران" فقد اكتشف أربع حالات سنة 1893م، حيث أشار إلى ندرة هذا المرض، والتي تعود حسب رأيه إلى مناعة الأهالي في المناطق الرملية، لكن خلال هذه الفترة كان كثير الانتشار بسوف، من عوامل انتشاره طبيعة الحياة الجماعية التي يمارسها المجتمع السوفي والعيش في مجموعات عائلية موسعة، والتي تزيد في رواج العدوى فتصيب الرضيع والشيخ على حد سواء، اعتبر هذا المرض عند السوافة لزمن طويل مرضا مشينا يتكتمون عن الحديث عنه².

__ الجدري: لقد اختفى هذا الوباء نهائيا من منطقة وادي سوف، آخر موجة لهذا الوباء عرفتها المنطقة تعود إلى سنة 1926، حيث تم إحصاء 62 حالة، استفاد السكان من عملية تلقيح واسعة، ثم إن السلطات الاستعمارية كانت تعمل على الوصول إلى أكبر عدد ممكن من الأهالي، وذلك بتقسيم الدورات التلقيحية إلى مرحلتين؛ واحدة في الربيع مخصصة لسكان القرى، أما شبه الرحل يفاجئون بها عند إقامتهم بالقرب من واحاتهم خلال موسم جني التمور في فصل الخريف³.

__ الدفتيريا: وهي مرض معدي يستهدف بالدرجة الأولى الأطفال والشباب غير الملقح، هي ليست مرضا من الأمراض المعروفة في الجنوب الجزائري، لكن خلال الفترة التي قام فيها أعضاء البعثة المكلفة بالقيام بالبحث من قبل المخبر الصحراوي لمعهد باستور بالجزائر سنة 1960، تم رصد حالتين من الدفتيريا عند معلمين فرنسيين، وقد عرفت إحدى الحالات خطورة شديدة أدت إلى الوفاة، ومع احتكاك المصابين بالتلاميذ لعدة أيام لم يلاحظ ظهور حالات أخرى، يبدو أنه حتى وإن كانت الدفتيريا

1_ AOM, 81 F 1613, (d. 01): Lutte contre le trachome en Algérie, rapport d'activité des services médicaux, Direction Départemental de la Santé, Département Des Oasis, 17 Juillet 1961, p 06.

2_ AOM, 81 F 1611, (d. 02): organisation et fonctionnement de la lutte antituberculeuse en Algérie, compte rendu de la mission saharienne, Institut Pasteur d'Alger, Avril 1960, p 14.

3_ André Savelli: Le Service de Santé des Armées dans Les Territoires du Sud Algérien, L'oeuvre humanitaire de la France au Sahara, (1900 à 1976), Publication du Cercle Algérieniste de Montpellier, Collection "Mémoires d'Autrefois", N° 2, Nouvelle édition, Montpellier, Octobre 2008, p 13.

تصل من خارج المنطقة إلا أن الأهالي لم يتعرضوا للإصابة بها، حيث بقيت المنطقة بيئة خالية من هذا المرض الخطير الذي كان منتشرًا في جهات أخرى من الجزائر¹.

— الحمى التيفية: هي مرض وبائي مصدره الأول الماء، غير أن الماء في وادي سوف يعد من النوع النقي من الناحية البكتريولوجية، تظهر الحمى التيفية في شكل وباء نتيجة استهلاك مياه ملوثة، تم سنة 1961 ملاحظة ثلاث حالات؛ حالتين عند الأهالي وحالة في الوسط الأوروبي، منهم حالة تم تأكيدها بواسطة التحاليل المخبرية، لكن ما يمكن استخلاصه هو أن هذا الوباء نادر جدا.

— الملاريا: فيما يخص منطقة سوف فإنها ليس موطنًا لهذا الداء، والقلّة القليلة من المصابين ليسوا سكانًا مستقرين في المنطقة، بل هي لمهاجرين قادمين من مناطق أخرى، أصيبوا بعيدًا في وادي ريغ أو الزيبان أو الجريد التونسي، حيث ظهرت بعض الإصابات سنة 1957، في كل من الوادي، قمار وكوينين².

أما وباء الحصبة فقد تكرر حدوثه في شهري فيفري ومارس سنة 1962، والذي من مضاعفاته الأثر الذي يحدثه على مستوى الرؤية والتي إن لم تعالج قد تؤدي إلى فقدان البصر.

ومن الأمراض الأخرى الشائعة نجد التهاب القصبات الهوائية والرئة، القرع، فقر الدم، والأدواء الناتجة عن نقص الفيتامينات كفقر الدم أمراض المعدة، أما عن الإسهال لدى الأطفال فكثيرا ما يخلف ضحايا خاصة من الرضع بسبب الجفاف.

تمّ في مستهل سنة 1957 اكتشاف حالات تيفيس خاصة في البياضة، أما في شهر أكتوبر من نفس السنة فقد ظهرت عدوى كبيرة بالأنفلونزا، وعولجت عدة حالات مصابة بحمى التيفوئيد ووباء النكاف، كما شهدت سنة 1958 استفحال وباء بوحمرّون الذي أودى بحياة أعداد كبيرة من الأطفال³.

1_ Edmond Sergent et Louis Parrot: Contribution de l'Institut Pasteur d'Algérie à la connaissance humaine du Sahara (1900-1960), INSTITUT PASTEUR D'ALGERIE, Alger, 1961, p 196.

2_ AOM, 81 F 1604, (d. 01), Op. Cit, p 06.

3_ Edmond Sergent et Louis Parrot, Op. Cit, p 198.

هذه الأمراض لم تعد بالخطورة المعهودة، وتستجيب جيدا للعلاج بواسطة المضادات الحيوية، كما تمت ملاحظة ندرة التدخلات الجراحية فيما عدا التهاب الصفاق، خزع الرغامى والعمليات القيصرية.

كما أن الإنسان في هذه البيئة ليس بمنأى عن خطر لسع العقارب، والتي قد تكون لسعاتها قاتلة، يفضل أهل المريض شرط مكان الإصابة وشرب كوبا من القهوة القوية بعد أن تذاب فيه قطعة من الزبدة وتدفئة المريض بشكل كثيف حتى يتعرق، ولا يقصدون العيادة الطبية إلا نادرا وفي الحالات الميئوس منها تقريبا¹.

__ أمراض النساء والتوليد: تتم الولادة في منطقة سوف بواسطة تدخل امرأة مسنة، ويبدو أن تدخل الطبيب في الفترة التي نحن بصدد دراستها لم يكن قريبا ليتدخل في حالات التوليد، كما أن التعود على مثل هذه الحالات والعمل الذي تقوم به قابلات الأهالي أبقى الأمور على ما هي عليه، حيث خلال أربع سنوات لم تسجل سوى أربع عمليات توليد؛ منها حالتين كانت قد وصلتا إلى درجة اليأس، وفي هذا المجال تم تعيين ممرضة مختصة في التوليد تقوم بزيارة العائلات في بيوتهن، إنها ممرضة فرنسية تحسن تكلم العربية، مما مكنها من ممارسة عملية التوليد العادية، وتطلب تدخل الطبيب في الحالات المستعصية، بهذه الطريقة تم تجنب وفيات عديدة كانت تتعرض لها نساء المنطقة في الماضي².

في الوقت الحالي من ثلاثين إلى أربعين امرأة كمتوسط تستفيد في السنة الأولى التي تلي الولادة من إسعافات أولية كل ثلاثة أشهر، مقابل دفع نقود لها شريطة تقديم الرضيع للكشف، هذا العمل يهدف إلى تعويد المرأة على الوسائل الوقائية والعلاجات الأولية وتعليمها كيفية متابعة الحالة الصحية لأطفالها، غير أن النتائج المتوصل إليها ضعيفة³.

إن مرض الأم ووفاتها ووفيات الأطفال هي حالات جد مرتفعة نتيجة ضعف الرعاية الصحية وسوء التغذية، العمل الطبي العصري يعد حديث العهد نسبيا، ترجم في منطقة سوف على شكل نتائج مجسدة

1_ Raymond Debenedetti, Op. Cit, p 101.

2_ SHDDE, 1 H 2570, (d.01), Op. Cit, p 05.

3_ Antoine. M et Chollet, Op. Cit, pp 61-72.

وإذا كانت الوقاية والرعاية الصحية عامة ورفع مستوى المعيشة لا يزال بطيء، فإن التردد على العيادة يعرف ارتفاعاً في المستوى¹.

تبقى في الأخير الممارسات العلاجية جزء من ثقافة المجتمع، واللجوء للخدمات الصحية الرسمية والشعبية يخضع للنظام القيمي والإطار الثقافي السائد داخل المجتمع، كما نسجل تأرجح المرضى بين نمطين من العلاج؛ علاج شعبي تقليدي سائد ومتوارث، وعلاج طبي علمي حديث يسبق الزمن لفرض نفسه كنمط بديل فعال.

__ المبحث الثاني: التحولات الإدارية والمعمارية في وادي سوف

أولاً __ التحولات الإدارية:

1 __ لمحة تاريخية:

استحدثت ملحقة الوادي في شهر جانفي 1885، حيث تحوّلت المشيخات التي كانت تحكم المنطقة إلى خمس مقيدات يتولى أمر كلّ واحد منها قايد، وهي كالتالي:

__ مقيدة قمار وغمرة أول قايد لها؛ خليفة حاج محمد الملقب بالقاييد الأحمر ابن قاضي قضاة الصحراء.

__ مقيدة أولاد سعود بكونين وتضم كل من ورماس تغزوت وسيدي عون والزقم.

__ مقيدة الدبيلة والبهيمة.

__ مقيدة الأعشاش.

__ مقيدة المصاعبة.

وبصدور قانون 24 ديسمبر 1902، القاضي باستحداث أربعة أقاليم بالجنوب الجزائري أصحبت الوادي وفقاً للمرسوم التنظيمي المؤرخ في 14 أوت 1905 تابعة لإقليم تقرت، كما قسم هذا

1_ AOM, 81 F 1653, (d. 01): Régime de l'aide sociale dans les départements des Oasis et de la Saoura, bulletin de liaison des centres d'action sociale sahariens, Septembre 1960. p 54.

المرسوم البلديات إلى بلديات مختلطة وأخرى أهلية، تحت إمرة ضابط الشؤون الأهلية بالجنوب وتحت سلطة حاكم الشؤون المدينة بالشمال، الحاكم العسكري لإقليم تقرت هو من يعين حاكم ملحقة الوادي التي أضحت بلدية أهلية مستقلة عن بلدية تقرت المختلطة.

خلال سنة 1912 تم تقسيم سكان سوف على ستة عروش: الأعشاش، الدبيلة والبهيمة، قمار وغمرة، المصاعبة، الشعامبة ثم عرش أولاد سعود، علما أنه بحلول سنة 1934 أعلنت ملحقة الوادي بلدية مختلطة¹.

يجدر بنا التذكير بأن البلدية كيان معنوي، أنشأ بموجب تجمع عدد من الأفراد في نفس الإقليم، وتجمعهم الحاجات والمصلحة المشتركة، كما أنها شخص مدني معترف به قانونا كما أن للبلدية خاصيتين؛ الأولى كونها تقسيما إقليميا لأنها تشغل حيزا جغرافيا، والثانية كونها شخصية إدارية لها مصالحها الخاصة وتتمتع بحقوق وعليها واجبات، وهاتين الخاصيتين كانتا وراء تشكيل الرابطة البلدية، وأن الامتداد الواسع للبلدية وحدود تقسيمها الإداري ناتج عن الظروف الجغرافية والوضع المحلي أو التقاليد القديمة².

إقليم سوف من صنع الطبيعة والتاريخ أكثر مما هو عمل المشرع الاستعماري، وبالتالي فإن التقسيم الإداري الاصطناعي سيطلق على الوحدة المشكلة بفعل تدخل السلطة اسم البلدية؛ التي ستصبح لها أساليب عيش خاصة بها وعليه فإن التنظيم الإداري لإقليم سوف كان في شكل سلسلة متتالية من مراسيم وقرارات؛ استحدثت بناء على الظروف الخاصة بالجزائر والسكان الأهالي بالمنطقة، انطلاقا من هذه الأهمية كانت فكرة إدارة الأهالي في وادي سوف الشغل الشاغل للإدارة الاستعمارية منذ اليوم الأول للاحتلال، أملت الحاجة الضرورية الاستعمارية والمقاومات المحلية والتوسع الاستيطاني، الأمر الذي أدى إلى وجود مجتمعين متباينين بالوادي، مجتمع الأهالي ومجتمع المعمرين.

وإذا عدنا إلى الأسباب التي أعطت للإدارة الفرنسية والسلطة التنفيذية في الجزائر حق إنشاء البلديات، فإننا نرى أن التنظيم الإداري البلدي في الجزائر مرتبط بالتطور الذي يشهده الاستعمار من

1_ Claude Treyer: SAHARA 1956-1962, Société les belles lettres, Paris, 1966, p 26.

2_ C. Bontems: Manuel des Institutions algériennes de la domination turque à l'indépendance, t01, Editions Cujas, Paris, 1976, pp. 267-281.

تحويلات وتغيرات اجتماعية واقتصادية، تجدر الإشارة إلى أن الأعوان الأهالي (القياد)، الذين يكلفون بالإدارة الخاصة بالسكان، يخضعون لسلطة المتصرف الإداري، وقد خولت لشيوخ البلديات صلاحيات واسعة تجاه الأهالي كالرقابة الصارمة على الأسواق والجماعات المهنية والتعليم العمومي والإسلامي ومراقبة الجمعيات الدينية والزوايا وكل النشاطات السياسية للأهالي، ومراقبة حرف صناعة الأسلحة ورخص شرائها من طرف الأهالي¹.

تضم البلدية المختلطة المراكز السكانية التي يقيم عليها الأهالي المسلمين في القرى ويمثلون الأكثرية، والأوروبيين في مراكز الاستيطان هم الأقلية، وقد مثل هذا النموذج كل البلديات المختلطة الست عشرة التي تقاسمت إقليم سوف.

البلدية المختلطة التي شملت أراضي سوف لا تتشكل من مركز سكاني واحد كالبلدية الكاملة الصلاحيات، أو البلدية في فرنسا، بل تتشكل من عدد من القرى أو المراكز السكانية ولكل مركز أو قسم منها أراضيها الخاصة وممثليه الخاصين به بصفته يتمتع بالشخصية المدنية التي يعترف بها القانون لأقسام البلدية².

إن الفرق بين البلدية المختلطة والبلدية كاملة الصلاحيات يمكن تلخيصه في أن المختلطة أقل حرية، ولها أكثر من إدارة وصية³ وبمفهوم المستعمر البلديات المختلطة قاصرة ولم تبلغ سن الرشد بعد.

في سنة 1940 دُمج عرشي الديلة والبهيمة والشعامة بعرض المصاعبة، غير أن تطبيق دستور الجزائر الصادر بتاريخ 20 سبتمبر 1947 ألغى أقاليم الجنوب، ليتم في ماي 1950 تنصيب أول متصرف إداري مدني ولو اسميا فقط على رأس البلدية المختلطة⁴.

1_ Jean. Marie: La réforme municipale, atout majeur de la pacification en Algérie, L'Afrique et l'Asie, Paris, n°46, 2^e trim, 1959, p 35.

2_ C. Bontems, Op. Cit, pp. 267-281.

3_ Claude Treyer, Op. Cit, p 27.

4_ SHDDE, 1 H 1338, (d.01): Organisation administrative et militaire des territoires du Sud, 1950, p 74.

الرقم	اسم المتصرف الإداري	فترة التسيير
01	العقيد أستى	1948 – 1950
02	العقيد بيار شاليمو	1950 – 1954
03	العقيد ليس كاتينو	1954 – 1962

جدول رقم 44: قائمة المتصرفين الإداريين لملحقة الوادي (1948 – 1962)¹

2 _ الإصلاح البلدي:

عملا بقانون 10 جانفي 1957 القاضي باستحداث منظمة موحدة للمناطق الصحراوية (O.C.R.S)، أنشأت وزارة الصحراء التي أسندت لها صلاحيات الحاكم العام للجزائر على الأقاليم الجنوبية سابقا، غير أن مرسوما آخر في شهر جوان من نفس السنة ألغى وزارة الصحراء وأسند صلاحياتها لوزارة منتدبة لدى الوزير الأول، ليصدر مرسوم السابع من أوت 1957 ويقسم الأقاليم الجنوبية إلى عمالتين: عمالة الساورة وعمالة الواحات، هذه الأخيرة قسمت إلى ثلاث دوائر: الأغواط، ورقلة وتقرت، دائرة تقرت ضمت كل من مقاطعتي الوادي ووادي ريغ².

طبقا لمرسوم العشرين من سبتمبر 1958، الذي نصّ على تعويض البلديات المختلطة والأهلية بنموذجين جديدين: بلديات إقليمية بمقر بلدي، أو مجموعة عروش بسوق رئيسي، إنشاء هذه البلديات حددته القرارات المؤرخة في 12 و 20 ديسمبر 1958 وجعلته فعليا باستحداث 95 بلدية تختلف وظيفتها حسب درجة تطور سكانها، كما أنها تنقسم إلى ثلاثة أصناف:

__ بلديات بمجلس بلدي ورئيس منتخب.

__ بلديات بمستشار إداري مؤقت، يدلي بصوت استشاري خلال المداولات (كل بلديات مقاطعة الوادي ماعدا ثلاث).

1_ AOM, 81 F 169: Documentation personnelle du colonel de Seguins-Pazzis, Concerne les aspects militaires de la question de la partition de l'Algérie, le Sahara, la notion de " base ", Doc n° 15, Fév 1962, p 07.

2_ SHDDE, 1 H 1148, (d.01): Organisation administrative des territoires du Sud, Organisation Commune des Régions Sahariennes, (1957-1959), p 63. voir aussi, AOM, 81 F 1298: Création de l'Organisation commune des régions sahariennes (OCRS).

__ بلديات يديرها مجلس بلدي، رئيسه بصفة مؤقتة موظف يعين بقرار إداري (الوادي، قمار، كوينين)¹.

وحدّد مرسوم 28 ديسمبر 1958 قواعد وآليات إعداد القوائم الانتخابية بالبلديات، كما حدّد مرسوم ثان تنظيم المجالس العامة عملا بذلك في أبريل 1959 أُنتخبت بالأغلبية وفي دورة واحدة المجالس البلدية عن طريق الاقتراع المباشر، في نفس الوقت تأسست 16 مقاطعة إدارية أوكلت لها مهمة تقديم العون للبلديات وتوفير المساعدة والاستشارة وتنسيق الجهود، علما بأن حدود هذه المقاطعات هي نفسها حدود البلديات المختلطة القديمة، وشملت المقاطعة الإدارية لسوف 16 بلدية، منها 13 بلدية ذات مستشار إداري وثلاث بلديات يديرها موظف معين².

3 _ الإصلاح الإقليمي:

وفقا للمرسوم المؤرخ في السابع جانفي 1959 ومن أجل تنظيم المجالس العامة، قُسمت الواحات إلى 25 كتون، خصصت منها خمس كتونات (مقاطعات) لسوف وهي: الوادي، قمار، كوينين، عميش (المقر بالبياضة)، الدبيلة (المقر بالجديدة)، وفي دورة انتخابية واحدة جرت بتاريخ الخامس أبريل 1959 تمّ انتخاب المستشارين العامين بالأغلبية، هذه المجالس العامة عوضت اللجنة الإدارية المؤقتة التي أنشأت بموجب مرسوم 26 أوت 1957، في نفس الوقت تمّ انتخاب ثلاثة نواب يمثلون الواحات وعضوين بمجلس الشيوخ.

كما أنشأ مرسوم الثالث من ديسمبر 1960؛ وابتداء من الفاتح جانفي 1961 نظام الدوائر في عمالتي الصحراء الساورة والواحات، وتمّ استحداث 15 دائرة لتعويض 16 مقاطعات إدارية³.

1_ AOM,81 F 1292: Documentation sur le Sahara, Réorganisation territoriale dans les territoires du Sud, Mars 1959, p 82.

2_ Jean. Marie, Op. Cit, p 43.

3_ AOM, 81 F 169, Op. Cit, p 09.

شملت عمالة الواحات تسع دوائر منها دائرة الوادي التي حافظت على حدودها القديمة، وقسمت إلى 16 بلدية وهي: الوادي، الطريفاي، وادي العلندة، حاسي خليفة، الديلة، المقرن، البهيمه، الرقم، سيدي عون، قمار، كوينين، الرقية، البياضة، النخلة، الرباح وربايع الجنوب¹.

وكأنموذج للتحويل الذي حدث في تركيبة اللجان البلدية، نلاحظ أن اللجنة البلدية للبلدية المختلطة الوادي كانت تتكون سنة 1956 من عضوية اثنا عشرة عضوا، وهم السادة:

الرقم	اسم العضو	الوظيفة	المهمة
01	ليس كاتينو	المتصرف الإداري	رئيس البلدية
02	روبسكي مارسال	تاجر	نائب الرئيس
03	بوزنة الصادق	/	عضو
04	دحة محمد بن الحاج علي	/	عضو
05	أتياشي رايونند	/	عضو
06	الباشاغا بن موسى عبد الغني	قايد الأعشاش	عضو
07	الباشاغا زيبيدي لمين	قايد أولاد سعود	عضو
08	الآغا لعلاي لخضر	قايد قمار	عضو
09	القايد مصري حميدة	قايد المصابعة	عضو
10	القايد بن موسى بوبكر	نائب قايد الأعشاش	عضو
11	القايد زيبيدي حسين	قايد الديلة البهيمه	عضو
12	شيراكي إيلي	قابض البريد	عضو

جدول رقم 45: قائمة أعضاء اللجنة البلدية للبلدية المختلطة الوادي سنة 1956²

فتغيرت تركيبتها سنة 1961، وأصبحت تتكون من 31 عضوا، وهم السادة:

الرقم	اسم العضو	الوظيفة	الرقم	اسم العضو	الوظيفة
01	بن موسى عبد الغني	الرئيس	17	أحمدي بشير	عضو
02	روبسكي مارسال	النائب الأول	18	محمودي أحمد	عضو

1_ AOM, 81 F 1300, (d. 02): Réorganisation territoriale du Sahara algérien, création de départements et d'arrondissements et réorganisation communale (1957-1962), p 12.

2 _CAWE: Extrait du Registre des Délibérations de la Commission Municipale, Séance du 14 Avril 1956, Délibération n° 14, Commune Mixte D'EL-OUED.

03	بن موسى عبد الوهاب	النائب الثاني	19	فرجاني سالم	عضو
04	نجاح أحمد	النائب الثالث	20	لغدامسي حسين	عضو
05	شتحونة بشير	عضو	21	عموري عبد القادر	عضو
06	سروطي إبراهيم	عضو	22	أتياشي رايموند	عضو
07	خيارى العربي	عضو	23	مجوري محمد	عضو
08	بيرود قاي	عضو	24	قدوري قدور	عضو
09	فوزان جاك	عضو	25	سلمان محمد	عضو
10	مصطفىواي أحمد	عضو	26	سباق عبد القادر الهادي	عضو
11	عمراني محمود	عضو	27	زلاسي العربي	عضو
12	بوطيب عمران	عضو	28	خليل عبد الرزاق	عضو
13	لعمودي عبد السلام	عضو	29	العيسي حاج علي	عضو
14	شايع محمد	عضو	30	سويد ابراهيم	عضو
15	زيدي الطيب	عضو	31	ديفار كلود	عضو
16	سلطاني الحبيب	عضو			

جدول رقم 46: قائمة أعضاء المجلس البلدي للبلدية المختلطة الوادي سنة 1961¹

ليظهر جليا ابتعاد السلطة الإدارية عن العضوية المباشرة لإدارة شؤون البلدية، وتوسيع عدد أعضاء اللجنة البلدية.

وما يجدر ذكره أنه إضافة إلى الفرق الإدارية المختصة (S.A.S) المنتشرة عبر كل المنطقة، تم إنشاء ثلاثة مراكز إدارية صحراوية (C.A.S) سنة 1956: عميش، المقرن والرقبية، ثم أضيف مركز رابع خاص بربايع الجنوب بالبياضة سنة 1958²، وفي ذات السنة أيضا تم تنصيب جهازين جديدين مختصين

1 _CAWE: Extrait du Registre des Délibérations du Conseil Municipal, Séance du 12 Décembre 1960, Délibération n° 86, Commune D'EL-OUED.

2_ SHDDE, 1 H 1207, (d.04): dossiers nominatifs sur des sections administratives spécialisées au sud algérien, 1956, p 02. ولإطلاع أكثر حول مركز الربيع ينظر: SHDDE, 1 H 1341, (d.04): mise sur pied et encadrement du maghzen des Rébaïas (1959).

في القمع والتعذيب والتنكيل هما: المفزة العملياتية للحماية (D.O.P)، ثم الوحدة العملياتية للاستعلامات (U.O.R)¹.

أما عند فجر الاستقلال فقد ظلّ الإطار القديم للإدارة الفرنسية مُحافَظًا عليه في انتظار إعادة تنظيم عامة تسير الأفكار الجديدة وتستجيب للطموحات، إلّا أن جميع القوانين والمراسيم التي تكرّس فصل الصحراء عن باقي الوطن قد ألغيت، أما المجالس البلدية المتولدة عن الانتخابات الأخيرة فقد حُلّت، وعُوّضت بمندوبيات خاصة نُصبت من قبل الجهاز التنفيذي المؤقت، تم تعويض رؤساء البلديات برؤساء مندوبيات خاصة، حيث عُيّن بتاريخ 25 سبتمبر 1962 السيد أحمد شابي أولّ رئيس مندوبية خاصة بالوادي، أما نيابة رئيس العمالة فأُسندت إلى السيد هنيّ مختار بتاريخ الثامن جانفي 1963 الذي عوّضه بدوره السيد بوزاهر محمد الذواوي في أوت من نفس السنة في حين أن التّواب المنتخبين المعيّنين بقرارات من العمالة واصلوا ممارسة صلاحياتهم كمستشارين للبلديات².

الهياكل الإدارية ظلّت مُتّابعة من قبل الحكومة الجزائرية، وتم الإبقاء على العمالات الـ 15 و 1525 بلدية، إلّا أن الفرق الإدارية المختصة، والمراكز الإدارية الصحراوية تم إلغاؤها³.

ثانيا _ أعوان الإدارة الاستعمارية في سوف 1954 . 1962:

البلدية المختلطة يرأسها متصرف إداري وهو عون إداري خاص بالجزائر، مهامه تلخص التطورات التي شهدتها المؤسسات الإدارية أثناء تحولها من نظام الحكم العسكري إلى نظام الحكم المدني وحركيتها نحو تحقيق سياسة الإدماج التدريجي، كما أنه بمثابة شيخ بلدية يتمتع بقوانين استثنائية في البلديات المختلطة التي لم تشهد تطورا في المصالح ونموا متزايدا للعنصر الفرنسي والأوربي الكافيين لتطبيق القانون⁴,

1_ AOM, 81 F 163, (d. 01): documentation sur les Détachements opérationnels de protection (DOP) puis unités opérationnelles de renseignement (UOR) au territoriale du Sud algérien, 1960, p 05.

2_ SHDDE, 1 H 1109, (d.02): Organisation administrative après l'indépendance, SAHARA, Janvier 1963, p 11.

3_ SHDDE, 1 H 1207, (d.02): Procès Verbaux de Dissolution des sections administratives spécialisées, Territoires du Sud, Aout 1962, p 09.

4_ AOM, 81 F 1754, (d. 01): Intégration des administrateurs des services civils d'Algérie dans le corps des administrateurs civils du ministère de l'Intérieur, 1955, p 06.

تتجسد في شخصه وحدة هذا التقسيم الإداري المصطنع، لأن قرار إنشاء البلدية المختلطة تملّيه دائما المصالح الاستعمارية دون مراعاة مصالح الأهالي الاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

كما لجأت الإدارة الاستعمارية إلى فكرة جعل السكان يديرون أنفسهم بأنفسهم في الوظائف الثانوية، على أن تكون الإدارة العليا في العمالات والمقاطعات للفرنسيين، بل حاولت على مرّ الزمن تطويرها بشكل يسمح لها بتأكيد سيطرتها وتحكمها في سوف، وانطلاقا مما سبق ظهر جهاز إداري تشكل من الأعوان الأهالي، فمن هم هؤلاء الأعوان؟ وماهي وظائفهم وصلاحياتهم؟ يمكن تمييز الأعوان الأهالي من خلال الألقاب التي يحملونها، والوظائف التي يمارسونها، ومن أهمهم في سوف؛ القايد والحارس الريفي وشيوخ الفرق.

1 _ القيادات الأهلية بوادي سوف:

سأستعمل في هذا العنصر مصطلح قايد، بدل قائد، نظرا لخصوصية المصطلح وشيوعه في وسط المجتمع الجزائري، وفي كتابات الإدارة الفرنسية، حيث يعتبر القايد موظفا أهليا مسلما، تعينه الإدارة الفرنسية ويخضع لرقابتها، يهتم بصفة خاصة بالمصالح الإدارية لشؤون السكان الأهالي، وهو بذلك يمثل الأرضية الأساسية للتنظيم الإداري في الوادي.

إن القايد بمنطقة سوف كغيرها من مناطق الجزائر يتمتع بقانون خاص، حددته مجموعة من القرارات الصادرة عن الحكومة العامة بالجزائر، فمنذ سنة 1916 أصبح قياد البلديات المختلطة يعيّنون بقرار من الحاكم العام، وإضافة إلى الولاء والخضوع والخنوع التام يجب أن تتوفر فيهم الشروط التالية:

. بلوغ المترشح 25 سنة كاملة فما فوق.

. إجادة القراءة والكتابة باللغتين الفرنسية والعربية.

. التمتع بالسلامة البدنية لضمان أداء وظيفته الكثيرة النشاط.

لقد استغلت السلطات الفرنسية ظروف المنافسة بين الزعامات المحلية لاختيار أقوى القياذ وأصلحهم في السيطرة على المنطقة¹.

يخضع القياذ لتثبيتهم في وظائفهم لتربص يدوم سنة على الأكثر، يتلقى خلاله القياذ والمتربصون مستحقات شهرية، وفي نهاية التربص وبناء على تقرير المتصرف الإداري ورأي عامل العمالة يمكن للحاكم العام أن يثبت القياذ المتربص في الصنف الخامس، كما يمكنه فصله أو الإقرار بإعادة التربص مرة ثانية، وقد يُعفى القياذ من التربص بصفة استثنائية ويشمل الاستثناء من التربص أولئك الذين مارسوا وظائف قضائية أو إدارية، كذلك أولئك الذين لهم رتبة ملازم أو ملازم أول في الجيش البري أو البحري، كما يُرتب في الصنف الذي يتناسب مع وظيفته التي كان يشغلها².

يتوزع القياذ على ستة أصناف منها خمس أصناف عادية وصنف سادس استثنائي، وتتراوح أجورهم ما بين ثمانية آلاف و13 ألف فرنك سنويا حسب قرار 1929 وما بين 10 آلاف و15 ألف فرنك حسب قرار سنة 1938، وتتم ترقية ثلث ($\frac{1}{3}$) القياذ بالتفضيل والثلثين الباقين ($\frac{2}{3}$) حسب الأقدمية، وفي الحالة الأولى يجب أن يخضع القياذ لتربص مدته ثلاث سنوات على الأقل في الصنف السابق، ويمكن أن يُرقى القياذ إلى رتبة آغا بعد عشرين سنة من الخدمة، منها خمس عشرة على الأقل في وظيفة القياذ، غير أن هذه المدة حُفِضت إلى عشر سنوات، بالنسبة للقياذ الذين جُندوا خلال الحرب العالمية الأولى³.

هذا ويتعرض القياذ، مثلهم مثل الباشغوات والأغوات إلى إجراءات عقابية وهي:

. التوبيخ الرسمي.

. خصم نصف الراتب لمدة ثلاثة أشهر كحد أقصى.

1_ Peyronnet. R: Livre D'or Des Officiers Des Affaires Indigènes 1830-1930 , Tome 1, Histoire et Annuaire, Imprimerie Algérienne, Alger, 1930, p 136.

2_ AOM, 81 F 1761, (d. 03): Notes Sur Le Carrière Administrative Des Caïds (1952- 1962), p 03.

3_ AOM, 81 F 1761, (d. 04): Rémunération des cheikhs, L'Administrateur des Services Civils, Chef de la Commune Mixte d'El-Oued, 15 Avril 1953, p 01.

. التوقيف عن العمل لمدة ثلاثة أشهر كحد أقصى، مع خصم كلي للراتب.

. التوقيف عن العمل لمدة ثلاثة أشهر على الأقل وستة أشهر كحد أقصى، مع الخصم الكلي للراتب،

كما أن للقياد عطل متفاوتة المدة من ثمانية إلى 15 يوما يمنحها نائب العامل، شهران يمنحها عامل العمالة، أكثر من ذلك يمنحها الحاكم العام.

يتميّز القياد عن بقية الأعوان الآخرين في الدواوير والمدن بلباس رسمي هو عبارة عن برنس أحمر ونظرا لكثرة تنقلاتهم في الأرياف فقد أعفاهم الحاكم العام من ارتداء البرنس شرط أن يضعوا على بذلتهم شعار الشرف وزخارف بالخيط الفضي على قماش أحمر تمثل أوراق الزيتون التي ترمز إلى تطور جهازهم¹.

__ صلاحيات وواجبات القايد: يمكننا حصر مهام القايد حسب فيما يلي:

. الرقابة السياسية والإدارية على الأهالي المسلمين.

. تزويد المتصرف الإداري بالمعلومات التي تهم الحفاظ على الأمن والاستقرار.

. إشعار السلطات القضائية بالجرائم والمخالفات التي تقع عبر إقليم اختصاصه.

. الحفاظ على النظام العام؛ فسلطة القايد قد تمتد إلى الجناة والمجرمين الأوربيين الذين قد يفرون إلى منطقته.

. المشاركة الفعّالة إلى جانب محصلي الضرائب، وتستعصي مراقبتهم في هذا الشأن لتباعد مختلف القرى.

. يزود القياد الإدارة الفرنسية بالمعلومات الخاصة بإحصاء الأهالي الذين بلغوا سن التجنيد².

1_ Peyronnet. R, Op. Cit, p 121.

2_ أوليفي لوكور غرانيزون: الاستعمار الإبادة: تأملات في الحرب والدولة الاستعمارية، تر: نورة بوزيدة، (د.ط) دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2005، ص 283.

. يُكَلَّف القياد بالسهر على مراقبة التصريحات الخاصة بالمواليد والوفيات، وبالزواج والطلاق، ونظرا لشساعة المنطقة وعزلة القرى النائية وأعداد البدو الرحل وتوزعهم في أماكن متباعدة، يصعب عليهم القيام بالتصريحات حول الحالة المدنية في مقر البلدية، فإن القايِد حوّل حق استقبالهم وتسجيل تصريحاتهم على دفتر خاص ذي قسيمات على أن ترسل تلك القسيمات في أجل أقصاه ثمانية أيام.

. يحدد القايِد قوائم الحراس بمراكز المراقبة.

. السهر على المدارس من حيث الصيانة ومراقبة ما يجري فيها¹.

القيادة في إقليم سوف وكغيرها من بقية أقاليم الجزائر المستعمرة، لم تكن في أغلب الأحيان سوى مظهر آخر للتسلط والقهر في وجه الأهالي، الكثير من التقارير الفرنسية وشكاوي الأهالي تبرز مدى البؤس الذي عانوا منه نتيجة تصرفات القياد وبتشجيع من الإدارة الفرنسية أحيانا وبأمر منها أحيانا أخرى.

ومع الخدمات الجليلة التي يقدمها القياد بسوف للسلطات الاستعمارية، سواء كانت هذه الخدمات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو غيرها، مع أنها حاولت منح هؤلاء القياد موقع ودرجة راقيتين من خلال تعزيز سلطاتهم المادية والسياسية والاجتماعية وتكريس هيمنتهم المطلقة على الأهالي المسلمين، فإن الإدارة الفرنسية بقيت غير واثقة فيهم تماما، ويتجلى ذلك في شكها الدائم في ولاء القياد لها، لذلك منحت للمتصرف الإداري في البلدية المختلطة حق مراجعة ومراقبة جميع المعلومات والمقترحات التي يقدمها القياد، وكذلك استشارة أعيان القرية وأخذ رأي الجماعة، وأحيانا أخرى رأي مجلس فرع الشركة الأهلية للإغاثة (S.I.P)، خاصة إذا كان يتعلق الأمر بقضايا إدارية أو اقتصادية.

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	القبيلة	الزوجة	عدد أفراد العائلة
01	بن موسى عبد الغني	باشاغا	الأعشاش	عبيدي سكينه بنت الطيب هقي تبر بنت العيد	10
02	بن موسى بوبكر	قايد	الأعشاش	بن موسى العزوزية بنت أحمد وأخرى	07

1_ AOM, 81 F 1301, (d. 06): Reforme Communal, Réorganisation Administrative du Souf, (s.d), pp 01-08.

03	مصري حميدة	قايد	المصاعبة	مصري العطرة بنت عبد العزيز	03
04	لعلالي لحضر	آغا	قمار	خليفة يمينة بنت عمار وأخرى	06
05	زبيدي ملين	باشاغا	أولاد سعود	عاشوري الزهرة بنت محمد	10
06	زبيدي حسين	قايد	الدييلة والبهيمة	بوعكاز حورية بنت محمود	10

جدول رقم 47: قائمة القياد بملحقة الوادي بتاريخ 07 ديسمبر 1955¹

2 _ الحرس الريفي الأهلي:

الحرس الريفي هو كاتب القايد، وهو الذي يقوم بكل مراسلاته الإدارية ويسجل تصريحات الحالة المدنية وكاتب الجماعة بالقرية، وبناء على تعليمات الحاكم العام التي ذكرها في منشوره الصادر بتاريخ 20 أبريل 1931 وضع الحدود التي يمكن أن تتراوح بينها أجورهم، وهي بالنسبة للحراس الريفيين الذين يقومون في الوقت نفسه بمهام خوجة القرية من 2800 فرنك إلى أربعة آلاف فرنك في السنة، أما بالنسبة للحراس الريفيين الذين لا يقومون بمهام الخوجة فتتراوح أجرتهم من 2400 إلى 3500 فرنك، وبالنسبة لخوجة القرى الذين لا يقومون بمهام الحارس الريفي تتراوح أجورهم من 2200 إلى 3500 فرنك².

إن وظيفة الحرس الريفي الأهلي هي نفس وظيفة نظيره الفرنسي، فهو عبارة عن شرطة ريفية يكلفون بالتحقيق في المخالفات والجنح التي يمكن أن تقع في القرية، وهم مطالبون بتقديم يد المساعدة لضباط الشرطة القضائية، ويبلغون الاستدعاءات أو التنبيهات الصادرة عن السلطة القضائية أو الإدارية إلى السكان الأهالي المسلمين في القرى.

هؤلاء الأعوان الخاضعين للقياد، يعتبرون من المساعدين الأكثر نشاطا والأكثر نفعا للإدارة، أما مسألة التعيين وإنهاء المهام والعزل بالنسبة للحراس الريفيين الأهالي، فنجدها من صلاحيات عامل العمالة،

1_ AOM, 81 F 1761, (d. 04): CAIDS et leurs FAMILLES, L'Administrateur des Services Civils, Chef de la Commune Mixte d'El-Oued, 07 Décembre 1955, p 01.

2_ AOM, 81 F 1771, (d. 01):Personnel Communal, modification de la loi du 28 avril 1952 sur leur statut, 1957, p 03.

وأحيانا يتحفظ ويفوض عامل العمالة حق تعيين الحراس الريفيين الأهالي للمتصرف الإداري، أما العزل وإنهاء المهام فتتم بنفس الإجراءات.

وقبل أن يشرع الحراس الريفيون الأهالي في أداء وظائفهم، يجب عليهم أداء اليمين أمام قاضي الصلح للمقاطعة، وللإشارة فإن تقاريرهم ومحاضرهم لا يعتد بها في العدالة وقد تؤخذ للاستئناس فقط¹.

3 _ رؤساء الفرق وصلاحيات الجماعة في سوف:

أ _ رؤساء الفرق:

تقسم كل قبيلة إلى فرق أو إلى أحياء، ويكون على رأس كل جزء من هذه الأجزاء رئيس فرقة، ويُدعى "شيخ".

لقد سبق وأن ألغى الحاكم العام هذه الوظيفة، ثم أعيدت في كل البلديات التي ترى السلطات الفرنسية أنها بحاجة إلى ذلك ومنها بلديات سوف، وقد كُلف هؤلاء بتزويد الإدارة بالمعلومات الضرورية.

إن "كبار" وأمناء القرى يعينون ويعزلون ويوقفون من وظائفهم بقرار من عامل العمالة أو من يفوضه، ول هؤلاء الأعوان الإداريين الأهالي مهام وواجبات يكلفون بها تحت سلطة القايد، ويمكن حصرها في النقاط التالية:

. مراقبة الفرقة والأحياء والقرى الواقعة في مجال اختصاصه.

. إشعار القايد بكل ما يخص الأمن والصحة العمومية.

. مساعدة القايد في التحصيل الضريبي.

. التأكد من صحة تصريحات الحالة المدنية المقدمة للقايد أو ضابط الحالة المدنية.

. يزودون القايد بكل المعلومات الضرورية والتوضيحات التي يحتاجها.

. يكلفون بمراقبة كل خرق للقوانين والتنظيمات من قبل سكان الأهالي².

1_ Peyronnet. R, Op. Cit, p 125.

2_ AOM, 81 F 1771, (d. 01), Op. Cit, p 06.

هذا وفي كثير من الأحيان، تعمل الإدارة الفرنسية بصفة عامة على اختيار المشايخ وفق رغبة السكان الأهالي، بالنظر إلى الأعباء التي يكلفون بها ومدى علاقتها المباشرة بالسكان، حيث نجد بعضهم أحيانا عبارة عن قضاة بالبلدة وينفذون تعليمات مجلس الجماعة، غير أن هذا الالتزام غير كاف لدى الرأي العام ليكسب كبار القرية السلطة اللازمة لضمان السير الحسن للمصلحة وإظهار خضوعهم وغيرتهم وحماسهم أمام الإدارة الاستعمارية، وقد اشترطت عليهم هذه الأخيرة أن يكونوا محلفين مثلهم مثل الحراس الريفيين¹.

الرقم	القبيلة	الفرقة	اسم الشيخ	تاريخ ميلاده	سنة توظيفه
01	أولاد سعود	كوينين	زويدي الصغير بن علي	1889	1915/06/17
02		سيدي عون	حساني براهيم بن علي	1919	1947/06/06
03		تغزوت	قمازي عبد الكريم بن سعد	1899	1927/06/14
04		ورماس	مامون بشير بن محمد	1887	1920/04/01
05		الرقم	شوية عثمان بن محمد	1887	1952/03/10
06	قمار	غمرة	حمادي الطاهر بن لحميم	1896	1940/07/15
07		قمار	دحة محمد بن حاج علي	1900	1940/07/15
08	المصاعبة	الشبابطة	بن عماره الصغير بن علالي	1884	1949/11/24
09		العزازلة	أحمد بن مسعود بن سعد	1894	1940/06/29
10		الشعامبة	غدير عمر العيد بن دحمان	1883	1940/02/09
11		الدييلة	علال الطاهر بن بشير	1910	1943/03/22
12		البيهمة	حساني بلقاسم بن عمر	1894	1946/12/27
13	الأعشاش	أولاد أحمد	مصطفىوي أحمد بن صالح	1897	1943/12/21
14		ربايع الشمال	أحمد بن العزوزي	1893	1944/04/06
15		ربايع الجنوب	بشير بن لحميم	1901	1943/11/09
16		الفرجان	لخضر بن محمد	1897	1939/08/04

جدول رقم 48: قائمة شيوخ الفرق بملحقة الوادي في 15 أفريل 1954²

1_ Peyronnet. R, Op. Cit, p 131.

2_ AOM, 81 F 1761, (d. 04): Liste Des Chioukh De l'Annexe d'EL-OUED, L'Administrateur des Services Civils, Chef de la Commune Mixte d'El-Oued, 15 Avril 1954, p 01.

ب _ تنظيم وصلاحيات الجماعة في سوف:

الجماعة قانوناً، هي تجمع للمواطنين الراشدين في مجلس تمارس من خلاله جماعة من الأفراد السلطة، ويكون هؤلاء الأفراد من الناس الأكبر سناً أو من ذوي النسب والشرف أو من ذوي المال والجاه والجماعة سياسياً هي مجلس مصغر لوحدة إدارية تسمى القرية، وتتكون من أعيان السكان الأهالي، يرتبط نشاطها بالقضايا المتعلقة بالقرية وتمارسه عن طريق المداولة أو التشاور كما تمارس الجماعة المهام التقليدية المتعارف عليها، من فصل الخصومات والنزاعات بين الأفراد والجماعات وإقامة العقود والمواثيق إضافة إلى تمتعها ببعض السلطات السياسية والقضائية، غير أن مهمتها تختلف من منطقة إلى أخرى حسب مرسوم 29 أوت 1945¹.

في البلديات المختلطة كما هو الحال في سوف، يعقد مجلس الجماعة دورات عادية في الشهر الأول من كل ثلاثي، بناء على استدعاء من المتصرف الإداري ويمكنها أن تُستدعى لعقد دورة استثنائية بدعوة من شيخ البلدية، أو من المتصرف الإداري.

ويمكن أن يحضر المتصرف الإداري في كل اجتماعات الجماعة في البلدية المختلطة التي يشرف عليها، أما قادة البلديات المختلطة فيشاركون في مداولات الجماعة بصفة ممثلين للإدارة، وقد وضعت خطوط حمراء أمام الجماعة حيث لا يمكنها أن تتداول حول المواضيع الخارجة عن صلاحياتها ولا يمكنها أن تنشر الإعلانات أو تعبر عن رغبة سياسية، كما يمنع عليها أيضاً أن تدخل في اتصالات مع جماعة أو عدة جماعات في قرى أخرى، تدوّن محاضر المداولات باللغة الفرنسية أو باللغة العربية على دفتر مرقم ومختوم من قبل شيخ البلدية أو المتصرف الإداري، يمسكه كاتب مجلس الجماعة ويودع لدى الرئيس².

4 _ التحوّل القضائي في وادي سوف:

عملت فرنسا على تعويض التقاليد القضائية الإسلامية بقوانين غربية عن المجتمع السوفي من أجل محو القضاء الإسلامي وإضعاف شأنه، لذلك لا يقل تأثير التنظيم القضائي في ظل الاحتلال عن باقي التنظيمات الإدارية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت تصب في مشروع استعماري واحد، لقد ربط

1_ AOM, 81 F 1290, (d. 07): Note sur Personnels Civils de l'administration communal des communes mixtes et les centres municipaux, p 16.

2_ Peyronnet. R, Op. Cit, p 162.

الاحتلال الفرنسي القضاء بادئ الأمر بظهور المكاتب العربية حيث أصبحت العدالة جزء من صلاحيات مكاتب الشؤون العربية، ثم تأسست مجالس هي بمثابة محاكم استئناف، ومجلس تشريعي لتوضيح وتقديم الآراء في كل من تقرت وباتنة، كما تم الفصل بين القضاء الإسلامي والقضاء الفرنسي بوضع الأول تحت إمرة السلطة السياسية وفتح الباب في نفس الوقت للمسلمين الذين يرغبون في التقاضي لدى المحاكم الفرنسية، كما تحوّل المستشارون المسلمون إلى قضاة حقيقيين مع أنهم بعيدون كل البعد عن تقاليد وتشريعات الأهالي؛ لذلك أضحوا عبارة عن موثقين لقضايا الزواج والطلاق والميراث، وكانت كل محكمة تتكون من قاض وعدلين وباش عدل خاصة في محاكم المدن، يتم تنصيب القضاة ومساعدتهم بعد دراسة دقيقة وباقتراح من النائب العام في المناطق المدنية ومن السلطة العسكرية في مناطق القيادات¹.

تحول القضاء الإسلامي في سوف بتطور الاحتلال الفرنسي نفسه، ففي بداية الاحتلال ترك الفرنسيون أمر المحاكم الإسلامية تعمل تحت إشرافهم ونفوذهم، ثم صدرت مجموعة مراسيم أدت في النهاية إلى انتزاع سلطة القاضي المسلم وجعله مجرد أداة، حيث أحلت فرنسا قانونها الجنائي محل القصاص وغيره من أحكام القرآن، مع أنها أبقت على المحاكم الإسلامية إلا أن الحاكم العام هو الذي يعين القاضي، ونظرا لوجود سوف ضمن نطاق الأقاليم العسكرية الجنوبية فقد باتت المكاتب العربية هي التي تتحكم في القضاء.

المحكمة	دائرة الاختصاص	محكمة السلم	محكمة الاستئناف	اسم القاضي	تاريخ التوظيف	اسم الباش عدل	تاريخ التوظيف	اسم العدل	تاريخ التوظيف	اسم العون	تاريخ التوظيف
الوادي	الوادي مركز	تقرت	باتنة	عمرائي مسعود بن محمد	1939/07/13	مقازي هباله بشير	1955/01/25			مدخن عبد القادر	1956/02/24
	المصاعبة										
	الأعشاش										
	الشعامة										
	كوبنين										
	ورماس										

1_ Paul Thibaud: Comment fonctionne la justice en Algérie, Esprit, Nouvelle série, N° 250, Editions Esprit, Paris, Mai 1957, pp 859-873.

قمار	قمار مركز	قاضي الطاهر	1956/06/05	سعيد محمد بشير	فيفري 1951	مفتاح أحمد بن عبد الباقي	1946/03/26	نصبة محمد بن علي	1932/02/06
	الدبيلة والبهيمة								
	سيدي عون								
	تغزوت								
	الزقم								
	الرقبية								

جدول رقم 49: لوحة بيانية لهيكلية محكمتي الوادي وقمار في السادس جانفي 1958¹

مع اندلاع الحرب التحريرية في أول نوفمبر 1954، وتطبيقا لمرسوم السادس من أبريل 1955 الذي يعلن فرض حالة الطوارئ في الجزائر، جاء المرسوم رقم 55-544 المؤرخ في 19 ماي 1955 ليفرض الأحكام الاستثنائية ببلدية الوادي المختلطة، منذ ذلك الحين أعلنت الأحكام العرفية وتركزت كل السلطات بيد متصرف الشؤون الأهلية، تبعا لذلك عرفت سوف عدة مصادرات ومتابعات وآثار بالغة الخطورة مست جوانب مختلفة من حياة السكان، ردود أفعال الاستعمار تلك أدت إلى تقليص دور القاضي المسلم²، فكانت سنوات الحرب بوادي سوف فترة قهر وكبت للحريات وقمع وحشي شاركت فيه الإدارة العسكرية وأعوانها الذين أخذوا مكان القاضي، وتعاضل دور السلطة الفعلية (المكاتب العربية) بين الأهالي في فض النزاعات وفرض العقوبات والسيطرة على الأموال والأراضي، كما تحولت شكاوى السكان من إطارها التقليدي "الجماعة" إلى القايد كواسطة مع الإدارة الفرنسية التي حلت محل الهيئات التقليدية القديمة³.

وأمام قلة عدد المستوطنين الأوربيين، تحول القضاء المدني بسوف إلى قضاء قمعي عانت منه المنطقة كثيرا، فكثر عقوبات الحبس، الغرامات، الحجز والمصادرة، مما عمق الظلم المسلط على الأهالي جراء تطبيق القوانين الاستثنائية، وأدى إلى ارتفاع عدد المخالفات المتعلقة بالنظام العام ومساندة المجاهدين، في حين لم يحدث ذلك الارتفاع في الأصناف الأخرى من مخالفات الحق العام، وهو ما زاد

1_ AOM, 81 F 1356, (d. 01):Magistrats et personnels judiciaire, Tableau Nominatif, L'Administrateur des Services Civils, Chef de la Commune Mixte d'El-Oued, 06 Janvier 1958, p 01.

2_ سيلفي تينو: عدالة غربية "القضاة في حرب الجزائر"، تر: عمر لحسن، EDIF 2000، (د.ط)، الجزائر، 2013، ص 35.

3_ Paul Thibaud, Op. Cit, pp 859-873.

من حدة الاحتقان وحالة عامة من اليأس لدى السكان ودفعت بالكثير منهم إلى الهجرة أو تعزيز صفوف المجاهدين¹.

استمرت مناطق سوف ضمن نطاق المحاكم العسكرية الموجودة في كل من تقرت وباتنة، كانت الأحكام القضائية تطبق وفقا للقانون الفرنسي على المعمرين الأوربيين وقانون حالة الطوارئ على الأهالي المسلمين.

لم يؤد تكوين محكمة السلم بسوف إلى تسوية مسائل الأهالي بالقدر الذي كانوا ينتظرونه، بل كانت وسيلة موازية لتعسف الإدارة وأعوانها، ولعل هذا الواقع هو الذي دفع السكان إلى التقاضي لدى أئمة المساجد وهجران القضاء الرسمي.

لقد كانت مسألة إدارة الأهالي بالنسبة للفرنسيين، تأخذ مكانة جوهرية في السياسة الاستعمارية العامة التي كانت تهدف في البداية إلى توطيد انتصاب الوجود الفرنسي بالمنطقة ثم توسيعه، وبعد ذلك التمكين للعنصر الأوربي للسيطرة على الأهالي بصورة دائمة.

اتخذت القيادة العسكرية الأولى وكمحطة تمهيدية من القيادات القديمة من الأعوان الأهالي بمنطقة سوف وسيلة أرادت من خلالها تحقيق جملة من الأهداف، منها:

- استغلال هذه العائلات النافذة من الأهالي في إدارة بقية الأهالي.

- تحقيق تقسيم صفوف الأهالي بما يضمن اشراك نسبة كبيرة من السكان إلى جانبها.

- ضمان استتباب الأمن والاستقرار بما يسمح بمجيء المستوطنين واستقرارهم.

لقد عملت القيادة العسكرية الحاكمة خلال ثورة التحرير على إدارة الملحققة بروح الانتقام والقهر لما شكلته من قاعدة أساسية لمد الثورة التحريرية بالرجال والسلاح، لذلك حاولت السلطات إفراغ المنطقة من الانسجام والترابط القديم الذي ميّز مختلف التقسيمات التقليدية بها، فأخضعها إلى تقسم إداري جديد.

1_ سيلفي تينو، المرجع السابق، ص ص 21-22.

إن تقسيم سوف إلى 16 بلدية جزء من سياسة فرنسا لتفكيك الوحدات القبلية الكبرى والقضاء على الترابط الاجتماعي الذي ظل رافدا هاما في ضراوة الثورة بالجهة، فكان رد فعل المستعمر الإمعان في قهر الأهالي وتعميق العوز والفقر والتخلف وحرمانهم من أبسط الحريات، كما أدى القضاء الفرنسي الوجه الثاني من الإدارة الاستعمارية، لما كان له من سلطة القانون الاستعماري الذي حل محل القضاء الإسلامي، هذا الأخير لم يبق إلا في إطار الممارسات العرفية المتعلقة بالزواج والطلاق والمواريث وما إلى ذلك من شؤون، أو ما اعتبرته فرنسا في خانة الأحوال الشخصية التي لا تدعو لقلقها أو خوفها على نفوذها المسلط على الأهالي.

ثالثا _ التحوّل المعماري في وادي سوف:

1 _ تحوّل شكل النسيج العمراني:

لقد عرفت مدينة الوادي منذ تأسيسها وطيلة مراحل تطورها ظهور العديد من المنشآت الدينية، والمعالم المعمارية، تمثلت في المساجد والزوايا التي كان لها الدور البارز في ترسيخ قيم الدين الإسلامي الحنيف بالمنطقة ونقاطه الأكثر شهرة عند عامة الناس، والشواهد الحافظة لمحطات التاريخ الكبرى، الحاملة للمسّات التراث وجماليات فن البناء التقليدي، لذا لقيت المساجد اهتماما كبيرا من حيث اختلاف التصميمات، لإظهارها في أجمل صورة تتناسب مع القيمة الروحية لها، بُنيت بمادة الجبس مع استعمال كل العناصر والخصائص المعمارية والزخرفية التي تتفق مع روحانية المكان كبقية مساجد العالم الإسلامي مثل: المئذنة، القباب، الأعمدة، الأقواس والزخارف والنقوش المختلفة، وما يقال عن المساجد ينطبق أيضا عن الزوايا المنتشرة في المنطقة فقد شهدت سوف نشاط العديد من الطرق الصوفية كغيرها من المناطق الجزائرية¹، من بينها: التجانية والرحمانية والقادرية، باعتبارها معالم دينية هامة حضيت بتميز واهتمام خاص.

1_ SCHACHT. J: " Sur la diffusion des formes d'architecture religieuse musulmane à travers le Sahara", in Travaux de l'Institut de Recherches Sahariennes, t XI, 1^{er} semestre, E. Imbert, Alger, 1954, pp 11-27.

تبعاً لذلك ظهرت حواضر إقليم سوف في شكل تجمعات سكنية بُنيت حول تلك المساجد والزوايا، حيث استقر الوافدون الجدد حولها وأقاموا مساكنهم بقرى¹، لتبدأ بمواد محلية بحتة عمارة المنزل السوفي الذي سيكون في الغالب شبيه بمنزل الجيران؛ فالنمط المعماري واحد، أما وجه الاختلاف فقد يكون في عدد الغرف فقط لتناسب عدد أفراد العائلة، ويمكن أن يُعدّل مخطط المنزل قبل انطلاق البناء بقليل أو حتى خلاله بملاحظة قد يقدمها البناء باعتباره متعدد الوظائف، فهو البناء والمهندس والتقني والعارف بخصائص المواد الإنشائية والوظيفية وطبيعة الأرض². ينطلق تخطيط المنزل قديماً في وادي سوف عموماً من الخبرات التراكمية وطبيعة البيئة والمناخ والثقافة والدين لتوضع كلها في إطار عام للمباني السكنية ونمط هو أشبه بالقالب الجاهز³، لذلك لا ترسم المخططات على الورق ولا تتطلب كثيراً من الحسابات والتفاصيل، يكفي أن يضع صاحب المبنى تصوراً ذهنياً لما يريد ويقسم الأرض حسب حاجته ضمن الإطار التصميمي العام للمنزل، ثم يجسد ذلك على الأرض مباشرة لحظة الانطلاق في البناء، مع مراعاة تطبيق مبدأ الحرمة من خلال وجود الفناء الداخلي الذي تفتح نحوه النوافذ، وإذا فتح بعضها إلى الخارج تكون صغيرة ومرتفعة، كذلك صرف مياه الأمطار من على سطح البيت بتوجيهه عبر السواقي (الشرشارة) إلى الفناء الداخلي حفاظاً على ممتلكات الجار وهي دون شك قيمة أخلاقية عالية.

وبدخول المستعمر عرفت عمارة مدينة الوادي خاصة تعدداً وتنوعاً في أشكال النسيج العمراني المختلط وأصبحت المدينة تعيش في قطاعات منفصلة، أحياء شعبية فقيرة (العمارة المحلية) تميزت بتصميم تداخلت في تكوينه عدة ظروف ومعطيات، وتحكمت فيه اعتبارات دينية، جغرافية، مناخية، اجتماعية واقتصادية من جهة، ومن جهة أخرى أحياء سكنية مخططة ومنظمة بطريقة غير مألوفة (العمارة الفرنسية) تميزت بتقنيات بناء تقوم على أسس علمية دقيقة ملائمة للمناخ السائد مع المحافظة على الطراز المحلي للمنطقة.

أ _ العمارة المحلية:

يمكن حصر العمارة المحلية في النسيج العمراني القديم، الذي استخدمت فيه المواد الإنشائية المحلية والتصميمات المتوافقة مع بيئة الصحراء بمهارات حرفية شعبية عفوية، ويأتي على رأسها المسكن السوفي.

1_ محمد الصالح بن علي: جماليات العمارة التقليدية بوادي سوف، حي الأعشاش نموذجاً، ج2، ط1، مطبعة مزوار، الوادي، 2014، ص 25.

2_ Ahmed Nadjah: Le souf des oasis, Edition La maison des livres, Alger, 1971, p 92.

3_ محمد الصالح بن علي، المرجع السابق، ص 19.

__ **المسكن وأقسامه:** يعد المسكن العائلي بقبابه البارزة النموذج الأنسب لعمارة المدينة، وهو بمثابة الخلية الأساسية التي يقوم عليها عمرانها ويمثل المحور الأول لاهتمامات الأفراد والعائلات؛ لأنه المأوى الذي يرتاح فيه السوفي ويختلف باختلاف الأوضاع والظروف التي يعيشها من حل وترحال بين حياة الترحل أو الاستقرار في المدينة، أغلبها بسيطة الشكل ومتواضعة البناء فبعد سنوات من التجارب توصل البَنَاء في سوف إلى تصميم مجال داخلي منفرد وفَعَال يحقق كل متطلباته ويستجيب لمحيطة اقتصاديا، واجتماعيا، ودينيا وبيئيا¹، ويمكن تبين ذلك من خلال دراسة مرافق البيت التقليدي الذي من مكوناته الأساسية نجد:

__ **السقيفة:** وهي مدخل الحوش وتكون مستورة بحائط متعرج وبشكل منكسر يحجب ما بالداخل، تماشيا مع تعاليم الدين وقيم المجتمع المسلم، كما تستعمل السقيفة كمكان للجلوس لفترات قصيرة تتبادل فيها النسوة الزيارات، في العادة تكون غير مسطحة ومفروشة بالرمل، ونظرا لكثرة الجلوس أحيانا، وهو ما يسبب حرجا للداخلين من أفراد الأسرة الذكور، لجأت بعض العائلات إلى إضافة غرفة صغيرة جانبية عرفت بدار السقيفة، والتي تطورت مع مرور الوقت إلى دار لاستقبال الضيف الأجنبي عن العائلة، وهذا يعود بالأساس إلى طبيعة العائلات السوفية المحافظة التي تتميز بالحشمة ونبد الاختلاط².

__ **السباط:** وهي كلمة عربية ومحلية، والسباط بالمفهوم المحلي هو عبارة عن رواق مغلق به أقواس، يدخل إليه الهواء بكثرة، عادة ما تفتح هذه الأقواس لجهة الشمال فهو مكان المكوث والراحة صيفا، وكذلك مكان ممارسة العمل التقليدي للنساء من نسج وحيافة وطحن للحبوب وخض شكوة الحليب وغيرها من أشغال، السباط مكان الجلوس ومكان القيلولة فهو المكان الأكثر برودة صيفا، تنصب فيه الحمارة التي تعلق عليها قربة ماء الشرب كما عرفت بعض الأحواش في فترات متأخرة إنجاز سباط يفتح جنوبا، ويكون في أغلب الأحيان على شكل غرفة صغيرة تسمى دار الشمس تستعمل عادة للجلوس في فصل الشتاء³.

1_ محمد الصالح بن علي، المرجع السابق، ص 19.

2_ Ahmed Nadjah, Op. Cit, p 92.

3_ علي غنابزيّة: مجتمع وادي سوف من الإحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1882 – 1954، المرجع السابق، ص 287.

— دار النوم: يشتمل الحوش في العادة على غرفة أو غرفتين تخصص للنوم ليلاً أثناء الشتاء وتعرف محلياً بالدار وعادة ما تكون صغيرة الحجم، يبلغ طول جدارها ما يزيد عن طول البناء بشبر أو ذراع ويكون عرضها ضيقاً، غير أنه وبتطور الطابع المعماري لسوف أصبحت هذه الغرف أكثر اتساعاً وجدرانها ملساء، الغرفة غالباً ما تتكون من قسمين؛ الغرفة والمقصورة وهي غرفة صغيرة عادة ما تكون مظلمة وليس لها نوافذ¹، ويزداد عدد غرف الحوش بازدياد عدد ساكنيه خاصة الكبار².

— دار الخزين: وهي الأساس في عمارة الحوش، هي حجرة لتخزين المؤونة السنوية من تمر وحبوب وشحوم ومواد غذائية عامة وشتى أنواع المجففات كالقديد، الوزف، الطماطم، الفلفل وأحياناً حتى الجراد المجفف والشرشمان وغيرها، في العادة تكون دار الخزين في الركن الجنوبي الغربي للحوش؛ مما يجعلها أقل تأثراً بحرارة الصيف، تبنى داخلها خابية من الجبس أسطوانية الحجم في شكل جرة ذات قاعدة عريضة، مسطحة تجعل لها في الأعلى فتحة ضيقة نسيماً، تسد بغطاء من ليف النخيل يمنع دخول الحشرات وتكون مرتفعة عن مستوى أرضية الغرفة³، توضع في أسفل الخابية قصبة يخرج منها عسل التمر المضغوط الذي يجمع في قلة أو زير ويخزن ليستعمل في الغذاء أو للتداوي، كما يوجد بجانب الخابية المخزن (الحد) وهو مربع الشكل يوضع فيه تمر النهوش والحبوب وحتى الصوف والوبر والخشب وغيره⁴.

— المطبخ: يكون في حجرة مستقلة أو في السباط حسب الظروف، حيث يُهيئ في إحدى الزوايا موقد مبني بالجبس وتثقب القبة من الأعلى ليخرج منها الدخان (الشميني)، ويحتوي المطبخ على عدة أدوات بسيطة كالقصعة والمهراس والغربال والقدر وغيرها من الضروريات كما تنشط عملية التبادل بين الجيران لمختلف الأدوات⁵.

— الخربة والمطهرة: وهما متلازمتان لكنهما منفصلتان عن بعضهما البعض، الخربة وجزء من مكان تربية الحيوان المنزلي (الكوري) عبارة عن غرفة ضيقة مربعة تقريباً، غير مغلقة لتكون أكثر تعرضاً لأشعة

1_ عبد العزيز حسونة: عمارة مدينة قمار بمنطقة سوف "دراسة أثرية عمرانية"، ط 1، مطبعة مزوار، الوادي، 2013، ص 79.

2_ علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الإحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1882 – 1954، المرجع السابق، ص 287.

3_ عبد العزيز حسونة: المرجع السابق، ص 80.

4_ أندري روجي فوازان، المرجع السابق، ص 199.

5_ لطيفة عريق: الطابع السكاني والتغير الاجتماعي في بلدية كوينين "دراسة تاريخية اثنوغرافية"، ط 1، مطبعة مزوار، الوادي، 2014، ص 32.

الشمس والهواء، بها حجرين كبيرين وبينهما ثقب كبير، تجمع الفضلات لتستعمل بعد ذلك في تسميد المزروعات، المطهرة هي عبارة عن غرفة ضيقة ذات قبة تخصص لتطهير الجسد ونظافته¹.

__ رجة الحوش: هو الصحن الذي يوجد في وسط الحوش، إنه فضاء داخلي مفتوح تفتح فيه جميع الغرف، وهو متعدد الاستعمالات كأشغال النسوة المختلفة، الراحة ولعب الأطفال والنوم فيه صيفا، فضلا عن وظيفته المناخية للتهوية والإضاءة، حتى أضحي دون شك أكثر من أكثر المساكن صحية في الصحراء² كما تقيم بعض الأسر الميسورة بئر ماء في إحدى زوايا الحوش³.

ب _ المدينة الكولونيالية:

تطلب نزول المستعمر الفرنسي في مدينة الوادي تشييد بنية تحتية يضمن بها السيطرة على المدينة، لتكون همزة وصل بين القيادات الاستعمارية شمالا وجنوبا، شرع في تهئية المباني والمنشآت العمرانية الخاصة بهم كالمصالح الإدارية المختلفة والشكنات مع المحافظة على التراث المحلي في البناء، غير أن الملاحظ أن السلطات الفرنسية لم تعمل على جعل البيئة أوروبية العمران فقط بل عمدت إلى فرنستها، وذلك من خلال إطلاق العديد من التسميات الفرنسية على الأماكن والمباني العمومية لاسيما الساحات والشوارع، سواء بأسماء شخصيات فرنسية بارزة مثل المستكشفين العسكريين والشخصيات الدينية وغيرها من أجل فرنسة المحيط وتمجيد وجودها، حيث أطلقت على أهم نهجين كبيرين المتقاطعين بوسط المدينة تسمية نهج الجنرال لايرين Laperrine على المحور شرق غرب وشارع المحطة La Gare على المحور شمال جنوب⁴.

غير أن الحقيقة التي لا يجب أن تغيب عن الأذهان أن الفرنسيين عند إنجازهم لمختلف المنشآت كانوا يخططون للبقاء وبشكل دائم في هذه المستعمرة، فكان كل ما شُيِد مَبْنِي على أساسات صحيحة راعت

1_ عبد العزيز حسونة: المرجع السابق، ص 81.

2_ Jean-Claude Echallier: " Sur quelques détails d'architecture du Sahara septentrional (III^e et dernière partie), le M'zab-Ouargla-Touggourt-le Souf" in Le Saharien, n° 46, 2^e Trimestre, 1967, Paris, pp 12-27.

3_ عبد العزيز حسونة: جدلية العمارة والعمران بمنطقة وادي سوف" في كتاب الإنسان والعمارة، محاضرات الندوة الفكرية التاسعة للرابطة الولائية للفكر والإبداع بولاية الوادي، أيام 26، 27 و28 جانفي 2013، ط 1، مطبعة سخري، الوادي، 2013، ص ص 244-246.

4_ SCHACHT. J, Op. Cit, pp 11-27.

فيها الجهات المختصة كل المقاييس الهندسية، بدليل جملة الدراسات التي قاموا بإنجازها قبل كل عملية تخطيطية دون مراعاة للوظيفة التي سيلعبها هذا المبنى، سواء أكان ذو صبغة دائمة أو مؤقتة في الحالتين تقوم الجهات المختصة بعملها على أكمل وجه، وما يؤكد ذلك هو تلك الشواهد الهندسية المعمارية التي لا تزال قائمة لحد الساعة ونقصد بذلك المباني السكنية، الطرق، المراكز الإدارية والثكنات العسكرية، الأبراج، المحلات التجارية، المراكز التعليمية، المستشفيات وغيرها من الشواهد¹.

لقد عمد الفرنسيون خلق هندسة معمارية تتماشى مع طابع الحياة التي يريدون العيش فيها، حيث تم اعتماد إستراتيجية عمرانية تقوم على بناء حزام من المباني تحيط بالمدينة القديمة التي تعكس هوية وانتماء سكانها²، لتمنعها من التوسع وبالتالي الاختناق والذوبان والزوال مع مرور الزمن، ذلك الحزام من المباني مكن من خلق بديل للمدينة القديمة تجلت أهم معالمه في المنشآت التالية:

- المسكن (villa): وهي عكس المنزل السوفي مغلقة غير مفتوحة على الهواء من الأعلى، أرضيتها صلبة وتعلو سطحها قباب وأداس، يوجد بمدخل المسكن ثلاثة أقواس مفتوحة للهواء، بها ممر يؤدي إلى الداخل حيث الحديقة المنزلية، وبالحديقة باب يؤدي إلى الشارع، في الجهة المقابلة غرفة استقبال بها دمس مسطيلة كبيرة بها فتحة على شكل زخرفة للإضاءة والتهوية، في وسط الممر هناك باب كبير يؤدي إلى بهو المسكن يسمى (هول)، وهو واسع ذو قبتين ونافذتين عادة واحدة في الشرق والأخرى تفتح على الحديقة من جهة الشمال، هذه النوافذ بها ستار خشبي، في البهو (الهول) بابان أحدهما يؤدي إلى الجهة الجنوبية التي بها دمس كبيرة، وبابان آخران أحدهما باب الحمام والمرحاض المجهز بطريقة جيدة وغير مألوفة عند السكان، والثاني للمطبخ الذي به potage وباب-نافذة (porte fenêtre)، وباب آخر يؤدي إلى غرفة النوم التي بها نافذتان، نافذة تفتح للحديقة وأخرى تفتح للشارع وباب من لتسهيل الوصول للحمام³.

1_ Jean-Claude Echallier, Op. Cit, pp 12-27.

2_ Jean Le Coz : De l'urbanisation "Sauvage" à l'urbanisation intégrée, in Bulletin de la Société Languedocienne de Géographie, n° 01, janvier-mars, Paris, 1972, pp 05-09.

3_ AOM, 81 F 1233, (d. 02): Rapport d'Enquête sur l'Habitat en Algérie, Cercle du Souf, par: Fraiser Raymond, Architecte d'El-oued, 27 Septembre 1960, p 19.

يحيط بالمسكن فضاء الحديقة التي بها الأشجار والأزهار، ومع أن المسكن الأوروبي مغلق إلا أن به كثير من الفتحات على شكل أبواب ونوافذ يدخل منها الهواء وأشعة الشمس من كل الاتجاهات للتهوية والإنارة.

— الحي الأوروبي: يقع هذا الحي الإداري جنوب شارع لايرين، غرب حي أولاد أحمد، هو عبارة على مجموعة من السكنات الأوروبية الواقعة قرب المباني الإدارية كقاعة الأفراح، المدرسة، التعليم المهني، دار الضياف، الكنيسة والحديقة العمومية. استفاد هذا الحي تقنيا من التجربة المحلية في البناء لاستعمال جميع العناصر كالقباب، الأدماس، الأقواس، ومادة الجبس¹، لقد أنجز هذا الحي وراء الأحياء الثلاثة الكبرى للسكان المحليين؛ الأعشاش، المصاعبة وأولاد حمد، لرصد ومراقبة تحركاتهم، والدليل على ذلك بناء الصومعة الكبرى في زاوية الثكنة العسكرية مقابلة لتلك الأحياء².

الحي الأوروبي حيا راقيا مقارنة بالأحياء المحلية، تعود بداياته الأولى إلى نهاية القرن 19م وبداية القرن 20 م، اقتصر في البداية على بعض البنايات الإدارية كالمدارس، المستشفى العسكري، سكنات لعمال الإدارة والثكنة ثم الفنادق ويبرو العرب، ليشهد بعد الحرب العالمية الثانية تطورا معماريا وتوسعا عمرانيا كبيرا، تميز بشاسعة مساحته وشوارعه وطرقاته خاصة شارع المحطة وشارع لايرين، يعود ذلك بدون شك إلى دقة التخطيط وصرامة المخططات³.

— الثكنة العسكرية: أنجزت الثكنة العسكرية في وسط المدينة الوادي، وفقا للطراز المحلي مبنية بمادة الجبس وتعلوها القباب والأدماس، تمتد على مساحة شاسعة حيث تجمع كل الإدارات والمرافق العمومية، تسمى البرج، صممها النقيب الفرنسي لونغلو في نهاية القرن 19م، تقوم بمهمة برج مراقبة يرصد ويراقب حركة السكان، وتضطلع بمتابعة شؤون العسكريين وتنظيمهم وتصنيفهم، كما ضمت مركز الشرطة إدارة الحكم المحلي ومصالح المكتب الثاني والسجن وغرف نوم⁴.

1_ AOM, 81 F 1233, (d. 02), Op. Cit, p 28.

2_ Ibid, p 19.

3_ Bazin. H, Op. Cit, p 61.

4_ AOM, 81 F 1233, (d. 02), Op. Cit, p 20.

وعلى إثر اندلاع الثورة التحريرية في أول نوفمبر 1954م، تدعمت المنشآت القاعدية في سوف بعدة هياكل أخرى، عسكرية ومدرسية وبريدية وسياحية وغيرها.

— المعالم السياحية: تعتبر مدينة الوادي أحد المعالم السياحية، تدعمها في ذلك طبيعتها الصحراوية وكتبانها الرملية وسمائها الصافية وهوائها النقي، فمنظر غروب الشمس في سوف تغني به العديد من زوار المدينة، كذلك بياض قببها وقباب المساجد، السوق وخصوصيته، لذلك بدأت مدينة الوادي تشد إليها أنظار الأجانب من مختلف أنحاء العالم، حتى أصبحت إحدى أهم المحطات السياحية لدى الأوروبيين، حتى وصل عددهم سنة 1936م إلى 28 سائحا، ليرتفع سنة 1937 إلى 335 سائحا من مختلف الجنسيات الأوروبية، وبغرض تفعيل الحركة السياحية شرعت السلطات الاستعمارية منذ ثلاثينات القرن الماضي بفتح عدة فنادق¹.

— فندق الكتبان: لمالكه المعمر لوكا ويحتوي على ست غرف ومطعم ودكان للمواد الغذائية، مقابل لشارع هنري لايرين.

— فندق ترانزات: تم افتتاحه مع مستهل سنة 1926م من طرف المجموعة الفرنسية المتخصصة في بناء الفنادق وصاحبة سلسلة من الفنادق في عدة مناطق من الجزائر، إنه فندق كلاسيكي عريق، حافظ على الطابع الهندسي الأصيل لمدينة الوادي، به 18 غرفة مصطفة على جانبي الصحن، وقاعتان إحداها للجلوس وأخرى للإطعام، وكل غرفة به تعلوها قبة تتسع لشخص أو شخصين، أما منارته فقد تميّزت عما غيرها من المباني المجاورة بالعلو، باعتبارها أعلى مكان بالمدينة في ذلك الوقت².

تواجدت هذه الفنادق على مقربة من المنشآت الفرنسية بالحي الأوروبي، وبفضلها تزايد عدد السياح بالمنطقة غير أن سنوات الحرب التحريرية قلصت من فرص قدوم عدد أكبر من السواح.

— المتحف: دفع زيادة عدد الوافدين إلى سوف بالسلطات الفرنسية إلى التفكير في إنشاء متحف ليساعد السياح التعرف على المنطقة، تم افتتاح أول متحف بالوادي يوم 17 جانفي 1954م،

1_ J.C. Reverdy: Habitat du SOUF, in Habitations nouvelles et urbanisation rapide, conditions écologiques de l'adaptation au logement en Algérie, Aix-en-Provence, Centre Africain des Sciences Humaines Appliquées 1963, p75.

2_ AOM, 81 F 2145, (d. 12): Mémoire rédigé par l'ingénieur du service des travaux publics des Territoires du Sud, ministère d'État chargé des Affaires algériennes, 21 juin 1925, p 18.

بهذا المتحف دمستين كبيرتين تتوسطها قبة كبيرة يصل قطرها ثمانية أمتار، وصفوه بأصغر متحف في العالم، وسموه متحف سوف والعرق، احتوي على عدة مقتنيات وصور وأشكال تعود للمنطقة، كما ضم مجموعة من نماذج مختلفة لفترات حضارية متعددة؛ من بينها قطع تقليدية متنوعة كالخيمة والفضة والألبسة، وصور مختلفة وأواني فخارية ونحاسية، وزراري تقليدية، كذلك صوان صغير مصقول يعود إلى العصور الحجرية القديمة، وبعض من الحيوانات الصحراوية، وقطع نقدية مختلفة العصور، وأسلحة فرنسية¹، وبهذه المعروضات استطاع السائح التعرف على أسرار المنطقة بسهولة.

تميزت العمارة الفرنسية في مدينة الوادي باعتمادها تقنيات وتجهيزات حديثة ومتطورة غير معتادة بالمنطقة، خاصة في مجال البناء، مستفيدة من التجربة المحلية مع شيء من التطوير والتحديث، ويمكن ملاحظة التباين والاختلاف بين النسيجين بصفة خاصة في المباني والشوارع، حيث تميز السكن المحلي بالبساطة والعفوية التي تؤدي الدور الوظيفي من خلال توفره على ما يريح ساكنه الشوارع ضيقة ومنعرجة والتلاحم والتضام فيما بينها لمواجهة الظروف المناخية، حيث تساهم في خفض درجة الحرارة وتعمل على امتصاص حدة العواصف الرملية، وتسهل الوصول إلى أي نقطة بالمدينة بكل سلاسة². أما السكن الفرنسي الذي تميز بخضوعه لنظام دقيق وتقنيات علمية مدروسة؛ تمثلت في بناء مغلق وفضاء به حديقة يحميها سور في مختلف أطرافها، كما تميزت شوارع الحي الفرنسي بالاتساع والانتظام.

مع تطور الهندسة الفرنسية في البناء واختلافها على الطابع المحلي، إلا أنها استوحيت فكرة هندستها من الفرد السوفي المتمثلة في الطابع المحلي (القباب، الأدماس، الأقواس)، لكن بتقنيات علمية دقيقة في جميع المنشآت العمرانية التي أنجزوها بالملحق³.

وإذا حاولنا إجراء مقارنة لتحديد درجة التمدن في سوف بالاستناد إلى الفارق بين السكنات المنجزة حديثا مع مجموع السكنات، فإن نسبة العصرنة بسوف تبلغ 0.88 %، مما يجعل الوادي تتذيل الترتيب بالواحات، الأولى غرداية بنسبة 6.7 %، بينما المنزل الأخيرة على مستوى الصحراء مدينة

1_ SHDDE, 1 H 1124, (d.02), Op. Cit, pp 03 – 05.

2_ Jean Le Coz, Op. Cit, pp 05-09.

3_ AOM, 81 F 1233, (d. 02), Op. Cit, p 06.

تيممون 0.45 %¹، أما وفقا لطبيعة وشكل بناء المسكن، نستطيع من خلال الإحصائية التي يقدمها الجدول أسفله أن نحدد طبيعة المساكن وعددها ثم نسبتها المئوية:

الرقم	طبيعة المباني	شكل المباني	العدد	المجموع العددي	النسبة المئوية	النسبة حسب طبيعة المباني
01	عصرية	عصرية خاصة	125	194	% 0.6	% 01
02		عصرية جماعية	69		% 0.4	
03	تقليدية	تقليدية بمواد صلبة	15826	17451	% 80	% 88.2
04		تقليدية بالآجر	1625		% 8.2	
05	بدوية	خيام	1920	2121	% 9.7	% 10.8
06		كهوف في الغيطان	117		% 0.7	
08		منازل غير مصرّح بها	84		% 0.4	
المجموع			19766		% 100	

جدول رقم 50: يحصي عدد المساكن وطبيعتها في سوف سنة 1962²

وإذا فصلنا أكثر، نلاحظ أن حاسي خليفة تتفوق عن الوادي في عدد السكنات العصرية الأولى 58 مقابل 43 للثانية، في الوقت الذي تملك فيه بلدية ربايع الجنوب العدد الأكبر من الخيام 767 تليها الدبيلة 530، في حين لا تتوفر الزقم سوى على خيمة واحدة وكوينين على ثلاثة، أما من ناحية عدد السكنات التي بنيت على شكل كهوف فنجد في الرباح 50، والبياضة 23، والرقيبة 28، مدينة الوادي بتعداد مساكنها البالغ 2740 مسكنا تتوفر على $\frac{1}{7}$ من مختلف المساكن بسوف التي نحصي منها 43 سكنا عصرية بنسبة 1.56 %، في باقي دائرة سوف هناك 151 منزلا عصرية من مجموع 17026 سكنا، هكذا فإن درجة العصرية لا تتعدى 0.88 %، مع أن متوسط عصرية السكن بالصحراء تبلغ 4.8 %³.

1_ AOM, 81 F 2145, (d. 12), Op. Cit, p 12.

2_ J.C. Reverdy, Op. Cit, p 51.

3_ AOM, 81 F 2204, (d. 05): L'habitat en Algérie, Rapport sur l'habitat par le conseiller général René Montaldo, Section SAHARA, 25 Février 1962, p 27.

2 _ سمات وقيم الطابع المعماري:

مع مرور الزمن تكونت لدى السوفي مسلمات يركز عليها في إقامة تجمعاته العمرانية، وذلك وفقا لخصوصياتها البيئية والثقافية والاجتماعية، لأن السوفي يستوطن منطقة تتميز بجملة من الخصائص المرتبطة بالمناخ المحلي والمحافظة على الطابع المعماري باعتباره تراثا ثقافيا يعكس مقوماته الثقافية والاجتماعية.

أ _ الطابع المناخي:

يسود إقليم العرق الشرقي الكبير الذي تعتبر الوادي جزء منه، المناخ الصحراوي الجاف؛ الذي يمتاز بالحرارة الشديدة صيفا والبرودة القاسية شتاء، حار طيلة أيام السنة، تصل درجة الحرارة صيفا إلى 50 درجة مئوية أما في الشتاء فتصل إلى مادون الصفر¹.

يؤثر المناخ بوجه خاص على الشكل المعماري بطريقة يمكن ملاحظتها، فانتشار القباب في سوف هو تكييف مع الطبيعة، حيث أنها تتفادى تراكم الرمال عليها، كما تسمح بانسياب مياه الأمطار وتمنع تضرر الجبس والبناء الذي لا يتحمل الرطوبة، كذلك القباب تعكس أشعة الشمس المحرقة وتمنح السكن مساحة أكبر، كما تقل نسبة مساحة النوافذ أو انعدامها أحيانا لتجنب وهج الشمس ولهيبتها². لقد استعمل السوفي مادة الجبس كعازل حراري جيد لتكون باردة في الصيف ودافئة في الشتاء، والفناء الداخلي للحوش كعامل بيومناخي للتهوية والإضاءة، الشوارع محدودة ووظيفية تتدرج تنازليا إلى الأزقة والدروب التي منها ما هو مغطى كليا أو نصف مغطاة لتوفير أكبر قدر من الظل، كما أنها ضيقة ومتعرجة لتساهم في خفض درجة الحرارة وتعمل على امتصاص حدة العواصف الرملية³.

ب _ الطابع الاجتماعي:

لعب الدين واللغة والعادات والتقاليد وصعوبة المنطقة، دورا هاما في تشكيل منظومة القيَم لدى المجتمع السوفي، هذا المجتمع الذي تشكل بالقرابة وعلاقات المصاهرة، أعطى أهمية كبيرة لتنظيم

1_ Pierre Chalumeau (ancien chef de l'annexe d'El-Oued): Feu le guide, Bulletin de Liaison Saharienne, n° 32, Décembre 1958, Imprimerie E. IMBERT, Alger, p 290.

2_ J.C. Reverdy, Op. Cit, p 46.

3_ AOM, 81 F 1233, (d. 02), Op. Cit, p 21.

العلاقات الاجتماعية، فرابطة القرابة والعصبية نجدها طاغية على المجتمع وتفاعلاته فتنعكس بالضرورة على الطابع المعماري مجسدة فيما يلي:

— المباني المتلاصقة تفتح على فناء كبير يُعرف بالرحبة (الساحة) أو الصحن في بعض المناطق، ويكون مخصصا لنفس العائلة من الأقارب الذين تربطهم قرابة الدم، حيث تصبح هذه الساحة تحمل اسم هذه العائلة، وأي قاصد لها تُعرف وُجهته وتُحدد هويته بكل سهولة، كما تصبح هذه الإجراءات ضرورة أمنية لتأمين العائلة في حالة غياب رجالها.

— التقارب العائلي والأسري والشعور بالانتماء والإحساس بالتقارب في مجتمع له نفس العادات والتقاليد والمقومات الثقافية والفكرية لسكان مدينة الوادي، كان له دور في خلق نمط عمراي وعناصر معمارية تتسم بطابع التشابه والوحدة البنائية، كاستعمال عناصر زخرفية بسيطة وعفوية مثل استخدام زخرفة التصبيغ على الواجهات الخارجية خاصة.

— عدم اعتماد التوجه العمودي في البناء جعل الارتفاعات متساوية تقريبا، واعتماد الطابق الأرضي فقط أعطى الشعور بالتقارب الاقتصادي والاجتماعي¹.

— انعكاس الطابع المعماري والبيئة العمرانية المتلاحمة والمتقاربة، على القيم العامة والعلاقات الإنسانية لسكان المدينة تجسدت في قيم جمالية أخلاقية، كالتعاون والتآزر والتسامح والمشاركة في تنمية وزرع الروح الجماعية ولعل الساحات العامة (الرحبة) بالمدينة لها دورها في ذلك خلال الأفراح والأفراح.

3 _ عناصر التأثير في تحوّل طبيعة وشكل العمارة:

لقد تضافرت عدة معطيات كان لها الأثر الفعال على طبيعة وشكل العمارة في الملحقة، لا سيما حركة الهجرة التي عرفها المجتمع السوفي نحو الداخل والخارج، لكن روح التواصل بقيت متجذرة في أوساط الكثير من الأبناء والعائلات السوفية المهاجرة، حيث ظل هؤلاء يترددون على مدينة الوادي كلما سمحت الظروف، كما أنه بعد الحرب الكونية الثانية تسارعت وتيرة إنجاز المنشآت القاعدية لدى السلطات الاستعمارية في الجهة.

1_ Boudiaf. M: « El Oued », Revue Habitat, Tradition et Modernité, n° 2, Alger, 1994, pp 181-185.

أ _ أثر الهجرة في تطوير شكل ومقتنيات البناء:

إن استثمار المهاجرين جزء من أموالهم في إقامة مساكن في سوف ساهم بشكل مؤثر في عمران المنطقة، حيث تغيرت واجهات المنازل وتأثرت طرق البناء المحلية ببعض أنماط البناء في المهجر. لقد تغيرت أيضا أحجام الغرف، فبعدما كانت تبنى بأشكال صغيرة أصبحت أكبر حجما وأكثر عددا، استخدمت في أعلى القبة زجاجات مثبتة مع البناء لغرض الإنارة، كما بدأ التخلي عن القباب الكبيرة وعوضت بقضبان الحديد هذه الأخيرة كانت من بقايا السكة الحديدية بعد توقف عملها وإهمال سكنتها بالوادي، حيث أضحت الغرف والمباني أكثر علوا، وتبلط أرضيتها بواسطة الجبس المخصص للبناء، بالإضافة تغير شكل المطبخ الذي أصبح أكثر اتساعا وجمالا حيث تزينت زواياه برفوف لوضع الأواني لتسهيل عمل ربة البيت، أما بالنسبة لطرق صرف المياه المستعملة فقد خصص لها في المنزل حوض به فتحة للخارج سمي بالماجن¹.

كما ساعدت الهجرة على تسهيل وصول واقتناء بعض المواد كالخشب وبعض الملحقات الأخرى، كالأبواب والنوافذ وبعض أنواع أقفال الأبواب، بعد أن درج الفرنسيين على استعمالها. ومما تجدر الإشارة إليه أيضا أنه بزيادة مداخل المهاجرين زاد البناء في مدينة الوادي، ويشترك معظم المهاجرين في كونهم كانوا يمكثون فترات طويلة بالمهجر دون زيارتهم لأهاليهم، فالبعض لم يعد إلا بعد تسع سنوات، ولما عاد أنجز مسكنا واشترى غوطا، آخر كان يرسل الأموال لأخيه بغرض توسعة وتجديد منزله وصيانة أملاكه من النخيل، كما انعكس انضمام عدد من السكان للفرق العسكرية والشركات البترولية إيجابا على عمران المنطقة².

ب _ الأثر الكولنيالي:

كانت مدينة الوادي بسيطة في بنائها عبر تراكمات وتطورات لمدة تزيد عن الخمس قرون سابقة للوجود الفرنسي بها، أخذ الطابع المعماري الإسلامي يتقاطع مع العمارة الدينية ببياضها وقبابها ومناراتها، الفرنسيون أعجبوا بالمنطقة وحافظوا على هويتها المعمارية، بل حثوا السكان على مواصلة المحافظة على طابعها المميز بالقباب التي صارت وصفا عليها، بل كان البناء الأوروبي الجديد محافظا على الشكل الأصل باعتماد القباب والأداس والمنارات، ومع استعمال الأسمنت كأساسات فقد استمر البناء

1_ Boudiaf. M, Op. Cit, pp 181-185.

2_ AOM, 81 F 2204, (d. 05), Op. Cit, p 29.

بالجبس، الجديد هو استقامة البناء وجمالياته واعتماده على الاستواء الهندسي، وتناسق الأشكال بصفة موحدة ملساء ولها دهن جذاب.

ذلك التحول المعماري كان بفضل المهندسين الفرنسيين الذين عملوا على تطوير الهندسة المعمارية باعتمادهم على طرق تقنية متطورة، ووفق مخططات مدروسة مع الحفاظ على الطابع التقليدي المحلي، فقد اقترح المهندس ميريقا (Miriga) نهاية القرن 19 م على شيخ زاوية سيدي سالم تقديم الصومعة القديمة التي باتت خطرا على السكان بواسطة الديناميت¹، كما ساهم المهندس الإيطالي شيكا (Shika) الذي ظهر سنة 1933 في مد شبكة الطرقات بالمنطقة.

أما المهندس رايmond فرايزي (Raymond Fraisiert) فهو من أدخل معماري نمط جديد على سوف مخالفا بذلك التصاميم المعتادة، وهي المباني المغلقة (الفيلات) التي تضاعف عددها حتى كونت الحي الأوروبي المخصص للمعمرين²، كما توالى بناء المدارس والمراكز الصحية والثكنات وغيرها. استعمل المهندس الفرنسي تقنيات بناء تقوم على أسس علمية ملائمة لمناخ المنطقة، مع الحرص على إبقاء الطابع المحلي للتصميم من بينها:

- تصغير حجم الحجارة كمادة للبناء توضع مع الجبس، وغسلها من التراب العالق بها، لأنه ينقص من جودة البناء.

- للفصل بين جدران الغرف أدخل المهندس منذ سنة 1950 المربعات الجبسية في مواد البناء، وهي تقنية جديدة تعتمد على مزج الجبس بالرمل الناعم والماء، يوضع هذا الخليط في قالب حتى ينشف ثم ينزع القالب ليصبح صلبا جاهزا للاستعمال.

- بناء الحائط بطبقتين أي بعرض أكبر، إذ يصل إلى تسعين سم حتى يتحمل ثقل القباب والأداس ويعطي قوة وصلابة للبناء ويساهم في تلطيف الجو داخل الغرف.

1_ رشيد سامي: منارة سيدي سالم بوادي سوف معلم وتراث، ط 1، مطبعة مزوار، الوادي، 2009، ص 12.

2_ هو من مواليد الخامس ديسمبر 1915م بدار البيضاء، درس الهندسة في مدينة قلمة. التحق بملحق الوادي سنة 1940م كمقاول طرقات ومهندس بناء في نفس الوقت، مكلفا من طرف السلطات لتصميم ومتابعة إنجاز مختلف المشاريع، وذلك لعدم وجود إمكانيات لفتح مكتب خاص لمهندس معماري، فكان مكتبه داخل البلدية، واستطاع تدريب السيد بشير كحلة ليكون رسام لتصميم المنشآت العمرانية، توفي يوم 14 سبتمبر 2003 بفرجيس مقاطعة الفار بفرنسا. كما ظل يمارس مهنته حتى بعد الإستقلال. يُنظر الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية رقم: 53 السنة الخامسة ليوم الثلاثاء 21 جوان 1966، ص 615.

- بناء الأدماس بطبقتين (double voute) أي بقطر أكبر، حيث يصل طول الغرفة التي تغطيها الدمسة إلى ثمانية أمتار وعرضها إلى أربعة أمتار، حتى يسمح مرور الهواء بينهما ومن ثم تقلل حرارة الغرفة.

- تميز البناء الفرنسي بمدينة الوادي بعلوه على مستوى الأرض الرملية، والمدخل يكون على شكل سلالم جبسية تطول أو تقصر أو تنعدم أحيانا حسب الحاجة، تجنباً لتراكم الرمال ودخولها للفيلا¹.

ولم يتوقف هذا على البناءات الفرنسية، بل تعداه إلى المنازل ومختلف مباني السكان، حيث أدخلت بالتدريج مختلف العناصر والمواد الأولية الجديدة كالأسمنت والبلاط والجدران الملساء والدهن والأبواب والنوافذ الحديثة، وغيرها من العناصر المعبرة عن الطابع المعماري الحديث.

إن الطابع المعماري لمدينة الوادي يكمن في مجموعة السمات والقيم الجمالية التي ميزتها عن غيرها من المناطق، كشف عن شخصية المعماري الذي صمّم هذا البناء بما عكس تكيّفه مع الظروف الاجتماعية المحلية والإكراهات المناخية للطبيعة، وتأثره بمجموعة من المؤثرات الداخلية والخارجية كالهجرة والسياسة الاستعمارية.

__ المبحث الثالث: تحوّل نسق البداوة وحركة الهجرة.

أولا _ التحوّل في نسق البداوة:

إضافة إلى مراكزها العسكرية التي زرعتها في قلب المدينة والقرى المتزامية عبر إقليم سوف؛ كعميش وحاسي خليفة والمقرن والرقبة وقمار، عمدت قوات الاحتلال الفرنسي إلى إنشاء مراكز استعمارية قارة ومتنقلة عبر صحراء سوف؛ وحشدت لها قوات عسكرية مختلفة؛ محمولة وراجلة من رجال المهاري والقوم المخازنية، لا سيما على شريط الحدود الشرقية المتاخمة للجارتين تونس وليبيا، من غدامس جنوباً إلى نقرين شمالاً، وبالضبط على نقاط المياه والآبار القديمة أو المستحدثة، التي كانت المورد الأساسي لعابري الصحراء، مثل بير الغرافة وبير لحرش وبير تركية وبير الجديد وأمية ربح وغيرها من الآبار

1_ AOM, 81 F 53, (d. 03): Note sur le Mouvement d'Urbanisation de la Population Musulmane en Algérie, l'Habitat dans Le Souf, L'Administrateur des Services Civils, Chef de la Commune Mixte d'El-Oued, 05 Février 1959, pp 03-04.

التي تعد الرثة التي يتنفس بها البدوي وماشيته في صحراء سوف¹، الأمر الذي حرم جزئيا أو كليا البدو الرحل من حرية التمتع بمياه هذه الآبار والاستفادة منها.

1 _ طبيعة السياسة الاستعمارية لاجتثاث البداوة:

تم منذ سنة 1955 منع التحرك في أماكن كثيرة من العرق الشرقي شماله وجنوبه، وتحديد مجالات التحرك والتضييق المتعمد على البدو في أماكن أخرى من نفس المجال، حيث لم يعد بالإمكان التحرك بحرية وتغيير الوجهة متى يشاء البدوي كسابق عهده²، بل وصل الأمر على سبيل المثال لا الحصر إلى منع نجع أولاد بلول وهو أحد فروع عرش الفرجان من سكان عميش؛ الدخول إلى أرض سوف وظلوا في الصحراء التونسية إلى ما بعد استقلال الجزائر، ذنبهم أن قرار منع الحركة بين البلدين تونس والجزائر صدر وهم داخل الأراضي التونسية، فقد كانت الحدود مفتوحة والمراعي مشتركة بين رعايا الدولتين، ولما جاء قرار المنع لم تعط فرصة ولا مهلة للبدو الرحل لأخذ الحيطة واتخاذ التدابير اللازمة للعودة والدخول لأرض الوطن.

إنها ردود فعل السلطات الاستعمارية إثر اندلاع الثورة التحريرية بوادي سوف، لا سيما بعد سلسلة المعارك الأولى بالمنطقة مثل: معركة هود كريم بمنطقة حاسي خليفة التي اندلعت في 17 نوفمبر 1954، ومعركة صحن الرتم جهة منطقة المقرن؛ التي جرت وقائعها في 15 من مارس 1955، إضافة إلى كبرى المعارك في سوف؛ معركة هود شيكة التي شهدتها المنطقة الواقعة ما بين سيدي عون والدييلة؛ والتي دامت أحداثها ثلاثة أيام متتالية الثامن والتاسع والعاشر من أوت 1955، والتي قضى فيها المجاهدون على ما لا يقل عن ستمئة مجند فرنسي، ردود الفعل كان وقعها كبيرا على بدو سوف، خاصة بعد غلق الحدود الجزائرية التونسية، وتحديد حركة القوافل بين وادي سوف وتخومها الشمالية كمنطقتي تبسة

1 _ SHDDE, 1 H 1901, (d. 02): rapport du capitaine Woisard, commandant le sous-secteur d'El-Oued sur la constitution d'un peloton de jeeps dans les compagnies portées et la réorganisation des compagnies sahariennes portées et des compagnies méharistes, Décembre 1958, p 22.

2 _ Favrod, C.-H: Les frontières du Sud Tunisien, L'Afrique Française, n°35, mai-juin 1959, Paris, pp 76-77.

وخنشة على وجه التحديد¹، بالإضافة إلى ذلك قامت السلطات الفرنسية بتطبيق الإجراءات الإدارية التالية:

-الضبط الدقيق لفضاءات المرور والتنقل، والدخول والخروج منها لا يتم إلا بتصريح من السلطات مع تحديد المكان والمدة.

-ضبط إحداثيات أروقة الرعي، وتحديد مصادر المياه التي يمكن للبدو استغلالها داخل شريط أو حزام لا يزيد عن 10 أو 15 كلم فقط عن المناطق الحضرية.

-تسليط أقصى العقوبات على قبائل البدو الرحل الغير ملتزمة بما فرضته السلطات العسكرية.

-التجنيد الإجباري لبعض الشباب الرعاة واقتلاعهم من عائلاتهم تحت التهديد والترهيب والوعيد، لكنهم قدموا بذلك خدمة كبيرة للثوار من حيث لا يعلمون².

فإذا كانت مواجهة البدوي قد تمت بقوة، فذلك لأنه كان يمثل أهم عائق أمام تطبيق مخططات الاستعمار، كان يجب طرده أو تصفيته جسديا إذا تطلب الأمر ذلك.

أحدث الاستعمار خللا كبيرا في نسق البداوة على مستوى إقليم سوف، فقد تمت عملية ترحيل قسري غير مباشر، بحشد وتكديس عدد كبير من البدو داخل رواق واحد محدود المجال ومحدود المردود الماء أصبح شحيحا في المساحات المقصودة للرعي، لقد عمت حالة من البؤس بمناطق تربية الأغنام أو تلك التي تسرح فيها الإبل، لم تعد حياة الرعي تفي بحاجيات البدوي الصحراوي، ففي ظرف أعوام معدودات قلّ ذلك الوجود المكثف للبدو الذين يجوبون مناطق خارج الحواضر بإبلهم وماعزهم وبقطعان أغنامهم الضخمة.

1 _ طليبة بوراس: نبذة تاريخية حول منطقة وادي سوف، في السجل الذهبي لشهداء الثورة التحريرية بولاية الوادي، منشورات الجمعية التاريخية أول نوفمبر 1954، سامي للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، الوادي، 2021، ص ص 20 - 22.

2 _ SHDDE, 1 H 1901, (d. 02): Des Informations Géographiques et Economiques sur différentes Régions Sahariennes, Zone Est Saharien, Secteur de Touggourt, 1960, p 12.

تم دفع البدوي قسرا لصرف النظر عن تربية الماعز والأغنام، بل اضطر عدد كبير من البدو الرحل مكرهين إلى هجر حياة الترحل وتفضيل حياة الاستقرار والإقامة الدائمة¹.

2 _ ظروف تحول البدو إلى حياة الاستقرار:

إن ظاهرة الاستقرار داخل حواضر وادي سوف مرتبطة دائما بالتوسع العام لغيطان النخيل، فالمستقرين الجدد لهم روابط سابقة بمكان إقامتهم الحالي؛ فهو مكان كانت تشغله العائلة في فترات من السنة.

فإذا كان تغيير المكان المعتاد للفلاحة أو السكن بالنسبة للمستقرين يعتبر تفككا للوحدة الاجتماعية، فإن مرور البدوي من حياة التجول والترحل إلى الاستقرار والاشتغال بالفلاحة تعتبر بالنسبة له كبدوي ليس فقط إضعافا للمجموعة القبلية بل تحولا وانقلابا حقيقيا في نمط العيش أيضا.

من الخطأ اعتبار الاستقرار والعيش في القرى تحولا طبيعيا ينتج عنه بالضرورة تقدم حضاري، لأنها فرضية فيها شيء من التسرع والارتجال ونوع من التجني إذا تم الاكتفاء بالأسباب النظرية فقط، ولم نبحث عن الظروف ونتقصى الأسباب والدوافع الحقيقية والفعلية الكامنة وراء دفع البدوي إلى ممارسة حياة الاستقرار بدلا عن حياة الحل والترحال التي ألفها ردها من الزمن².

لعله من الضروري التوقف عند معنى قصدنا من كلمة بدوي، ربما أفضل معيار لذلك أن يعيش الرجل ولو جزء من السنة على الأقل في الصحراء بعيدا عن الواحات، مرافقا لقطعان الماشية التي تشكل القاعدة الاقتصادية الأساسية في الصحراء، حيث يكون قطع الماعز والضأن المورد الأساس بالنسبة لأغلب المربين، أما الإبل فتُعد موردا ثانويا في الغالب إلا عند بعض الشعامة.

1 _ BOUKHOBZA M'HAMED: L'Agropastoralisme traditionnel en Algérie: de l'ordre tribal au désordre colonial, OPU, Alger, 1982, p 90.

2 _ C. Bataillon: Nomades et Nomadisme au Sahara, Op. Cit, p 121.

يملك البدو دون استثناء تقريبا نخيلا في سوف، حيث يشتري البدو الرحل النخيل حسب درجة استقرارهم أو يغرسونها بأنفسهم، إلا أن الغرسة تتطلب مجموعة من المعارف التقنية لا يتقنها أغلبهم بحكم ترحلهم شبه الدائم.

كل العائلات البدوية تمضي بعض الوقت في سوف، يزيد أو ينقص حسب درجة جودة المحاصيل، في جميع الأحوال يمكنهم من أكتوبر إلى ديسمبر، وإذا كان محصول التمر جيدا يمددون الإقامة إلى جانفي وحتى فيفري أحيانا، مصطلح شبه بدوي يبدو أكثر دقة، مع أن هناك من يقومون بالتنقل لمسافات طويلة؛ ربما أكثر من ثلاثمائة كلم، مثل المسافة التي يقطعها الربيع بين منطقة سوف ومراعي الظهر التونسي¹.

إن حالة الاستقرار تبدأ كما ورد ذكره بغرس أو شراء نخيل ثم بناء منزل، بالنسبة للبدوي الذي يتوفر على رأس مال يعتبر توظيفاً مالياً أكثر أماناً من قطع يمكن لسنة سيئة أن تبيده في مرة واحدة، مع أن مثل هذه الحالات تعتبر قليلة في الوقت الحالي.

من حالات الاستقرار النادرة سابقا، خسارة القطيع الصغير للماشية على إثر سنة سيئة، يصبح البدوي على إثرها عاملاً يدوياً إذا كان لا يملك نخيلاً، تقلص عدد رؤوس القطيع لا يدفع دائماً لحياة الاستقرار، فحتى وإن مسهم الفقر لا يزال ربيع عميش يغادرون النزلة في الربيع للالتحاق بالصحراء.

مع الظروف البيئية القاهرة، لا سيما التقلبات المناخية التي كان وقعها خطيراً على النشاط الرعوي كسنوات القحط وفقدان مياه الأمطار، مما يتسبب في جفاف الأرض ونذرة الأعشاب الضرورية لقطعان الرعي بمختلف أصنافها؛ التي تعتبر الحافز الأول لممارسة حياة الرعي والبدواة، أو نتيجة لريح الربيع، أو اجتياح أسراب الجراد التي قضت على الأخضر واليابس سنة 1957، فإلى غاية هذا التاريخ لم تتم ملاحظة وجود خيم في سوف مثل هذا العدد الذي تم تسجيله بداية من سنة 1959، لقد أضحى منظر تواجدها بهذا العدد ملفتاً، على عكس تواجدها في السابق²، ليس فقط الراعي المعزول في أحد أرجاء العرق الشرقي يفتقد لخيمة، لكن العديد من العائلات تفتقد إليها أيضاً أو عجزت عن توفير جمل

1 _ C. Bataillon: LE SOUF, Op. Cit, p 44.

2 _ C. Bataillon, Nomades et Nomadisme au Sahara, Op. Cit, p 115.

وسيلة نقلها، لهذا تلجأ العائلة إلى صنع زريبة من الجريد بغرض اتقاء حر الشمس اللافحة بالدرجة الأولى، وما يمكن تأكيده أنه خلال السنتين الأخيرتين من الوجود الفرنسي في سوف لم يسجل إقبال كبير على الترحل مثل ما كان الأمر عليه من قبل.

الأزمة الاجتماعية الحالية أكثر حدة من أي وقت مضى، فقد أصبح من المستحيل العثور على راع مستعد للعمل أمام إغراء أجور المجندين في الجيش أو الالتحاق بالشركات البترولية أو الاستفادة من قرض مالي، وإن كان من المحظوظين حاز على نخلات ومسكن في إحدى القرى النموذجية المستحدثة مؤخراً، رعي الماشية أصبح لا يقوم به إلا أبناء العائلة نفسها¹.

بالإضافة إلى رعي الماشية الذي ظل ممارساً على استحياء، هناك تقليد بدوي آخر يلفظ أنفاسه الأخيرة، إنه الاشتغال بجمع الحطب وجمع الجلّة أو البعر (فضلات الإبل)، وكذا جمع الحلفاء الموجهة كعلف لماعز السكان المستقرين أو وقود لحطب مواقدهم بغرض الطهي أو التدفئة، هذا النشاط يحرك سوق الوادي عملية التجميع هذه تم تمييزها خاصة بالنسبة للحطب الذي تضاعف ثمنه ثلاث مرات خلال السنوات الأخيرة للطلب المتزايد على هذه المادة التي تدخل في صناعة الجبس، هذا الأخير زاد الطلب عليه بفضل حركة الإعمار المتزايدة التي تشهدها سوف، وهو الأمر الذي ترك بالغ الأثر على الغطاء النباتي خاصة على طول الطريق الوادي بسكرة، حيث نجد الحطب ينقل حالياً بواسطة الشاحنة².

لقد كان التحوّل أمراً مدبراً ومخططاً له وفق خطة مدروسة وواضحة المعالم، ومع صمود البدوي أمام الظروف الطبيعية الطارئة وتأقلمه مع نتائجها، فإنه لم يستطع مجابهة إرادة تحويله ولا الوقوف أمام سياسة الترحيل الممنهجة التي فرضتها السياسة الاستعمارية.

1 _ MONTEIL. V: L'évolution et la sédentarisation des nomades sahariens, Revue internationale des sciences sociales, Unesco, vol. 11, n°04, Paris, 1959, p 600.

2 _ C. Bataillon: Ressources et vie de relation du Sahara, l'exemple du Souf, Annales de Géographie, tome 69, n°375, 1960, p 501.

3 _ إغراءات مشروع قسنطينة:

حاولت السلطات الاستعمارية من خلال صناديقها الانمائية المختلفة؛ عزل الثورة التحريرية عن قاعدتها الشعبية خاصة في الريف، لا سيما عبر منح الدعم الفلاحي والقروض، ومن أجل الشروع في التطبيق الفعلي لمشروع توطين البدو في قرى فلاحية وفقا لما اقترحه مخطط قسنطينة الذي وعد به الرئيس الفرنسي شارل ديغول الجزائريين في الثالث من أكتوبر 1958 بقسنطينة، شُرع استعجالاً في تنفيذ مشروع إحياء الريف، وقد حُصص لبرنامج التجهيز الريفي غلاف مالي مهم، شمل مختلف الأشغال؛ بما فيها أشغال السكن الريفي.

العدد الكبير من النخيل الحديث الغراسة بوادي سوف، ما كان ليصل إلى هذا العدد في وقت وجيز لولا ظهور فكرة جديدة وهي غراسة النخيل المسقي، إنها مهمة اضطلع بها صندوق التعاون العقاري واستغلال المناطق الريفية (C.A.P.E.R)، والصندوق يطمح لمضاعفة عملياته.

هذه المحاولة للتحديث الجذري لغراسة النخيل التي تبنتها صندوق التعاون العقاري واستغلال المناطق الريفية، جاءت بعد اكتشاف المياه الارتوازية في سوف وحفر عدة آبار؛ لكنها بقت بعيدة عن الاستغلال الفلاحي، البئر المنجز في هبة يعطي تدفق يسمح بغرس 25 ألف نخلة، مع الوضع في الحسبان إعادة استعمال مياه الصرف، كما أن نسبة كبيرة تمتصها الطبقة السطحية، لكن الملاحظ أن مستوى الطبقة السطحية حالياً ارتفع إلى ثمانين سم؛ بل ويطفو على سطح الأرض في بعض الأماكن، وإذا أردنا الحفاظ على الفلاحة التقليدية (البعلية) يجب مص المياه عن طريق الصرف حتى 1,80م، دقة نور هي التي تعاني أكثر من غيرها من ارتفاع منسوب المياه والرهان معقودة على محطات الصرف¹.

بالإضافة إلى ذلك، هناك تعاظم جديد مع المزروعات الفلاحية، حيث كل فلاح كُلف بمحصول سنوي معين أي ظهر التخصص في الفلاحة فالذي يزرع التبغ لا يزرع الجزر وكذلك الأمر

1 _ AOM, 81 F 535: Financement des Interventions de la Caisse d'accession à la propriété et à l'exploitation rurales dans les territoires sahariens par le Fonds de développement économique et social, Arrondissement D'El-Oued, 05 Mai 1962, pp 26 - 29.

بالنسبة للطماطم وغيرها، المشكلة الأساسية التي طرحت، تمثلت في نقص رؤوس أموال المستفيدين لأنهم من صغار الملاك القدماء ممن يملكون من 10 إلى 15 نخلة.

إن صيغة العشرة آلاف فرنك شهريا المقروضة للفلاح كأجرة شهرية تبدو مكلفة لخزينة الدولة حسب التقرير، لكنها على الأقل حسبه تضمن تقنيا تقدم وتطور مئة أسرة سوفية مستفيدة من الدعم الفلاحي، ومن المتوقع كذلك تحقيق إنجازات مماثلة في كل من الديلة وحاسي خليفة وشمال النخلة بمنطقة عميش، حيث من المتوقع أن يرتفع عدد النخيل المسقي إلى مئة ألف نخلة وهو ما يمثل خمس ($\frac{1}{5}$) النخيل التقليدي، وهو ما سيكون دون شك قفزة تنموية جدية مع أنه سيحظى برعاية خزينة الدولة لمدة عشر سنوات¹.

خُطط لكل قرية ريفية مستحدثة في سوف كقرى الحماية وهبة والديلة؛ عدد متوسط من مئة إلى 120 مسكنا يأوي ما بين ثمانية وألف ساكن ريفي.

أما متوسط حجم الأسرة فمن المقرر أن يتقلص إلى أقل من سبعة أفراد، مما يبين غرض المخطط تفكيك العائلة الكبيرة، حيث نمط الحياة المقترح؛ هو الانتقال من الأسرة البطيركية الممتدة إلى الأسرة النووية، كما تقرر إشراك المجمعين في إنجاز عمليات التشييد المختلفة من المساكن، هذه المهمة على حد تعبير الإدارة ستُسهم في تغيير نمط الحياة البدوية، لأنه حسبها التغيير في نمط السكن يعني التغيير في نمط الحياة، حيث أدخل المشروع مفهوما جديدا للسكن الريفي، قائما على تفكيك "الخيمة الكبيرة أو المنزل الكبير" إلى أسر متفرقة يتلاشى معها التضامن العائلي الكلاسيكي وخلق نمطا آخر للعيش قائم على الجيرة.

خُطط لكل مسكن أن يحتوي على غرفتين ومطبخ ودورة مياه مع استعمال مواد البناء المحلية، إذن المجال المبني يظهر إطارا محدوداً للحياة، أحادي الوظيفة، عوض السكن التقليدي المتميز بالفناء وتعدد وظائف الغرف والتوابع المجالية الأخرى، ملجأ الحيوان، ومكان تخزين المواد، ومكان ترتيب

1 _ AOM, 81 F 730: la Caisse des prêts agricoles en Algérie, Rapport "Mise en œuvre du plan Constantine au sahara", p 41.

الأدوات الفلاحية وغيرها من مستلزمات¹، الأمر هنا يتعلق بسكن العامل دون أرض يعمل في مزرعة السيد، إذ لا يملك لا أدوات ولا مواشي ولا منتوج.

إن المخطط المعماري المقترح مستوحى في الواقع من مخطط قرى المتروبول الصغيرة، مع إضافة نقاط مراقبة وأسلاك تحصر المجال الاجتماعي، وساحة مركزية تضم مرافق اجتماعية وبعض الأقسام الدراسية، وبلدية تتضمن مصالح طبية، ومكاتب تعاونية، ومركزاً بريدياً وغيرها من مرافق ضرورية، السكنات المنجزة تأخذ شكلاً خطياً مستقيماً بالتقابل منفتحة على المحيط الخارجي (استعمال النوافذ)، حتى عيون الماء وطنت في مجال مركزي في المجال العام، يسهل عملية تنقل المرأة الريفية الحديثة²، هكذا صُمم المخطط في إطار التقسيم الوظيفي للمجال الذي يحد من النشاط التقليدي، فضلاً عن المنع التام لأي تعديل لعناصر المجال المبني، وحتى الطرق صممت لتكشف عما بالداخل وهو مخطط يذكر الجمع بين "بالسجن" بوصفه غريباً عن ثقافتهم ومعيشتهم التقليدية، فقد فرض عليهم بطريقة مغايرة لتصوراتهم وقيمهم.

كانت تناقضات المشروع ترمي إلى إحياء الريف وإقامة قرى وظيفية، مدعمة بمشآت ومرافق عامة، من شأنها تطوير الريف وتحسين مستوى المعيشة، سُخرت له إمكانيات كبيرة من أجل إنجازه، قصد وضع حد للثورة التحريرية ومحاصرتها بتدوين روح النضال والتمرد في وسط الأهالي³.

بيد أن الذي أصبح واضحاً فيما بعد، أن المشروع قد لقي صعوبات غير متوقعة في السعي لتحقيقه، وذلك لاعتبارات عدة منها:

— الاعتبار الاجتماعي: ويتمثل في أن المخطط كان خيالياً أكثر منه واقعي، لأنه كان يسير بالسرعة القصوى إلى تغيير نسق قديم متوارث بآخر دخيل وغريب عن المجتمع، بكل ما يحمله من تناقضات واضحة لا تتماشى مع نمط المعيشة التقليدية.

1 _ Bertrand. P: Le bilan des Réalisations Sahariennes en 1959, Chroniques de la Communauté, n° 3, Paris, décembre 1959, p 27.

2 _ Bertrand. P, Op. Cit, p 28.

3 _ C. Bataillon: Ressources et vie de relation du Sahara, Op. Cit, p 498.

__ الاعتبار السياسي: يتعلق الأمر بالدور الذي أداه مناضلو جبهة التحرير الوطني ودعوتها إلى مقاطعة البرنامج، أضف إلى ذلك أن المشروع نقّذه الجيش الفرنسي، لذلك ارتاب منه الجميع وعدوه حرباً على الثورة التحريرية.

__ الاعتبار الاقتصادي: تكييل الفلاحين بقروض ذات فوائد مرتفعة حيث تم توزيع الاستفادات بعدد مئة نخلة لكل مستفيد؛ منها ستون نخلة دقلة نور والباقية من مختلف أنواع النخيل الأخرى، كما حصل كل مستفيد على قرض مالي في صورة أجرة شهرية تبلغ عشرة آلاف فرنك لمدة سبع سنوات، وهي المدة المقدرة لتؤتي النخلة أكلها وتبدأ في الإنتاج، في نفس الوقت هو موعد بداية سداد القرض المحصل عليه لفائدة الخزينة حيث يقوم الفلاح المستفيد بدفع ما قيمته سبعون ألف فرنك سنوياً إلى غاية الوصول إلى مبلغ واحد مليون فرنك¹.

بعملية حسابية بسيطة نجد أن الفلاح المستفيد قد قبض خلال سبع سنوات مبلغ قدره 840 ألف فرنك وسدد للخزينة مبلغ مليون فرنك بزيادة قدرها 160 ألف فرنك في مدة 14 سنة، أي بفائدة قيمتها أكثر من 16%، هكذا تكون السلطات حسب تخطيطها قد ضربت عدة عصافير بحجر واحد.

كما كان لشق المسالك وظهور وسائل النقل الحديثة ووسائل الاتصال كالهاتف والتلغراف، وتقليصها للمسافات وفك العزلة عن المناطق المتباعدة، التي كانت تعتمد سابقاً على التنقل بواسطة الإبل والدواب، هذا كله كان له دور في تسريع تخلي أعداد من الرحل عن حياة الترحل وظهور أحياء جديدة وزيادة في نمو الحواضر.

4 _ تبعات تحوّل نسق البداوة على المنطقة:

إن اقتصاد قرى المستقرين بسوف فلاحى بالدرجة الأولى، يتسم بكونه لا يكف لسد الحاجات الغذائية الضرورية، الكل يعيش على اقتصاد الكفاف، خاصة في ظل النمو السكاني المتزايد مع انخفاض

1 _ Lebeau. L: La distribution du crédit agricole mutuel en Algérie en 1958, Bulletin économique et juridique, Alger, n° 236, hors série 1959, p 227-230.

نسبة الوفيات لا سيما بين الأطفال لتحسن العناية الطبية¹، فما بالك بعد دخول أعداد هائلة من البدو الرحل بتلك القرى المتناثرة في فترات متقاربة، وهو الأمر الذي أوقع السكان بين فكي كماشة؛ فقر الفلاحة من جهة والطلب المتزايد على المواد الاستهلاكية من جهة أخرى.

الجدول أسفله يحصي عدد العائلات المرحلة التي استغنت عن حياة البداوة وآثرت حياة الاستقرار، من خلال عملية مسح لعدد الخيام التي كانت تنصب خلال موسم جني محصول التمور طيلة فصلي الخريف والشتاء.

عدد الخيام سنة 1954	عدد الخيام سنة 1962	عدد الخيام الناقصة	نسبة النقص
4000	1500	2500	% 62.5

جدول رقم 51: يوضح انخفاض عدد الخيام بين سنتي (1954 – 1962)²

النقص الذي سُجل على مستوى عدد الخيام التي تنصب لأجل الإقامة المؤقتة للبدو الرحل في سوف، أضيف وأدمج آليا لعدد المستقرين.

لم تنجم هذه الأزمة عن اضطرابات مناخية طبيعية طارئة، بل هي نتيجة لتحطيم وتصعد التنظيم الاجتماعي القبلي، الذي كان يأخذ بفضل تنظيمه التكافلي الفريد التغيرات المناخية المفاجئة بعين الاعتبار؛ كمساوئ سنوات الجذب والقحط والرياح واجتياح أسراب الجراد للمنطقة، هكذا دمرت السياسة الاستعمارية الروابط الاجتماعية وخلقت كيانا مجهولا نتج عنه تكس يد عاملة من غير عمل بين المستقرين، مما شكل فائض معتبر في كتلة القوى القادرة على العمل بدون عمل، الأمر الذي اضطر الأهالي لهجرة قسرية اضطرارية في محاولة للهروب من حالة الفقر المدقع التي عمت الملحقة.

لقد شاعت في العديد من الحالات ظاهرة الانتقال من حياة الترحل والرعي نحو الهجرة مباشرة، نسبة الهجرة جد معتبرة في عميش جنوبا حيث نجد في المرتبة الأولى أولاد أحمد ثم الربيع، في الرقية شمالا الهجرة تشهد أكثر اهتماما ومغادرة حياة الرعي أصبحت ظاهرة شائعة، حتى أن الإحصائيات تطلعننا على أرقام مخيفة للقوى العاملة التي غادرت سوف نحو اتجاهات مختلفة داخل وخارج الوطن بغرض

1 _ SHDDE, 1 H 1901, Op. Cit, p 09.

2 _ Gharousset. M: Mission « Sahara Huit », Notre Sahara, n° 12, Paris, 10 février 1962, p 46.

الحصول على لقمة عيش أكثر يسرا مما هو في سوف، حتى أن نسبتهم عند بداية الستينات فاقت 60٪ من التعداد العام للسكان¹.

التحول البارز أيضا الذي طرأ على حياة الرحل حديثا خاصة منذ سنة 1958، هو استعداد أبناء ملاك الماشية الرحل العمل كأجراء، حيث نجد ما يفوق 106 فردا من البدور الرحل أجراء لدى الشركات الصحراوية، منهم 46 عاملا في حاسي مسعود و28 في إيجلي و32 في الشركات العاملة على خط الأنابيب إيجلي قابس. بالمقابل هناك 22 فردا من الرحل فضلوا الهجرة إلى فرنسا؛ خمسة منهم يعملون في الأشغال العمومية، مع الأخذ في الحسبان ميدان آخر يستهوي الشعامة بصفة خاصة؛ وهو الانتساب إلى صفوف قوات المهاريسست التي تجوب الصحراء، وظل العدد في تزايد حتى بلغ في مطلع سنة 1962 حوالي 250 فردا²، بالإضافة إلى ذلك هناك آثار عديدة أخرى يمكن إيجازها في النقاط التالية:

- تحول هيكل القبيلة وانخفاض حدة تأثيرها على أفرادها، وإن ظلت تعتمد على تراتبها الهرمي الذي على رأسه شيخ القبيلة ويساعده رؤساء العشائر، ذلك يعود إلى انقسام العائلة من حيث بنيتها وتحولها من أسرة ممتدة إلى أسرة نووية، وهو ما يلقي بضلاله على تماسك الوحدة الاجتماعية القائمة على العصبية والتعاون إلى التفرق وذهاب وهج العلاقات القرابية الدموية لتفسح المجال لبروز روح الفردانية.

- التحول من الملكية الجماعية للأرض إلى التملك الشخصي، فبدلا من الاستفادة والاستغلال الجماعي للأرض المستغلة برزت ظاهرة حب التملك الفردي أو الشبه جماعي في أحسن الأحوال .

- استفحال ظاهرة الفقر وظهور توسعات سكنية فقيرة، مما خلق مشاكل اجتماعية حمة وبروز بعض الظواهر والآفات الاجتماعية الغريبة عن روح المجتمع السوفي المتمسك بعاداته وقيمه الدينية كالسرقة وشرب الخمر وغيرها من الموبقات.

1 _ Laroche. G: Les algériens victimes n° 1 de la récession et du chômage, témoignage pour le Département Des Oasis, Cahiers Nord- Africains, Paris, E. S. M. A, n° 73, juin-juillet 1961, p 25.

2 _ Spilimann. CR: Le Sahara en Questions, Comment Faire Participer Les Populations Sahariennes à L'exploitation des Richesses du Sol et du Sous-sol ?, LA NEF (Cahier trimestriel), 17e Année, Nouvelle Série, Cahier N° 1, Janvier-Mars 1960, JULLIARD, Paris, p 46.

ما زاد الطينة بلة، تلك 2500 خيمة التي التحقت بحياة الاستقرار، أي ما يقدر بأكثر من 17500 ألف بئس جديد؛ إذا ما كان متوسط أفراد الخيمة الواحدة سبعة أشخاص، هؤلاء جاءوا ليتقاسموا حياة البؤس والفقر والمعاناة مع سابقهم من المستقرين، الذين أصبح عددهم حوالي تسعين ألف مستقر من مجموع حوالي مئة ألف مواطن تحصيها وادي سوف عشية سنة 1962¹، أي أكثر من تسعين بالمئة من سكان سوف أصبحوا مستقرين، هنا نقف على حجم الكارثة حقيقة، لقد انتهى الدور التكاملي بين المستقرين وشبه الرحل، إنه عدد هائل من القوة الشابة القادرة على العمل يتراكم ويضغط بعضه البعض في منطقة محدودة الموارد، منعدمة الإمكانيات؛ لا حل قريب في أفقها إلا خيار المغادرة والهجرة الشبه قسرية.

إن فقر الأرض الصحراوية، وضعف مردودها وضرورة تجديده مراعي قطاعان الماشية، تفرض نمط الحياة المزروجة حياة نصف البداوة التي تكون فيها ملكية الأرض فردية لا جماعية، متماشية بذلك مع منطق الحياة الحضرية، لأن الملكية الفردية للأرض على العموم تسير بشكل متواز مع الحياة الحضرية التي كان أساسها وجود النخلة والتوفر الدائم للماء، وهي التي أضحت منزل دائم للبدو الرحل بعد استقرارهم الاضطرابي إثر تفاقم الضغط الإداري الاستعماري الذي مورس عليهم، بالإضافة إلى الإغراء المادي لمشروع قسنطينة في ممارسة مفضوحة لسياسة العصا والجزرة، زيادة على ظهور الشركات النفطية وتضائل إن لم نقل توقف دور الجمل كسفينة للصحراء بعد ظهور النقل الميكانيكي وشق شبكة من المسالك المعبدة.

كل هذه العناصر مجتمعة، ساهمت إلى حد كبير في تفتيت وتفكيك البداوة وحياة الترحل كنسق اجتماعي، ونمط عيش جماعي موحد، الأمر الذي فسح المجال لتشكّل كيان غير متجانس من بقايا القبائل المفتتة أثّر بشكل فعّال على مستوى ودرجة التكامل والتوازن الذي كان سائدا بين أنساق الحياة لدى البدو الرحل ونظرائهم من الحضر.

لقد حررت الملكية الفردية الفلاح السوفي من العلاقات التي تنسجها القبيلة إطاره الاجتماعي الأصلي، لكن دون نشوء روابط أخرى بديلة تملأ الفراغ، هكذا عانى المجتمع من ظاهرة

1 _ AOM, 81 F 53, (d. 01): Population d'Algérie, statistiques de la population musulmane en Algérie, Département Des Oasis, Arrondissement D'El-Oued, 29 Octobre 1961, p 09.

التجزئة أو التفكيك، بعبارة أدق لنشهد بالتالي ارتدادا تاريخيا انحصرت فيه العلاقات الاجتماعية واقتصرت غالبا على الصلات القرابية، ولم يعد المجتمع ذلك الكل بل عبارة عن مجموعة من الأفراد المنظافين إلى بعضهم البعض، بالتالي دمرت السياسة الاستعمارية العلاقات الاجتماعية والنسق الاجتماعي القديم، مع غياب علاقات بديلة أرقى منها نوعيا أو تضاهيها على الأقل.

ثانيا _ حركة الهجرة أسبابها وأنواعها واتجاهاتها:

حتى يعتبر الشخص مهاجرا ليس بالضرورة مغادرة البلاد رفقة كل العائلة وتصفيه الممتلكات، ليس بالضرورة أيضا الابتعاد مئات الكيلومترات، كما أنه ليس من الضروري المغادرة دون نية الرجوع، يكفي أن يقضي القسط الأكبر من السنة خارج البلاد، أو معظم العمر أو الحصول على مداخيل من عمل يمارس خارج الملحق¹.

1 _ أشكال وأسباب الهجرة:

أ _ أشكال الهجرة من سوف: تأخذ هجرة سكان سوف الأشكال المهمة التالية:

_ الهجرة الموسمية: في فصل الخريف (أكتوبر) كل السكان يتجهون نحو الواحات للقيام بحملة جني محاصيل التمور ويبيعها، يدخلون عموما في شهر أفريل. في بداية الصيف المستقرين من أولاد سعود يلتحقون بالهضاب العليا للجنوب القسنطيني للعمل في حصاد القمح والشعير ويرجعون عادة في شهر سبتمبر، ربما المميز في هذا الشكل من الهجرة أن رب الأسرة فقط من يتنقل بمفرده في أغلب الأحيان، في نفس الفترة يشد عشابة سوف الرحال رفقة قطعانهم إلى الحدود الشمالية للملحق².

_ الهجرة التناوبية: وهم بصفة خاصة المستقرين أصحاب النخيل في سوف وتجار أو يشتغلون بالتجارة في الشمال، أفراد العائلة يتناوبون بين الفلاحة والتجارة أو الفلاحة والصناعة مصدري مداخيلهم، والاتصال يتم حسب الحالة كل سنة أو كل سنتين، منذ أمد بعيد يختص بهذا النشاط سكان

1_ Jean Pigoreau: L'émigration des musulmans de l'annexe d'El Oued, rapport dactylographié, El Oued, 30 septembre 1955, p 01.

2_ Emile Dermenghem: Le Souf, pays étrange et magnifique, in Sciences et Voyages, n° 39, mars 1949, p 85.

قرية البهيمية، غير أن بعض المستقرين أو الشبه مستقرين من الأعشاش والمصاعبة حذو حذوهم، لاسيما حمالة وحماسة تكسبت المقيمين في الجزائر العاصمة¹.

— الهجرة المؤقتة: وتخص قدر كبير ممن يغادرون سوف مع نيّة الرجوع عند حصولهم في الخارج على أعمال تتيح لهم كل سنة التمتع بعطلة سنوية يخصصونها لزيارة لبلاد، خاصة الحماليين في موانئ الجزائر العاصمة، سكيكدة وعنابة وتونس، عمال مناجم الوزه والرديف، بالإضافة إلى عدد من العاملين بفرنسا².

— الهجرة النهائية: وتتعلق بعدة ظروف خاصة لدى قاصدي البقاع المقدسة حيث المسافة طويلة، وقاصدي تونس الذين فضلوا الزواج بتونسيات.

ومن المؤكد أن الانتقال من شكل إلى آخر من هذه الأشكال يتم بكل يسر، لكن الملاحظ أن الاستقرار خارج الديار في تزايد مضطرد، ومن المؤكد أيضا أن السوفي يحب بعمق منطقته ولا ينفصل عنها إلا بصعوبة وتحت ظروف قاهرة، لكن مؤخرا قلت حركة العودة إلى سوف وكثير من العائلات فضلت المغادرة نهائيا بعد بيعها لآخر نخلات تمتلكها³.

وهو ما نجده عند أولاد سعود حيث تحصى 684 عائلة مهاجرة قبل سنة 1939، ومنذ هذا التاريخ وإلى غاية سنة 1953 غادرت 541 عائلة، بينما ومنذ اندلاع الحرب التحريرية وفي ظرف أربع سنوات غادرت 197 عائلة، وهو ما مجموعه 1422 عائلة، 201 منها فقط أبقى على صلاتها بالمنطقة، والعودة من حين لآخر⁴.

ب _ أسباب الهجرة:

1_ عمار عوادي: الهجرة من وادي سوف وأثرها على حياة السكان، 1962-1854، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 126.

2_ Cl. Bataillon: LE SOUF, Op. Cit, p 102.

3_ Jean Pigoreau, Op. Cit, p 03.

4_ Ferry. J: Le Souf, "Documents algériens", Série monographie, n° 9, 10 mars 1951, Alger, p 16.

من المعروف أن السوفي لا يدخل مغامرة غير محسوبة العواقب ولا يملك الشجاعة الكافية للخوض في ذلك، كما يكره صرف نقوده فيما لا يعود عليه بالفائدة العاجلة أو الآجلة، نشاط اليد العاملة وحركتها في سوف محدودة جدا، وحتى عمليات التهريب التي مارسها عدد كبير من أبناء الملحقة بحكم مجاورتها للحدود التونسية خاصة وعدم وجود مراقبة صارمة لحركة القوافل على الحدود توقفت اليوم كليا، ما قد يوقظ روح المغامرة لدى السوفي ليقرر مغادرة البلاد هو دون شك دافع ديني أو البحث عن الخبزة المصطلح الذي يفضلُه السوافة عندما يقصدون التعبير عن لقمة العيش¹.

كما أن هدف مواصلة الدراسات العربية يدفع عشرات الشباب كل سنة للالتحاق بالمناطق القريبة في الجريد التونسي وتونس العاصمة وقسنطينة وحتى بعض البلدان العربية على قلتها، طلبة سوف موهوبون بفطرتهم وهذا أمر لا يمكن إنكاره، كما أنهم ذوي ثقافة عربية عالية، الأمر الذي جعلهم يتحصلون على أعلى الشهادات بكل سهولة ويسر، والكثير منهم يعودون للاشتغال كمدرسين بالمدن الساحلية والمناطق التلية في الجزائر².

هذه الأسباب لا تعتبر ذات بال أمام الأسباب الحقيقية، التي في مقدمتها الفرار من حياة البؤس والشقاء، إن مستوى معيشة العائلة السوفية يظهر في مجمله متدني جدا، القدماء من حكماء المنطقة يُقرّون أن المعيشة في سوف تقوم على ثلاث أسس: النخلة، المنسج والميزان، إذا اختل أحد هذه الأسس تشهد سوف انهيار معيشي وتُسمي خالية.

منذ نصف قرن تقريبا، بدأت هذه الأساسات الثلاثة في الضعف، غراسة النخيل باتت رهينة هبوط وصعود مستوى المياه الجوفية، كما أن مردود النخلة لم يعد كافيا بالنسبة للمُلاك، حيث مصاريف صيانتها في ازدياد مستمر، نخلة الغرس ذات مردود متوسط يُقدر بحوالي ثلاثة آلاف فرنك في السنة،

1_ M. Ouary: Par les chemins d'émigration, Société Algérienne de Publication, Alger, 1955, p 77.

2_ Chalumeau Pierre: le Souf, in Algéria, N° 38, juillet-octobre 1954, p 196.

بينما نخلة دقلة نور فيقَدَّر بحوالي أربعة آلاف فرنك سنويا، وهو ما يؤثر سلبا على أجر العاملين بالفلاحة مع الأشغال الشاقة التي يؤديها¹.

ما تجدر ملاحظته حاليا وجود خمسمائة ألف نخلة في سوف، مقابل حوالي مائة ألف نسمة أي بمعدل خمس نخلات لكل مواطن وهو عدد قليل جدا.

أيضا المنسوجات المحلية التي تُسَوَّق في مدن الشمال قلَّ الطلب عليها لتغيّر عادات الملبس عند سكان هذه المدن، في الأخير الميزان إن كان لا يزال مستعملا فهو لوزن التبغ، حيث تقدر تجارته بحوالي خمسة آلاف قنطار سنويا وحتى الخضر أصبحت تجلب من مناطق التل، في الوقت الذي تراجعت فيه قطعان الماشية، في نفس الوقت شهدت الملحقة زيادة ديمغرافية معتبرة، حيث تم تسجيل خلال السنوات الأخيرة زيادة الولادات مقارنة بالوفيات بحوالي ألف في المئة سنويا².

كل هذه الأسباب كان لها بالغ الأثر على مُلّاك النخيل والعمال والحرفيين والرعاة الذين وجدوا أنفسهم بدون عمل، الأمر الذي دفعهم لمغادرة البلاد مكرهين.

2 _ فئات المهاجرين:

حركة الهجرة شملت أُسر بأكملها مثلما شملت من هم فُرّادى، وهو ما يدفعنا إلى محاولة التعرّف على فئات الذين آثروا مغادرة البلاد.

أ _ **الفئة العمرية:** الأشخاص الأصحاء والأقوياء والشباب بصفة خاصة هم الذين يهاجرون، مقارنة بالمرضى والعجزة وكبار السن، غير أنه ليس من النادر أن تعثر في المدن الكبرى مثل الجزائر العاصمة أو تونس سوافة متسولين من فاقد البصر أو ضعاف النظر ومن المجانين، هؤلاء البؤساء من المؤكد أنهم غادروا الملحقة تحت ضغط العوز والجوع³.

1_ Labasse Jean, Op. Cit, pp 307-320.

2_ Jean Pigoreau, Op. Cit, p 04.

3_ عمار عوادي، المرجع السابق، ص 132.

في حين خلال النشاط الموسمي، لا يتوانى كبار السن من الرجال للالتحاق بإحدى الواحات القريبة أو أحد دواوير التل التي ألفوا زيارتها عند كل موسم.

في السنوات القليلة الماضية، السوفي لا يهاجر دون سن الأربعين، بينما حاليا يهاجر في عز شبابه، وهو تحوّل بارز يؤشر بوضوح على عدم رضى الشباب على الأوضاع المتردية التي يعيشونها، وعجز المنطقة عن تلبية حاجاتهم المادية وضعف فرص العمل ومن حضي بعمل عانى من تدني الأجور¹.

ب _ فئة المستثمرين: مع أن المعدمين هم من يشكلون الأغلبية الساحقة للمهاجرين، إلا أنهم ليسوا وحدهم دائما لأن الوضع الذي آلت إليه منطقة سوف أضحى لا يستثني أحدا سواء الفقير أو الميسور، الميسورون السوافة لم يعد يغريهم استثمار أموالهم في واحات ذات مردود مالي ضعيف، لهذا قرر العديد منهم شراء حصص من الواحات المسقية الغير بعيدة في كل من وادي ريغ وورقلة أو الزيبان، حيث النخلة لا تطلب مصاريف كثيرة وذات مردود أكبر من نخلة سوف.

كما هناك تجارا ممن يديرون تجارة في الوادي ويطمحون لتنمية رأس مالهم خارج المنطقة، لذلك نجد عائلات بأكملها التحقت بورقلة، سطيف وحتى المدينة المنورة².

ت _ فئة الحرفيين: إنهم بصفة خاصة العمال البسطاء من يغادر سوف، ويليههم أصحاب الحرف، كثير من النسّاجين هجروا حرفتهم منذ أن أصبح من الصعب تسويق منتجاتهم الصوفية من ملابس وزرابي، العديد من البنائين، الحدادين والخبازين وجدوا بكل سهولة عملا في بسكرة، بريكة والرديف، مستفيدين من الأجور المميّزة للحرفيين السوافة للسمعة الطيبة التي عُرف بها من سبقهم لتلك المناطق، كما عُرف الحرفي السوفي بالثقة وإتقان عمله وتأقلمه بسرعة مع أي عمل يسند إليه³.

1_ Ferry. J, Le Souf, Op. Cit, p 15.

2_ J. de Menses: El-Oued, in Algéria, N° 09, septembre-octobre 1949, p 93.

3_ J. Pereyga: Problème du plein emploi de la population musulmane et le développement économique et social de l'Algérie, I.R.E.S.A, Paris, 1956, p 68.

ث _ فئة المتزوجون في المهجر: لقد تزوّج كثير من العزاب المهاجرين من فتيات من أسر مهاجرة أيضا ذات أصل سوفي، غير أن عدد آخر منهم آثر العودة للمنطقة بغرض الزواج، أما من تزوجوا بغير السوفيات من الشمال القسنطيني أو تونس، فإن فئة كبيرة منهم فقدت أي اتصال بالجهة¹.

العائلات استقرت عموما في المناطق القريبة نسبيا كواحات الجنوب القسنطيني أو بعض مدن النمامشة أو الهضاب العليا ومنطقة المناجم بقفصة، حيث الزوجة السوفية تتأقلم سريعا مع طبيعة النمط الجديد للمعيشة، ونادرا ما تطلب من زوجها العودة لزيارة أهلها، وما تجدر الإشارة إليه أنه ومنذ حوالي 25 سنة تقريبا، عدد التزاوج من نفس منطقة الاستقرار في ازدياد مستمر.

إنه لمن الصعوبة بما كان حصر نسبة مطلقة ودقيقة للعراب والمتزوجين المغادرين، لكن تقريبا يمكن إعطاء نسبة عازب واحد من بين أربعة متزوجين.

أيضا مثلما شملت حركة الهجرة المستقرين شملت شبه الرحل أيضا، لكنها خلال هذه الفترة وصلت حتى للبدو أنفسهم².

ما تجدر الإشارة إليه أن حركة الهجرة كانت بدايتها داخلية لا سيما عندما نزل مستوى المياه الجوفية، الأمر الذي أحدث صعوبات جمّة للفلاحين، حينها تنقل أفراد من مناطق الزقم، قمار وكونين نحو تغزوت، حيث فضّلوا غراسة نخيل جديد وبنفس الطريقة نشأت ورماس، وهي المناطق التي ترسل أبناءها للعمل خارج الملحق، حيث نجد واحد من اثنين من أبناء تغزوت التحق بالجزائر العاصمة، تونس أو منطقة الجريد كما نجد واحد من عشرة من سكان ورماس آثر صدراته، سكيكدة أو الجزائر العاصمة.

سكان منطقتي تكسبت والوادي كانوا السباقين للالتحاق بمدينة الجزائر أو مناجم قفصة والمراكز الصناعية في فرنسا، أما أصيلي الدييلة فهم أوائل الملتحقين بسكيكدة، بينما نجد أكثر من سبعمائة مواطن من حاسي خليفة وهو ما يعادل نسبة عشرون بالمئة من سكانها آثروا الاستقرار في قفصة رفقة حوالي ثلاثمائة مهاجر من وادي العلندة أي ما نسبته عشرة بالمئة من سكانها³.

1_ Jean Pigoreau, Op. Cit, pp07-08.

2_ Balandier. G, Op. Cit, p 15.

3_ Cl. Bataillon: LE SOUF, Op. Cit, p 102.

خلال السنوات القليلة الأخيرة؛ وبفعل السياسة الاستعمارية، اضطر عدد كبير من البدو الرحل التخلي عن نمط معيشتهم التقليدية والبحث عن مصادر أخرى للعيش، فكانت مناجم الونزة والرديف أقرب المقاصد.

3 _ اتجاهات المهاجرين ونشاطهم:

أ _ اتجاهات المهاجرين:

قبل هذه الفترة ونظرا لنقص الموارد المحلية يلجأ السوفي للهجرة المؤقتة بغرض توفير مبلغ من المال من الخارج ثم العودة إلى الملحقة، والجدول أسفله يعطينا عدد المهاجرين حسب قبائلهم في سوف وأماكن استقرارهم خارجها سنة 1954، وفقا للاتجاهات التالية:

الرقم	الاتجاه	الإنتماء القبلي				المجموع
		المصاعبة	الأعشاش	أولاد سعود	قمار	
01	واحات وادي ريغ الزيبان والجلفة	840	217	440	166	1663
02	أم البواقي تبسة وخنشلة	680	165	235	71	1151
03	الجزائر العاصمة ووهران	100	124	366	74	664
04	سكيكدة وعنابة	200	137	188	72	597
05	الغرب القسنطيني	300	06	76	09	391
06	الشرق القسنطيني	10	72	122	33	237
07	قسنطينة وباتنة	10	17	134	17	178
08	تونس	2990	2186	943	577	6696
09	أوروبا وأمريكا	00	30	19	08	57
10	البلدان العربية ما عدا تونس	00	25	20	37	82
	المجموع	5130	2979	2543	1064	11716

جدول رقم 52: يحصي عدد المهاجرين من ملحقة الوادي حسب قبائلهم وأماكن استقرارهم سنة 1954¹

1_ AOM, 81 F 1292, (d. 01): étude sur l'organisation des territoires du Sud par Léon Lehuraux, notes et statistiques sur la population, Décembre 1954, p 32.

إذا دققنا النظر في هذا الجدول الذي تعود معطياته إلى سنة 1954، وقمنا بمقارنتها بالخريطة الحالية لتوزيع مهاجري سوف، نلاحظ أنها تكاد تكون متطابقة من حيث الاتجاهات التي يقصدها مواطني ملحقة الوادي، غير أنها تخالفها في حجم الكتلة المغادرة، تونس لوحدها تضم أكثر من نصف المغادرين وهو ما يُقدَّر بحوالي ستة أعشار ($\frac{6}{10}$) المهاجرين، بثلاث تجمعات كبرى، بينما توزع البقية على خمس كتل داخل الجزائر خاصة الهضاب العليا القسنطينية.

أ _ أ _ تجمعات تونس:

_ تجمع المناجم: وهو الأكثر كثافة مقارنة بالتجمعات الأخرى، حيث يضم حوالي 16 ألف مهاجر سوفي، موزعين على خمس مراكز؛ الرديف، أم العرايس، المتلوي، مليلة وقفصة، كلها مناطق منجمية أقام فيها السوافة قرى ذات هندسة مميزة عرفت باسمهم (نزلة السوافة)¹، إننا بصدد الحديث عن منطقة مجاورة لسوف ولا تبعد عنها إلا بحوالي 170 كلم.

معظم المغادرين متزوجون، يعودون في الخريف من كل سنة لجني محاصيل التمور وزيارة الأهل، غير أن عدد منهم ليست له نية للعودة للمنطقة ويمكن تقدير عددهم بحوالي الثلث، لقد فقدوا كل اتصال يربطهم بموطنهم، آثروا الاستقرار نهائيا هناك حتى أن أبناءهم ليست لهم أي صلة بسوف ولا يعرفون عنها إلا ما يرويه الآباء.

هذا التجمع المعتبر عدديا، متماسك وحالته المادية مرضية، عموما وجد له مكانا تحت الشمس وهو غير مستعد للتنازل عليه لأي كان ولو كان للتوانسة أنفسهم، لكن ما يؤرق السلطات الاستعمارية هو الخطر الذي يمثله هذا التكتل السوفي الكبير على الحدود الشرقية².

_ تجمع تونس العاصمة: ويحصى حوالي 12 ألف مهاجر، ويعتبر الأقدم على الإطلاق، وتكوّنه الأسر والعزاب على حد سواء، يعيشون في تجمعات سكانية تشبه التجمعات الأصلية في سوف، هذا التكتل يتشابه مع تجمع مناجم الجنوب التونسي من ناحية الطبيعة الاجتماعية للمهاجرين المعدمين الذين فضّل جزء كبير منهم الاستقرار، مع وجود أشكال أخرى من الهجرة المؤقتة ويأتي في المقدمة طلبة جامع الزيتونة وبعض التجار³.

_____ علي غنابرية: مجتمع وادي سوف من الإحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1882 - 1954، المرجع السابق، ص 1.290

2_ G. Marty: Les Algériens à Tunis: Constantinois, Algérois et Kabyles, Oranais, gens du Souf, Ouarglia, gens du Touat, Mozabites, in I.B.L.A, Revue de l'Institut des belles lettres arabes, N° 43 et 44, 3^e et 4^e trimestre 1948, p313.

3_ G. Marty, Op. Cit, p 326.

هذا التجمع هو كذلك ذو أهمية عديدة، لكنه يفتقد للوحدة والتجانس بحكم تنوع واختلاف أصول المهاجرين وضعف المدخول المادي، عكس تجمع المناجم نجد هنا شيخ منهم يؤطّرهم وينسق بينهم يفضلون العيش في خلايا صغيرة مستقلة عن بعضها البعض لكنها متماسكة فيما بينها داخليا كخلية قمار أو خلية الزقم أو الأعشاش وغيرها من الخلايا.

مع بعد المسافة، إلا أن حوالي نصف مكوبي هذا التجمع يعودن لزيارة سوف، كما يرسلون بانتظام حوالات مالية للملحقة، ما تجدر الإشارة إليه أن عدد منهم فضّلوا الزواج من بنات العاصمة تونس وهو ما يعد استثناء للقاعدة العامة، لأنه من عادة السوافة عدم الزواج من خارج منطقة سوف إلا نادرا¹.
_ تجمع الجريد: نسبة لمنطقة الجريد بالجنوب التونسي، ويضم حوالي ثمانية آلاف مهاجر أغلبهم أعشاش ومصاعبة².

هكذا تونس بعد أن كانت تحصي عشية اندلاع الثورة التحريرية سنة 1954 حوالي 6696 مهاجرا، هاهي بعد بضع سنوات تأوي ما لا يقل عن 36 ألف مهاجر، معظمهم استقر نهائيا هناك في ثلاث تجمعات مهمة وثابتة مختلفة المناطق لكنها متشابهة في النوع.

لقد تم منع الهجرة إلى تونس منذ 1957 إلا أنه لم يطبق بصرامة إلا مع بداية 1958³، مع ذلك بقيت عمليات الفرار الفردية والجماعية متواصلة إلى غاية الاستقلال نتيجة سياسة القهر والغلظة والتجويع التي سلكها المستعمر في المنطقة، لأن السوفي أَلِف التأقلم مع مختلف الجوائح الطبيعية الطارئة على الملحقة، غير أن جائحة التسلط الاستعماري لم يألّفها ولم يستطع التأقلم معها فأثر الفرار إلى منطقة قريبة تُؤمن له العيش على الأقل.

أ _ ب _ تجمعات الجزائر:

داخل الجزائر نلاحظ تواجد خمس تجمعات تشمل في مجموعها حوالي 24 ألف مهاجر، وهي:

1_ AOM, 81 F 195, (d. 01): Français musulmans d'Algérie en métropole et à l'étranger, Études sur la démographie des algérien au Tunisie, SDECE, Novembre 1961, p 02.

2_ عمار عوادي، المرجع السابق، ص 140.

3_ AOM, 81 F 1058, (d. 05): Documents Nord-Africains, Une tentative d'échappatoire des Sahariens en difficulté, publications des Etudes sociales Nord-Africaines, l'émigration, n° 451, 30 septembre 1961, p 192.

— تجمع الواحات الجزائرية: ونحصى فيه 9500 مهاجر، موزعين على مناطق بسكرة، المغير، جامعة، تقرت وورقلة. الالتحاق بوادي ريغ كان قديم نسبيا، إلا أنه أصبح أكثر وضوحا خلال هذه السنوات، لقد ازدهرت بتلك المناطق بعد الحرب العالمية الثانية بعض أشكال السوق السوداء خاصة بيع التمور¹، وهو الأمر الذي تزامن مع هبوط مستوى المياه الجوفية في وادي سوف، مما دفع الكثير من السكان خاصة الميسورين التنقل للمناطق المجاورة لتأسيس ملكيات جديدة من النخيل، وهو ما ضاعف إلى حد بعيد حركة الهجرة الموسمية القديمة التي يقوم بها كثير من العمال الفقراء نحو تلك المناطق في فصل الخريف عند جني محصول التمور بحكم قربها من سوف.

قاصدي هذه المناطق، استقروا رفقة عائلاتهم، غير أنه وفي مختلف التكتلات الواحاتية ظلت علاقة المهاجرين وطيدة بمسقط الرأس ربما لقرب المنطقة، كما اكتسبوا هناك مكانة اجتماعية وحتى سياسية مرموقة، بفضل تحسن وضعهم المالي وبراعتهم في فنون المعاملة، أما منطقة الجذب الجديدة هي الصناعة البترولية بمنطقة حاسي مسعود وضواحيها، التي باتت تضم حوالي 1500 عامل سنة 1962².

— تجمع الهضاب العليا القسنطينية: وفيه حوالي ثلاثون مدينة وقرية تأوي حوالي سبعة آلاف سوفي، قدموا خاصة من المراكز القديمة في سوف؛ البهيمه، كوينين وقمار، بغرض الإتجار في منتجات الصناعات الحرفية التقليدية على وجه الخصوص، يهاجرون رفقة عائلاتهم قاصدين مناطق المسيلة والبرج غربا، وسوق هراس وعين البيضاء شرقا، ومن قسنطينة شمالا إلى غاية تبسة وخنشلة جنوبا، وحدة انتماءاتهم الأصلية في سوف وتشابه طبيعة نشاطاتهم، مكنتهم من تكوين وحدة حقيقية وتماسك قوي فيما بينهم.

— تجمع الجزائر العاصمة: ويحوي حوالي 3500 عامل سوفي، جذبتهم كبرى المدن الجزائرية بدون منازع، مع بقاء معظمهم في علاقة وطيدة مع مسقط الرأس.

— تجمع المناجم الجزائرية: ويضم حوالي ثلاثة آلاف مهاجر، استقروا في المركزين المنجميين في كل من الوزنة والكوييف قرب تبسة، وهذان الأخيران يعتبران أبعد قليلا عن الوادي مقارنة مع مناجم

1_ AOM, 81 F 1058, (d. 05), Op. Cit, p 187.

2_ SHDDE, 1 H 1107, (d.05): Statistiques et Observations sur la population des territoires du Sud, Rapport A. CHAIBI, le président de la délégation spéciale de la commune d'EL-OUED, Département Des Oasis, Arrondissement D'El-Oued, 27 Mai 1963, p 02.

قصة، وأغلب الملتحقين هنا من المصاعبة، معظم المهاجرين لم يجلبوا عائلاتهم بل يعيشون في وكالات ليعودون لسوف خلال العطلة السنوية، استطاع الكثير منهم امتلاك منزل خاص وعدد من أشجار النخيل¹.

— تجمع مينائي عنابة وسكيكدة: لقد استقطبا حوالي 2500 عامل من فقراء سوف الحصول على عمل دائم والبعد عن مسقط الرأس أرغم عدة عائلات وحتى عزاب على الاستقرار هناك مع تفضيل أغلبهم القيام بزيارة سنوية لسوف².

أ _ ت _ تجمع فرنسا والحجاز:

بالإضافة إلى تونس التي كانت الوجه الأولى لسكان الملحققة، هناك أيضا وجهتين خارجيتين استقبلتا حوالي 2500 مهاجر، وهما فرنسا والأماكن المقدسة في العربية السعودية، حيث ضمت هذه الأخيرة أكثر من 500 سوفي كان أغلبهم من قمار، أما خلال السنوات الأربع الأخيرة فقد استحوذت على اهتمام عدة عائلات من الوادي مركز بصفة خاصة، وباستثناء مهاجري قمار الذين استقروا بانتظام في مكة، فإن البقية ظلت تتردد من حين لآخر على الملحققة³.

مثل ما ورد ذكره سابقا، فقد منعت حركة الهجرة الخارجية خاصة، وحتى الذين استقروا في الحجاز كان بداعي الحج أو الخروج خلصة عن أعين السلطات كما هو الحال مع الجارة تونس، بينما شهدت الفترة تشجيع كبير للذهاب لفرنسا، سواء عن طريق التهريب أو الترغيب، حيث المفارقة حتى الفار من ملاحقة السلطات الفرنسية بحجة انخراطه في الثورة التحريرية، يلتحق بفرنسا دون ملاحقة، لقد وقفنا على عدد مهاجري سوف الذين كان مقصدهم فرنسا حيث بلغ عددهم سنة 1954 حوالي 56 مهاجرا فقط في كل فرنسا، أما حاليا فتعطينا إحصائية صادرة عن المصالح الإدارية لمقاطعة الوادي بتاريخ الثامن من جانفي 1962، بصفة دقيقة عدد مهاجري سوف في مختلف المقاطعات الفرنسية حسب بلدياتهم في سوف، وهو ما يوضحه الجدول التالي:

1_ SHDDE, 1 H 1107, (d.05), Op. Cit, p 03.

2_ Jean Pigoreau, Op. Cit, pp13-14.

3_ AOM, 81 F 991, (d. 03): Nos Indigènes des territoires du Sud au Hedjaz, Rapport du Ministère des Affaires Etrangères, 22 Juillet 1959, p 05.

الرقم	البلدية	العدد	الرقم	البلدية	العدد
01	الوادي	280	09	الديلة	56
02	قمار	284	10	البيهمة	29
03	كوينين	82	11	المقرن	200
04	الرقبية	157	12	حاسي خليفة	30
05	الطريفاي	57	13	البياضة	350
06	وادي العلندة	27	14	الرياح	09
07	الرقم	157	15	النخلة	03
08	سيدي عون	85	16	ربايع الجنوب	04
المجموع			1810		

جدول رقم 53: يحصي عدد مهاجري دائرة الوادي في مختلف المقاطعات الفرنسية سنة 1962¹

لقد تضاعف العدد بصفة مذهلة، حتى بلغ أكثر من 32 ضعف ظرف سبع سنوات، وهو تحوّل يغني عن أي تعليق، فإن كان عمال تكسبت هم السبّاقون للالتحاق بفرنسا، نلاحظ من خلال الجدول ومع حلول سنة 1962 كيف رجحت كفة مناطق أخرى في سوف من الكتلة العاملة في فرنسا على غرار البياضة والوادي المركز وقمار والمقرن، للاشتغال بالمصانع وورشات البناء، في الأخير نحاول القيام بمحصّر عدد الكتلة التي قررت مغادرة سوف واتجهت نحو مقاصد مختلفة داخل الجزائر وخارجها، يبرزها الجدول أدناه:

الرقم	تجمعات المهاجرين	العدد	الرقم	تجمعات المهاجرين	العدد
01	المناجم التونسية	16.000	06	المناجم الجزائرية	3.000
02	تونس العاصمة	12.000	07	الجزائر العاصمة	3.500
03	الجريد التونسي	8.000	08	مينائي عنابة وسكيكدة	2.500
04	الواحات الجزائرية	9.500	09	فرنسا والحجاز	2.500
05	الهضاب العليا القسنطينية	7.000	المجموع		64.000

جدول رقم 54: يحصي مجموع المهاجرين السوافة عبر مختلف الاتجاهات²

1_ AOM, 81 F 1033, (d. 04): contrôle de la migration entre Algérie et métropole, Etat des Travailleurs Souafa en Métropole, Administrateur des Services Civils chargé des fonctions de Sous-préfet de l'Arrondissement d'EL-OUED, 08 Février 1962, p 02.

2_ الجدول من انجاز الطالب.

تحوّل كبير في حجم الكتلة المغادرة، حيث من بين 100 ألف ساكن في سوف قرر ما يربو عن 64 ألف منهم المغادرة خلال ظرف وجيز، ونسبة ارتفاع خيالية في فترة أقل من ثمان سنوات، لا يمكن لأي هجرة طوعية أن تبلغ 64 بالمئة من السكان في ظرف وجيز، باختصار إنه الفرار من الموت المحتوم؛ فمن لم يمت تحت وطأة الفقر المدقع الناجم عن سياسة التجويع مات تحت سياط الجلادين ورصاص الجنود، إنه نزوح جماعي وليست هجرة طوعية.

ب _ نشاط السوافة في المهجر:

_ فئة أصحاب المهن الحرة وصغار الموظفين: هي الفئة التي حضيت بفرصة أفضل من غيرها ومعيشتها أيسر من بقية الفئات، تبلغ نسبتها حوالي ثلاثة بالمئة من عدد المهاجرين، أي بالكاد يتجاوز 1900 مهاجر، ضمتهم المدن الكبرى كالجائر العاصمة، باتنة، قسنطينة وعنابة، هذه المدن تسكنها أغلبية أصيلة قرى كوينين، الزقم، قمار والديلة، علاوة على الفئة المذكورة نجد أيضا عمال النظافة وعمال المجاري وحتى الممرض في تونس والمحامي في باتنة والمدرس في قسنطينة¹، لكن تبقى الأغلبية من الفقراء. نسبة ثلاثة بالمئة نسبة قليلة إذا ما قورنت بمعاناة السوفي وسط المدن القاسية والمتنكرة في معظمها للغرباء الفقراء؛ من معاناة مسقط الرأس إلى معاناة الفقر في المدن، ربما نستثني هنا أولئك الذين حازوا على قدر من التعليم.

_ البروليتاريا الفلاحية: يُقدر عددها بحوالي 5400 عامل وتصل نسبتها إلى 8,5 بالمئة، تعتبر نسبة قليلة بالمقارنة مع التعداد العام للمهاجرين، يشتغلون في واحات النخيل وحقول الحبوب، لقد كانوا عمّال موسميون يتجهون نحو الواحات المجاورة كالجريد التونسي، الزيبان ووادي ريغ موسم جني التمور في الخريف من كل سنة، أو يتوجهون نحو التل شمالا حيث الهضاب؛ الوسط والشرق القسنطيني مع بداية كل موسم حصاد الحبوب.

1_ Henri Thomas Lieutenant Colonel Commandant Militaire du Territoire de Touggourt: Migrations saisonnière et définitive des Indigènes du Territoire de Touggourt, Bulletin Algérien du Travail et de la Sécurité Sociale, 4^{ème} édition, N°52, Avril 1960, La maison des livres, Alger, p 13.

البدو وشبه الرحل يتنقلون رفقة عائلاتهم يجمعون ويفرزون التمور ويحشونها في أكياس ثم ينقلونها لمكان الخزن أو إلى الشاحنات، ليعودون في الربيع محققين بعض الأرباح، كل سنة نفس المسار تقريبا لنفس الأشخاص بحكم معرفتهم السابقة للملاك والخبرة والتجربة التي اكتسبوها مع سنوات العمل، الملاحظ أن عدد هؤلاء يزيد وينقص تناسبا مع زيادة أو نقصان المحاصيل الفلاحية من حيث الكمية والأثمان¹.

— الحرفيين: تم إحصاء حوالي ثلاثة آلاف حرفي بالمعنى الواسع لهذه الحرف وما يتصل بها من حرف ثانوية وأخرى مساعدة للحداة والنجارة وأشغال البناء، وكذلك بعض المهن الحرة كالجزارين، الخياطين، الحلاقين وأصحاب المخابز.

— عمال المناجم: هم العدد الأكبر بنسبة 18 بالمئة من المهاجرين، وهو ما يقدر بحوالي 11500 عامل في مناجم كل من الرديف، أم العرايس، المتلوي، الوزنة والكوييف، ثلاثة أرباعهم ($\frac{3}{4}$) عمال دائمون، أما البقية فهم تحت تهديد خطر البطالة، منهم من يقرر البقاء على أمل الحصول على عمل جديد، ومنهم من يفضل العودة إلى مسقط الرأس².

إن تعود السوافة على الأعمال الشاقة خاصة العمل في نقل الرمال في الغيطان صعودا ونزولا، جعلهم يندمجون سريعا في أشغالهم الجديدة ويحضون باستمرار برضا رؤسائهم في العمل.

— التجار: عددهم يتجاوز بقليل عدد عمال المناجم، حيث يشتغل بالتجارة حوالي 12500 تاجر، وهو ما يمثل حوالي خمس ($\frac{1}{5}$) عدد المهاجرين، فمثلا نجح السوفي في عمله المنجمي ومختلف المهن الحرة نجح أيضا نجاحا باهرا كتاجر حاذق بفضل ذكائه ونباهته وحسن معاملته لزبائنه، حتى فاق في بعض الأحيان التجار الميزابيين وكسّر احتكارهم لبعض النشاطات التجارية، لكن من المجحف أن نعتبر هذه الفئة تضم إلا ميسوري الحال من تجار التمور في أسواق بسكرة، أو تجار الحبوب في صدراته أو كبار

1_ SHDDE, 1 H 1107, (d.05), Op. Cit, p 04.

2_ Henri Thomas Lieutenant Colonel Commandant Militaire du Territoire de Touggourt, Op. Cit, p 06.

تجار القماش في قسنطينة، فيلى جانب هؤلاء هناك بائع الفول المطبوخ في تقرت، صانع الفطائر في تبسة، بائع الأكل السريع في الجزائر العاصمة، البقال البسيط في عنابة والدلال في المسيلة¹.

— البروليتارية الحضرية: واستحوذت على أكبر نسبة، حيث فاقت 46 بالمئة من المهاجرين السوافة بعدد يقترب إلى ثلاثين ألف شخص، معظمهم يشتغلون في أعمال شاقة ومتعبة تشمل كل المجالات، بحكم أنها يد عاملة غير متخصصة وغير مؤهلة فتقبل بأي عمل يعرض عليها². في تونس السوفي يشتغل سقاء، فحام، لماع أحذية أو بائع ملابس مستعملة، في الجزائر العاصمة عامل في الميناء، سقاء أو حمال أو عامل في الميناء أو في مصانع التبغ في عنابة وسكيكدة، حتى أن العمال أصيلي بعض المناطق في سوف عُرفوا ببعض التخصص في أعمالهم؛ مثلا القادمين من الدييلة يشتغلون عمال موانئ، تغزوت حمالين، قمار فحامين وطرود عمال مصانع³.

ثالثا _ أثر حركة الهجرة على تحوّل المنطقة:

بعد أن فصلنا في مختلف جوانب الهجرة من وادي سوف، نحاول الآن الوقوف على أبرز آثار حركة الهجرة المكثفة على المنطقة وعلى المهاجرين، والتي من أبرزها:

1 - الأثر الديموغرافي: الإحصاء العام للسكن والسكان لسنة 1954 حدد عدد سكان الملحقة بحوالي 87385 نسمة، في المقابل إحصاء سنة 1948 أسفر عن حوالي 99679 نسمة، وهو ما يرفع متوسط زيادة عدد الولادات مقارنة بعدد الوفيات بحوالي 1100 نسمة سنويا، لا يجب أن يفاجئنا هذا التراجع في عدد السكان، إذا علمنا أن أرقام سنة 1948 كانت مضخمة بغرض الحصول على عدد أكثر من الحصص التموينية؛ التي تم التعامل بها بغرض مجابهة مخلفات أزمة الحرب الكونية الثانية⁴.

1_ VANNEY. J. R, Op. Cit, p 177.

2_ Henri Thomas Lieutenant Colonel Commandant Militaire du Territoire de Touggourt, Op. Cit, p 13.

3_ AOM, 81 F 1033, (d. 04): Etat concernant les Travailleurs Sahariens, Administrateur des Services Civils chargé des fonctions de Sous-préfet de l'Arrondissement d'EL-OUED, 08 Février 1962, pp 01- 02.

4_ Jean Pigoreau, Op. Cit, p 18.

الأمر الذي أقلق السلطات الإدارية الفرنسية في سوف، هو العدد الكبير للأسر التي فضّلت الاستقرار خارج الجزائر ولم تلتحق بالتراب الفرنسي، فهي ترى في الأسر التي فضّلت الاستقرار في تونس وفي الحجاز خسارة لكتلة بشرية مهمة عدديا بالنسبة لفرنسا في نفس الوقت تشكل خطرا يجب مراقبته بدقة وعن كثب.

إضافة إلى ذلك، معظم المغادرين من الفئة الشابة؛ أي قوة عمل مهدورة لأن نسبة كبيرة منهم لا تعود لسوف، هذه الأخيرة أصبحت دار كبيرة تضم العجزة وكبار السن والأيتام من الأطفال الصغار.

2 _ الآثار الاقتصادية والاجتماعية: ما يجب أن ننوه به في المقام الأول، هو الأثر الإيجابي جدا الذي أحدثته الهجرة على سوف بصفة عامة، لأنها أضافت لها كتلة نقدية يصعب ضبطها، وإذا حاولنا تقييمها بصفة تقريبية فإنه يمكن لشاب عازب أن يربح حوالي خمسة آلاف فرنك شهريا، مع الوضع في الحسبان أن عدد كبير من هؤلاء ومن العائلات أيضا أثر الاستقرار النهائي خارج الملحقة، وعليه فإنه من المغامرة محاولة إعطاء رقم محدد، مع ذلك ليس من المجازفة تقدير مبلغ خمسين مليون فرنك على الأقل يضخه المهاجرون سنويا كقيمة مضافة للملحقة، وهي مبالغ يرسلونها بغرض صيانة وتطوير غيطان النخيل بالدرجة الأولى¹.

نظرا لما تستهلكه النخلة من مجهود ومصاريف، يبقى مردودها قليل مقارنة بما يصرف عليها، مع ذلك ضمنت تلك المبالغ المحوّلة استقرارا نسبيا داخل الملحقة، مع ملاحظة ارتفاع محسوس في مستوى معيشة كثير من الأسر داخل سوف في هذا الإطار الفرق بين مستوى معيشة الأسر المستقرة والأسر المهاجرة كبير جدا، فوفقا لأنموذج ميزانية أسرة سوفية مستقرة متوسطة الدخل سنة 1960 الذي قدمته الدراسة، وقفنا على مدخول لهذه الأسرة التي تتكون من ستة (06) أفراد، يقدر بحوالي 112100 فرنك سنويا بمعدل حوالي 19 ألف فرنك لكل فرد، بينما في منطقة مناجم قفصة عائلة بنفس العدد مدخولها

1_ VANNEY. J. R, Op. Cit, p 178.

السنيوي يقدر بحوالي 386260 فرنك بمعدل 64 ألف فرنك لكل فرد منها، أي بفارق حوالي ثلاثة أضعاف¹.

وكما رأينا في نموذج ميزانية الأسرة السوفية المستقرة، لا يمكن توفير أي مبلغ، بينما المنجمي يوفر سنويا ما لا يقل عن أربعين ألف فرنك.

هذا لا يعني أبدا أن الأسر المنجمية تنعم بالعيش الرغيد، هي مقارنة فقط بين مستقر ومهاجر من سكان نفس المنطقة، أما إذا حاولنا إجراء مقارنة أجر عامل المناجم الجزائري سواء في الجزائر أو في تونس بأجر عامل المناجم الفرنسي، فنجد البون شاسع جدا ولا جدوى من المقارنة أصلا.

ما يجدر التنويه به في وسط المهاجرين، هو حركة التضامن بينهم والتي يستفيد منها الفقراء بالدرجة الأولى، خاصة بين المهاجرين المنتمين لنفس القرية أو القبيلة، وهو ما نلاحظه بصفة جلية عند كل من القادمين من تغزوت في الجزائر العاصمة، والقادمين من الزقم في تونس²، لقد باتت الهجرة تُعد أحد ثلاثة مداخل مهمة في سوف إلى جانب الأجور والفلاحة، بل تكون الأهم من بينها بالنظر إلى ارتفاع مستوى المعيشة الذي أصبحت تتمتع به معظم العائلات السوفية المهاجرة.

3 _ الآثار السياسية: لقد تأثر المهاجرين السوافة كثيرا بالدعاية السياسية والأفكار الوطنية، لذلك كانوا لما يعودون للديار يؤثرون في المستقرين السوافة، مما يؤدي إلى فتور وازع الولاء لديهم للسلطة الاستعمارية وهو ما يسبب متاعب جمة لهذه الأخيرة.

الأوساط السوفية المهاجرة الأكثر تأثرا نجدها في واد ريغ، تقرت والمغير، حيث السوافة الأكثر بؤسا مناضلين في صفوف حركة انتصار الحريات الديمقراطية، أما في الزيبان حيث السوافة أيسر حالا نجدهم مناضلين تحت راية الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، يشاركون في مختلف اللجان والخلايا للأحزاب السياسية الوطنية على مستوى مناطق خنشلة، تبسة وقسنطينة وغيرها³.

1_ R. Olivier, Op. Cit, p 119.

2_ Jean Pigoreau, Op. Cit, p 20.

3_ Henri Thomas Lieutenant Colonel Commandant Militaire du Territoire de Touggourt, Op. Cit, p 11.

بينما في المراكز المنجمية والصناعية في الونزة، الكويف، عنابة، سكيكدة والجزائر العاصمة، يفضلون العمل النقابي عن النشاط السياسي، وهو ما يمكنهم من الدفاع عن حقوقهم المهنية، وهناك من انخرط منهم في الحزب الشيوعي الجزائري.

ولا تشكل منطقتي الجريد ونفزاوة في تونس أي اختلاف عن بقية المناطق الأخرى، بينما في العاصمة تونس الأمر يختلف، حيث تأثر الطلبة الزيتونيون بالدعاية الدستورية، في حين انخرط عمال المناجم بشكل واسع في الاتحاد الاشتراكي التونسي للشغل¹.

لذلك وعند اندلاع الثورة التحريرية في غرة نوفمبر 1954، انخرطت الغالبية الساحقة منهم في جبهة وجيش التحرير الوطني، قبض على العديد من منخرطي خلايا جبهة التحرير الوطني في المغير التي كان أغلب منخرطيها من المهاجرين السوافة، كذلك الأمر في بسكرة، خنشلة، تبسة والونزة. لقد كان الأخوان الأرقط الكيلاني والهاشمي ضمن الفوج الأول الذي أشعل فتيل الثورة في خنشلة ليلة أول نوفمبر 1954، بينما استشهد خمسة شهداء من أسرة بلعيد المتتمين لمنطقة كوينين في عين البيضاء خلال أحداث الشمال القسنطيني في 20 أوت 1955، واستشهد الأخوين لقرع الهادي ومحمد الطيب في منطقة تيزي وزو سنة 1957، ناهيك عن عدة مناطق أخرى ساخنة تواجد فيها المهاجرين، ربما بصفة خاصة المناطق المتاخمة للحدود التونسية².

لقد عمّت خلايا الحركة الوطنية قبل اندلاع الحرب التحريرية كل منطقة المناجم والجريد التونسي، وكل مناطق تواجد مهاجري سوف، وأخذت في الاستعداد لليوم الموعود، من جمع للمال والسلاح وإعداد الرجال، كان على رأسها ثلة من المناضلين المتحمسين للفعل الثوري كالأخضر بن عمر المدعو العياط، رحال محمد، علي بوعمرة، صالح بن مبارك جراية، هذا الأخير قاد مجموعة من المناضلين متجهين لتحرير فلسطين سنة 1948 لكن قوات الاحتلال صدت عزيمتهم، دون أن يغيب عن الأذهان أيضا أن الجالية السوفية دعمت الثورة التونسية سنة 1952 بالمال والرجال، ليجدها غداة اندلاع الحرب التحريرية القادة محمد الأخضر عمارة (حمه لخضر)، سي الجيلاني بن عمر والطالب العربي قمودي على أتم الاستعداد

1_ VANNEY. J. R, Op. Cit, p 180.

2_ مديرية المجاهدين، المرجع السابق.

لخوض معارك ضارية ضد العدو الفرنسي في وادي سوف وعلى طول الشريط الحدودي التونسي والليبي إلى غاية الاستقلال، ضرب خلالها جنود القائدين محمد الحبيب بن عمر جراية والطيب فرحات حميدة المدعو سي زكريا أروع الأمثلة في التضحية والفداء ونكران الذات.

كما استفاد المجاهدون السوافة المتخندقين في جبال نقرين، فركان وبير العاتر، بالرجال والسلاح والذخيرة والأموال والمؤن المختلفة، خاصة من طرف بدو الملحقه حيث قطعانهم ترعى عند سفوح تلك الجبال، كما ضمن المجاهدون عملية الربط والتنسيق بين النمامشة، الأوراس وجبال قفصة، يعملون في صمت في الرديف ودون خطر كبير بحكم تواجد جالية كثيفة تدعم بالمؤن والرجال، بهذه الطريقة وفي ظل هذه الظروف المشجعة يقوم المجاهدون بعدة عمليات عسكرية في سوف بوابة العرق الشرقي الكبير، كما قدّم السوافة في عقر دار المستعمر أروع الأمثلة في الدفاع عن الوطن فمنهم الشهداء كالشهيد عبد الغني بكاكرة من البياضة وإبراهيم قاره من قمار، ومنهم الفدائيين وغيرهم ممن سبلوا أموالهم وأنفسهم من أجل نيل الحرية والاستقلال.

4 _ الأثر الديني والنفسي: الطرق الصوفية الثلاث في الملحقه؛ التيجانية، القادرية والرحمانية لازالت تحظى بتأثير قوي على أتباعها، لكن الذين هاجروا إلى أماكن بعيدة عن نفوذ هذه الطرق، استسلم أغلبهم وبكل سهولة لتأثير الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي تدعو إلى الرجوع للتعاليم الصافية للدين الإسلامي، في بسكرة، قسنطينة، خنشلة، تبسة وفي منطقة الغرب القسنطيني؛ مثل مسيلة، سطيف، البرج وبريكة، السوافة التجار على وجه الخصوص أعضاء نشيطين ومؤثرين ومسموعين في عدة لجان محلية لتلك المناطق، والبعض منهم زيتونيون استقروا كمدرسين¹. في بعض الحالات الخاصة، أتباع الطرق الثلاث يحتفظون بولائهم لانتماءات كبارهم، كم يقون على صلة بممثلي تلك الطرق الصوفية، خاصة في مناطق؛ الجريد، ورقلة، وادي ريغ وحتى مناجم قفصة.

1_ Jean Pigoreau, Op. Cit, pp 20-21.

في هذه الفترة أيضا تراجع حماس الشباب كثيرا لسيدي أحمد (التيجانية) وسيدي عبد القادر (القادرية) حتى لدى من آثروا البقاء في سوف، لأن تأثير الزيتونيين والوطنيين فتح الباب على مصراعيه لانتقاد الطرق الصوفية بجميع أشكالها¹.

لقد احتفظ المهاجرون السوافة بأهم طباعهم المحبذة كالأمانة والثقة وحب العمل وإجادته وظرافة المعاملة، كما نقلوا معهم أيضا سلوكياتهم السيئة كالجشع واللباقة المبالغ فيها، إنها صفات فرضتها الظروف الصعبة للعيش خاصة عند من ابتعدوا عن الديار².

كما أن المهاجر السوفي غير محبوب في كثير من الأماكن التي حلَّ بها، لأنه أضحى منافسا شرسا خاصة في التجارة، أو العمل في المناجم، وهو ما يجعله في كثير من الأحيان يخفي هويته الأصلية مع اجتماعيته ومسلّمته، ويتقاسم هذه المعاناة وبنفس الدرجة أو أكثر حدة مع إخوانه من منطقتي القبائل وبني مزاب³. أخيرا، الهجرة السوفية كبيرة جدا عدديا، والسبب الأول في عملية النزوح الكبيرة هذه يرجع للسياسة الاستعمارية التي أحدثت خللا رهيبا في النظام الاجتماعي، الاقتصادي التقليدي، الذي كان مرنا ومتكيفًا مع مختلف الظروف الطبيعية البيئية وتفاعلاتها الاجتماعية.

شلّ المحتل حركة المجتمع عند عملية التكيف الاقتصادي مع الوسط البيئي، بمعنى أنه كان متاحا أمام السوفي قبل عبث المحتل وتدخله السافر، ثلاث مصادر كبرى للعيش والتأقلم مع ظروف المنطقة؛ تجارة القوافل، ممارسة البداوة (الرعي) وغراسة النخيل.

لقد حاولت فرنسا في البداية استغلال تجارة القوافل لصالحها، ولكن لما فشلت في ذلك أوقفتها تماما، بالتالي سقط أحد الأعمدة الثلاث التي يركز عليها استقرار النظام التقليدي للتكيف والتأقلم السوسيو اقتصادي في سوف.

1_ VANNEY. J. R, Op. Cit, p 181.

2_ AOM, 81 F 1033, (d. 04), Op. Cit, p 03.

3_ Henri Thomas Lieutenant Colonel Commandant Militaire du Territoire de Touggourt, Op. Cit, p 12.

تحت ضغط أحداث الثورة التحريرية وبروز دور البدو كقاعدة ارتكاز للمجاهدين، خلقت مراكز استعمارية على طول الشريط الحدودي المتاخم للقواعد الخلفية لجيش التحرير الوطني المتمركز على الحدود الجزائرية التونسية والليبية. وحددت مسارات البدو قصد تقليص حركتهم بل وشلها تماما قصد خنق المجاهدين في العرق الشرقي بفقدانهم دعم البدو بالرجال والمؤن والمعلومات حول تحرك قوات القوم والمهاري، الأمر الذي دفع أغلبية ملاك القطعان على قتلها بعدما أصبح يتهددهم شبح الموت بتقليص الحركة حينما وحشدهم وسط أسلاك شائكة أحيانا أخرى إلى مغادرة حياة الحل والترحال والعيش وسط الخيام، وتفضيل حياة الاستقرار مرغمين، هكذا تجاوز ثاني الأعمدة متسببا في اكتظاظ داخل حيز فلاحي محدود المردود الكفيل بتغطية العجز الذي خلفه سقوط العمودين الآخرين.

وحتى هذا الأخير، أي غراسة النخيل ومحاصيل التمور عاثت فيه يد الطامعين من أجل تطويعه ليقدم اقتصاد المتروبول، والاستثمار بالعملة الصعبة، وتحويل الإنتاج الفلاحي من إنتاج استهلاكي ذاتي يغلب عليه إنتاج محصول تمر الغرس، إلى إنتاج تجاري يغلب عليه محصول تمر دقلة نور، دون التفكير في خلق بديل لقوت السكان.

حشد عدد هائل من السكان في منطقة محدودة، وتقليص المصدر الأول للغذاء في هذه المنطقة، ماذا نتوقع أن يحدث جراء هذه السياسة؟ إنه الانهيار التام، إنه دون شك الفقر، إنه الجوع الناجم عن زيادة عدد السكان وتقلص مصادر العيش.

وما زاد الطين بلة، منع السلطات الإدارية الاستعمارية للملحقة منع حركة الهجرة (النزوح) في مرحلة أولى؛ بعد ملاحظتها لتفاقم الأمر وخوفها من استغلال الثورة لهذه الحشود المغادرة، ثم فرضت التسجيل وطلب رخص التنقل لراغبي التنقل في محاولة منها لتوجيه حركة المغادرة ومراقبتها لتبقى تحت السيطرة، لتعمل منذ نهاية 1958 على توجيه كل طالبي الهجرة إلى فرنسا وفتح مكاتب لليد العاملة لتأطير العملية والتنسيق مع طلبات العمل في فرنسا، ومنع كل الاتجاهات الأخرى خارج الجزائر، إلا من هاجر متخفيا ملتحقا بالتراب التونسي أو مستفيدا من تواطئ أحد القياد، كما فرضت قيود شديدة على طالبي زيارة البقاع المقدسة بغرض الحج.

بالموازاة مع عملية توجيه الهجرة لاستغلال اليد العاملة لصالح اقتصاد المتربول، شرعت السلطات المحلية الإدارية للملحقة في تجسيد برنامج تنموي على حد تعبيرها، يدخل في إطار مشروع قسنطينة يستغل الأراضي الشاسعة والمياه الجوفية المتوفرة بكثرة واليد العاملة التي تعاني البطالة والفقر في محاولة لتجفيف منابع الهجرة وأعداد الملتحقين بالمجاهدين، قاعدة المشروع الأساسية نخلة دقلة نور المطلوبة في الأسواق الخارجية، مع تغيير طبيعة الغراسة البعلية بغراسة مسقية أقل تكلفة وأكثر مردودية في كل من الحمراية، سيف المنادي وهبة.

كخلاصة لما تم تناوله خلال هذا الفصل، الوادي المدينة شهدت تحولا من ناحية زيادة عدد السكان، وهو ما أدى بدوره إلى توسع الكتلة العمرانية لكن بطريقه مبعثره و غير منتظمة، التحول مسّ أيضا نوع الفرق المستقرة، حيث استقر نهائيا كل من أولاد أحمد والمصاعبة، كما تعززت الكتلة المستقرة بفرق من الربايع والفرجان والشعامبة والقطاطية، تبعا لذلك زادت قيمة الأرض وانتشرت ظاهره المضاربة العقارية وكراء المحلات، الأمر الذي دفع السكان إلى الاستقرار بالضواحي حيث الأرض متوفرة وبدون ثمن.

كما دلتنا الإحصائيات إلى تحوّل في حجم الحركة الداخلية للسكان، وتركهم الإطار القبلي التقليدي للقرية مما ساهم في التقريب بين الفرق وتفاعلها مع بعضها البعض، وخلق توسعا فلاحيا وعمرانيا في البلاد.

الفئات الدّخيلة عن المنطقة مسّها أيضا التحوّل، ففئة الزنوج ظلت في تناقص عددي مستمر، كما تحولت علاقتهم بأسيادهم فلم تعد العبودية هي السائدة بل أضحوأ أجراء وأصحاب أملاك. فئة اليهود ومع وجودها المؤثر وانتشارهم في المنطقة إلا أن عددهم هم أيضا ظل في تقلص مستمر حتى لم يبق منهم أحد مع فجر الاستقلال، أما الأوروبيون فتزايد عددهم إلى غاية سنة 1960 ليشهد انحدارا تزامنا مع فترة هجرة اليهود، الفرق الوحيد بينهما أن هناك فئة من الأوروبيين ظلّت تمارس مهامها إلى ما بعد الاستقلال.

المرأة السوفية ومع محاولة المستعمر كشف سترها ودمجها في حياة الرجال، غير أنها ظلت متمسكة بتعاليم دينها وعادات وتقاليد الأجداد، مع ذلك هناك تحوّل من ناحية تأهيلها وتوجيهها نحو التدبير المنزلي والنشاط المهني في ورشة الأخوات البيض، وهو الأمر الذي سار بالموازاة مع التحاق البنات بمقاعد المدرسة الفرنسية حتى أضحت تعليمها مطلباً شعبياً.

ما يلفت النظر فعلاً هو تحوّل أدوار المرأة السوفية، حيث كانت دائماً تشدّ عضد أخيها الرجل في دعم اقتصاد الأسرة سواء داخل البيت أو في الغوط أو حتى خلال حله وترحاله، التحوّل في الأدوار برز مع اندلاع الثورة التحريرية، حيث لم يقتصر دورها في تحصين الرجال وإعدادهم لمجابهة العدو، بل شاركت فعلياً كمناضلة مدنية وكجندية حاملة للسلاح إلى جنب أخيها المجاهد في جيش التحرير الوطني.

بدورها المنظومة الصحية في سوف شهدت تحوّلاً كبيراً سواء على مستوى عدد الهياكل المستقبلية للمرضى أو عدد الأطقم الطبية والشبه طبية والعمال. فقد تدعمت الجهة بمستشفى كبير يشمل عدة اختصاصات كالطب العام، السل، الجراحة العامة، وطب الأطفال والولادة، إضافة إلى مخبر وصيدلية، كما تم إنجاز ثلاث مستوصفات أخرى مما ضاعف عدد الأسرة وأيام الاستطباب إلى خمسة أضعاف.

ما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد، هو استغلال النظام المدني لجهة التحرير الوطني لهذا القطاع الحساس حيث زرعت فيه عناصر وطنية تمكنت من تموين الثورة بكميات من الأدوية ومستلزمات الإسعاف والتطبيب.

من الناحية الإدارية مرّ إقليم وادي سوف بعدة تحولات إدارية، بداية من ملحقة مختلطة ثم بلدية مختلطة وصولاً إلى دائرة إدارية تضم 16 بلدية، دون أن تستغني السلطات الإدارية عن خدمات القيادة وشيوخ الفرق كواسطة بينها وبين السكان.

أما القضاء فقد كان الوجه الثاني للإدارة الفرنسية لا سيما بعد اندلاع الثورة، حيث حلّت القوانين الزجرية محل القضاء الإسلامي، هذا الأخير أمسى مقتصرًا على الزواج والطلاق والمواريث وما إلى ذلك من معاملات.

الجانب المعماري شهد بدوره أيضا تحولا بتأثير من المهندس المعماري الفرنسي والسوفي المهاجر كل من زاويته وبطريقته، لقد تغيرت واجهات المنازل وأحجام الغرف وارتفاعها هذا إلى جانب تبليط الأرضيات وعصرنة الأبواب والنوافذ والأقفال.

التحول الأبرز والخطير الذي أحدثه المستعمر في وادي سوف، هو عملية الترحيل القسري وبطريقة غير مباشرة للبدو الرحل من خلال حشدهم داخل رواق واحد لتسهيل مراقبتهم ويقطع عليهم الاتصال بالمجاهدين، هذا المجال لم يتسع لترحل هؤلاء وما تقتضيه طبيعة حياتهم، مما اضطر أعداد كبيرة منهم إلى تركهم لبيئتهم ونسق عيشهم والالتحاق مكرهين بحياة الاستقرار، بهذا السلوك تكدست أعداد هائلة من القوى القادرة على العمل لكنها من دون عمل، وأمام ضيق أفق العيش ومحدوديته في هذه المنطقة وبعد كسر آلية التكامل بين البدو والمستقرين، قرر العديد من السكان النزوح فرارا من الفقر نحو مناطق أخرى داخل الجزائر وخارجها؛ فظهرت حركة هجرة واسعة كان لها بالغ الأثر على الإقليم.

الفصل الثالث

التحوّلات الثقافية في وادي سوف من خلال الوثائق الأرشيفية
(1954-1962)

__ المبحث الأول: تحوّل المنظومة التعليمية في وادي سوف .

__ المبحث الثاني: تحوّل الألعاب الشعبية والنشاطات الترفيهية والرياضية.

__ المبحث الثالث: مجالات تحوّل السلوك اليومي في وادي سوف.

__ المبحث الأول: تحوّل المنظومة التعليمية في وادي سوف:

لقد استطاع الاستعمار الفرنسي أن يفرض نفسه على الجزائر بقوة الحديد والنار وبثبّت أقدامه، ويقطع شوطا طويلا في الطريق التي اختطها لسياسته الثقافية، فكان أن طعن الشخصية الجزائرية في الصميم وأصبح الصراع بين الشعب الجزائري والقوى الاستعمارية الاستيطانية يتعدى حدود الصراع السياسي العسكري، إلى صراع ضد العوامل المناهضة للشخصية الوطنية؛ فالمقاومات والثورات منذ الأمير عبد القادر إلى غاية الثورة التحريرية لم ترفع لواء المقاومة العسكرية فحسب وإنما قاومت أيضا عناصر التحلل من هذه الشخصية.

مع ذلك كان من الطبيعي أن ينال هذا الصراع غير المتكافئ من مقومات الشخصية الجزائرية على المدى البعيد، خصوصا بعد أن أجهدا صراعها ضد المد الاستعماري المتواصل، الذي أراد أن يجتث أصولها ويمحو ملامحها، فوضع التشريعات والنظم التي تتلاءم مع سياسته، هادفا من وراء ذلك إلى خلق جيل جديد، يُنشئه هو بنفسه على أن يتحلل من كل ما يربطه بوطنه وماضيه، حتى يتم القضاء على شخصيته المستقلة المتميزة.

أولا __ تحوّل المنظومة التعليمية الفرنسية:

أمام تلك المقاومة العسكرية الشرسة، تبين لقادة الاحتلال بأنه يستحيل التمكين للغزو بالاعتماد على القوة العسكرية لوحدها فقط؛ بل لابد من مرافقتها بغزو ثقافي وفكري يساعد في تسريع وتيرة التغلغل الاستعماري وتوطيد نفوذه على الأرض¹، ولا يمكن أن تضطلع بهذا الدور الدقيق والحساس إلا المدرسة الفرنسية، التي حسب أحد غلاة الاستعماريين يجب أن: "توجه سهامها وتضرب بقوة كل ما هو وطني وديني وبخاصة كل ما من شأنه أن يساهم في تكتل الأهالي حول هويتهم الأصلية..."²، لهذا يمكن اعتبار إدخال المدرسة الفرنسية بمثابة مرافقة وتكملة للمجهود العسكري بغرض خلق ميزان قوى يكون في صالح الاستعمار والمعمرين³.

1 _ Ahmed Mahsas: Le Mouvement Révolutionnaire en Algérie, de la 1^{re} guerre mondiale à 1954, Editions L'harmattan, Paris, 1979, p332.

2 _ عمار هلال: أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر، 1830 – 1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 104.

3 _ Ahmed Gouati: école et imaginaire dans l'Algérie coloniale, L'harmattan, Paris, 2009, p 187.

1 _ المدرسة:

لقد أدرك قادة الاحتلال منذ الوهلة الأولى أن نشر اللغة والثقافة الفرنسييتين يمر حتما عبر المدرسة، لذلك حاولت العديد من الكتابات الفرنسية الترويج بأن المدرسة تقوم بمهام إنسانية تمديدية، لكن الواقع يثبت غير ذلك؛ فقد بدت منذ البداية أداة للهيمنة في خدمة المغامرة الاستعمارية، وهو ما يفسره تقسيم الإشراف على التعليم العام إلى فرعين مختلفين؛ إدارة التعليم في المدارس الفرنسية واليهودية من الاختصاص الحصري لوزارة التعليم العام، بينما التعليم العام في المدارس الموجهة للأهالي موضوعة ضمن صلاحيات وزارة الحرب¹؛ لأن التعليم الموجه للمغلوب كان دافعه الاعتبارات السياسية لا المدرسية، لهذا كان على المدرسة الفرنسية أن تقوم بالغزو الروحي للأهالي وإيهامهم بتفوق حضارتها، لتعزز هيبتها وتُشرعن بذلك الحضور الفرنسي، وتصنع سُكَّانا أقل عداء وتنشر اللغة والثقافة الفرنسييتين، لأجل خلق في نهاية المطاف ظروف مساعدة على الديمومة السياسية للغزو².

إنه الأمر الذي جعل السلطات الاستعمارية في وادي سوف وبمجرد غرس أول برج عسكري بالوادي سنة 1882، تضع أول لبنة لبناء مدرسة الأهالي بالوادي سنة 1884 ويتم افتتاح أول مدرسة فرنسية في وادي سُوف "مدرسة المركز (Ecole du Centre)" في مركز مدينة الوادي سنة 1886 من أربعة فصول دراسية وثلاث وحدات سكنية، ثم تلاها افتتاح مدرسة كوينين سنة 1893 التي انطلقت بقسم واحد وسكن بعدها تم افتتاح مدرسة قمار سنة 1903 التي ضُمَّت ثلاث فصول دراسية وثلاث وحدات سكنية³.

مع أنه في مطلع القرن العشرين بلغ المجموع العام ثمانية أقسام وسبع سكنات بتعداد 100 تلميذ⁴، غير أنه ظل كذلك إلى غاية نهاية الحرب العالمية الثانية، فحتى ذلك التاريخ لم ينجز شيء مهم يستجيب لتطلعات منظري خطة تعليم الأهالي.

1_ كميل ريسلر: السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر، أهدافها وحدودها 1830 – 1962، تر: نذير طيار، ط 1، دار كتابات جديدة، د. م، أوت 2016، ص 104.

2_ كميل ريسلر: المرجع السابق، ص 105.

3_ Service de l'Enseignement au Sahara: l'Enseignement au Sahara, Bulletin de Liaison Saharienne, n° 46, Juin 1962, Imp LA TYPO-LITHO et J. CARBONEL, Alger, p 178.

4_ فوزان أندري روجي، المرجع السابق، ص 318.

قد يرجع ذلك لاعتبار أفراد مجتمع وادي سوف المدرسة الفرنسية اعتداء على هويتهم وثقافتهم وعلى اللغة العربية، ومحاولة لتمسيحهم، الأمر الذي جعلهم ينفرون من المدرسة الفرنسية ويتقاعسون في إرسال أبنائهم إليها¹، كما اعتقدوا أن هذه المدرسة تسيء إلى عادات وتقاليد المنطقة وتدفع بالأطفال إلى التمرد على الآباء واحتقار العمل الفلاحي والرعوي، ثم تعاطي الخمر باسم الحرية الشخصية.

كما قد يعود هذا البطء في وتيرة الإنجازات المدرسية وتهدس أبناء الأهالي إلى الموقف الذي تبناه المعمرين، بمعارضتهم لتعليم الجزائريين حيث قاموا بعرقلة كل الخطوات الإدارية التي قامت بها السلطات الاستعمارية في هذا المجال، مرتكزين على مؤسساتهم البلدية والمالية التي كانت تهيمن على الحياة العامة ولم تنظر يوما للجزائريين خارج تكوين مهني عملي يوفر لهم اليد العاملة الرخيصة².

لقد اتخذ المعمرين هذا الموقف من تعليم الجزائريين لعدة اعتبارات وأسباب ربما من أهمها الاعتبار الثلاثة التالية:

- اعتبار عنصري: حيث ظل المعمرين ينظرون للجزائريين على أنهم عنصرا منحطا غير قابل للتعليم، لأن المدرسة في نظرهم وضعت لأشخاص متقدمين ينتمون إلى حضارة راقية، لا "لأشخاص بائسين ومتأخرين"، كما أن تقديم تعليم نظري راقٍ للجزائريين لا يتناسب والوسط الإسلامي.

- اعتبار اقتصادي: برر المعمرين في هذا المجال رفضهم لتعليم الجزائريين بالكلفة المرتفعة للعملية وخاصة تشييد المدارس وتسييرها³.

- اعتبار سياسي: اعتبر المعمرين أن تعليم الجزائريين يشكل خطرا سياسيا داهما، ذلك لأنه يضعف في نفوس الجزائريين عادات الاستسلام والانقياد، ويولد فيهم الوعي ونزعات الطموح والانفلات من السيطرة والتمرد⁴، كما أن تعليم الجزائريين في اعتقادهم معناه تنويرهم وتوعيتهم سياسيا

1 _ Dalila Morsly: quelques aspects de la résistance linguistique en Algérie pendant la période coloniale, in pratiques et résistance culturelle au Maghreb, édition CNRS, Paris, 1992, p 262.

2 _ أحمد بن داود: المقاومة الثقافية للإستعمار الفرنسي في كل من الجزائر والمغرب من خلال التعليم (1920 – 1954)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ، إشراف: د. بوشيشي، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2016 – 2017، ص 49.

3 _ أحمد بن داود: المرجع السابق، ص 49.

4 _ عبد الباسط دردور: المغرب العربي وتحديات الغزو الثقافي الغربي، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 2002، ص 139.

واجتماعيا وثقافيا. معتقدين أن "العدو المتعلم والمثقف أكثر خطورة من العدو الجاهل"¹.

على هذا الأساس ولمدة فاقت النصف قرن؛ لم تتمكن الإدارة الاستعمارية في وادي سوف إلا من تحقيق بعض الإنجازات في ميدان التعليم ذات طابع انتقائي ومحدود، ثم طابعها العنصري القائم على التفرقة بين تعليم أبناء الأوربيين وأبناء الجزائريين.

لقد تميزت المرحلة التي تلت الحرب العالمية الثانية بتحوّل نسبي في التكفل بتمدرس أطفال وادي سوف وحتى معظم مناطق الوطن، وذلك بفعل الضغط الذي مارسه مختلف القوى الوطنية الجزائرية على السلطات الاستعمارية، إضافة إلى تداعيات وإفرازات الحرب الكونية الثانية، وهو ما مكّن الجزائريين من انتزاع تنازلات هامة من الإدارة الفرنسية في مجال التعليم والتي تضمنتها أمرية 07 مارس 1944، هذه الأمرية نصّت ولأول مرة على أنه "الجميع الأطفال الجزائريين الذين بلغوا سن الدراسة الحق في التعليم"²، كما وضعت برنامجا للتمدرس يمتد طيلة عشرين سنة، شُرع في العمل بهذا البرنامج انطلاقا من نوفمبر 1944 عبر إصدار مجموعة من المراسيم³، مكّنت في وادي سوف بداية من سنة 1946 من استحداث مدارس جديدة في كل من الزقم والبهيمة، أعقبتها مدارس أخرى في المقرن والرقبية والبياضة سنة 1947، وبحلول سنة 1948 كانت الوادي تملك 10 مدارس بمجموع 33 قسما وبتعداد 780 تلميذا، غير أن تدرس البنات لم يُشرع فيه إلا في الفاتح من أكتوبر سنة 1948 بمدينة قمار، بينما بُنيت سنة 1949 مدرسة البنات بالوادي المركز ومدرسة تكسبت، لتتسارع بعدها وتيرة الإنجازات المدرسية ببروز عدة مدارس أخرى في كل من الطريفراوي وحاسي خليفة واعميش فمدارسها أُنجزت سنة 1952، ثم غمرة والدريميني بالمقرن سنة 1953⁴.

مع الإرباك الذي أحدثه الاندلاع المفاجئ للثورة التحريرية داخل الأوساط الفرنسية، قررت السلطات تغيير سياستها تجاه الجزائريين، بتحسين ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وهو ما أراد جاك سوستال الحاكم العام الجديد للجزائر تجسيده منذ توليه منصبه في 15 فبراير 1955، بتقديم

1 _ طاهر زرهوني: التعليم في الجزائر قبل وبعد الإستقلال، موفم للنشر، الجزائر، 1994، ص 20.

2 _ عمار هلال: المرجع السابق، ص 125.

3_ Claude Collot : Les institutions de l'Algérie durant la période coloniale 1830 – 1962, OPU – ONRS, Alger, 1987, p 313.

4_ AOM, 81 F 1706, Enseignement public en Algérie et au Sahara, renseignements reçus du territoire de Touggourt (1956–1957), commune mixte El-Oued, p 17.

مشروعه للتهدئة في الجزائر المرتكز على سياسة العصا والجزرة.

بالإضافة إلى الإجراءات الجزرية الردعية التي حملها مشروعه الذي جاء به في 27 ديسمبر 1955، كانت هناك خطة ثقافية أساسها تسريع عملية إنشاء المدارس ورفع عددها وفتح مراكز التكوين المهني وتعليم الكبار¹، بغرض استيعاب أكبر عدد ممكن من الجزائريين داخل الحضيرة الثقافية الفرنسية، يؤمنون بالرسالة الحضارية التمديدية للأمة الفرنسية، ويدينون على حد تعبير السلطات الفرنسية مختلف الأعمال الإرهابية التي يقوم بها المجاهدون في مختلف مناطق الوطن، وبالتالي حرمان جبهة التحرير الوطني من الحاضنة الشعبية التي تغذيها بالرجال والأموال وبكل ما هو ضروري لاستمرار الفعل الثوري، وهي نفس الخطة ذات نفس المضامين والأهداف تقريبا جاء بها شارل ديغول في خطته المعروفة بمشروع قسنطينة في أكتوبر 1958².

تجسيدا لتلك الأهداف؛ سواء المعلنة أو الخفية التي جاءت بها مختلف الخطط والمشاريع الفرنسية لترقية الأهالي، شهدت وادي سوف ومنذ اندلاع الثورة التحريرية في أول نوفمبر 1954 تحولا جذريا في عدد البنايات المدرسية والمنشآت التعليمية وحتى عدد التلاميذ.

سنة 1955 عرفت الوادي إنجاز أول مدرسة إعدادية تؤهل التلاميذ للترشح لشهادة الأهلية والتي بلغ عدد منتسبيها سنة 1960 حوالي 100 تلميذ موزعين على أربعة أقسام للتعليم العام³، بدأت الإعدادية بقسم للسنة الأولى (السادسة) في المحكمة القديمة الواقعة خلف قاعة سينما الصحراء⁴، من بين تلاميذها الأوائل: عيادي بشير، حسني رشيد، سولستين روبسكي (Célestin Robuschi)، مادلان روبسكي (Madeleine Robuschi)، فريزييه دانيال (Fraisier Daniele)، سامي الصادق وغيرهم، تكفل بهذا القسم المعلم جون فيفرييه (Jean Février)، بعد ذلك حوّل التلاميذ إلى

1_ AOM, 81 F 24: Programme de réformes Soustelle, prises de position de Jacques Soustelle sur la situation en Algérie, p 63.

2_ SHDDE, 1H1106, (d.3): le plan de Constantine dans l'évolution économique et sociale de l'Algérie, pp 57 – 98.

3_ SHDDE, 1 H 2555: Évolution de la pacification dans les territoires du Sud et au Sahara, Territoire de touggourt, Commune Mixte d'El-oued, Rapport Annuel de l'année 1960, scolarisation, 14 Février 1961, p 02.

4 _ قاعة المحاضرات الشهيد حمي بلقاسم حاليا.

الإعدادية الجديدة¹، أول تلميذ تُوجّ بشهادة الأهلية (BEPC) في دورة جوان 1957 هو سامي الصادق، وكل من رغب من هؤلاء في مواصلة دراسته، عليه أن يلتحق بأقرب ثانوية وهي ثانوية باتنة على بعد حوالي 350 كم، أما بالنسبة للناجحين في شهادة الكفاءة المهنية، فذلك أصعب بكثير حيث يجب عليهم التوجه إلى عنابة التي تبعد بحوالي 550 كم.

كما افتتحت مدرسة تغزوت سنة 1956، أما سنة 1957 فتميّزت بإنجاز داخلية للمدرسة الإعدادية والتقنية؛ تستوعب 50 طالبا يتمتعون بالنظام الداخلي، وما إن حلت سنة 1959 حتى بُني مجمع جديد بحي محطة القطار (La Gare) يتكوّن من عشرة أقسام وثمانية سكنات؛ فأصبحت منطقة الوادي بذلك تتوفر على 20 مدرسة؛ تضم 76 قسما؛ تحتضن جميعها 2123 تلميذا، كما حوت إعدادية الوادي أربعة أقسام تأوي 67 تلميذا²، بالمقابل الإعدادية التقنية ضمت ثلاثة أقسام يشغلها 68 تلميذا، بخمس تخصصات هي: النسيج، التجارة، الميكانيك، الكهرباء، والرصاصة، أما قسم التمهين الذي أنجز لاستيعاب عشرين متربصا فإنه صار سنة 1960 يستوعب تسعين متربصا، وهي السنة التي أصبح فيها للنخلة مدرستها، وفي أول أكتوبر من نفس السنة أنشأت بالوادي إعدادية للتعليم التجاري تضم ثلاثين تلميذا، في سنة 1960 أيضا تم إحصاء 2658 تلميذا من الذكور و429 من الإناث يتمدرسون في التعليم الابتدائي موزعين على 86 قسما، كما تأسست مفتشية للتعليم الابتدائي لمقاطعتي الوادي وتقرت³، أما السنة الموالية 1961؛ فقد بلغ عدد الحجرات الدراسية 104 حجرة وناهز عدد التلاميذ أربعة آلاف تلميذ، وارتفع عدد المربين من مساعدين ومعلمين إلى 116 مربيا، وذلك بعد أن شهدت الوادي افتتاح مجموعة من المدارس في مناطق الجديدة، الصحن الماسط، النخيل، هبة، الحمراية، علي دربال، أما العقلة ففتحت أبواب مدرستها مع فجر الاستقلال⁴.

1 _ متوسطة ابن باديس حاليا.

2_ AOM, 81 F 1711: Notes de Synthèse sur la Situation de l'Enseignement, Le Commandant Militaire du Territoire de touggourt, Rapport de L'Administrateur des services Civils, Chef de la Commune Mixte d'El-oued, 15 Novembre 1959, p 05.

3_ SHDDE, 1 H 2555, Op. Cit, p 03.

4_ SHDDE, 1 H 2106: Note Générale N° 02, Etude Sur La Population du Souf; scolarisation, 02 Mars 1962, p 19.

عند الدخول المدرسي لسنة 1962 بلغ عدد المدارس بسوف 31 مدرسة تضم 123 قسما تحتضن جميعها 5037 تلميذا من بينهم 949 بنتا، أما هيئة التدريس من معلمين ومدرسين وممرنين فقد قفز العدد إلى 133 مربيا من بينهم 55 فرنسيا ويضاف إليهم 36 معلما للغة العربية¹.

ولالإحاطة والتعمق أكثر في الموضوع تم تلخيص الأرقام والإحصائيات المذكورة آنفا في الجدول التالي:

السنة	عدد المدارس	عدد الأقسام	عدد التلاميذ	معدل عدد التلاميذ في القسم
1948	10	33	780	23.63
1954	14	/	1896	/
1959	20	76	2123	27.93
1960	/	86	3087	35.89
1961	/	104	4000	38.46
1962	31	123	5037	40.95

جدول رقم 55: يوضح تطور عدد المدارس والأقسام وعدد التلاميذ (1948 – 1962)²

من خلال الجدول أعلاه، يتبين العجز الكبير المسجل على مستوى المنشآت المدرسية، الملاحظ أنه ورغم الوتيرة السريعة لعدد البناءات المدرسية؛ حيث تضاعف عدد المدارس بين سنتي 1954 و1962 من 14 مدرسة سنة 1954 إلى 31 مدرسة سنة 1962، وهو ما تم تسجيله أيضا بالنسبة لعدد الحجرات المدرسية الذي تضاعف أكثر من ثلاث مرات ونصف بين سنتي 1948 و1962، إلا أن نسبة النمو الديموغرافي المتسارع يجعلها غير كافية ولا تستجيب للمطالب الواقعية؛ ففي أقل من أربع سنوات انتقل معدل التلاميذ في القسم الواحد من حوالي 28 تلميذ في القسم سنة 1959 إلى معدل حوالي 41 تلميذ سنة 1962، وهو اكتظاظ يفسر من دون شك إقبال الأهالي ورغبتهم في إلحاق أبنائهم بمقاعد المدارس الفرنسية من جهة، وتزايد نسبة الأطفال الذين بلغوا سن التمدرس من جهة أخرى، حيث بلغت نسبتهم سنة 1962 حوالي عشرون بالمئة من مجموع سكان سوف، أي ما يزيد عن 25 ألف طفل تتراوح أعمارهم ما بين سن السادسة والرابعة عشر، لم يتمكن منهم سوى خمسة آلاف

1_ أندري روجي فوزان، المرجع السابق، ص 322.

2_ الجدول من انجاز الطالب.

طفل الإلتحاق بمقاعد الدراسة وهو ما يمثل نسبة عشرون بالمئة فقط من الأطفال في سن الدراسة¹، أما العشرون ألفا الآخرون، والذين يمثلون ثمانون بالمئة هم خارج حجرات الدرس، لاستيعاب هؤلاء الأطفال وبنسبة أربعون تلميذا في القسم الواحد وجب استحداث خمسمائة قسم جديد.

النسب والأرقام المذكورة تتكلم عن نفسها، وتدحض أي تصريح تدعيه السلطات الإدارية الفرنسية في سوف تتباهى فيه بإنجازاتها ومجهوداتها المبذولة من أجل تدرس الأطفال في الوادي، فما تم إنجازه يعتبر قطرة في بحر، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يحقق التحوّل المنشود الذي تستهدفه وتسعى له السلطات الاستعمارية حثيثا، إلا إذا أقرّت بأن ضغط الثورة التحريرية والنزيف المالي والاقتصادي الذي سببته لها حال دون تحقيق ذلك المسعى وتلك الأهداف، خاصة إذا علمنا أن السلطات العسكرية بالوادي اضطرت تحت قوة الضربات المتتالية للثوار إلى غلق مدارس الطريفواي وحاسي خليفة والدريميني والرقبية سنة 1957 وحولتها إلى ثكنات تأوي جنود الليفي الأجنبي، ولم تعد للخدمة إلا خلال سنة 1959².

كما تكشف الأرقام والنسب عجز المخططات والمشاريع التنموية الفرنسية الواهية في مجال التعليم التي أثبتت نجاعتها على الورق فقط، أم أنها النسبة الغير مسموح للأهالي بتجاوزها، لأنها تعتبر كافية لتلبية ما تملّيه حاجة المستعمر إلى اليد العاملة المؤهلة لخدمة مصالحه، وهي النسبة أيضا التي تكفي لخلق فئة جديدة تلعب دور الوسطة بين الإدارة الاستعمارية والسكان المحليين.

الأمر الثاني الذي حملته الأرقام وهو ما يبعث على الاستغراب فعلا، هو مع أن نسبة خمسة بالمئة من الأطفال المتدربين تعتبر ضئيلة جدا؛ غير أن نسبة الاكتظاظ داخل الأقسام التي تزداد من سنة لأخرى، لا يمكن أن تُفسّر سوى بتحول ولو نسبي في موقف السكان، وتراجع ذلك التحفظ الذي كانوا يبدونه من إلحاق أبنائهم بالمدارس الفرنسية والذي ظل سائدا لسنوات عدة، واندفاع الأهالي لتسجيل أبنائهم من أجل الإلتحاق بالمدارس الفرنسية.

التحوّل الأكثر إثارة للتساؤل هو ما تم تسجيله على مستوى عدد الإناث المتدربات، لقد تم إحصاء تدرس 429 تلميذة سنة 1960، ليقفز العدد إلى تسجيل 949 تلميذة متمدرسة سنة 1962، وهي زيادة بحوالي الضعف تقريبا في ظرف سنتين، ما قد يقلل من حدة التساؤل إزاء هذا التحول العميق

1_ SHDDE, 1 H 2106, Op. Cit, p 11.

2_ AOM, 81 F 1711, Op. Cit, p 06.

والمفاجئ؛ هو عدد البنات اللائي التحقن بمختلف المدارس في سوف بعد موجة العودة الكثيفة والمتزامنة للعائلات السوفية النازحة والمهاجرة من الأراضي التونسية ومختلف المناطق الداخلية للجزائر بعد إعلان الاستقلال في الخامس من جويلية 1962.

2 _ الإطعام المدرسي:

بالإضافة إلى شبكة المدارس التي تتزايد من سنة إلى أخرى، عمدت السلطات الفرنسية بالموازاة مع ذلك إلى إنشاء مجموعة من المطاعم المدرسية كوسيلة إغرائية وترغيبية للأطفال وأولياءهم من أجل تحبيب المدرسة إلى نفوسهم وتقريبها منهم، لضمان بقاء الملتحقين من جهة وإغراء المترددين من جهة أخرى، بغرض رفع عدد التلاميذ ورفع نسبة رضى الأهالي على ما تقدمه المدرسة الفرنسية.

لجنة خدمات الإطعام المدرسي على مستوى دائرة الوادي يرأسها السيد ليس كاتينو (Luce Catinot) متصرف المصالح المدنية رئيس الدائرة الإدارية بسوف شخصيا، أما أمانة اللجنة فأُسندت إلى مدير مدرسة الذكور بقمار السيد برونكيارد، كما كُلِّف السيد بول كوشوا (Paul Cauchois) مدير مدرسة الذكور ومدرسة تعليم الكبار بالوادي مهمة أمين المال، ويتمتع بالعضوية في اللجنة كل مديري المدارس على مستوى الدائرة¹.

تُخصّص الإدارة الإقليمية في تقرت والبلديات المعنية ميزانية خاصة للجنة الإطعام المدرسي، كما يمكن للبلدية أن تخصص مساعدة إضافية للجنة، حسب السجل المالي لسنة 1961 بلغت ميزانية اللجنة ما قيمته 1.639.017 فرنك، فقد تلقت مبلغ 650 ألف فرنك من ميزانية الإدارة الإقليمية بتقرت، وما قيمته 450 ألف فرنك من ميزانية البلديات، أما مساعدة البلديات والتعاونيات المدرسية فبلغت 539017 فرنك، بينما في باب المصاريف؛ أنفقت اللجنة على وجبات الإطعام 1539017 فرنك، وصرفت 97285 لتجهيز بعض المطاعم المدرسية بالأواني والأجهزة المختلفة أو تجديدها كالصحون والملاعق وأواني الطهي والأفران وغيرها، وبقي في رصيدها 2715 فرنك².

1_ AOM, 81 F 185, Rapport Annuel sur le Fonctionnement des cantines scolaires de la Commune Mixte d'EL-Oued pendant l'année 1961, Le Commandant Militaire du Territoire de touggourt, Rapport de L'Administrateur des services Civils, Chef de la Commune Mixte d'El-oued, 31 Décembre 1961, p 02.

2_ AOM, 81 F 185, Op. Cit, p 04.

الوجبات تُقدم ساخنة وتتراوح ما بين خمسون ومائة غرام، وتختلف في النوعية حسب الأيام؛ كسكس، حمص، فول، عدس، لوبيا وغيرها، كما تحرص المطاعم على تقديم وجبة أسبوعية تحتوي على قطعة لحم تزن أيضا ما بين خمسون ومائة غرام، إلا أنه وأمام ندرة اللحم فقد عوّضت عدة مطاعم اللحم بمواد أخرى كالبيض في الزقم، والسردين في كل من كوينين وقمار وتغزوت، كما تمت إضافة بعض الفواكه الموسمية من حين لآخر مثل البرتقال في الرقيبة وتكسبت، كما يُقدم أيضا من حين لآخر الجبن والبسكويت، بمتوسط تكلفة يبلغ 21 فرنك للوجبة الواحدة¹.

حسب تقرير لجنة الإطعام لسنة 1961، يبقى العمل حثيثا من أجل تقديم وجبة متوازنة تعود بالنفع على التلاميذ، لكنها في الوقت نفسه وأمام تزايد عدد المستفيدين من الإطعام المدرسي؛ سجّلت نقصا ملحوظا على مستوى المرافق والتجهيزات وحتى اليد العاملة، لعدم كفاية الميزانية المرصودة ومختلف الإعانات ولو لزيادة أو تحديد الأواني المستعملة².

وللوقوف على التحوّل الحاصل على مستوى انتشار هذه المطاعم والزيادة المسجّلة في عدد التلاميذ المستفيدين بين سنتي 1957 و1961، تم إنجاز الجدول التالي:

الرقم	مكان المطعم	سنة 1957		1961	
		عدد التلاميذ المستفيدين	عدد أيام الإطعام	عدد التلاميذ المستفيدين	عدد أيام الإطعام
01	الوادي مركز ذكور	147	65	180	83
02	قمار ذكور وإناث	95	80	140	104
03	كوينين	45	60	90	95
04	تكسبت	50	85	78	106
05	الزقم	40	70	63	101
06	البياضة	44	70	60	110
07	الوادي محطة ذكور	25	80	60	98
08	البيهمة	00	00	58	112
09	حاسي خليفة	28	60	56	143
10	عميش	30	60	54	113

1_ SHDDE, 1 H 2106, Op. Cit, p 12.

2_ AOM, 81 F 185, Op. Cit, p 05.

11	تغزوت	23	50	38	70
12	الطريفواوي	00	00	26	25
13	الوادي مركز إناث	00	00	35	69
14	المقرن	20	50	30	70
15	الرقيبة	24	30	30	46
16	غمرة	25	40	30	40
17	الدريميني	00	00	30	97
18	ورماس	00	00	27	33
19	الوادي محطة إناث	00	00	35	97
	المجموع	596	800	1120	1612

جدول رقم 56: يوضح تطور عدد التلاميذ وعدد أيام الإطعام بين سنتي 1957 و1961¹

الجدول يمكننا من رصد مدى التحوّل الذي حدث على مستوى المطاعم المدرسية بملحقة الوادي بين سنتي 1957 و1961، لا سيما على مستوى عدد المطاعم، فقد زاد عددها من 14 مطعم سنة 1957 إلى 19 سنة 1961، وهو ما مكّن من زيادة معتبرة في عدد التلاميذ المستفيدين؛ فقد تم تسجيل زيادة قدرها 524 تلميذ، وهي زيادة لا تبتعد كثيرا عن الضعف، وعليه يرتفع معدل عدد التلاميذ إلى 58 في المطعم الواحد، بعد أن كان المطعم لا يستوعب أكثر من 42 تلميذ سنة 1957.

التحوّل أيضا يُلاحظ في معدل عدد أيام الإطعام، التي بلغت 57 يوما سنة 1957 بينما ارتفعت سنة 1961 إلى 84 يوما.

3 _ التكوين المهني وتعليم الكبار:

أكبر المستفيدين من التحوّلات الحالية هم الذكور الراغبين في تكوينات مهنية حديثة، فلقد أصبح بإمكانهم الاختيار بين الالتحاق بالإعدادية التقنية أو بأفواج التكوين المهني، حيث تتوفر الوادي على مركز للتكوين المهني تم افتتاحه سنة 1960، يضمن تربصات في الكهرباء والبناء والترصيص الصحي²،

1_ SHDDE, 1 H 2106, Op. Cit, pp 13-14.

2_ SHDDE, 1 H 2566, (d.3), Centres des Formations Professionnelles au Sahara, centres d'apprentissages, Rapport De Commandant Militaire du Territoire de Touggourt, 14 Janvier 1961, p 03.

بالإضافة إلى فرع قدماء المحاربين، مع وجود مركز خاص بما قبل التكوين يشرف على إدارته الأباء البيض، يحتضن فرعين يشمل كل واحد منهما 25 متكونا، بعد إتمام مرحلة هذا التكوين الأولي الذي يجمع بين الدروس النظرية والحصص التطبيقية في الورشات، يتوجه المتخرجون لممارسة تربية مهنية في مختلف القطاعات ذات الصلة بالتخصص المدروس¹.

البنات في سوف وجدن هن أيضا تكوينا مهنيا يساير اهتماماتهن؛ فالأخوات البيض قمن بتهيئة ورشة للصناعة النسيجية تضمن تكوينا عمليا في 15 حرفة عصرية، كما تُشغل الورشة حوالي ثلاثون عاملة نسيج مدججات في الضمان الاجتماعي².

كما افتتحن أيضا مدرسة للأعمال المنزلية تؤهل الفتيات باعتبارهن أمهات المستقبل؛ لشؤون التدبير المنزلي ورعاية الأطفال والوقاية وتفصيل الملابس المنتسبات أعمارهن تتراوح بين سن 12 و 16 سنة، مقسّمت على ثلاثة فروع؛ يضم كل واحد منها عشرون فتاة، كما أُلحقت بهذا المركز مدرسة تضم الطور الابتدائي كاملا تستقبل الصغيرات منذ سن السادسة من العمر³.

صنف آخر من النسوة الماكثات بالبيت تم إدماجهن للعمل بصفة غير مباشرة، حيث يعملن كغازلات يقمن بتهيئة الخيط وبيعه للورشة، لتقوم عاملات الورشة من جهتهن باستغلاله خلال عملية النسيج، حتى أن الإنتاج السنوي تجاوز 1200 م⁴.

4 _ الرياضة المدرسية:

اقتصرت الرياضة المدرسية عموما في منطقة سوف على ألعاب القوى، القفز، رمي الجلة، التسلق، وسباق السرعة، وذلك على مستوى الأقسام النهائية من المرحلة الابتدائية فقط، لكونها تعتبر مادة للامتحان في الشهادة الابتدائية يتحصل بعدها المتفوقون على شهادة الكفاءة في التربية الرياضية⁵.

1_ SHDDE, 1 H 2566, Op. Cit, p 02.

2_ Service de l'Enseignement au Sahara, Op. Cit, p 178.

3_ SHDDE, 1 H 2566, Op. Cit, p 03.

4_ SHDDE, 1 H 2106, Op. Cit, p 16.

5_ Ibid, p 21.

خلال الموسم الدراسي 1956/1957، اتفق روجي سيقالا (Roger Seguela) وجون هيد (Jean Heid)، وهما معلمان يُدرّسان في مدرسة الوسط للبنين بالوادي، وبتشجيع من مدير المدرسة السيد بول كوشوا مع زملائهم من القرى المجاورة فيليب نوربار (Philippe Norbert) من البياضة، وبرانسيسار فرانسوا (Branciard François) من قمار، وبونيسول أدريان (Bonnisol Adrien) من البهيمية، وبويسون (Bouisson) من كوينين، وشابير (Chabert) من المقرن، اتفقوا على تنظيم بطولة مدرسية لكرة القدم ما بين المدارس، يتم التنقل بواسطة الحافلة وفي بعض الأحيان على سيارات رباعية الدفع، تقدم وجبات الأكل في المطاعم المدرسية من قبل المدارس المضيفة، كما أن المباريات تقام في أيام العطل، تحصلت مدرسة الوسط على البطولة ثلاث مرات خلال مواسم 57/56، 58/57، 59/58، نتيجة التزام إدارتها بتدريب لاعبيهم بحزم وجدية، زد على ذلك الإمكانيات التي وضعت تحت تصرفهم¹.

التلاميذ الصغار الذين كوّنتهم هذه المدرسة يمثلون النواة الأولى لفريق أولبي الوادي فيما بعد والذين نذكر من بينهم: الشايب فرجاني، الشايع عمار، حاج محمد باديس، النوبلي محمد، زيدي حمادي، فرجاني محمد البشير، بوقطاية محمد، بيدار القدري، بن خليفة الجيلاني، زلاسي محمد وهزلاوي محمد الطيب وآخرين، كما كوّنت المدارس الأخرى أيضا لاعبين ممتازين من بينهم: يمعي من قمار، حفيان علي من كوينين، رمضاني سعد من المقرن، موساوي محمود من البهيمية والعايب محمد من البياضة².

ثانيا _ المنظومة التعليمية الأهلية:

ما إن أتمت فرنسا استعمارها للجزائر، حتى بادرت إلى زرع مجموعة من الهياكل والنظم والأجهزة المستحدثة في إطار حركة جديدة من التحديث الثقافي للمجتمع الجزائري على حد زعمها، تهدف في جوهرها إلى زعزعة توازنه التقليدي وإرباك نموه الطبيعي. وجعل اللغة العربية في الجزائر غريبة عن الناطقين بها، وتعويضها باللغة الفرنسية حتى تصبح سائدة ليس في التعليم فقط؛ بل حتى في المعاملات اليومية

1_ SHDDE, 1 H 2106, Op. Cit, p 22.

2_ محمد بوقطاية: أولبي الوادي والوحدات، مطبعة مزوار، (ط 1)، الوادي، 2009، ص ص 225 – 226.

والمحيط الاجتماعي ككل.

مثل هذه الأوضاع الاستثنائية شكّلت الفضاء الخصب لتأثير النخب التقليدية، التي فرضت نفسها على الساحة الثقافية خاصة، وتحوّلت إلى مركز ثقل داخل عمق المجتمع الجزائري، لتدفعه نحو تشكيل مقاومة ثقافية شعبية ضد الثقافة التي تروّج لها الدوائر الفرنسية، اتخذت من الكتاتيب والمدارس القرآنية والمدارس الخاصة التابعة للمساجد والزوايا وحتى المستقلة عنها قلاع لصد سهام المدرسة الفرنسية والمروجين لها.

وهو ما بدا جليا في وادي سوف منذ تأسيس أول مدرسة فرنسية سنة 1886، لتتمكن من التغلغل وسط الأهالي وتتقرب منهم، غير أن الدفاعات الثقافية الشعبية تصدّت لها بكل حزم، وذلك بالإعراض عن التعليم الفرنسي من جهة، وتشجيع توسيع شبكة انتشار الكتاتيب والزوايا والمساجد باعتبارها مراكز لنشر الثقافة العربية الإسلامية بمجهودات ذاتية.

فليس غريب أن نلاحظ رد الفعل الذي جاء سريعا من طرف بعض العائلات والعروش في وادي سوف التي شيدت مدارس قرآنية، مثل:

- مدرسة محمد القروي بن عليحيلعشاش التي تأسست سنة 1890.

- مدرسة الشيخ الإمام الشريف بالرباح، ومدرسة الشيخ الهاشمي الشريف بالوادي سنة 1896.

- مدرسة سعدودي بـحي المصاعبة التي تأسست سنة 1901م.

- مدرسة الجبيرات بـحي لعشاش تأسست سنة 1904م¹.

- مدرسة الشيخ الهاشمي الشريف بالبياضة سنة 1907.

- مدرسة النجاح بقمار سنة 1925.

- مدرسة دودي أو مدرسة التربية لجمعية العلماء بـحي المصاعبة بالوادي سنة 1940.

1_ علي غنابزة: "الشيخ محمد الطاهر التليلي رائد التعليم العصري في مدرسة النجاح بقمار"، في مدونة العلامة محمد الطاهر 1910-2003، قراءات في سيرته وفكره وآثاره، الجمعية الثقافية للمركز الثقافي محمد ياجور، قمار، الوادي، 2005، ص 113.

- مدرسة الشيخ حسين حمادي القرآنية بالنخلة سنة 1940.

- مدرس الشيخ إبراهيم كلكامي بالزقم سنة 1943.

- مدرسة الشيخ مصباح حويذق بالطريفاي سنة 1943.

- مدرسة جامع القرافين بالبياضة سنة 1944.

- مدرسة الشيخ الصادق بالي بالفطاحزة سنة 1944.

- مدرسة الشيخ بلقاسم عون الله بسيدي عون سنة 1945.

- مدرسة الشيخ الهاشمي حسني بحى أولاد أحمد بالوادي سنة 1946.¹

عبر جميع مراحل المقاومة الوطنية للاستعمار، كان مطلب التعليم مطلباً أساسياً لا بديل عنه، مقترنا بالنضال من أجل ترسيم اللغة العربية كلغة رسمية في المدارس والمعاهد إلى جانب اللغة الفرنسية، حتى أن المطالبة بالحفاظ على الهوية الوطنية، اتخذ في الجزائر شكل التقاليد المطالبية الدائمة، بدليل أن جميع التيارات السياسية والفكرية الوطنية على اختلاف مشاربها الثقافية وأغطيتها الأيديولوجية، أجمعت على ضرورة ربح معركة المحافظة على الهوية والثقافة العربية الإسلامية أمام محاولات التشويه الممنهج.²

لعبت المدارس الدينية التقليدية بمختلف انتماءاتها ومستوياتها دوراً أساسياً في ضمان توازن مجتمع وادي سوف، وتحقيق قدر أدنى من الاستقلالية الثقافية والاجتماعية ومع أنه من المبالغة اعتبار هذه المؤسسات إن صحَّ التعبير بديلة للهياكل المستحدثة والعصرية، فإنه من الإجحاف أيضاً إنكار دورها في تأكيد نوع من التواصل مع الدين واللغة والتراث والهوية الأصيلة للمجتمع. وقد لا تبرز قيمة هذه المؤسسات إلا في سياق بيئتها وعصرها المحدودية إمكانياتها.

فإلى جانب الثورة المسلحة التي دشنها وادي سوف باندلاع معركة حاسي خليفة في 17 نوفمبر

1 _ Service de l'Enseignement au Sahara, Op. Cit, p 179.

2 _ المنصف وناس: الدولة والمسألة الثقافية في الجزائر، دراسة في التغيير الثقافي والاجتماعي، المطبعة العربية، تونس، (د.ت)، ص 41.

1954، وما تلاها من مواجهات عسكرية عديدة وكثيفة¹، كانت هناك مقاومة صامتة عُرفت بعراقتها في التقاليد وباستمراريتها عبر الزمن، نائية عن الظاهرة الظرفية، عاكسة في جوهرها عمق الثقافة التقليدية وصلابة هياكلها أمام الهجمات المتتالية التي تستهدف هوية وقيم المجتمع في وادي سوف، لقد انتشرت هذه القلاع في مختلف مناطق وقرى وادي سوف، كحاضنة أساسية وقاعدة متينة ارتكزت عليها الثورة التحريرية في المنطقة، لقد بلغ عددها 116 بين كتاب ومدرسة قرآنية ومدرسة حديثة تتبع المساجد والزوايا في معظمها، تمكّنت من ضم ما يزيد عن 3461 طفل يؤطّرهم 116 بين مؤدب ومعلم وطالب قرآن؛ ينتمون في غالبيتهم العظمى لخلايا المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني التي كان يشرف عليها في وادي سوف الطالب البشير غربي إمام مسجد عمرة بحاسي خليفة؛ الذي استشهد في رمضان 1957، بعد كشف السلطات الاستعمارية لنشاط هذه الخلايا داخل وادي سوف²، لذلك عرفت سنة 1957 أسوأ أيام تلك المدارس والكتاتيب، لذا أبرزت الوثائق الأرشيفية أدق التفاصيل حول هذه الهياكل والقائمين عليه، واعتمدت التقسيم التالي:

1 _ المدارس القرآنية التابعة للأعشاش والمصاعبة:

أ _ مدارس الأعشاش: وتم تفصيلها في الجدول التالي:

الرقم	المكان	المدرسة القرآنية	عدد التلاميذ	اسم الطالب
01	الوادي		120	أحمد عبيدي
02			120	بكار محمد بن العيد
03			40	مبارك سعد بن عثمان
04			30	محمد موساوي
05			20	الصغير زلاسي
06			10	إبراهيم مريقة
07			50	محمد علاق
08			15	لمين زريبط
09			40	عبد الحميد قروي

1_ علي غنابزي: فصول ودراسات في تاريخ الحركة الوطنية والثورة التحريرية بوادي سوف 1854-1962، ط 1، سامي للطباعة والنشر والتوزيع، الوادي، ماي 2022، ص ص 103-112.

2_ عبد الحميد بسر، صرخة الألم والحزن "شهداء رمضان 1957"، المرجع السابق، ص 200.

10	القارة والنزلة	08	مسعود فليون
11	سيدي عبد الله	12	عبد الله عبد اللاوي
12	واد زيتن	20	عمارة زلاسي
13	تكسبت	85	محمد بن العيد درويش
14		24	الطاهر بن موسى
15	سيدي مرغني	45	لزهارى بلقط
16	سيف يونس	35	محمد الصغير غربي
17	نزلة لحفر	15	إبراهيم مناني
18	نزلة مهريّة	15	ميلود عوامر
19	صحن الماسط	15	الطاهر بن عمار دوش
20	الطريفاوي	40	العزوزي عليّة
21	ليزيرق	30	إبراهيم خوازم
22	عميش	20	بوخاري عوينات
23		25	عبد الكريم عسيّلة
24		08	بشير غربي
25		05	مكي عسيّلة
26		06	شادلي زيد
27		35	عبد الرزاق جاب الله
28		16	عبد القادر رحال
29		12	عبد الرحمان عمامرة
30		16	لخضر بن علي بن الساسي
31		30	الساسى سلمان
المجموع		962	

جدول رقم 57: عدد الهياكل التعليمية التقليدية التابعة للأعشاش سنة 1957¹

أهملت الوثائق أسماء المدارس القرآنية التابعة للأعشاش، بينما حددت أماكن تواجدها وعدد تلاميذها وأسماء المشرفين عليها، إهمال ذكر الاسماء قد يكون متعمداً، فلا يمكن لوثق بهذا القدر من الرسمية أن تسهو على ذكر ذلك، لقد تم إحصاء 31 مدرسة يقوم عليها 31 طالب قرآن، يقومون

1_ SHDDE, 1 H 1451, (d.03) bulletins mensuels de renseignements reçus du territoire de Touggourt (1957-1958), Commune Mixte d'El-oued, 13 Mars 1958, p 05.

بتدريس 962 طفلاً، الجدير بالملاحظة أن العدد الأكبر منهم كان لدى الشيخين أحمد عبيدي وبكار محمد بن العيد بعدد 120 طفلاً لكل منهما، و85 منهم درّسهم الشيخ محمد بن العيد درويش، استشهد من معلمي القرآن كل من لمين زريط وعليه العزوزي بينما عُدّب ونُكّل بأغلبية المعلمين الباقين¹، كتلة الأعشاش تعتبر دون شك الكتلة الأكبر على مستوى الوادي.

ب _ مدارس المصاعبة: ويبرزها الجدول الموالي:

الرقم	المكان	المدرسة القرآنية	عدد التلاميذ	اسم الطالب	الانتماء الطرقى
01	أولاد تواتي	مسجد أولاد تواتي	15	لخضر خماس	التجانية
02	نزلة أولاد أحمد	مسجد أولاد أحمد	20	الصغير بن محمد غربي	القادرية
03	أولاد مبروكة	جامع سيدي الحاج البكري	40	نصر بن علي حواس	التجانية
04		جامع أولاد مبروكة	40	أحمد بن بشير شراحي	
05	البياضة	جامع الزاوية	46	محمد بن عبد الله باقي	القادرية
06		جامع القرافين	30	الطاهر بن إبراهيم نصيب	غير منتمى
07	نزلة لبامة	جامع لبامة	40	الطاهر بن عبد الله باقي	القادرية
08	نزلة الصوالح	جامع الصوالح	15	عمارة بن علي منصر	التجانية
09	نزلة العبابسة	جامع العبابسة	20	العيد بن محمد الصغير شيخة	التجانية
10	العواشير	جامع العواشير	30	عبد الرزاق بن الصادق جاب الله	القادرية
11	نزلة الفطاحزة	جامع الغرايسة	25	العربي بن محمد مناعي	التجانية
12		جامع الروابح	30	عبد الرزاق بن الصادق حنكه	
13	الرباح	جامع لقباب	25	مصطفى بن إبراهيم عسيلة	القادرية
14		جامع سيدي علي دربال	50	مختار بن علي دربال	
15	نزلة البغازلية	جامع البغازلية	60	عبد الحفيظ بن علي دربال	القادرية
16	العقلة	جامع القادرية	35	عبد الرحمان بن علي عسيلة	القادرية
17	النخلة الغربية	جامع الرحمانية	30	البخاري عوينات	الرحمانية
18		جامع التجانية	30	البشير بن محمد غربي	التجانية
المجموع			581		

جدول رقم 58: عدد الهياكل التعليمية التقليدية التابعة للمصاعبة سنة 1957²

1 _ مديرية المجاهدين، المرجع السابق.

2_ SHDDE, 1 H 1901, (d. 02): rapport du capitaine Woisard, commandant de sous-secteur d'El-Oued, 30 Juin 1958, p 37.

ضمّت المدارس الثمانية عشر للمصاعبة 581 تلميذا يروم حفظ القرآن الكريم، يؤطّره 18 طالب قرآن استشهد منهم الطالب مصطفى عسيلة وعُدّب كل من عبد الرزاق جاب الله ونصر بن علي حواس بأبشع أنواع العذاب زيادة عن بقية الطلبة¹، تساوت عند المصاعبة عدد المساجد المنتمية لكل من الزاوية التجانية والزاوية القادرية بثمان مساجد لكل منهما، غير أنهما تباينت من حيث عدد التلاميذ، حيث ضمّت الأولى 215 تلميذ والثانية 306 تلاميذ، أما الزاوية الرحمانية فكان لها مسجد واحد فقط يدرس فيه ثلاثون تلميذا.

2 _ المدارس القرآنية التابعة لأولاد سعود وقمار:

أ _ مدارس أولاد سعود: ويوضّحها الجدول أسفله:

الرقم	المكان	المدرسة القرآنية	عدد التلاميذ	اسم الطالب	الانتماء الطريقي
01	كوينين	جامع الجبيرات	50	البشير حفيان	التجانية
02		جامع لخوان	12	بلقاسم مولاتي	الرحمانية
03		جامع الظهارة	22	حسين متوري	الرحمانية
04		جامع القوايد	28	البشير أوبيري	التجانية
05		جامع بير فسيل	30	محمد غالي	التجانية
06	تغزوت	جامع الكبير	43	أحمد جغي	التجانية
07		جامع القبلي	30	محمد سالم	
08		جامع الغربي	10	بلقاسم غيوط	
09		جامع بقوزة	24	محمد شرفي	
10		جامع العرفجي	34	تيجاني راجي	
11		مدرسة تغزوت	13	احميدة يومبجي	
12	الرقم	جامع العدواني	65	مسعود معمري	الرحمانية
13		جامع سيدي عبد القادر	39	سعد الشاوش	الرحمانية
14		مدرسة الرقم	07	إبراهيم كلكامي	القادرية
15		جامع سالم	30	بشير الريغي	الرحمانية

1_ علي عون: التصفية القاعدية للنظام في وادي سوف رمضان 1957، في مخطوط مدونة محاضرات الندوة السادسة للجمعية الثقافية الوطنية الشهيد محمد الأمين العمودي، 29 و30 أفريل 1993 بالوادي، ص 21.

16	ورماس	جامع بربري	50	عمارة مرابط	الرحمانية
17		جامع الشيخ	28	العيد مامون	التجانية
18		جامع سلامات	22	عبد القادر رحال	الرحمانية
19		جامع القبلاوي	25	بشير ميارة	التجانية
20		جامع دويرة	40	عبد الحفيظ العرشي	القادرية
21		جامع الكبير	40	محمد العيد حنفي	التجانية
22		جامع جديد	10	أحمد العيد	التجانية
		المجموع		652	

جدول رقم 59: عدد الهياكل التعليمية التقليدية التابعة لأولاد سعود سنة 1957¹

إن أهم ما يبرزه الجدول، وجود مدرستين حديثتين من بين 22 مدرسة لأولاد سعود؛ تميزت ببرنامج خاص لكل واحدة منهما المدرسة الأولى بتغزوت، وتضم 13 تلميذا يشرف عليها احميدة يومبعي خريج جامع الزيتونة المعمور، بنتها سنة 1954 جمعية التعاضد السوفي من اشتراكات منتسبيها يتعلم التلاميذ فيها بالإضافة إلى حفظ القرآن الكريم؛ النحو والصرف والفقه وبعض النصوص الأدبية النثرية والشعرية².

أما الثانية، فهي مدرسة الإصلاح بالزقم، والتي يدرس بها سبع تلاميذ تحت إشراف الشيخ إبراهيم كلكامي، حيث حرص الشيخ وزملائه على إظهار المدرسة ككتاب قرآني في شكلها الظاهري، حيث كانت الدراسة تتم بعد خروج فوج متعلمي القرآن الكريم ثم يدخل بعدهم تلاميذ المدرسة.

من الأسباب التي جعلت مدرسة الإصلاح في منأى عن خطر الإغلاق من الإدارة الاستعمارية رغم نشاطها في الفترة من 1943 إلى 1957 هي الاحتياطات التي اتبعها شيخ المدرسة لتجنب سطوة الاستعمار عليها، كعدم تدريس بعض المواد التي قد تسبب نقمة السلطات ومن ثمة غلق المدرسة، مثل التفسير الذي حظرتَه الإدارة خصوصا آيات الجهاد، وعدم التوسع في تدريس التاريخ لا سيما تاريخ

1_ SHDDE, 1 H 1451, Op. Cit, p 06.

2_ عوادي عمار وكشو محمد: مذكرات الحاج حفوطة، مطبعة مزوار، الوادي، ط1، 2008، ص 82.

الجزائر، الذي تعتبر فرنسا تدرسه عملا سياسيا يهدد وجودها في الجزائر¹.

لكن الاستعمار الفرنسي لما اكتشف علاقة شيخها إبراهيم كلكامي بالثورة التحريرية ألقى عليه القبض مع عدد من زملائه الذين من أبرزهم عبد الرحمان معمري، وقام بإعدامهما في رمضان سنة 1957²، فتوقفت بذلك المدرسة عن نشاطها.

ب _ مدارس قمار: من خلال الجدول الإحصائي التالي:

	المكان	المدرسة القرآنية	عدد التلاميذ	اسم الطالب	الانتماء الطرقي
01	قمار	المدرسة	140	محمد الطاهر تليلي	العلماء
02		سيدي مسعود	34	بلقاسم زوييري	التجانية
03		الطلبة	36	الطاهر تلحيق	التجانية
04		سي صالح	08	محمد زغوده	التجانية
05		الزاوية التجانية	17	بلقاسم حوري	التجانية
06		سيدي إبراهيم	11	العيد قط	الرحمانية
07		بيت الشريعة	20	الطيب حاسي	الرحمانية
08		جامع بشير	16	محمد سوفي	الرحمانية
09		المدرسة القرآنية	25	أحمد زايدة	الرحمانية
10			نزلة حميد	22	لخضر خباز
11	غمرة	المسجد المركزي	18	محمد دقاشي	التجانية
12		الهود	15	بشير علال	
13		دميثة	15	عون قابوسة	
14		جديدة	12	غراي العروسي	
15		عرق السواري	30	علي زلومة	
16		أميه خليفة	31	الهادي بحة	
		المجموع	450		

جدول رقم 60: عدد الهياكل التعليمية التقليدية التابعة لقمار سنة 1957³

1_ يوسف زغوان: التعليم العربي الحر بوادي سوف 1931 – 1962 من خلال الوثائق المحلية والروايات الشفوية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، إشراف د. علي غنابزي، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الوادي، 2014 – 2015، ص 72.

2_ أحمد شوقي بوليفة: أضواء على بلدة الزقم التاريخية، ط 1، مطبعة مزوار، الوادي، 2013، ص ص 70-71.

3_ SHDDE, 1 H 1901, Op. Cit, p 38.

يبدو أن مدرسة قمار التي يشرف على إدارتها والتدريس فيها الشيخ محمد الطاهر التليلي؛ لم يكن مخفيا على السلطات الاستعمارية انتمائها لجمعية العلماء المسلمين، وهو ما ظهر جليا من خلال الوثائق، المدرسة استحوذت على العدد الأكبر من التلاميذ على مستوى ملحقة الوادي بتدريسها 140 تلميذا.

مع أن موقف الاستعمار من مؤسسات التعليم العربي الحر في الجزائر واضح، فقد أصدر القوانين المانعة والمعركة له، وكثيرا ما تم إغلاق المدارس الحرة لسبب أو لآخر، كعدم الحصول على رخصة التعليم من السلطات أو لأن برنامج المدرسة يعارض السلطات الاستعمارية ويُجرّض عليها¹، كما حدث مع مدرستي عميش والوادي سنة 1938، الذين بسببهما سنت فرنسا قانونا خاصا سنة 1938 يمنع ويضيق على التعليم العربي الحر بالجزائر، وقد كان مصيرهما الغلق وسجن وقمع القائمين عليهما²، غير أن مدرسة قمار تحاشت مثل تلك الإجراءات وشقّت طريقها بكل أمان إلى غاية الاستقلال، فما السر الذي أبقى على ديمومتها وجنبها الغلق المؤقت أو الدائم؟

لقد كان خطر الغلق ماثلا في حسابان أعيان قمار على الدوام، لذلك عملوا على أن تكسب المدرسة ودّ جميع الشرائح الاجتماعية بالبلدة، لكونها مدرسة محلية حرة في مصلحتهم ومصلحة أبنائهم جميعا بقاءها مفتوحة، فهم وإن اختلفوا فيما بينهم سياسيا أو بشأن الإصلاح؛ فإنهم كانوا متفقين على حماية المدرسة وتمكين شيخها ومديرها الشيخ التليلي من أداء رسالته، كما ظهرت مهارة وحنكة التليلي ومن معه من المخلصين في الحفاظ على استمرارية المدرسة؛ مع ما يتهددها من مخاطر الغلق من طرف السلطة، ويقول عنها في هذا الشأن مايلي: " ..وقد ثبتت أمام كل الأعاصير ووقفت صامدة مع كل العراquil والأباطيل...."³.

فقد كان بصفته مديرا للمدرسة كثيرا ما يُستدعى أو يُهدد من طرف السلطات المحلية كقاييد البلدة أو

1 _ البشير مقدود: التعليم الفرنسي بمنطقة سوف خلال العهد الاستعماري بين الرفض والتأثير، مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة الشهيد حمه لخضر، العدد الرابع، الوادي، أفريل 2016، ص 144.

2 _ العربي بلعزوي: نشاطات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الجنوب الجزائري وأحداث وادي سوف (1937-1938) من خلال تقارير عسكرية، مجلة عصور جديدة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران 1، المجلد 12، العدد 01، ماي 2022، ص 399.

3 _ محمد الطاهر تليلي: هذه هي حياتي، مخطوط، ص 62.

الحاكم العسكري للمحقة الوادي بغلق المدرسة، فيتصرف بحكمة وذكاء، ومن ذلك أنه في يوم 22 أكتوبر 1952 جاءه حاكم الوادي إلى المدرسة وهدده بغلقها إذا لم يطرد منها المعلم بوهلال محمد الصالح زاعما أنه شيوعي، وكان معه قوة من العسكر فردّ عليه الشيخ: "...بأنه إذا أغلقت المدرسة فسيدرس التلاميذ بيستان نخيله...".

ومن الأحداث الحرجة التي تعرّضت لها المدرسة ومعلموها، ما تعرّض له الشيخ محمد تركي بعد تحوُّله من التعليم بمدرسة الفلاح في خبنة الرقية إلى التعليم بمدرسة النجاح بقمار في السنة الدراسية 1956/1957، حيث كان قايد قمار كثيرا ما يسجنه في الحديقة المجاورة لمسكنه، طيلة اليوم من الصباح إلى الليل، وقد حاول نفيه إلى خارج قمار لكن قاضي قمار الصادق حوحو أثناه عن ذلك قائلا له: "...إن هؤلاء المعلمين يدرسون أبناءنا، فمن وجدنا له تهمة حاكمناه وعاقبناه، ومن لم نجد له تهمة لا نتعرض إليه...".¹

وظلت المراقبة مستمرة على الشيخ التركي حيث كان أحد عيون السلطة يجلس له بجوار نافذة قسمه بالشارع لسماع مايقوله لتلامذته².

كما كان قايد قمار يسأل الشيخ التليلي عن صلة المدرسة بجمعية العلماء، فيجيبه بأنه ليست بينهما صلة سوى أن الشيخ الحفناوي هالي الذي كان آنذاك مسئولا في لجنة التعليم بالجمعية يُزوّد المدرسة ببعض الكتب والدروس من الجمعية.

في ذات الوقت لم تعد المدرسة مناصرين لها من السلطة المحليّة أو المقربين منها؛ مثل بعض شيوخ البلدة الذين كانوا يساعدون القائمين على المدرسة في القيام ببعض المهام الضرورية كجمع التبرعات، بل أن بعضهم يساعد المدرسة في الحصول على رخصة تنقّل تلاميذها لإجراء امتحان الشهادة الابتدائية في بسكرة أوباتنة. كذلك موقف قاضي قمار حوحو ظل مهادنا للمدرسة حتى أنه كان له ابن يتعلم بها³.

من خلال ما تقدم ومختلف المواقف التي تم استعراضها، نستشف أن هناك حدّا معينًا من تقاطع

1_ يوسف زغوان، المرجع السابق، ص 100.

2_ لقاء مع المجاهد محمد علي بان بمديرية المجاهدين لولاية الوادي، على الساعة الحادية عشر صباحا، يوم الثلاثاء 03 مارس 2020.

3_ يوسف زغوان، المرجع السابق، ص 101.

المصالح بين أطراف في السلطة المحلية وبين أهل قمار، ومرونة وذكاء في التعامل من طرف مدير المدرسة ومساعديه، وهو ما جعل الاستعمار يغيض الطرف عن نشاط المدرسة؛ ومنه ذهاب تلاميذها لإجراء الامتحانات خارج المنطقة، كما أنه لم يستشف أنها تشكل خطرا عليه أو تهدد مصالحه، لأنه لا مجال عنده للمجاملة أمام مصلحة المستعمر.

تقاطع المصالح المذكور سمح باستمرارها في القيام برسالتها وعدم غلقها أو توقفها منذ إعادة فتحها سنة 1952 إلى غاية الاستقلال، مع صعوبة الظروف التي مرّت بها خاصة بعد حلّ جمعية العلماء سنة 1956¹.

إدارة المدرسة لم تستسلم وعملت على ربط مدرسة النجاح بمدرسة التهذيب بالعاصمة، ونظرا لصعوبة الحصول على رخصة التنقل لإجراء امتحان الشهادة الابتدائية؛ والتي تعذرّ على التلاميذ إجراؤها سنة 1956، اتخذت المدرسة بالتنسيق مع مدرسة التهذيب إجراء يقضي بأن تُرسل الأسئلة، ويتم إجراء امتحان الشهادة في مدرسة النجاح، ويشرف على إجرائه وتصحيحه طلبة متخرجون من جامع الزيتونة².

ومع ما عُرف به أعيان قمار من حنكة وسلاسة في التعامل مع السلطات الاستعمارية، إلا أن أيادي الغدر والغطرسة نكّلت بإمام مسجد أميه خليفة الهادي بحة حتى سقط شهيدا تحت التعذيب رفقة زميليه؛ رمضان دروني والعربي بني والإخوة بريش³.

لقد ظل الاستعمار ينظر إلى هذه المدارس بعين الشك والريبة، ويتحسس دائما مما تقدمه لتلاميذها، فإذا لمس شيئا مما يعتبره تحريضا عليه؛ قام بغلقها دون مراعاة لأدنى حقوق تلاميذها في التعلم أو حقوق الأهالي الذين أسسوها بجهودهم الذاتية.

3 _ المدارس القرآنية التابعة للديلة والبهيمة والرقبية:

أ _ مدارس الديلة والبهيمة: وهي حسب الجدول التالي:

1 _ صالح فركوس: دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الثورة التحريرية 1954-1962، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد أ، العدد 28، جامعة منتوري بقسنطينة، الجزائر، ديسمبر 2007، ص 260.

2 _ يوسف زغوان، المرجع السابق، ص 102.

3 _ محمد علي بان، اللقاء السابق.

الرقم	المكان	المدرسة القرآنية	عدد التلاميذ	اسم الطالب
01	المقرن	المسجد الكبير	58	محمد بن بشير مسعودي
02		المسجد	17	محمد الطيب بن عبد القادر
03	جديدة	المسجد	35	حبيب بن محمد قرني
04	جلمة	المسجد	20	محمد الصالح قديري
05	أم الزبد	المسجد	30	أحمد بن صالح مباركي
06			08	حمد بن بشير بن عمارة
07	نزلة الفلاقة	المسجد	41	بشير بن مسعود جديدي
08	نزلة الفلاقة (المقرن)	المسجد	09	علي بن مسعود غرايسة
09	المناعة	المسجد	31	العلمي بن بشير غرايسة
10	حاسي خليفة	المسجد	60	لمين غمام عمارة
11			20	الصغير بن أحمد موساوي
12		النزلة الظهرية	63	أحمد بن الطيب خزان
13	الديلة	سيدي علي بن خزان	36	لخضر بن الطيب خزان
14	البهيمة	سيدي مسعود	44	علي بن عمر حفيظ
15		الزاوية القادرية	20	أحمد بن محمد خضراوي
16		العياطة	40	سعيد بن محمد بالي
17		النزلة الغربية	30	إبراهيم بن الطيب رحامة
المجموع			562	

جدول رقم 61: عدد الهياكل التعليمية التقليدية التابعة للديلة والبهيمه سنة 1957¹

تُعد الكتلة التعليمية التقليدية التابعة للديلة والبهيمه، كتلة معتبرة بتدريسها لما يربو عن 562 تلميذ موزعين على 17 مدرسة، يضمها المثلث المحصور ما بين حاسي خليفة شمالا والبهيمه جنوبا والمقرن غربا، من أعلامها الشيخ أحمد بن الطيب خزان؛ طالب مدرسة النزلة الظهرية بحاسي خليفة، الذي ضُمَّت مدرسته 63 تلميذا، كذلك الشيخ لمين غمام عمارة إمام المسجد الكبير بحاسي خليفة أيضا، ثم محمد بن البشير مسعودي بالمسجد الكبير بالمقرن الذي كان يدرّس ما لا يقل عن 58 تلميذا.

1_ SHDDE, 1 H 2106, (d.02): Monographie de l'Arrondissement d'El-Oued (Souf), 27 Novembre 1957, p 09.

ما تجدر الإشارة إليه، أن هذه الكتلة كانت الأكثر عرضة للتصفية من قبل الآلة الاستعمارية، بإعدامها لإمام مسجد عمرة الشيخ البشير غربي المنصب من طرف القائد الطالب العربي قموودي كمشرف عام على الخلايا المدنية لجبهة التحرير الوطني¹، كان يرأس الغالبية العظمى للخلايا أئمة المساجد ومعلمي القرآن الكريم ومساعدتهم، فبالإضافة إلى استشهاد الإخوة غربي رفقة خطاب عبد الكريم وعوينات الجيلاني في حاسي خليفة، أستشهد حمي بلقاسم أحد المشرفين الأساسيين على مجموعة من مدارس المقرن وضواحيها رفقة غرايسة العروسي وحنكة علي وعمارة بته، أما في الدبيلة فقد أستشهد خزازنة أحمد بن الطيب والصادق الباهي²، وغيرهم من الأئمة الشهداء في كامل تراب منطقة الوادي.

ب _ مدارس الرقيبة: وهي المجموعة الأضعف من حيث الكثافة، حسب ما ورد الجدول أسفله:

الرقم	المكان	المدرسة القرآنية	عدد التلاميذ	اسم الطالب	الانتماء الطريقي
01	الرقيبة	المسجد	25	الهادي بن محمد صخري	القادرية
02			42	بشير بن عثمان التجاني	التجانية
03			15	العيد بن أحمد كحلة	التجانية
04			15	العربي بن عمارة قزون	التجانية
05		نزلة الربيع	25	العربي بن أحمد موساوي	الرحمانية
06		القراينة	18	عمارة بن عبد القادر صالح	القادرية
07		الحاج جواد	20	محمد رحال	القادرية
08		واد زيتن	14	أحمد العيد بكاكرة	التجانية
09		نزلة الوكاويك	09	علي بن العربي عبد اللاوي	الرحمانية
10		هبة	16	أحمد بن محمد برشوة	القادرية
11		دغرة	15	محمد بن السايح مصباحي	القادرية
12		العرفجي	40	التجاني بن أحمد راجحي	التجانية
		المجموع	254		

1_ علي عون، المرجع السابق، ص ص 09-10.

2_ عبد الحميد بن نصر بسر، المرجع السابق، ص ص 140 – 142.

جدول رقم 62: عدد الهياكل التعليمية التقليدية التابعة لمركز الرقية سنة 1957¹

باستثناء المدرسة التي يشرف عليها الشيخ بشير بن عثمان التجاني، ومدرسة العرفجي التي إمامها التجاني بن أحمد راجحي، أين فاق عدد التلاميذ أربعون تلميذا، نجد إقبالا ضعيفا على بقية المدارس، التي يُرجَّح أنها وُجدت في مناطق متباعدة وأغلب سكانها من البدو الرحل، مع ذلك فقدت المنظومة التعليمية التقليدية في الرقية سبعة شهداء خلال مجازر رمضان 1957، كان على رأسهم الإمام الطالب عمارة بن عبد القادر صالحى طالب مدرسة القرينة².

حجم التحوّل الذي شهده التعليم التقليدي على مستوى وادي سوف خلال الفترة المدروسة؛ لا يمكن رصده بسهولة سواء على مستوى شبكة انتشار هذه المدارس والكتاتيب أو من حيث عددها وعدد معلميه وتلاميذها. أو حتى على مستوى الأدوار التي قامت بها وتوسّع رقعة تأثيرها الثقافي والاجتماعي، فهذه الهياكل لم يعد دورها مقتصرًا على تحفيظ القرآن الكريم أو تقديم دروس قصد التوعية الدينية والحث على التمسك بالقيم ورموز الهوية، بل انتقلت من المقاومة الصامتة أو السلبية إن جاز ذلك، إلى المقاومة الإيجابية ومن رد الفعل إلى الفعل، أصبح معظمها مراكز تحت تصرف الثورة؛ كمحطات للاتصال السري، أو نقاط لتجميع الاشتراكات المالية والألبسة الموجهة للمجاهدين، كما أضحت مكاتب لتجنيد الشباب المستعد للالتحاق بالثورة وترغيب المترددين منهم، اضطلعت بمهمة دقيقة وحساسة في ظرف عصيب، خاصة بعد انتشار المكاتب العربية في كل المنطقة وعيون الاستعمار بالمرصاد لكل حركة مريبة.

ولعقد مقارنة عددية بسيطة بين ما حققته الإدارة الفرنسية من مجهودات على المستوى التعليمي، وما قدمه الأهالي من خلال مجهوداتهم الذاتية، تم إنجاز الجدول التلخيصي التالي:

الرقم	المكان	عدد المدارس القرآنية	عدد التلاميذ	عدد معلمى القرآن
01	الأعشاش	31	962	31

1_ SHDDE, 1 H 2106, Op. Cit, p 10.

2_ عبد الحميد بن نصر بسر، المرجع السابق، ص 145.

02	المصاعبة	18	581	18
03	أولاد سعود	22	652	22
04	قمار	16	450	16
05	الدبيلة والبهيمة	17	562	17
06	الرقبية	12	254	12
	المجموع	116	3461	116

جدول رقم 63: إحصاء عددي للمدارس القرآنية في ملحقة الوادي سنة 1957¹

كل هذه الأعداد تعود لسنة 1957، أي سنة نكبة التعليم التقليدي، بينما بالنسبة للمدرسة الفرنسية وإلى غاية سنة 1961؛ بلغ عدد الحجرات الدراسية 104 حجرة، في حين ولو فرضنا أن كل مدرسة قرآنية أو كتاب يحوز على حجرة واحدة فقد بلغ عددها 116، أي بزيادة قدرها 12 حجرة دراسية، وإذا كان عدد معلمي القرآن الكريم قد بلغ 116 معلما سنة 1957، فإن المدرسة الفرنسية انتظرت حتى سنة 1961 كي تصل إلى نفس العدد من المربين، هكذا يتضح الفرق جليا بين المجهودين، وظل تفوق المدرسة القرآنية وتميّزها جليا إلى غاية الاستقلال.

لكن، ومع ذلك التفوّق الملحوظ تبقى نسبة التمدّرس نفسها تقريبا في المدرستين ولم تزد عن الخمسة بالمئة، وهو الأمر الذي يبعث على التساؤل خاصة وأن نفس التلاميذ تقريبا يترددون على المدرستين في نفس الوقت، قد نجد تفسير منطقي وواقعي يقف وراء تدني النسبة في المدرسة الفرنسية؛ كما تم توضيحه سابقا، لكن السؤال الذي يطرح نفسه بجدّة، ما هي الأسباب الكامنة خلف ضعف نسبة التحاق أطفال الأهالي بالمدارس القرآنية في وادي سوف خلال الفترة المدروسة؟

الإجابة القطعية عن السؤال المطروح تتطلب مزيدا من البحث والتقصي الجدي، غير أنه يمكن ترجيح أحد سببين أو كليهما معا؛ السبب الأول قد يعود إلى حركة النزوح التي شهدتها وادي سوف في هذه المرحلة وهجرة أعداد كبيرة من العائلات نحو الشمال الجزائري ومدن الجنوب التونسي والعاصمة تونس، أما السبب الثاني قد يرجع إلى الفقر الذي ساد المنطقة، مما دفع بالأولياء إلى توجيه أبنائهم نحو سوق العمل بدل الدراسة رغبة في تحقيق دخل إضافي يعين الأسرة على مواجهة وضعيتها المادية المتدهورة، ونفس الأسباب قد تنسحب على المدرسة الفرنسية أيضا.

1_ الجدول من انجاز الطالب.

كما لا يجب أن يغيب عن الأذهان، أن لهذا النمط من التعليم التقليدي حدوده الطبيعية، مثله مثل أي تعليم آخر، والحديث عن ضعف نسبة الأمية خلال هذه الفترة وأمام هذه المعطيات، يعتبر مغالطة وحديثا غير مؤسس علميا، وعليه فإن هذه النسبة الضعيفة تدفع إلى التساؤل عن مدى أهمية هذا التعليم ومدى تأثيره في الأوساط الاجتماعية؟

من المتعارف عليه أن التعليم مرتبط بالبنية الأساسية التي تساعد على إنجاز مهامه والقيام بوظائفه الأصلية والطبيعية، لهذا قد يكون من المبالغة اعتبار الكتابات والزوايا في وادي سوف بُنى تحتية مسهلة للتعليم؛ لما تتميز به من بدائية في الوسائل ومحدودية في الإمكانيات. وإنما هي حسب النسب السالفة الذكر فضاءات لمحو الأمية غير مساعدة على تشكل نخب بالمعنى المعاصر للكلمة.

فالأمر إذا، لا يتعلق بإلغاء دور التعليم التقليدي ولا بإقصاء دوره التاريخي المفصلي، وإنما هي دعوة للتأمل في حجمه، وفهم حقيقي لدوره الديني والفكري والسياسي. وهو ما ينطبق أيضا على المدارس الحديثة الثلاث، التي تتبع تحت أي شكل من الأشكال مناهج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؛ في كل من قمار وتغزوت والزقم، حيث ضمت مجتمعة 160 تلميذا.

الحقيقة التي يجب إدراكها، أنه لا يمكن نسب تشكل النخب في وادي سوف إلى تلك الهياكل التقليدية فقط، إنما تعود في مجملها إلى هياكل إسلامية معروفة مثل معهد ابن باديس بقسنطينة، وجامع الزيتونة المعمور بتونس والأزهر الشريف بمصر ومكة المشرفة والمدينة المنورة بالحجاز، لتتوسع بعد ذلك بفضل مساعي جبهة التحرير الوطني إلى بلدان شقيقة أخرى.

ثالثا _ أبرز مظاهر التحول الثقافي بوادي سوف:

لعب الطلبة المتخرجون من مختلف المراكز العلمية داخل الوطن وخارجه دورا بارزا في تنشيط الحركة العلمية بالمساجد من خلال توليهم الإمامة والخطابة، والتكفل بتلقين كتاب الله في المدارس القرآنية، يُعلّمون الناس شؤون دينهم وديناهم، أقدموا على الوعظ والإرشاد وتقديم مختلف حلقات الدروس العلمية، فكانت بذاك المساجد مجالا خصبا ومثالا حيا لبث الوعي لدى عامة الناس.

خاصة بعد أن انتشر في المجتمع السوفي التقليدي العديد من المفاسد الاجتماعية والبدع والخرافات التي

تفشيت في ظل السيطرة الاستعمارية وحالة الجهل والأمية السائدة لدى العوام، مما تطلب من العلماء والمصلحين بذل جهود كبيرة لتصفية المجتمع من هذه الشوائب، والرجوع به إلى حقيقة الدين الإسلامي كما ساهمت هذه الظروف في تفرق المجتمع إلى قبائل وعروش متصارعة وفرق متنافسة، لا شك أن ذلك ما أَرادَه الاستعمار من وراء سياسته التي طبقت مقولة "فَرَّقْ تَسُدْ"، وذلك لتوجيه أنظار الأهالي إلى أمور جانبية وهامشية، ليفسح له المجال لفرض سيطرته على جميع مجالات الحياة¹، دون أن يعترضه من يعكر صفوه ويفسد عليه مشاريعه.

لم يكتف الاستعمار بهذه السياسة فحسب، بل تسبب في انتشار الكثير من الآفات الاجتماعية والخلقية بين أفراد مجتمع موصوف بالمحافظة والتدين، فشاعت الرذيلة وانتشرت السلوكات الفاسدة؛ كشربالخمر والكسب الحرام والربا والاحتكار والغش والرشوة²، مما ولّد الحاجة إلى ضرورة التغيير نحو الأفضل وإصلاح الأوضاع الفاسدة، تماشيا مع ما جاءت به الشريعة السمحاء التي تدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

1 _ أهم الشخصيات المؤثرة في التحول الثقافي:

قبل سنة 1948، كان معظم الطلبة السوافة يلتحقون بجامع الزيتونة أو أحد فروعها بالجنوب الغربي التونسي كنقطة وتوزر لمواصلة مشوارهم الدراسي، غير أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قامت بتأسيس معهد عبد الحميد بن باديس، الذي فتح أبوابه رسميا لاستقبال الطلبة في 01 ديسمبر 1947، وشرع في مزاولة التدريس بداية من جانفي 1948، وتوّج الدراسة فيه بنيل الشهادة الإعدادية (الأهلية) المعربة لأول مرة في تاريخ الجزائر المعاصر، وبعدها يلتحق الطالب بجامع الزيتونة لمواصلة ما تبقي من المراحل التعليمية، وغدا الطلاب يفدون إليه من كل حذب وصوب إلى غاية سنة 1957³.

لم يلتحق من الوادي بالمعهد سنة افتتاحه سوى الطالب عبد العزيز بلعيد من كوينين، إلا أن

1_ علي غنابزي: مجتمع وادي سوف من الإحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية، المرجع السابق، ص 109.

2_ نفسه، ص ص 115-116.

3_ عبد الله مقلاتي: إسهام شيوخ معهد عبد الحميد بن باديس وطلابه في الثورة، دار الهدى، (د ط)، عين مليلة، 2014، ص ص 31 – 34.

المعهد في السنوات الموالية شهد إقبالا لا بأس به حيث التحق كل من الطلبة: الحفناوي بوتة والعروسي سعودي وأحمد مولاتي ومحمد بريش وغيرهم¹، ولا تحفى المساعي التي قام بها رجال الحركة الإصلاحية بوادي سوف؛ مثل الشيخين حمزة بوكوشة وعبد القادر الياجوري الذي تولى التدريس بذات المعهد، في تشجيع الشباب على الالتحاق بالمعهد كلما سنحت لهم الظروف زيارة المنطقة، بل يقومون بتسهيل ذلك لهم قدر الإمكان.

ولعله من نافلة القول في هذا المجال الاستشهاد ببعض المشايخ المتخرجين من جامع الزيتونة، لإبراز مدى إسهامهم والدور النشط الذي قدّمه هؤلاء المشايخ للحركة العلمية والمسيرة الثقافية لمنطقة وادي سوف عموما، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر الشيوخ:

— الشيخ أحمد العبيدي (1888-1977): الذي عاد إلى وادي سوف بعد تخرجه من الزيتونة، شرع في التدريس بكل من جامع أولاد أحمد وجامع سيدي مسعود بالوادي، انتقل سنة 1938 إلى وادي ريغ في كل من تقرت وجامعة كإمام ومدرس، عاد إلى مدينة الوادي بعد اندلاع الثورة التحريرية مواصلا دوره التعليمي والتوعوي².

— الشيخ حسين حمّادي (1900-1982)³: تولى مهام متعددة منها؛ إماما للصلاة وخطيبا وواعظا على المنبر ومعلما للقرآن الكريم ولمختلف العلوم والفنون التي تؤهل لدخول زوايا العلم وجامع الزيتونة، هذا الأخير عاد منه في رمضان 1940 بعد وفاة والده الشيخ علي بن حمّادي، الذي أوصاه بالمسجد والمدرسة القرآنية بالمسجد العتيق بالنخلة.

كان له دور بارز في سد الفراغ الرهيب الذي كانت تشهده آنذاك منطقة النخلة وما جاورها، جراء

1_ ابراهيم شويخ: الرحلات العلمية وأثرها في الحياة الثقافية بمنطقة وادي سوف (1931 – 1969)، مذكرة مكملة لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، إشراف أ.د علي غنابزية، كلية العلوم والإنسانية والاجتماعية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، الجزائر، الموسم الجامعي 2017/2018، ص ص 39 – 40.

2_ عاشوري قمعون: الشقيقتان الشيخ الطاهر العبيدي (1886 – 1968) والشيخ أحمد العبيدي (1888 – 1977)، ط 1، مطبعة مزوار، الوادي، 2010، ص ص 65 – 126.

— محمد الصالح بن علي: الشيخ الحسين حمادي حياة علم وكفاح، ط 1، مطبعة سخري، الوادي، 2012، ص 3.37.

السياسة التعسفية الفرنسية، تولى الشيخ مهمة التعليم دون أجر أو مقابل، قسّم وقته بين المسجد والمدرسة القرآنية، كما كان في نفس الوقت معلما لمحو الأمية للكبار، فعكف على تلقينهم شؤون دينهم وفقه عباداتهم ومعاملاتهم¹.

ظل الشيخ يمارس مهامه خلال الثورة التحريرية، فتضاعفت مسؤولياته وكثرت التزاماته، فضلا عن المضايقات والرقابة الشديدة التي فرضها عليه المستعمر للحد من نشاطه، انتهت بفراره لتونس خلال أحداث مجازر رمضان 1957².

– **الشيخ العربي عوينات (1903-1974):** عاد الشيخ بعد رحلة علمية في جامع الزيتونة بتونس، انتقل للإمامة والتدريس بجامع قرية السويهلة بسيدي عون، التي ظل بها لمدة تسع سنوات، ونظرا لشعوره بثقل المسؤولية الملقاة على عاتقه أمام الوضع التعليمي المتردي بالمنطقة، فتح مدرسة قرآنية ببيته في حاسي خليفة، كما عرف باجتهاده في حل مسائل الإفتاء والمواريث³.

– **الشيخ عبد الرحمان معمري (1904-1957):** رجع إلى موطنه بلدة الرقم بعد نيله شهادة التحصيل من جامع الزيتونة المعمور، ليشرع في مباشرة نشاطه الإصلاحي والتوعوي بنشر العلم والمعرفة، اضطلع بإمامة مسجد العدواني، فكان إماما وخطيبا ومعلما للقرآن ومبادئ علوم الدين، قاوم دون هوادة البدع والمعتقدات الفاسدة، استمر في نشاطه إلى غاية استشهاده بعد تعذيب وتنكيل خلال مجازر رمضان 1957⁴.

– **الشيخ حمزة شنوف (بوكوشة) (1907-1994):** بعد تخرجه من الزيتونة بشهادة التحصيل سنة 1930، ظل منشطا للحياة العلمية بين منطقة وادي سوف والشمال الجزائري، عضوا مؤسسا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، شارك في جميع نشاطاتها؛ مدرسا ومراقبا ومحبرا في جرائدها، واجه

1_ سعد بن البشير العمامرة وأحمد بن الطاهر منصوري: أعلام من سوف في الفقه والثقافة والأدب، شركة مزار للطباعة والنشر والإشهار والتوزيع، (ط)، الوادي، 2006، ص 62.

2_ عبد الحميد بن نصر بسر: الأمجاد من أبناء سوف، المرجع السابق، ص 230 – 231.

3_ محمد رشيد تامة: حاسي خليفة تاريخا وثقافة واجتماعا، (د.ط)، مطبعة سخري، الوادي، 2012، ص 191.

4_ العمامرة سعد بن بشير ومنصوري أحمد بن الطاهر، المرجع السابق، ص 73.

عدة مضايقات من طرف السلطات الاستعمارية، اعتقل بمنطقة دلس أين كان يُعلّم اللغة العربية، كما تعرّض للمتابعة سنة 1938 إثر أحداث هدة اعميش الثانية في سوف، كما سُجن في حوادث الثامن ماي 1945 دائم الحيوية والنشاط، كان له فضل علمي وثقافي كبير على منطقة وادي سوف¹.

– **الشيخ محمد الطاهر التليلي (1910-2003):** بعد تخرجه من الزيتونة بشهادة التحصيل سنة 1934، رجع إلى مسقط رأسه بقمار، انخرط مباشرة في مجتمعه بين الإمامة والتعليم، له فضل كبير في استمرار مدرسة النجاح بقمار في نشاطها التعليمي، لا سيما خلال مرحلة الثورة التحريرية، كما له الكثير من المآثر والأعمال².

– **الشيخ عبد القادر الياجوري (1912-1991):** بمجرد أن أنهى الشيخ تعليمه الزيتوني سنة 1935، حتى شرع في تنظيم حلقات دروس حرة في مساجد قمار، ولقاءات مع بعض التلاميذ وأنصار الإصلاح، تزامن ذلك مع رحيل الشيخ عمار الأزعر إلى الحجاز في نفس السنة، فخلفه الشيخ عبد القادر في مسجد الطلبة بقمار، اشتغل الشيخ بالتعليم في المدرسة القرآنية، وتنظيم حلقات العلم والدرس وإمامة الناس إلى غاية التحاقه بمدرسة الشيخ عبد العزيز الشريف سنة 1938، ثم معهد ابن باديس بقسنطينة وغيره من مناطق الوطن³.

2 _ التحوّل العددي والنوعي للبعثات العلمية:

في مطلع الخمسينيات وبمجرد ظهور بوارد بداية قطف ثمار معهد ابن باديس بقسنطينة، شرعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ممثلة في شخص الشيخ البشير الإبراهيمي، القيام بمساعي لدى الدول العربية والإسلامية في المشرق سنة 1952، تكلفت بترحيب العديد من تلك الدول بالتحاق الطلبة الجزائريين بمعاهدها وجامعتها⁴.

1_ عاشوري قمعون: العلامة الموسوعي حمزة بوكوشة (حمزة شنوف 1907 – 1994)، ط 1، مطبعة سخري، الوادي، 2012، ص ص 53 – 94.

2_ محمد الطاهر تليلي، المرجع السابق، ص 05.

3_ التجاني العقون: أعلام من قمار بواادي سوف، مطبعة سخري، د ط، الوادي، 2013، ص 249.

4_ أبو القاسم سعد الله: حياتي، عالم المعرفة، طبعة خاصة، الجزائر، 2015، ص 158.

في نفس السياق قامت جبهة التحرير الوطني هي الأخرى بواسطة ممثليها في الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين بالسعي من جانبها لفتح أبواب معاهد وجامعات البلدان العربية وحتى الدول الأوربية المتعاطفة مع الثورة الجزائرية للطلبة الجزائريين؛ خاصة بعد إضراب 19 ماي 1956¹.

بهذه الجهود، تحسّل المئات من الطلبة الجزائريين على منح دراسية في مختلف التخصصات، وكانوا النواة الأساسية لمنظومة التربية والتعليم في الجزائر غداة الاستقلال.

التحوّل الحقيقي الذي حدث في نظام الانتساب لمعاهد وجامعات الدول العربية، كان بعد تأسيس أول حكومة مؤقتة في سبتمبر 1958، طريقة الانتساب أضحت جماعية وليس بصفة شخصية كما كان سائدا من قبل عند التحاق الطلبة بجامع الزيتونة أو معهد ابن باديس، كما تُقدم تلك الدول منح للطلبة الجزائريين المسجلين لديها، وهو عامل محفز ومشجع للطلاب، بدلا عن المعاناة المادية التي عرفها الطلبة من قبل؛ حتى أن الكثير منهم هجر مقاعد الدراسة لقلة ذات اليد².

من الشروط الأساسية للاستفادة من منحة دراسية أن يكون الطالب مناضلا في صفوف جبهة التحرير الوطني، بالإضافة إلى تقديم ملف إداري؛ أساسه شهادة تثبت المستوى، مرفقا بوثائق أخرى، يقدم الملف إلى اللجنة القومية للمنح؛ التابعة لوزارة الشؤون الاجتماعية للحكومة الجزائرية المؤقتة ومقرها في تونس العاصمة بعد دراسة الملف وقبوله، تقرر اللجنة توجيه الطالب إلى إحدى الجامعات العربية، يُسلم للطلاب إشعار يحدد فيه البلد المستضيف والتخصص واسم الجامعة أو الثانوية، لأن البعثات تشمل حتى مرحلة التعليم الثانوي³، بعدها يشرع الطالب في إجراءات استخراج جواز السفر لكي يتمكن من السفر ومباشرة إجراءات التسجيل والإقامة.

لقد تم تسجيل الطلبة الحاصلين على شهادة الأهلية ضمن قوائم طلبة السنة الثانية ثانوي، أما حاملي

1_ خير الدين شترة: الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900 – 1956، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر، ج 1، ص ص 299 – 300.

2_ أحمد توفيق المدني: حياة كفاح (مذكرات)، ج 03، ط 01، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص 477.

3_ مريم صغير: مواقف الدول العربية من القضية الجزائرية 1954-1962، ط 02، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2012، ص 242.

شهادة التحصيل فقد التحقوا بمختلف الجامعات¹.

آخر طائفة حملت بعثة طلابية جزائرية قبل الاستقلال، كانت للموسم الدراسي 1960 – 1961 تحت إشراف كريم بلقاسم في 31 أكتوبر 1961، غادرت من مطار تونس باتجاه عدة بلدان عربية؛ بداية من ليبيا، وبعدها مصر، ثم سوريا، فالعراق، وأخيرا الكويت².

يبدو أن جبهة التحرير الوطني تهدف من خلال وفد البعثات الطلابية إلى مختلف البلدان الشقيقة والصديقة للجزائر إلى إعداد وتكوين الإطارات المدنية والعسكرية لمرحلة ما بعد الاستقلال.

أ_ البعثات الطلابية إلى مصر:

مصر لم تكن غريبة عن الطلبة الجزائريين فقد كان الأزهر الشريف مقصدهم منذ مدة طويلة، خاصة موفدي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التحول الحالي يتمثل في البعثات المنظمة لجبهة التحرير الوطني وحكومتها المؤقتة، حيث أوفدت مجموعات عديدة في مختلف الاختصاصات للجامعات المصرية، كان لطلبة وادي سوف نصيب منها، تتلمذوا على أيدي ثلة من الأساتذة والدكاترة والكوادر المصرية المتخصصة، ومن بين هؤلاء الطالب أبو القاسم سعد الله الذي التحق بالجامعة المصرية منذ سنة 1955 وتخرج منها بشهادة الليسانس في اللغة العربية، إضافة للطالب أبي القاسم جبالي الذي درس بكلية الآداب بجامعة القاهرة.

أما الطالبين مصباح مصباحي ويوسف جديد فقد سجّلا في قسم علم الاجتماع بجامعة القاهرة، الأول بداية من الموسم الدراسي لسنة 1959، والثاني في الموسم الموالي.

الطالب صالح بوصبيح درس التاريخ بجامعة القاهرة بداية من سنة 1959³، أما التلميذ عبد

1_ عبد الله بالسرياني: نشاط الطلبة الجزائريين في الكويت، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، ديسمبر 2007، ص 42.

2_ عبد الله بالسرياني، المرجع السابق، ص 43.

3_ ابراهيم شويخ، المرجع السابق، ص 50.

الكريم عوادي فقد التحق منذ سنة 1959 بإحدى ثانويات القاهرة¹.

ب _ البعثات الطلابية إلى العراق:

جامعة بغداد بكل ما تحمله من زخم وإرث تاريخي وحضاري كانت الوجهة الثانية للطلبة الجزائريين الذين قصدوها من أجل النهل من علومها ونيل أعلى الشهادات العلمية، لقد من بينهم ثلة من طلبة وادي سوف مثل الطالب علي عطالله والبشير الشابي الذي درس بها سنة 1960 الأدب العربي، والطالب محمد بن خليفة ربيب درس التاريخ سنة 1961².

ت _ البعثات الطلابية إلى الكويت:

على غرار الجامعات المصرية والعراقية كان للجامعة الكويتية نصيب أيضا في تدريس الطلبة الجزائريين إلى جانب التحاقهم بالثانويات أيضا ومواصلة دراساتهم العليا بها، ومن الطلبة السوافة الذين درسوا بثانوية الشويخ نجد كل من إبراهيم سعد الله وعبد الله بسرياني، وغيرهم كثير³.

الوضع العام للطلاب شهد تحولا كبيرا أثناء دراستهم بالجامعات العربية، فقد اختلفت كثيرا على ما كان عليه الحال أثناء تدرّسهم بمعهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة، أو بجامعة الزيتونة بتونس، حيث عرف الوضع المعيشي للطلبة تحسنا كبيرا، يرجع ذلك بكل تأكيد إلى المنحة التي يستفيد منها كل طالب سواء من طرف الدولة المستضيفة، أو من قبل الحكومة المؤقتة، يضاف لذلك منحة إضافية من الحكومة المصرية مخصصة للباس⁴.

يُقسّم الطالب منحتَه بين الأكل والنقل وشراء الكتب، وغيرها من المستلزمات الضرورية، كما كان الطالب أيضا يوفّر منها ثمن تذكرة الطائرة من القاهرة إلى تونس، وبخصوص الإيواء فقد وفرت الجامعات المصرية ذلك، غير أن من الطلبة من فضلوا الاشتراك واستئجار مسكن خاص بهم، لأن

1 _ لقاء مع يوسف بن لخضر الجديد ومصباح مصباحي بمنزليهما، على الساعة العاشرة صباحا، يومي 17 و18 ديسمبر 2017.

2 _ البشير الشابي: مذكرات البشير الشابي 1934 – 1994، مخ، تع: سمير عوادي، ص 02.

3 _ إبراهيم شويخ، المرجع السابق، ص 52.

4 _ أبو القاسم جبالي: مذكرات حياتي، نوميديا للطباعة والنشر، قسنطينة، 2012، ص ص 149-150.

الإقامات الجامعية المصرية تقطع التيار الكهربائي عند التاسعة ليلاً، والطلبة يفضلون المراجعة إلى ساعات متأخرة من الليل¹.

كما كانت تُنظم رحلات خاصة لطلاب البعثات العربية، حيث يستفيد كل طالب من قضاء يوم في كل أسبوعين في مدينة أسوان من أجل الترفيه، وفي العطلة الصيفية يستفيد الطالب من خمس عشرة يومًا في المخيم بمدينة الإسكندرية، ومن جهة أخرى، يستغل الطلبة نادي الطلبة الوافدين لتنظيم نشاطات ثقافية مختلفة من أجل التعريف بالقضية الجزائرية وجهاد الشعب الجزائري، لا سيما أن هذه الاحتفالات الثقافية تشهد حضور طلبة من آسيا وإفريقيّة يدرسون في القاهرة².

أما فيما يخص الطلبة الذين يزاولون دراستهم في العراق، فإن ظروفهم التكفل بهم أفضل بكثير من ظروف المعيشة في باقي الجامعات الأخرى، وبخصوص المنحة الدراسية يستفيد الطالب الجزائري كما هو الحال في مصر من منحتين، أحدها تسلم له من طرف مصالح الحكومة الجزائرية المؤقتة، والأخرى في شكل منحة دراسية عراقية. المنحة العراقية أعلى قيمة من بقية المنح التي تسلمها الدول العربية الأخرى، بالإضافة إلى ذلك تخصص الجامعات العراقية بدلات شتوية للطلبة الجزائريين وأخرى صيفية، كما جعلت إقامات خاصة بالطلبة الوافدين بها مطاعم. كل ذلك من أجل تهيئة أفضل الظروف للتحصيل العلمي للطلبة الجزائريين³.

ومثلما هو في مصر، كانت تُنظم رحلات خاصة لطلاب البعثات العربية، لزيارة الأماكن المقدسة بالعراق كمدينة النجف، وكربلاء، والكوفة من أجل المعرفة والترفيه⁴.

لقد كان جامع الزيتونة المعمور بتونس والمعهد الباديبي بقسنطينة، ومختلف الجامعات العربية وحتى الأجنبية، محطات زوّدت طلبة وادي سوف بمختلف العلوم والثقافات، توجت مسيرتهم العلمية وزودتهم

1_ مصباح مصباحي، اللقاء السابق.

2_ يوسف بن لخضر جديد، اللقاء السابق.

_ ابراهيم شويخ، المرجع السابق، ص 3.56

4_ البشير الشابي، المرجع السابق، ص 08.

بمختلف أدوات وآليات مواجهة المسخ الثقافي والاستلاب المتعمد للهوية الوطنية، أدت إلى تحوّل ثقافي جذري؛ فكري وعلمي ومعرفي كان له بالغ الأثر على المجتمع السوفي، بفعل الاحتكاك والروابط الثقافية الجامعة بين المجتمعات المغربية والمشرقية.

لقد كان لتلك البعثات العلمية أثر عميق جدا على البيئة المحلية، وأحدثت وهج ثقافي وعلمي داخل المنطقة وخارجها، حتى أنه شمل عدة مناطق من الوطن، كمجهودات عبد القادر الياجوري في قسنطينة وتلمسان، حمزة بكوشة والأمين العمودي في بسكرة وقسنطينة والجزائر العاصمة، الإخوة بلعبيدي في عين البيضاء والشرق القسنطيني، الإخوة لقرع الطيب ومحمد الضيف الذين استشهدوا سنة 1957 في تيزي وزو، محمد الطاهر تليلي في بجاية وبسكرة، ثم جيل عبد العزيز شكيري وبشير رزقي وبشير بن ناصر وأبو القاسم سعد الله وغيرهم كثير ممن تجاوزت إسهاماتهم حدود منطقة وادي سوف.

3 _ أثر الحركة العلمية في التحوّل الثقافي في وادي سوف:

لم يقتصر دور الطلبة السوافة على تأطير المساجد والزوايا والمدارس القرآنية والكتاتيب، بما شهدته هذه الأخيرة من خطب ودروس لتوعية العامة وتعليم وتلقين القرآن وعلوم الدين وغيرها للطلبة المتدربين، بل قادوا تحوّلًا فكريًا حقيقيا بمنطقة سوف، والآثار الناجمة عن ذلك التحوّل تقودنا حتما للتعريح عن دورهم في حركة التأليف أين وجدوا الصحف والمدونات مجالا خصبا لنشر أفكارهم وآرائهم المختلفة يضاف لذلك الإسهام في جلب الكتب والمجلات وتأسيس المكتبات الكنزلية الخاصة.

أ _ **المساهمة في الحركة الصحفية:** لقد كان لرجال النهضة العلمية والفكرية في وادي سوف إسهام كبير في الصحافة الوطنية، من خلال تحرير وكتابة المقالات الفكرية والأدبية والاجتماعية وحتى السياسية، كما بادر بعضهم بتأسيس صحفهم الخاصة التي كان لها دور فعال في خدمة القضية الوطنية، يأتي على رأس هؤلاء الأمين العمودي وحمزة بوكوشة وعلي بن سعد.

يعتبر العمودي من أشهر رجال الصحافة في الجزائر، حيث كان له حضوره الفاعل بقلمه المتمكن باللغتين العربية والفرنسية في أغلب الصحف الوطنية، أشرف وشارك في تأسيس عدة صحف

كصدى الصحراء والإصلاح في بسكرة، ثم الجحيم في قسنطينة وترسل للعاصمة بطريقة سرية، تفرّد عن رواد النهضة بوادي سوف باقتحام ميدان الصحافة الناطقة باللغة الفرنسية من خلال تأسيس جريدته الدفاع "La Défence" للمناخنة عن الحقوق الوطنية داخل الأوساط المثقفة باللغة الفرنسية، ومواجهة حملات الصحافة الاستعمارية الناطقة بهذه اللغة، عُرف بوطنيته وإيمانه بالحرية والعدالة، شخصية تناضل من أجل الإصلاح في كل المجالات، تميّز بفكر سياسي ثاقب، برهن على مقدرة صحفية قل نظيرها، غير أن اليد الحمراء لم تغفر له جرأته في الحق ومواقفه الوطنية فاغتالته غدرا في العاشر من أكتوبر 1957¹.

كما كان للشيخ حمزة بوكوشة حضوره في الميدان الصحفي الوطني كتابة وتأسيسا، فقد كان متعدد المواهب؛ فهو كاتب اجتماعي، وشاعر وجداني، وناقد بصير، وفقه إسلامي، توزع معظم نشاطه بين التعليم والصحافة، بدأ الكتابة الصحفية مبكرا، فكان قلمه من أرقى الأقلام الأدبية والنقدية، كتب في العديد من الصحف الجزائرية وحتى التونسية كصحيفة الوزير، كما كان من المبادرين بإنشاء بعض الصحف والإشراف على تحريرها، مثل جريدة المغرب العربي التي تأسست بوهران، التي كانت لسان حال الشباب المسلم، تقاوم الفساد الإداري والاجتماعي، هاجمت القياذ والباشغوات والنواب الذين يعملون ضد مصلحة الأهالي، وتجدد الإشارة أن مدير جريدة المغرب العربي وصاحب امتيازها السيد محمود بلّة وهو من كوينين بوادي سوف أيضا، المواقف الوطنية وصدعه بقول الحق والدفاع عن حقوق الجزائريين أمام غطرسة وتعنت السلطات الاستعمارية كلفته الزج به في السجن سنة 1957 إلى غاية الاستقلال².

الشيخ علي بن سعد أيضا من أعلام سوف في التعليم والصحافة، أسس جريدة الليالي التي تميّزت بجرائدتها الفريدة ونقدها لأوضاع الأهالي، كما طالبت صراحة باستقلال الجزائر، مما عرضها للكثير من المضايقات والمتابعات من طرف السلطات الاستعمارية، وجعله أيضا عرضة للسجن عدة مرات³.

الصحف أيضا وجدت لها صدى لا يُستهان به داخل سوف، فقد عرف الإقبال عليها تحولا

1_ حفناوي قصير: الأستاذ الأمين العمودي - حياته ونشاطاته المختلفة، سلسلة أعلام سوف، (د م ط)، 2008، ص 19.

2_ عاشوري قمعون: العلامة الموسوعي حمزة بوكوشة (حمزة شنوف 1907 – 1994)، المرجع السابق، ص 117.

3_ سعد بن البشير العمامرة وأحمد بن الطاهر منصوري، المرجع السابق، ص 79.

ملحوظا للقراءة والاطلاع ومتابعة مختلف أحداث الثورة وصداها العالمي وحركة التضامن والموازنة من الدول الشقيقة والصديقة وتصريحات رؤسائها، وصدى تطورات القضية الجزائرية على منبر هيئة الأمم المتحدة، من هذه الصحف التي كانت تصل سوف بعد اندلاع الثورة التحريرية المباركة نجد:

__ البصائر: بعد أن كانت تقتصر على نقل الأخبار فقط، تحولت في لهجتها إلى مساندة علنية للثورة وذلك منذ العدد 292، الذي صدر مباشرة بعد اندلاع حرب التحرير، وابتداء من العدد 298، بدأت البصائر في التحدث عن الثورة تحت عنوان: "يوميات الأمة الجزائرية"، تنقل من خلاله أنباء الحوادث الجزائرية أسبوعيا، واستمرت في ذلك إلى غاية آخر عدد صدر منها رقم 361 في السادس من أفريل 1956¹.

__ المقاومة الجزائرية: أصدرتها جبهة التحرير الوطني في أواخر سنة 1955، لتكون أول صحيفة ثورية ذات بعد وطني وناطقة باسم الجبهة، تشرح مواقفها وتتبع أخبارها، طُبعت في باريس وتطوان المغربية، أما طبعتها في تونس وهي الطبعة التي دخلت سوف، فتختلف عن سابقتها فقد أولتها قيادة الثورة ميزة خاصة، غنية بالتحليل السياسية للواقع الثوري بالجزائر، كما أولت أهمية معتبرة لتغطية أحداث المغرب العربي وتطور الأحداث ببلدانه خاصة تونس، أصبحت تصدر كل اثنين إبتداء من مارس 1957؛ الذي صدر فيه العدد الثاني عشر، نظرا للبعد الذي أخذته على الصعيدين الداخلي والخارجي، واستمر ذلك حتى تاريخ استبدالها بجريدة المجاهد في جويلية 1957².

__ المجاهد: اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني، لتكون صوت الجزائر المكافحة، صدرت في صيف 1956 شهدت هي أيضا ثلاث مراحل؛ مرحلة الجزائر العاصمة قبل معركة الجزائر، ثم مرحلة تطوان المغربية، أما الرحلة التونسية فكانت بداية من الفاتح نوفمبر 1957 الموافق للعدد الحادي عشر للجريدة، وظلت هناك إلى غاية الاستقلال³. كانت وسيلة كفاح ونضال، هدفها الإعلامي كان التجنيد والتعبئة الجماهيرية، تنقل صور حية عن المعارك وتشيد بالمعنويات المرتفعة لأعضاء جيش التحرير الوطني

1_ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي - مرحلة الثورة -، ج 10، (د.ط)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007، ص 200.

2_ بشير مديني: قراءة في بعض الصحف الوطنية والكونولونية الصادرة خلال الثورة، دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول الإعلام والإعلام المضاد، (د.ط)، وزارة المجاهدين، م و د ب ح و ث 1954، الجزائر، 1998، ص 250 - 255.

3_ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 212.

وبالتفاف الشعب حول ثورته، كما تفند مختلف الادعاءات الاستعمارية وتدحضها بالأدلة والحجج الميدانية.

كذلك كان الأمر بالنسبة للصحف التونسية، كصحيفة الصباح التي واكبت مسيرة الثورة منذ بدايتها¹، أما جريدة العمل لسان حال الحزب الدستوري التونسي الحر؛ فقد كانت من أبرز الصحف التي كان لها دورا متميزا في مساندة الثورة الجزائرية²، كما لعبت مجلة الفكر دورا كبيرا في التعريف بالجزائر والثورة الجزائرية، حيث حوت صفحاتها الكثير من الدراسات والقصائد والروايات والمسرحيات تمجد الثورة الجزائرية وتضحيات الشعب الجزائري³.

طُرق جلب هذه الصحف تختلف عما كانت عليه قبل الثورة؛ حيث يقوم المعني بجلبها بنفسه، أو يكلف بعض التجار بشرائها له، أما البعض الآخر فتصله عن طريق الاشتراك السنوي لما يكون متاحا، أما بعد اندلاع الثورة التحريرية أصبحت تدخل خلصة وفي سرية تامة، وإدخالها بالطرق العادية ليس دائما محمود العواقب. يذكر الطالب الصادق دقاشي قبل التحاقه بصفوف المجاهدين بعد إضراب الطلبة في 19 ماي 1956، أنه عند زيارته لوادي سوف ولاستبعاد أي شبهة، يغلف كتبه وكراريسه بالجرائد التي تحمل أخبار الثورة، قصد عرضها على أصدقائه وتداولها بينهم لانعدام وجود مثلها في الوادي⁴.

لقد كان تهريب هذه الكتب والمجلات نوع من المقاومة السياسية، لأنه تصرّف ضد رغبة وإرادة السلطات الاستعمارية؛ لذلك كانت عملية التهريب والتوزيع والقراءة تتم في سرية، مع أنها اقتصر على عدد محدود من المثقفين والمتعلمين. كان هذا الشكل من تداول المنشورات يضفي جوا خاصا والشعور بالتميّز لدى هؤلاء المقاومين.

كما احتفظ لنا أرشيف متحف المجاهد بولاية الوادي ببعض أعداد الصحافة الاستعمارية التي كانت ترد للملحقة، نذكر منها على الخصوص:

1_ حبيب حسن اللولب: التونسيون والثورة الجزائرية، ج 1، دار السبيل للنشر والتوزيع، (د.ط)، الجزائر، 2009، ص 488.

2_ حبيب حسن اللولب: المرجع السابق، ص 593.

3_ وزارة المجاهدين: الدعم العربي للثورة الجزائرية، منشورات م و د ب ح و ث 1954، مطبعة الديوان، (د.ط)، الجزائر، 2007، ص 50.

4_ الصادق دقاشي: مذكرات مجاهد، سامي للطباعة والنشر والتوزيع، الوادي، (د.ط)، ماي 2021، ص 38.

__ العالم (Le Monde): وهي أقل تحاملا على الجزائريين وثورتهم مقارنة ببقية الصحف، غير أنها تبقى تتبنّى وجهة النظر الرسمية.

__ برقية قسنطينية (La Dépêche de Constantine): تعتبر البرقية من أبرز جرائد المعمرين عنصرية وعداوة للشعب الجزائري وثورته، ظلت مدافعة عن فكرة الجزائر فرنسية، حتى والثورة على أشدها تقلل من شأن انتصارات المجاهدين، في نفس الوقت الذي تبرز فيه كفاءة وقدرة القوات الفرنسية على سحق الفلاقة الخارجين عن القانون واستعادة النظام¹.

ب _ ظهور المكتبات الخاصة: ظلت منطقة وادي سوف لمدة طويلة لا تعرف المكتبة المنزلية التي تضم المقتنيات من كتب ومجلدات ودوريات، قد يعود ذلك لمحدودية الفئة المتعلمة أو المثقفة التي تهتم بمثل هذه الذخائر العلمية، غير أنه ومع بروز فئة متنورة نالت قسطا من العلوم والاحتكاك بالكتب والمصنفات العلمية والثقافية في مختلف العلوم، خاصة الشرعية منها والتاريخ والآداب وغيرها من العلوم، دعت الضرورة والنهم العلمي الطلبة والمهتمين إلى اقتناء المصادر والمراجع الضرورية، الأمر الذي أدى إلى ظهور المكتبات المنزلية في سوف.

على غرار مكتبة الشيخ الحسين حمادي التي حوت قائمة من كتب متعددة الاختصاصات، اقتناها الشيخ أيام دراسته بتونس، من هذه العناوين: كتاب منهج التحقيق والتوضيح، وكتاب محمد جعيط مفتي الديار التونسية، وكتاب بهامشه شرح الفصول للقراي يضاف إلى ذلك كتاب الرسالة للعلامة عبد الله بن أبي زيد القيرواني، وكتاب مجمع البيان في تفسير القرآن للشيخ أبو علي الفضل بن الحسين الطبرسي في خمس مجلدات صادر عن دار إحياء التراث العربي سنة 1959، وغيرها كثير².

جريدة البصائر بدورها كانت من حين لآخر تُنزل إعلانات خاصة ببيع الكتب بالاشتراك مثل نشرها إعلان لبيع كتاب جغرافية الجزائر للشيخ أحمد توفيق المدني، الأمر الذي جعل الشيخ محمد الطاهر التليلي ورغبة منه في الحصول على نسخة الكتاب، يبعث باشتراكه لاقتناء الكتاب بمجرد نزول الإعلان وحتى قبل خروجه من المطبعة، كما استطاع يوم 22 أوت 1962، أن يشتري كتاب لسان العرب لابن

1_ أرشيف متحف المجاهد لولاية الوادي، غير مصنف.

2_ محمد العيد قدح: الشيخ حسين حمادي ودوره الاجتماعي ونشاطه العلمي والتربوي بتونس وادي سوف 1902 – 1982، مطبعة ذويب، ط 1، الوادي 2013، ص 160.

منظور في عشرين جزءا ذات تجليد حديث، واعتبر الشيخ ذلك صيد ثمين تحصل عليها¹.

الطلبة المتخرجون من مختلف المؤسسات العلمية، جلبوا أعدادا من المؤلفات المهمة في الدين واللغة والتاريخ وغيرها.

ساهم هذا الفعل في تكوين ونشأة المكتبات المنزلية على الخصوص، التي أضحت تزخر بأهميات الكتب الفقهية والأدبية والتاريخية، المكتبات الخاصة اختلفت قيمتها باختلاف المكانة الاجتماعية لصاحبها، كما اتسمت معظمها بالبساطة وقلة عدد الكتب على رفوفها².

إضافة إلى الشيخين حمادي والتليلي نذكر أيضا مكتبات الشيخ مصباح حويذق، الشيخ العربي عوينات³، الشيخ الشهيد ميلودي العروسي، الشيخ أبو القاسم سعد الله وغيرها.

ت _ العروض المسرحية: عانت منطقة وادي سوف فراغا ثقافيا كبيرا ولمدة طويلة من الزمن، حيث لم يكن يسجل أي نشاط ثقافي بارز، إلا ما تعلق ببعض طقوس إحياء المناسبات الدينية كالمولد النبوي الشريف أو عاشوراء على سبيل المثال، أو ما تعلق ببعض مظاهر العادات والتقاليد كالزيارات السنوية الجماعية لأضرحة الأولياء الصالحين أو خلال المناسبات السارة كالأعراس.

أما التحول الثقافي الحالي، فقد أمكننا من رصد أثر الصحوة العلمية والفكرية، التي ألقت بضلالها على الساحة الثقافية، لا سيما خلال العطل الصيفية، حيث من اليسير أن يلحظ المتابع للشأن الثقافي في وادي سوف ذلك التحول الذي من أهم مظاهره:

_ النشاط المسرحي: لم يفت الحركتين العلمية والوطنية بوادي سوف؛ وإن كانتا منصهرتين منذ البداية، أن المسرح أداة للدعاية واختراق الجماهير الشعبية، باستعمالهما لطابعه التعليمي، لذلك كانت المسرحيات المعروضة على بساطتها وارتجاليتها في مناسبات عدّة، ذات بعد ثقافي وإيحائي سياسي دائم الحضور، فقد صنعوا إن جاز التعبير مسرحا مكافحا، رسالته توجيه الرأي العام وتمجيد الشعور الوطني وتقديس الحرية والاستقلال، وقد تُختار بعض المسرحيات وتُقتبس بعض النصوص لغنى مضامينها بالصور

1 _ محمد الطاهر تليلي، المرجع السابق، ص 86.

_ ابراهيم شويخ، المرجع السابق، ص 288.

3 _ محمد رشيد تامة، المرجع السابق، ص 191.

الإيحائية التي يُراد لها أن تصل للمتلقي ويفهم محتواها، قصد تعليم النشء وزرع كثير من معاني الوطنية في أنفسهم، واستنهاض همم الكبار، دون أن يثير ذلك شكوك أعين الاستعمار التي تترصد خلال هذا الظرف الحساس كل حركة من شأنها تأليب شعور الأهالي تجاه فرنسا.

منذ سنة 1947، خاصة بعد تأسيس فوج الرمال للكشافة الإسلامية الجزائرية، برزت عدة مسرحيات متنوعة شملت مختلف قرى وادي سوف، تطوّع مجموعة من الطلبة الزيتونيين تؤازرها مجموعة أخرى من الشباب المتعطش للنهوض الثقافي، لتنظيم عدة حفلات مسرحية نذكر منها مسرحيات: بلال ابن رباح، البخلاء، تاريخ الخلفاء وغيرها، عُرضت بمنزل المناضل سعد حوقة¹، من تمثيل مجموعة من شباب قمار، مثل: الصادق الوصيف، الهادي الرجيل، عمر نوار والطاهر بن عيشة².

كما تقدم بعض الطلبة الزيتونيين بطلب باسم "جمعية الطالب السوفي" إلى الحاكم العسكري الفرنسي للملحقة الوادي للقيام بنشاط ثقافي، وتمت الموافقة من طرفه، عُرضت مسرحية بعنوان عمر بن عبد العزيز في أحد منازل حي المصاعبة بالوادي، شارك في تمثيلها ثلة من الشباب الذي يتقد وطنية وحامسا فياضا، التحق جميعهم بصفوف الثورة التحريرية، مثل: ونيسي محمد، الشريف ليمام، نوبلي عبد الغني، بن موسى الطاهر، عون الله الجيلاني ومحمد علي كرام وغيرهم من الشباب، عُرضت المسرحية في أحسن صورة، ولقيت إعجاب الحضور³.

يذكر أيضا المجاهد الطالب الجيلاني عون الله؛ أحد تلاميذ الشيخ مصباح حويدق، أنه كان من المشاركين في تنظيم مسرحيات في الطريفواي والزقم، حيث تم عرض تمثيلية صلاح الدين الأيوبي، وبلال بن رباح، تقمص الطالب الجيلاني شخصية البطل في كلتا المسرحيتين، إلى جانب كل من علي عون، المولدي بن محمد، هويدي الهاشمي وغيرهم، تم العرض المسرحي على منصة خشبية في أجواء رائعة غلب عليها الطابع الديني والحماس الوطني⁴، ولم تعدم مناطق عدة من وادي سوف مثل هذه النشاطات، وإن كانت تختلف في كثافتها من منطقة إلى أخرى حسب الظروف.

1_ إبراهيم شويخ، المرجع السابق، ص 90.

2_ محمد عباس: مثقفون في ركاب الثورة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص 72.

3_ لقاء مع المجاهد عون الله الجيلاني في مسجد عمر بن الخطاب بحي أولاد أحمد بلدية الوادي، بعد صلاة العصر، يوم 14 نوفمبر 2019. كما سجلت معه عدة حلقات بإذاعة سوف حول مشواره النضالي في الحركة الوطنية وجهاده خلال الثورة التحريرية في الجزائر وفرنسا.

4_ المجاهد عون الله الجيلاني، اللقاء السابق.

مسرحية بلال ابن رباح ألفها محمد العيد آل خليفة سنة 1938، ولم يتم نشرها إلا سنة 1950، يمكن تصنيفها كأول مسرحية شعرية جزائرية ناضجة فنيا، والمراهنه على التوظيف السياسي للشخصية الدينية¹.

المسرحية إذا وضعت في سياقها التاريخي؛ يستشف متابعها غناها بدلالات الصبر؛ فهي لا تكتف بتشخيص وضعية الشعب الجزائري تحت نير الاستعمار، بل تستلهم من صبر بلال وثباته على دينه ما يصلح أن يكون تحريضا للشعب الجزائري على الصمود في وجه سياسة الاجتثاث والاستئصال التي ينتهجها الاستعمار، بلال بن رباح المتمسك بدينه الطامح للحرية والانعقاد هو الشعب الجزائري المستعمر والمستعبد، وكأن أمية بن خلف هو الاستعمار الحريص على اغتصاب الجزائر أرضا وهوية، التشابه قائم بين الموقفين، موقف تحدي المسلمين لظلم المشركين، وموقف المجاهدين وتحديهم لقوة فرنسا.

يبدو أن اختيار مواضيع بعينها لم يكن عبثيا أو عن طريق الصدفة، أو من أجل التسلية والترفيه فقط بل كان اختيارا مدروسا وله أهداف مرسومة ومرام وغايات يصبو إلى تحقيقها عاجلا أم آجلا، ومن المضامين التي يمكن أن نرصدها من خلال هذا التوظيف السياسي للشخصيات الدينية ما يلي:

— إحياء التراث الإسلامي ومآثره الزاخرة بالبطولات في زمن يسعى فيه المستعمر إلى قطع صلة الشعب الجزائري المسلم بماضيه المجيد.

— اتخاذ شخصية بلال كقناع للتعبير عن الذات الجزائرية المتمسكة بدينها، الطامحة لكسر قيود العبودية والتحرر من ربة الاستعمار البغيض.

— استلهم الدروس والعبر والعظات من التاريخ الإسلامي الأول، فمع ضعف المسلمين وقلة عددهم غير أن النصر كان حليفهم في نهاية الأمر بفضل إيمانهم بقضيتهم والأخذ بأسباب النصر.

كما يُلاحظ أن الهدف من وراء إقامة هذه النشاطات وعرض تلك المسرحيات هو المحافظة على هوية الأمة وتاريخها بأبعاده العربية الإسلامية من التدنيس، فصيانة التاريخ جزء من الحفاظ على هوية المجتمع وأصالته، لقد رمت تلك النشاطات ومعظم العروض المسرحية المقدمة إلى بعث الروح من جديد في المجتمع الذي فقد وهجه الوطني، نتيجة الآلة الدعائية الاستعمارية المغرضة التي رُوّجت بأنه مجتمع

1_ أحسن ثيلاني: توظيف التراث في المسرح الجزائري، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي، كلية الآداب، قسنطينة، 2009 – 2010، ص 58.

أهلي جامد، بلا ماض ولا إمكانية له للتطور، وفرسته الوحيدة للتقدم تمر حتما عبر الفرنسية والإذعان الاختياري للمستعمر.

السلطات الاستعمارية في الجزائر، كان لها أدواتها المساعدة على تسويق تلك الصورة النمطية للأهلي الفلكلوري والمتخلف، فعلى سبيل المثال كانت سلسلة من البطاقات البريدية تحصر الأهلي في محيط معين، أمام دكاكين الأسواق، داخل أزقة الأحياء القديمة (القصبات)، تحت خيمة أو تظهره يمتحن حرف محدّدة؛ حلاقو لحى، ماسحو أحذية، قوّال وسط السوق أونبلاء ببرانيسهم، أو يقومون بحركات دينية كالآذان أو الوضوء وغيرها من الصوّر، إنه تسويق لصورة مجتمع جامد يحي داخل قوقعة خارج الزمن، لا يمكن له بأي حال من الأحوال أن يرى نور الحضارة إلا بفضل قوة تأتي من الخارج، وهذه القوة هي فرنسا التاريخ، والحضارة رائدة النهضة والتنوير.

نستنتج في الأخير، أن الحياة الثقافية في سوف خلال هذه الفترة تجلّت في الجهود المبذولة من طرف الطلبة العائدين، حيث قاموا بأدوار جليلة في بث الوعي الديني والتعليمي بإنشائهم للمدارس وإدارتها وإسهاماتهم في التعليم بالمساجد، وتقديم الوعظ والإرشاد، كما كانت لهم إسهامات في التعليم النظامي بعد الاستقلال، إضافة إلى آثارهم الفكرية من خلال حركة التأليف وتحريرهم للكتب، وتأسيسهم للمكتبات الخاصة التي ساهمت في نشر الوعي والثقافة، وتنظيم العديد من النشاطات الثقافية بالمنطقة، حيث برزت بعض النشاطات كالمسرح وإحياء المناسبات الدينية، الأمر الذي قاد المجتمع السوفي عموما من خلال نخبته المثقفة على وجه الخصوص إلى تحويل نمط الحياة الثقافية نحو الأفضل.

__ المبحث الثاني: تحوّل الألعاب الشعبية والنشاطات الترفيهية والرياضية.

أولا __ تحوّل الألعاب:

تُعتبر الألعاب الشعبية من أهم مكونات الموروث الشعبي وجزء هام من التراث اللامادي لأي مجتمع، فهي نتاج للانصهار الحضاري والثقافي يبلور البيئة السائدة وطبيعية الوسط الاجتماعي المعاش.

كما أنها أيضا ممارسات سلوكية موعلة في القدم، تعد أحد مكونات التاريخ الاجتماعي وعامل مهم في صقل شخصية الإنسان السوفي وهو في وسط صحراء موحشة، ألعاب توارثتها الأجيال جيلا

بعد جيل، اعطتها الإهتمام اللازم بغرض قتل أوقات الفراغ والترفيه عن النفس.

كما تعتبر من التراث اللامادي الذي توارثته الأجيال الحالية عن الآباء والأجداد، بساطتها وبساطة وسائلها وأدواتها جعلها تحتل مكانة مرموقة بين الأوساط الشعبية، فأضحت مرآة حقيقية تعكس بكل صدق مدى بساطة الحياة اليومية في سوف، ناقلة نماذج للحياة من الوسط البيئي المعيش بمختلف نظمته وطبوعه وتقاليده.

تتميز بروح اللعب المتضمن مظاهر الفرحة والمتعة والتسلية، لكونها متنفسا يروح عن الأفراد بعد يوم شاق ومُضني، تُمارس على سبيل المنافسة والمرح بين الصغار والكبار والذكور والإناث، قد تكون ممارستها جماعية كلعبة القوس أو السيق أو كرة القدم، أو غير محدودة العدد كلعبة البيس أو النحلة (الزربوط) أو لاماريل أو العشائش، فردية كالتاربولات أو الخريزة (الدرفيلة)، ثنائية كالخريقة أو زوز ومات، ثلاثية كالحبيلة، رباعية كالكارطة والدومين وغيرها كثير، منها ماهو أصيل ومنها ماهو وافد عن طريق الفرنسيين أو من خلال زيارة أو عودة المهاجرين من التل أو تونس، كما هناك ماهو قديم أو ظهر خلال هذه الفترة مثل:

1 _ لعبة كرة القدم (أولمبي الوادي):

أ _ ميلاد فريق أولمبي الوادي لكرة القدم: يظل تاريخ 10 جانفي 1947 محطة بارزة في تاريخ الحركة الرياضية بوادي سوف، لأنه شهد اجتماع الأعضاء المؤسسين لفريق أولمبي الوادي والذين اجتمعوا بفندق الكتبان¹، وأسسوا جمعية رياضية تابعة للرابطة الرياضية بقسنطينة.

تمخض عن هذا الاجتماع التاريخي تكوين المكتب والتسمية الرسمية وتحديد الألوان ورمز الفريق الناشئ، تكوّن المكتب من عضوية السادة:

الرقم	الاسم واللقب	تاريخ الميلاد	المهنة
01	إبراهيم سروطي	1917	موظف بريد

1 _ فندق الكتبان: مؤسسة خاصة أجزها المعمر الفرنسي مارسيل روبسكي، قائد عسكري بفرقة مهاري العرق الشرقي سابقا، ومستشار عام بورقلة. ألحق بهذا الفندق مقهى وحانة "الشهيلي" بالإضافة إلى مغارة عامة.

02	عبد المجيد محمودي	1917	موظف
03	رشيد محمودي	1921	موظف
04	حفناوي حدانة	1920	موظف
05	سعد السعود عمراي	1924	موظف
06	بوبكر دية	1916	موظف في SAP
07	فريزيه ريموند	1917	مهندس
08	أحمد هقي	1924	ممرض
09	عبد الحميد نجاح	1917	ممرض
10	الجيلاني حاشي	1916	مدير SAP
11	لويس استراد	1916	رئيس مخزن السكة الحديدية
12	أحمد عمار شريف	1930	موظف
13	كلارمون	1920	موظف بريد

جدول رقم 64: يوضح أعضاء أول تشكيلة لمكتب أولمي الوادي سنة 1947¹

تدخلت السلطات الاستعمارية محاولة فرض لويس إستراد رئيسا لهذه الجمعية الرياضية، غير أن الأعضاء صوّتوا لصالح السيد سروطي إبراهيم، الذي أضحى أول رئيس لأولمي الوادي سنة 1947.

قبل الإنشاء الرسمي لهذا النادي كان الفريق يُسمى "أولمي العرق الشرقي"، الأمر الذي لفت انتباه بعض الأعضاء الذين طالبوا بالعدول عن هذه التسمية لتوافقها مع تسمية الوحدة العسكرية لمهازي العرق الشرقي، وعوضوها بتسمية أولمي الوادي "OEO"، وقد أجمع الحاضرون على تبني التسمية الأخيرة.

أما عن الألوان فقد اختار الحاضرون أن تتشكل البدلة الرياضية من اللونين البرتقالي والأسود².

اللون البرتقالي: يرمز لمطلع الفجر ويشير لميلاد جزائر جديدة حرة ومستقلة.

اللون الأسود: هوية المستعمر السوداء وما نتج عنها من أحزان، خاصة تلك التي أعقبت مجازر 08 ماي

1_ محمد بوقطاية، المرجع السابق، ص 41.

2 _ SHDDE, 1 H 2565, (d.04): Les Activités Sportifs dans le Sud Algérien, Notre Equipe de Foot, Rapport dactylographier par M^r Paul Cauchois, directeur de l'école d' El Oued, Décembre 1958, p 03.

1945.¹

أول بدلة رسمية للفريق برتقالية ومزخرفة بالأسود، أُهديت له من قبل السيدين حُلادي عز الدين وعيادي بشير عندما كانا يتابعان سنة للتكوين الإداري بمدينة رين "Rennes" الفرنسية بالمعهد الوطني للصحة العمومية.

درب فريق أولمبي الوادي السيد جنان أحمد، اللاعب السابق بالنادي الرياضي لباتنة، وكان يعمل ميكانيكيا بشركة الكهرباء والغاز الجزائرية بالوادي آنذاك.

بالإضافة إلى المباريات الودية التي يجريها الأولمبي مع فريق السكة الحديدية وفريق المعلمين بالوادي، كان يخوض أيضا مباريات ودية مع الاتحاد الرياضي لتقتر مرتين أو ثلاث في العام ذهابا وإيابا، مباراة تقتر كانت شاقة ومرهقة؛ لأن الطريق لم تكن معبدة بل مُرملة، والمسافة آنذاك كانت تبعد عن الوادي بحوالي 150 كم مرورا بمدينة جامعة، في الوقت الذي كان فيه نقل المسافرين يتم عبر سيارات خاصة على هذا الطريق الصحراوي الصعب، الذي تغزوه الرمال وتعيق سير السيارات فيه، مما يجبر أصحابها على التوقف مرات عديدة لمراقبة العجلات وخزان البنزين، وإضافة الماء إلى المحرك وغيرها من عمليات الصيانة أثناء الطريق²، وفي معظم الأحيان تُدفع السيارة من قبل الركاب مع ما يسببه من إعياء للاعبين الذين يتحملون مشقة كبرى لولا أن المعنويات كانت مرتفعة والطموح كبير.

السفر إلى مدينة تقتر يتم غالبا بعد منتصف النهار ليلة المقابلة، لتدوم هذه الرحلة المضنية للاعبين ست ساعات لقطع مسافة الـ150 كم بعوائقها وحواجزها وموانعها، لتجرى المقابلة الرياضية عند ظهر اليوم الموالي أي يوم الأحد الذي كان يمثل العطلة الأسبوعية آنذاك، ويختتم اللقاء بإقامة حفل ودي على شرف الضيوف تُوزع خلاله بعض الإكramيات دون أن تكون هناك فترة راحة يتم التنقل من جديد إلى الوادي وشوط ثان من المعاناة خلال رحلة العودة³.

قامت السلطات العسكرية سنة 1950 بتهيئة قطعة أرض شاسعة تقع جنوب الثكنة العسكرية، لتدريب جنود وحدة المهاري للعرق الشرقي، ووحدات عسكرية أخرى كانت تقوم بتدريباتها بهذا المكان.

1_ محمد بوقطاية، المرجع السابق، ص 42.

2_SHDDE, 1 H 2565, (d.04), Op. Cit, p 02.

3_SHDDE, 1 H 2565, (d.04), Op. Cit, p 02.

بعد فترة من الزمن قرّرت السلطة العسكرية تحويله إلى ملعب لكرة القدم، رُمّم الميدان ثم أعدوا أرضيته ليستقبل المقابلات الرياضية¹، وذلك بدلا عن الملعب الذي أنشأ عن طريق تظافر جهود الجميع لتهيئة ملعب شاسع ولو كان رمليا، تجرى على أرضيته مقابلات ساخنة تحت أنظار الشباب السوفي الذين أصبحوا يشكلون جمهورا رياضيا مناصرا للأولمبي وبدون مقابل، هذا الملعب العريق كان موقعه ساحة حمة لخضر حاليا، والتي كانت تسمى ساحة الملازم بوعكاز سابقا.

السلطة العسكرية بدورها لم تفتها الفرصة لتكوين فريق كرة قدم مُكوّن من أعضاء الوحدة العسكرية للمشاركة في بطولة محلية تساهم فيها فرق عسكرية أخرى مع مشاركة فريق أولمبي الوادي وهو الفريق المدني الوحيد آنذاك²، انضم إليه بعض اللاعبين الإسبان من عمال السكة الحديدية وهم: قوميز، وإينياسيو، وخوان وقريزو. أما الفرق العسكرية فهي:

__ الوحدة العسكرية لمهاري العرق الشرقي (ثكنة الوادي).

__ وحدة الطيران العسكري بمطار قمار بداية من سنة 1956.

__ الوحدة العسكرية للجنود السينغاليين³ التي تستغل قاعة الأفراح وسط الحي الأوربي.

__ القسم العسكري 401 الذي يتموقع بقاعة الأفراح أيضا⁴.

كان الجو العام لهذه المباريات يتصف بحماسة نادرة وعواطف جياشة لدى اللاعبين والمناصرين على حد سواء، مصدرها الاعتزاز والافتخار بهذا الشباب الذي يؤدي دوره بكل روح رياضية ومهارة نادرة، يعملون المستحيل ويبدلون قصارى جهدهم للانتصار على منافسهم، ممثلا في فرق عسكرية أذاقت الأهالي العزل الأمرين.

كان على الفريق الأولمبي من خلال هذا الشباب المتحمس أن يُلقنهم دروسا ومهارات، ويُعلمهم كيف يلعبون كرة قدم نظيفة وفقا للقواعد الرياضية والسلوكات الإنسانية؛ فهذا الملعب كان يكتسي بالنسبة

1_ SHDDE, 1 H 2555, Op. Cit, p 07.

2_ لقاء مع السيد محمد بوقطاية (أحد لاعبي أولمبي الوادي)، بمنزله ببلدية الوادي، على الساعة العاشرة من يوم 25 جانفي 2019.

3_ وحدة عسكرية مجندة من البلاد الخاضعة للاستعمار الفرنسي " إفريقيا الغربية الفرنسية" (F.O. A), منها السينغال، وموريتانيا، والنيجر. ...

4_ SHDDE, 1 H 2555, Op. Cit, p 07.

لهؤلاء الشباب ميدانا للمعركة، يُعبّر من خلاله عن وطنيته دون خوف أو وجل من حراس الجيش الاستعماري الذي كان التعذيب والسجن سلوكات يومية يمارسهما ضد الأهالي¹.

مع حلول سنة 1957 عرض حارس مرمى الأولمبي زيدي بالقاسم الذي يشغل منصب قائد ومدرّب الفريق في نفس الوقت، وكان لاعبا سابقا بالاتحاد الرياضي لمدينة بسكرة لمدة عامين، عند عودته إلى مدينة الوادي على زملائه من الاتحاد وهو فريقه السابق تعزيز وتدعيم الأولمبي ببعض العناصر الرياضية منهم: هبة عيسى (قلب هجوم)، بوناب عبد العزيز (المدعو عزة)، حمدات محمد، وهلولي صولي، هؤلاء جميعهم تجاوبوا مع زميلهم بالقاسم والتحقوا بالوادي للانضمام إلى فريق أولمبي الوادي²، الانتصارات المتتالية للأولمبي في المقابلات الرياضية ضد العسكريين الفرنسيين زعزع الأوساط الاستعمارية المحلية غير الرياضية؛ التي كانت ترى في هؤلاء المنضمين لفريق الأولمبي جسر وحدة بين الشباب الجزائري، ونذير شؤم على المستعمر الذي تهدده مثل هذه السلوكات؛ لأنه يستشعر منها الخطر، فتم استدعاء زيدي بالقاسم وقُدّم له تنبيها شديد اللهجة وتحمله مسؤولية هذه المبادرة، منذ ذلك الحين صار محط رقابة ومتابعة داخل الملعب أو خارجه، خاصة من قبل المخابرات العسكرية إذ كانت هذه الحادثة واحدة من أحداث أخرى في هذا الوقت بالذات والتي تمثلت في التحاق الكثير من لاعبي كرة القدم بالثورة في الجبال³.

ب _ فريق أولمبي واجهة نضالية: عرفت المقابلات بين فريق الأولمبي والفرق العسكرية حماس فياض دفع مناصري فريق الأولمبي للتوافد أفواجا من قرى سوف، تحذوهم روح الحماسة وشد أزر فريقهم غير أن الهدف كان سياسيا محضا⁴.

ما يجب الإشادة به، الدور الذي لعبه المرحوم الشيخ الهاشمي حسني (1902 – 1989)، معلّم المدرسة القرآنية بحي أولاد أحمد لقد كان للشيخ اليد الطولى في تسييس شباب أولاد أحمد وبعض المناطق المجاورة ممن يؤمّون مدرسته، وهو الذي لم يأل جهدا ولم يتوان في شحذ همم الشباب وتوعيتهم، فكان يخصص لهم دروسا مختلفة في الرياضة والسياسة باعتباره من المناضلين البارزين الذين سخرّوا حياتهم وبذلوا

1 _ محمد بوقطاية، المرجع السابق، ص 50.

2 _ لقاء مع السيد عزالدين زيدي (أحد لاعبي أولمبي الوادي)، بمنزله ببلدية الوادي، على الساعة الخامسة مساء من يوم 24 جانفي 2019.

3 _ محمد بوقطاية، اللقاء السابق.

4 _ لقاء مع السيد اسماعيل هبيته (أحد لاعبي أولمبي الوادي)، بمنزله ببلدية الوادي، على الساعة العاشرة من يوم 26 جانفي 2019.

قصارى جهدهم لقضية وطنهم، مع الرقابة المشددة وعيون المستعمر المفتوحة التي تترصد الحركات والسكنات غير أنها لم تستطع أن تتبين نشاط الشيخ ومراميه، فقد كان الشيخ الهاشمي رجل تربية بارع يُتقن بلوغ غاياته دون أن يثير الشبهة أو الشك، حتى أنه لا يفوّت فرصة اللقاء بين الأولمبي والفرق العسكرية، ليلقي بهذه المناسبة درساً خاصاً يبيّن فيه الأبعاد ويحرك من خلاله العزائم.

كل هذا يتم قبل الوقت الرسمي للمباراة، ثم يقوم بتسريح التلاميذ قبل نهاية الحصة بعد أن يستشيرهم لحضور المباراة لنصرة إخوانهم على العدو المحتل، الذي يتمنى له الشيخ خسارة فادحة وهزيمة نكراء لأنه عدو للإسلام والعروبة والوطن.¹

لقد فرض الأولمبي نفسه في الملعب بفضل تفوّق أدائه الرياضي ومهارته الفنية وحسن انضباطه، ليصبح بذلك مستهدفاً من قبل جميع الفرق العسكرية؛ التي كانت تستعد لتضعفه وتفت في عضده لقد صار الأولمبي هاجسها الأكبر، وبحلول الرابع عشر من شهر جويلية سنة 1959 الذي يصادف العيد الوطني الفرنسي، قفزت إلى ذهن الإدارة العسكرية فكرة شيطانية؛ مفادها أن تنتقي من الفرق العسكرية الموجودة بالمنطقة نخبة من اللاعبين الممتازين، لتشكّل منهم منتخباً قوياً هدفه أن يكسر في هذا اليوم الأغر بالنسبة لهم شوكة الأولمبي، الذي لا يرون في عناصره سوى مجموعة من الفلّاقة، إن هؤلاء الذين لا يعرفون غير لعبة الخريقة كان لابد من إهانتهم، وإذلالهم أمام مناصريهم وهزيمتهم أمام جمهورهم، لقد هيأوا كل الظروف لتنفيذ خطتهم في مقابلة فاصلة، أرادوها أن تُبرز وجه فرنسا القوي وكبرائها وغطرستها وهي التي تتباهى وتزدهي بخيلاتها في يوم عيدها الوطني 14 جويلية 1959.²

حان الوقت الموعد ودقّت ساعة الحسم، كان اليوم حاراً لكن لم يمنع قدوم مناصري فريق الأولمبي الذين توافدوا بأعداد كبيرة إلى الملعب، ملعب يطوّقه عدد كبير من العسكريين لإذلال المناصرين وضرب معنوياتهم والنيل من حماسهم.

تم تعيين السيد عبد القادر بن أحمد حكماً للمقابلة، وهو ضابط جمارك ومناضل سياسي من أجل استقلال الجزائر، أصيل مدينة وهران ومن مؤسسي فريق الاتحاد الرياضي الإسلامي لكرة القدم

1_ عاشوري قمعون، الشيخان، المرجع السابق، ص 93 – 116.

2_ عزالدين زبيدي، اللقاء السابق.

بوهرا، أهله كفاءته لقيادة هذه المباراة لكنه كان رجلا حياديا منصفاً أدى مهامه بكل نزاهة¹.

دخل المنتخب العسكري مزهوا بغطرسته وقوته، متعمدا استفزاز وإثارة عناصر فريق الأولمبي عليهم يفقدون أعصابهم وتوازهم، تشجعه على ذلك تصفيقات حارة من جمهور الفرنسيين المناصرين له، ومن الأتباع والذبول الذين يستظلون تحت العلم الفرنسي ويشجعون الفريق المعادي بكل ما أوتوا من قوة.

تمكن المنتخب العسكري بعدوانيته وشراسته من السيطرة على مجريات الشوط الأول من المقابلة، ولكنه لم يستطع أن ينال من أعصاب الأولمبي أو يضعف من معنوياته، في فترة الاستراحة التحق الفريق العسكري بمقر الثكنة المقابل للثكنة لينتشي بتفوقه المعنوي، ويتلقى تعليمات ونصائح لتطبيق خلال الشوط الثاني، في الوقت الذي التحق لاعبو الأولمبي بمنزل السيد ونيسي بشير والد الشهيد ونيسي الهاشمي، هناك التحق بهم أعيان المدينة وعقلاؤها في محاولة لإقناع عناصر الفريق بالتخلي عن المقابلة والانسحاب منها تفاديا لما قد يحدث، فلا يؤمن جانب الفرنسيين من تدبير خطة مكرة وعليهم أن يؤثروا السلامة، غير أن اللاعبين بقيادة زيدي بالقاسم حارس المرمى لم يصغوا لهذا الرأي ولم يترددوا في الإجماع على مواصلة المقابلة مهما كانت النتيجة².

انطلقت المقابلة في شوطها الثاني ودخلها أعضاء الأولمبي بدم بارد وأعصاب من حديد، لم ينفعلوا ولم يستجيبوا لاستفزازات الفريق العسكري، وأجروها مقابلة فعالة وهادئة توجت بهدف الانتصار الذي أمضاه الجناح الأيسر مهري علال، هذا الهدف الذي شلّ طموح العسكريين المزهويين، وحدّ من جذوة المناصرين المسلحين الذين أحاطوا بالملعب.

في اليوم الموالي انتشر العسكر وتوزعوا على طول الشوارع الرئيسية للمدينة، ودخلوا في مشادات بين شباب سوف مناصري الأولمبي خاصة في شارع لا بيرين (La perrine)³، كان موقع التمرکز محروسا قرب دير الراهبات والثكنة كما ضربت الحراسة الشديدة على الملحقة الإدارية، وكانت سيارات من نوع (ج. م. س) "GMC" و 6/6 تجوب شارع المحطة⁴، غير أن سكان المدينة وأهلها لم يستجيبوا لمظاهر

1_ محمد بوقطاية، المرجع السابق، ص 54.

2_ اسماعيل هبنته، اللقاء السابق.

3_ شارع الشهيد القائد الطالب العربي حاليا.

4_ شارع محمد خميسي حاليا.

العنف والإثارة والتحدي الذي أبداه المستعمر¹.

من جانبه ولتهدئة الوضع اتخذ الأولمي قرارا يتسم بالتعقل، يقضي بإيقاف نشاط الفريق لبعض الأسابيع، الأمر الذي دفع السلطة الغاشمة إلى تجميد نشاط الفريق نهائيا، وإجبار شباب الأولمي على الانضمام إلى نوادٍ رياضية أخرى لأن الأولمي في نظر السلطة العسكرية ليس إلا خلية سياسية مدنية يشرف عليها الفلاقة، وهو يعمل من أجل أهداف بعيدة وأغراض سياسية خفية، فما كان من لاعبي الأولمي إلا أن يمارسوا أنشطتهم داخل فرق مسرحية أو موسيقية أو رياضية اختاروها عن طواعية حسب رغبتهم ومزاجهم، وقد ضم الأولمي بداية من الموسم الرياضي 1954/1955 إلى غاية حله سنة 1959 العناصر التالية: عللي مسعود، هبيته إسماعيل، قدوري لحسن، زلاسي إبراهيم، كرمادي أحمد، دركي عليّة (شهيد)، كرمادي عبد الرزاق، دريدي الأمين، شريط عبد القادر، مهري علال، ريشار، قدوري محمد (بادي)، كوشوا بول، قماري صالح، نوبلي المشري، هلولي محمد، زيبيدي بالقاسم، بوناب عزة، زيبيدي عزالدين، إخوان إينياسيو، سنيقرة عبد الرزاق (دوقة)، ساكو ماريو، حمادات، هبية عيسى، حميداتو محمد (دنة)، بن أحمد عبد القادر ومجّول عبد القادر، أما مدلّك الفريق فكان الشهيد عسييلة بلقاسم المدعو شكشاكة، والملحق الصحفي الشهيد محمد العبسي سروطي².

بالموازاة مع هذه العملية، أنشأت هيئة عسكرية شبه مدنية مقرها دار العسكري³، يقودها الضابط لوجون (Le jeune) مكلفا بالشباب وهو ابن ماكس لوجون الوزير السابق للصحراء وذلك لاستدراجهم حتى ينصرفوا عن السياسة وعن قضيتهم الأم.

في رد فعل حول موقفهم من هذا التنظيم الجديد، تفرّق الشباب السوفي ليمارس هوايته في فرق الأحياء. وفي هذه الفترة بالذات نشأت جمعية رياضية حديثة لكرة القدم سُمّيت الاتحاد الرياضي للتربية الوطنية، مؤلفة من معلمين فرنسيين وجزائريين ومجموعة من طلبة مدارس التعليم العام والمهني.

لقد تفتن ضباط المكتب الخامس إلى أن مشاركة الشباب ضعيفة في إطار هذه الهيكلة الجديدة، فراحوا يجندون بعض البسطاء والسذج من ضعاف النفوس وضعاف الروح الوطنية، ويقدمون لهم

1_ عزالدين زيبيدي، اللقاء السابق.

2_ محمد بوقطاية، المرجع السابق، ص ص 88 – 92.

3_ شرق رحبة السوق وغرب غوط السردوك.

التسهيلات والتجهيزات، ويغرونهم بالجوائز والهدايا وحتى المواد الغذائية. لاحتوائهم ضمن نشاطات مختلفة كالموسيقى والرياضة وتنس الطاولة وأنشطة أخرى.

هذه النوادي الرياضية نظمت مقابلات رياضية مع نوادٍ أخرى من مدينة بسكرة، وتقرت، والمغير، وجامعة، وطولقة وسيدي عقبة. بطولة تخضع لمراقبة الضباط الفرنسيين¹. غير أن هذه المغامرة العسكرية لم يدم عمرها سوى أشهر قليلة، لثمنى بفشل ذريع وتنتهي في آخر المطاف. فأمست نواديها وكرا لمجموعات منحرفة، وتحوّلت إلى قاعات للعب القمار، فصارت بذلك مستنقعا للشروع بعيدة عن روح الرياضة السمحاء.

ت _ من مظاهر تحرش الجنود الفرنسيين بعناصر الأوملي وأنصاره: لم تكن المقابلات الرياضية لكرة القدم بين الأوملي والفرق العسكرية الاستعمارية لتجري في جو عادي، بل إنها كانت تتسم بطابع عاطفي جياش، وإثارة مسبقة بين الخصمين قبل المقابلات وبعدها، وهي التي تنتهي غالبا بأحداث ومشادات تتجاوز ساحة الملعب إلى الشوارع العامة، تعتمد فيها الفرق الرياضية العسكرية وأنصارها إلى التحريض والشتيم وترديد المعاني العنصرية، فهؤلاء العسكريون يتصيدون مثل هذه المناسبات للإساءة إلى المواطنين وإضعاف عزيمتهم وشل إرادتهم، حتى أن هذا السيناريو كان يتكرر في كل مقابلة².

فهل كان يجب أن يصم المواطنون آذانهم أمام هذه الاستفزازات؛ التي تصدر عن هذه المجموعات المسلحة؟ حتى لا تقع بين أيدي هذه الفرق العسكرية الصغيرة والتي لن تتورّع عن اختلاق مختلف أصناف المضايقة والاستفزاز، بل والضرب في أحيان كثيرة.

وقائع وشواهد كثيرة ظلت عالقة في أذهان العديد من اللاعبين والأنصار، وهي تشكّل دون شك محطات بارزة من التاريخ النضالي لأوملي الوادي، منها مايلي:

_ مباراة ساخنة جمعت بين فريق الأوملي وكتيبة المهاري العسكرية للعرق الشرقي، يتعرض أثناءها اللاعب المدافع سنيقرة عبد الرزاق إلى تهجم عسكريين أصاباه في ركبته، مما اضطره إلى الخروج من الملعب لكنه ظلّ مصرا على المواجهة ليصبح العسكري الأول: "اخرجوا هذا الفلاق"، وبضيف الثاني: "بناقص

1 _ SHDDE, 1 H 2565, (d.04), Op. Cit, p 04.

2 _ عزالدين زبيدي، اللقاء السابق.

واحد من الفلاقة".

— كان مخزومي السعيد مناصرا ملتزما للأولمبي، والذي يعادل وحده عددا كبيرا من المناصرين بما يرفعه من شعارات وما يثيره من حماسة في الجمهور الرياضي أثناء المقابلة، الأمر الذي يثير العسكريين ويزعجهم؛ فقاموا بمطاردته والحقاق به في شوارع المدينة وأودعوه سجن الثكنة وهددوه بالقمع ولكن دون جدوى¹.

— بعد أن تُوج فريق الأولمبي منتصرا على فريق كتيبة المهاري، أخذ الأطفال: هبيته البشير وأخوه صالح وعللي علي في رمي الحجارة على العسكريين، غير أن أمرهم انكشف بوشاية من أحد الحركي كان مندسا وسط الجمهور، فأخذوا من المدرسة واحتجزوا بالثكنة لمدة أربع وعشرين ساعة تعرضوا فيها لألوان من الشتائم والإهانات.

— على جدار كشك السيد نسري الواقع بشارع لايرين، توجد لوحة معلقة تسجل عليها نتائج مقابلات كرة القدم، وحدث أن انهزم الأولمبي أمام الكتيبة 401 بنتيجة هدفين مقابل صفر، وتعبيرا عن فرحتهم بالانتصار دخل العسكريون إلى حانة "الشهيلي" للمعمر الكورسيكي الفرنسي روبسكي مرسال وقاموا باحتساء الخمر محتفلين بالنصر، ثم خرجوا وهم في حالة سكر ليصوغوا العبارة المكتوبة على اللوح بالشكل التالي: "كتيبة 401 انتصرت على فلاقة وادي سوف اثنان مقابل صفر"².

— تكبد الأولمبي هزيمة ثقيلة تمثلت في 6 أهداف مقابل 1 خلال مقابلة خاضها ضد كتيبة العسكريين المجندين من إفريقية "السنغاليين" والتي عجز فيها مدافعو الأولمبي على صد الهجمات المتتالية للسنغاليين لما يمتلكونه من لياقة بدنية وقوة تحمل، وعلى رأسهم العملاق رفائيل الذي سجل بمفرده خمسة أهداف كاملة بتواطئ فاضح للحكم المنتمي لسلح الدرك، لقد كان النصر معدا له مسبقا والمؤامرة حيكت خيوطها، بل جُهزت حتى مراسيم الحفل، وعندما صقّر الحكم معلنا نهاية المقابلة كان الخصم على أهبة الاستعداد وسط الأهوازيج والفرحة الغامرة للذهاب إلى الثكنة لتناول الأنخاب تحت تأثير نشوة الانتصار، لكن مفاجأة وقعت عليهم كالصاعقة قلبت عرسهم مأتما وفرحتهم حزنا، ونعّصت عليهم يومهم حيث حطّت على أرضية الملعب مروحية عسكرية "بنانة" حاملة على متنها جثة ضابط عسكري

1_ محمد بوقطاية، المرجع السابق، ص 61 - 62.

2_ نفسه، ص 63.

قتل في كمين نصبه المجاهدون، فخيم الحزن على الفريق الخصم وأنصاره العسكريين الفرنسيين وكنتم أنصار الأولي فرحتهم بهذا النصر الكبير وهذه المنة الإلهية¹.

— تقمص ألوان الأولي بعض المدنيين الفرنسيين الذين عملوا على رفع مستواه وإنجاحه، عارضهم في ذلك العسكريون الفرنسيون المحكومون بدوافع عنصرية، وبالتالي لم ينج هؤلاء المدنيون من الشتائم، فكانوا يُلقبون بالمرتزقة والجبناء، وغير ذلك من الألقاب المهينة؛ خاصة اللاعب بول كوشوا (Paul Cauchois)²، الذي كان لاعباً بوسط الميدان، تم استهدافه في العديد من المرات داخل الملعب وتعرض لعدة هجمات غير رياضية تضطره أحياناً للخروج من ساحة الملعب جريماً أو مصاباً تحت صيحات العسكريين والأنصار الذين لا يراعون عن الحركات الفاحشة والكلام البذيء، لكن اللاعب بول كوشوا لم يخضع ولم يضعف³.

— خلال مقابلة جمعت الأولي بعسكريين من سلاح الطيران، كان لاعبو الأولي يرتدون قمصاناً مخططة بالأحمر والأبيض، فخطر ببال قائد فريق الأولي هبة عيسى أن يحمل شارة خضراء باعتباره قائد الفريق، وهذا حتى يوحي للعسكريين بألوان الراية الوطنية ولم يتفطنوا لذلك إلا في الشوط الثاني عندما أمر رجال المخابرات العسكرية قائد الفريق بنزع هذه الشارة وتغيير لونها، تم وصف قائد الفريق هبة بأنه خارج عن القانون وإرهابي أمضى مدة موقوفاً في مقر الدرك الفرنسي، بعد أن فاز الأولي بهذه المقابلة بنتيجة هدفين مقابل هدف⁴.

لقد تعرض لاعبو ومؤطرو ومحبو فريق أولي الوادي إلى مضايقات المستعمر المتكررة، غير أنهم عرفوا كيف يصمدون أمام تلك الاستفزازات بفضل شجاعتهم ووطنيتهم قاموا بمهمتهم بكل إخلاص، أطرو الشباب ومدوه بتربية وطنية ومدنية وغرسوا فيه حب الحرية والاعتناق.

أدخل نجوم الأولي الفرحة في قلوب الجموع الإسلامية؛ خاصة بعد انتصاراتهم المستمرة على جنود الفرق العسكرية للمستعمر، استغلوا ميادين كرة القدم ليعبروا عن وطنيتهم مع أن عدد منهم لم يكتف بذلك، بل حملوا السلاح وخاضوا أعنى المعارك ومنهم من التحق بقوافل الشهداء.

1_ عزالدين زبيدي، اللقاء السابق.

2_ مدير مدرسة الوسط للبنين، ومدير مدرسة التعليم العام والتعليم المهني.

3_ محمد بوقطاية، المرجع السابق، ص 64.

4_ نفسه، ص 66.

أما البعض الآخر فقد اختار البقاء في أوساط الشعب لمواصلة بث الوعي والروح المعادية للمستعمر، وآخرون فضلوا البقاء في الملاعب حتى ييثوا الحماس في أوساط الشباب كلما أتاحت لهم الفرصة ذلك.

2 _ لعبة الكرة الحديدية:

ما تجدر الإشارة له أيضا في هذا الإطار، هو استحداث فريق للكرة الحديدية سنة 1953 بالموازة مع فريق كرة القدم لأولمي الوادي، وقد أسندت رئاسة هذا الفريق للمرحوم محمودي رشيد ويتبع الفدرالية الفرنسية للكرة الحديدية، وكانت بطاقة انتمائه تحت رقم 1334¹.

عندما ظهر فريق الكرة الحديدية هذا، كان يتم تنظيم دورات ودية مع فريق المعلمين وكذلك نادي تقرت، أما المباريات والتدريبات فقد كانت تتم بملعب خاص بمكان ظليل بالحديقة العمومية جنوب فندق ترنزالنتيك²، والتي تجاور الحي الراقي الذي يقطنه الأوروبيون وكان يقع بمحاذاة المباني العمومية والمرافق الإدارية.

3 _ لعبة لاماريل:

لعبة أصلها من مرسيليا جنوب فرنسا، تمارس على أرضية مسطحة كالرصيف مثلا، حيث ترسم تسع مربعات؛ ضلع كل واحدة منها نصف متر تقريبا³، يلعبها الذكور والإناث على أن يكون عددهم من اثنين فأكثر، تقف اللاعبة على حافة الرسم ملتفة إلى الخلف وترمي بحجرتها وراء ظهرها؛ قاصدة رمي الحجرة داخل المربع المقصود؛ الذي يسمى بيتا، فكل مرة تجري قفزا من بيت إلى آخر على أن تتخطى البيت الذي فيه الحجر، إذا سقط الحجر الذي رموه اللاعبة بعيدا عن المربع المقصود أو سقطت خلال القفز تخسر وتفسح المجال لإحدى زميلاتها⁴، وغير هذه اللعبة كثير.

1 _ محمد بوقطاية، اللقاء السابق.

2 _ هذه الحديقة هُدمت وشيد فوقها بناية فندق سوف الحالي. كانت فضاء أخضر وميدانا فسيحا يحتوي على أشجار الزيتون والميموزا والأكاسيا والأثل والكاليتوس، تحاذيها ملاعب لكرة التنس وثلاثة مسابح. وبالجنوب منها يوجد ملعب للكرة الحديدية، وثان لكرة السلة، محاطان بمجموعة من الأشجار الخضراء. لقد كانت هذه الحديقة معلما طبيعيا بمدينة الوادي وزينة لها. يقصدها عشاق الرياضة ومحبو الطبيعة. لقد مثلت هذه الحديقة في يوم ما مفخرة لمدينة الوادي.

3 _ Simone Hugot: Enfance Saharienne, Bulletin de Liaison Saharienne, n°36, Décembre 1959, Imp LA TYPO-LITHO et J. CARBONEL, Alger, p 331.

4 _ Simone Hugot, Op. Cit, p 332.

ثانياً _ تحوّل الثقافة الشعبية:

لكل أمة موروّثها الثقافي الشعبي، الذي يسكن وجدان أفرادها ويعتبر مكون عقلها الباطني، ومن ثم فهو يؤثر ويوجه سلوكياتهم وإن كان بدرجات متفاوتة؛ سواء بصفة مباشرة أو غير مباشرة¹، ممثلاً لخلفية نفسية وفكرية في الحياة المعاصرة.

من هنا تتجلى أهمية الموروث الثقافي الشعبي وضرورة الانتباه إليه، والوقوف عنده بتوأدة وتأنّي، لأنه يمثل عمق هوية الأمة ومدخراتها التي لا تنضب؛ فعند المحن الكبرى تلوذ بموروّثها، لتستمد منه روح المقاومة، ومقومات الصمود والبقاء، لأن التجارب التاريخية أثبتت أن الثقافة المؤسساتية الرسمية تتلاشى أو تتقوّع على نفسها معبرة عن رأي نخبة مستلبة تكاد تكون معزولة عن روح مجتمعها؛ بمجرد تقويض المؤسسة الرسمية، بينما تصمد الثقافة الشفاهية ويصعب تقويضها، لما لها من مقومات الديمومة والبقاء وعدم اعتمادها على منابر محددة، إنما نجدتها حيثما وجد الشعب في البيت والمسجد والسوق والشارع وغيرها من أماكن².

الأدب الشعبي عموماً يعتبر رافداً أساسياً للثقافة الشعبية، بوصفه يمثل كل الأنماط الأدبية واللغوية لا سيما الجانب المنطوق من الفلكلور؛ وهذا الجانب تمثله الأساطير والشعر الشعبي والخرافات والألغاز والأمثال وغيرها. أما الجانب الثاني من الفلكلور فهو الممارسات الشعبية؛ أي الذي ينشد غالباً استخداماً فنياً للحركة مثل الرقص والألعاب الشعبية والطقوس والاحتفالات وغيرها³.

1 _ تحوّل أغراض الشعر الشعبي:

يعتبر الشعر الشعبي من أبرز مظاهر التراث الشفاهي الواسعة الانتشار التي أثرت الثقافة الشعبية بوادي سوف، إذ نجده كأحد مكونات وعي الجماعة وتبنته كأحد العناصر الأساسية لتراثها المتناقل شفاهياً؛ من أراجيز وأزجال وتعاويد النساء لأبنائهن وبناتهن، لهددتهن أو للتمني لهم بالخير أو لاستعازتهن من الشر، أو في حذاء الإبل أو تأبين الموتى، أو الأراجيز التي تُغنى إرتجالاً في أعمال البناء أو الفلاحة، أو في القصائد التي تنشد في الأعراس للإشادة بجمال النساء أو للتعبير عن تباريح المعاناة

1_ علي زغور: صياغات شعبية حول المعرفة والخصوبة والقدر، دار الأندلس، (د.ط)، بيروت، 1984، ص 09.

2_ أحمد زغب: أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، ج 4، مطبعة مزوار، ط 1، الوادي، 2013، ص 06.

3_ فوزي العنتيل: الفلكلور ما هو؟، دار المعارف، القاهرة، د ط، 1965، ص 67.

بسبب البعد أو الفراق، أو تنشد في المناسبات الدينية لتمجيد الذات الإلهية أو الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، أو لذكر مناقب الأولياء الصالحين وكراماتهم، أو تلك القصائد التي ينشدها شاعر مبدع للتعبير عن تجاربه الشخصية ثم يؤديها في مناسبات اجتماعية كأحد الأعراس على سبيل المثال؛ فإذا بها تلقى إعجاب المتلقين، فيلتقطونها ويحفظونها كل حسب قدراته، ويؤدونها كل حسب أسلوبه وغرضه من هذا الأداء، كل تلك الأشكال التعبيرية الشعرية التي تنشأ شفاهيا، ويتناقلها الناس من الفم إلى الأذن أمكننا أن نسميها الزجل الشعبي أو الشعر الشعبي¹.

المجتمع الجزائري؛ ومنه مجتمع وادي سوف لم يكن ليكف عن مختلف أشكال النضال منذ أن تلقى الصدمة الكبرى بثقافة الآخر، تلك الثقافة الغريبة عن هوية المجتمع السوفي؛ فوقف منها موقف الجسد الرافض للعضو الغريب، ومع أن الصدمة المتمثلة في الغزو الاستعماري والاحتلال قد قوّضت المؤسسة الرسمية، وفرضت مؤسساتها البديلة وثقافتها الوافدة، غير أن المجتمع لاذ بموروثه الثقافي يستمد منه روح المقاومة والنضال، لذا كانت أشكال التعبير قد مثلت تقريبا الإمكانية الوحيدة التي استخدمها الشعب إبان الاحتلال الفرنسي للتعبير عن واقعه، وتطور وعيه الجمعي والتعبير عن هويته الثقافية إزاء الآخر، مع ما بذلته الآلة الاجتماعية الاستعمارية لبث روح السلبية والاستكانة والتسليم بقضاء الله وقدره، ونشر جملة من الأمثال الشعبية التي تثبّت العزائم وتُضعف الهمم مثل: "صاحب السوء كان عفس عن جناحك قصه"، "طبس تخطاك"، "اللي خاف سلم"، "سلطان جاير ولا فتنة ومعاير"، "الفم لمسكر مايدخلش الذبان"، "أم الخواف لا تحزن لا تحاف"، وغيرها من الأمثال الانهزامية التي تدعو إلى الاستكانة لمنظومة الظلم والاستبداد وقبول الإهانة والذل والسكوت عن الحق، وتفضيل الوقوف في صف الظلم والطغيان على الوقوف في صف الحق والعدل وتحدي الخوف والتصدي للظلم.

لقد عبّر الشاعر الشعبي في وادي سوف قبل اندلاع الحرب التحريرية؛ عن سوء الأحوال الاجتماعية والاقتصادية، وحياة الذل والقهر والعبودية التي عاشها الشعب الجزائري عامة والسوفي بصفة خاصة، إضافة إلى ذلك تميزت بقسوة الطبيعة الصحراوية، ونمط المعيشة البدوي البسيط لأغلب السكان.

تلك الطبيعة القاسية التي اتسمت بالقحط والجفاف على مدار فصول السنة جعلت البدو وهم

1_ أحمد زغب: أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، ج 3، مطبعة مزوار، ط 1، الوادي، 2010، ص 23.

من يعولون على ما تجود به السماء من غيث كثيري التذمر، كثيري التوجه إلى الله بالابتهاال والدعاء أن ينزل عليهم الغيث النافع، وألا يكافئ عباده على معاصيهم¹.

وهو الأمر الذي عكسته أشعارهم قبل اندلاع الثورة، وكان أقصى ما يستطيع الشاعر التصريح به خوفاً من بطش السلطة الاستعمارية وأعوانها أن يردوا ذلك القحط إلى الفساد السياسي، وظلم الحكام ونادرا ما يصرحون بألفاظ تشير إلى الاستعمار مثل الكفار أو النصارى وغيرها، غير أنهم كانوا أكثر تجاسرا على انتقاد أعوانه من قياد وقضاة وعدول ممن استغلوا نفوذهم لزيادة الضغط على الشعب وارهاق كاهله بالأتاوى والرشاوى، وغيرها من المظالم التي فرضت على الرعية المغلوبة على أمرها، بل عدَّ بعض الشعراء ذلك القحط والجفاف عقابا من الله على طغيان الباطل وضياع الحق الذي أصبح بين أياد لا تخاف الله، فهاهو الشاعر إبراهيم بن السمينية يقول:

الباطل رقي عالحق مدّ ذراعه ***** وقووه ناس ما يخافوا الله

سقايد عن طول عمرهم طمّاعة ***** وين كلام السو تتلقاه

كما يصرح نفس الشاعر في موضع آخر، بأن سبب البلاء الذي عم البلاد والعباد؛ هم كبار الدولة الذين دأبوا على الفساد السياسي، كما أن حالة القهر والظلم التي يعانيها الشعب سببها أصحاب المسؤولية²، كل ذلك في معرض حديثه عن الجذب والقحط، يقول:

طلبناك يارب كريم المولى ***** واللي طلب الله ما يخياب

من عام لول لا شبحنا بلولة ***** يبست حطب والريح عنها ساب

ثم يصرّح الشاعر بالأسباب الكامنة وراء تلك الظروف المناخية والطبيعية الصعبة قائلا:

سباب قضاها من كبار الدولة ***** الباطل رقي والحق وبه غاب

1_ لقاء مع السيد علي بن عثمان جارية، بمنزله بحي النصر بلدية البيضاء، يوم 22 سبتمبر 2017، على الساعة الثامنة صباحا، المعني من مواليد البيضاء سنة 1928.

2_ أحمد زغب: دور الشعر الشفوي في النضال الوطني وثورة التحرير بمنطقة وادي سوف، مجلة البحوث والدراسات، جامعة الشهيد حمه لخضر، ع 1، أبريل 2004، ص 180.

القياد والقاضي معاه عدوله ***** يشقلبوا عن كل باب وباب

مولى الدراهم حاجته مفصولة ***** يثبتوله حقه عن غير صواب

واللي ماعطاش هذاك ساقط قوله ***** يديروه كذاب كيف لا ماجاب

كلمة الحق ماعادتش مقبولة ***** والحق وینه طار بيه غراب

ومع أن الشاعر الشعبي تسيطر على رؤيته للأحداث نظرة إقليمية ترتبط بواقعه والمحيط الذي يعيش وسطه¹، إلا أن ذلك لم يمنع بعض الشعراء من التصريح بأهل السياسة؛ وهم غالبا الاستعمار وأعوانه، الذين يشبههم أحد الشعراء بالذئاب التي تتحين الفرص للانقضاض على الفريسة التي هي الشعب الضعيف، حيث يصفهم كما يلي:

أهل السياسة ردّلو عاد حكمهم عنيف

يُختلو في الغافل كيف صنعة المذايب

يرخصو بالجيد ويركبو الوصيف

هاي جتكم دولة منها الرضيع شايب²

مع إدراك الشعراء لطبيعة الحكم الاستعماري الجائر، وإشاراتهم المختلفة إلى ذلك، فإنهم لم يتجرأوا على المواجهة الشعرية الباشرة. بقي التعبير عن قضايا البيئة المحلية، والارتباط بواقع الحياة اليومية هو السائد، ولم يترك المجال للتوسع في القضايا السياسية، كالحديث عن أهداف الاستعمار وفضح ممارساته، وإن لم يخلو الأمر من بعض الحالات الشاذة التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية خاصة، بفضل الوعي السياسي الذي بثته الحركة الوطنية في أوساط الشعب، مما جعل للشعراء رؤى أكثر عمقا وشمولا، فقد انتبهوا إلى كثير من القضايا التي لم تكن تشملها أشعارهم كالجهل والتخلف، فقد أبرز الشعراء الشعبيون أهمية هذين العاملين ومساهمتهما بقدر كبير في إبقاء الحال عما هو عليه؛ لذا وجبت محاربتهما من أجل

1_ التلي بن الشيخ: منطلقات التفكير في الأدب الشعبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص 11.

2_ علي بن عثمان جراية، اللقاء السابق.

التحرر، حيث يمكن أن نلاحظ وبوضوح تام كيف أن الشاعر الهادي جاب الله¹ وبمناسبة تأسيس فوج الرمال الكشفية سنة 1947² لم يكتف بوضع إصبعه على موضع الجرح؛ التفرقة والخرافات، بل يتطلع إلى سيادة اللغة العربية والتحرر وقيام دولة جزائرية إذ يقول:

شعب الجزائر يتعافى

من هالخرافة

والتفريق اللي فطرافه

تحيا جمعية الكشافة

والناس اللي يحبو الحرية

تحيا اللغة العربية

ويتجدد عهد الخلافة

تحيا الجزائر مجمولة

تولي دولة

بعلم إسلامي وهيلولة

كما نلمح وعيا سياسيا أكثر بطبيعة الاستعمار عند الشاعر نفسه، وهو يصور حالة البلاد تروح تحت حكم استعمار ينهب خيرات البلاد، وينكل بأهلها، ويعول الشاعر على رجال الوطن من أبنائه، الذين لا بد أن يقوموا بدورهم لتغيير الواقع المرير فيقول:

1_ هو الهادي جاب الله بن علي بن عبد القادر، ولد سنة 1882 بزاوية سيدي عبد الله بالوادي، نشأ في أسرة فقيرة، حفظ القرآن الكريم على يد والده، اضطرت الظروف القاسية أن يتغرب الشاب الهادي ويعمل مختلف الأعمال الشاقة لكسب لقمة العيش. ثم احترف التجارة بعد استقرار حالته المادية. ناصر الحركة الإصلاحية وتغنى بما في اشعاره، عاصر الشاعر الثورة التحريرية؛ ولم يفته تدوين أحداثها ويلهب حماس الشباب الثائر. توفي سنة 1978.

2_ عبد الحميد بسر: الحركة الكشفية الجزائرية بمنطقة وادي سوف 1947-1989، سامي للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، الوادي، جانفي 2022، ص 71.

الجزائر واش اللي بيك ***** اللي والا يتفحل فيك

الحاين ساكن وسط البيت ***** كِلا رزقك ويخاصم فيك

وليداتك فيهم رجالة ***** ما تشوفيشي للذلالة

البرانية يدو دالة ***** تقوم الشيبية وتحميك¹

وما إن لعل الرصاص ليلة أول نوفمبر المباركة، حتى نجد موقف الشاعر الشعبي في واد سوف يتحول 180 درجة، فالشاعر الذي عاش الفقر والجهل والتخلف والإضطهاد وحياة الخصاصة والبؤس، يصطف إلى جانب الثورة والثوار، حيث لم يكن له ما يخسره بسبب موقفه؛ فوجوده ضياع وحياته بلا معنى، والأمل الذي بقي له هو أن يحقق ذاته في الثورة ويجد نفسه في الواقع الجديد².

من هنا لم يتخلف الشاعر عن جموع الملتحقين بركب الثورة المسلحة، وقام يحرض الشباب على الالتحاق بصفوف المجاهدين في الجبال ويشيد بطولات الأبطال الشجعان.

الشاعرة فاطمة منصوري العلوانية التي بدأت تقرض الشعر مع اندلاع الثورة لتتوقف عنه بعد الإستقلال، وبسبب قصائدها التي تحت الشباب على التمرد وتمجيد بطولات الثوار، اعتقلت ثم زج بها في سجن لومبيز (تازولت) بباتنة ليطلق صراحها سنة 1957³.

لقد تمتنت لو كانت رجلا يخوض معترك الجهاد بقولها:

مترخص حالي ***** هازني حماس

متحير بالي ***** تمنيتني تراس

والعرك موالي ***** ندخل للمرداس

1_ أحمد زغب: الشعر الشعبي الجزائري من الإصلاح إلى الثورة، الهادي جاب الله نموذجاً (1882 – 1978)، مطبعة مزوار، ط 1، الوادي، ماي 2009، ص 55.

2_ التلي بن الشيخ: المرجع السابق، ص 11.

3_ أحمد حمدي: ديوان الشعر الشعبي، شعر الثورة المسلحة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، (د.ط)، الجزائر، 1996، ص 51.

ناري نطفيها ***** تتقعد ليام

وبلادي انجيها

وهذا الشاعر الشاب الكفيف محمد الصالح شاقور¹، يتمنى متحسرا لو يعود نور بصره ليلتحق بالمجاهدين، حيث قال:

تمنيتهن لشباح ***** نزوز المجايب واسعة وخلية

نلحق أولاد سماح ***** بيهم نصر الدين والحرية

قلبي يعود مرتاح ***** وتبرى امّا جمع ساكنة جواجية

بينما المجاهد الساسي حمادي² ومن تونس يقول:

الشعب جملة عالحرب مصمم ***** والحرب صبحت فرض فات السنة

الحرب صبحت واجب ***** عن كل من قادر يروح يحارب

غير جندو شبابنا والشايب ***** وتسلمحو باش لرض ترجع لنا

أموالنا نهديتها ***** وأرواحنا محال نبخل بيهها

لأجل السيادة ما نفرط فيها ***** استقلالنا لا بد يرجع لنا

دم الضحايا هو الضامن فيها ***** اللي استشهدو سكنوا فسيح الجنة¹

1_ هو محمد الصالح بن أحمد بن مبروك شاقور، ولد سنة 1931 في بادية الجديدة الشرقية إحدى قرى الديلة، لم ينل حظا من التعليم، فنشأ أميا فقيرا، فقد إحدى عينيه وهو ابن سبع سنوات. نشأ باحثا عن العمل ولقمة العيش من مكان إلى آخر. سافر عبر البر سنة 1956 إلى البقاع المقدسة. توفي سنة 2012.

2_ هو الساسي بن ابراهيم بن علي حمادي، ولد في صائفة 1930 بمنطقة دوار الماء الحدودية، من عائلة بدوية أصيلة منطقة النخلة، احترفت الفلاحة وغراسة النخيل بالحاضرة وتربية الماشية بالبادية. ورثت أسرة الساسي حمادي تعليم وتحفيظ القرآن الكريم. بدأ الشاعر حياته النضالية باهتمامه بالحركة الوطنية وتبع نشاطها ثم عضوا في جيش وجبهة التحرير الوطني غداة اندلاع الثورة التحريرية. استقى الشاعر منابع ثقافته من القرآن الكريم. وافته المنية يوم الجمعة 25 جويلية 1997.

كما صوّر أحد المجاهدين الشعراء الانتصارات المتتالية لجيش الطالب العربي في ملحمة جبل أم الكماكم على الحدود الجزائرية التونسية، ووصفه لضحايا العدو قائلاً:

أم الكماكم شايذة ومعلومة ***** فيها مسكن الثوار ديما ثم

في كل خمس أيام فيها خصومة ***** الوديان تجري حاملة بالدم

قداش من هي ميتة ***** وقداش ماتت من عبيد عجم

عساكر لفرنسيس روسها مقسومة ***** عن قد مانبت حجر وصم

شبعان فيهم الذيب للقرجومة ***** يقعد حول عام وهو يرم²

أما الشاعر الشعبي محمد الصالح بن منصور بجاق³ فيصف شدة وقوة معركة هود شيكة قائلاً:

رجال اللزم طلبوا الفرع يجيهم ***** جيش النصارى كاثرين عليهم

نهار الغارة ***** نهار غوط شيكه ما أكبره بزقارة

نهار الشيدة ***** نهار اللي جانا لا عاد يعيده

منين النخل طاحت غلته وجريده ***** نوبه كسيده والفرج ياتيهم

وتثني فاطمة منصوري على بطولات حمه لخضر ورفقائه المجاهدين وتشيد ببطولاتهم قائلة:

أولاد الجزائر تعلقو ***** في الوطن هزو الشيدة

لا يرهبو لا يذلو ***** لا تكيدهمش البعيدة

1_ محمد الصالح بن علي ومحمد نافع حمادي: الشاعر الشعبي الساسي حمادي، حياته ومختارات من أشعاره، دار الثقافة محمد الأمين العمودي، ط 1، الوادي، 2006، ص 23.

2_ لقاء مع المجاهد المولدي غربي (أحد أعضاء جيش التحرير الوطني)، بمنزله بحي العواشير بلدية الرباح، على الساعة العاشرة صباحاً من يوم 01 ماي 2021.

3_ هو محمد الصالح بن منصور بجاق، ولد سنة 1885 بالوادي الشرقية، أين كان قومه يرتحلون. نشأ محمد الصالح أمياً كبقية أطفال البادية، عمل برعي الغنم ثم امتلك النخيل واستقر في قرية الدريميني إلى أن توفي سنة 1962.

فيهم ولد بطل معلوم ***** للحرب رافع الحديد

ورجالته مسامياته ***** من زروقها اللمعية

والدم في لرض غدران ***** وديان تحمل بديدة

الله ينصرك عالكفار ***** والله يزيدك الهيبة

متوعدا الخونة من حركة وقومية الذين اقتفوا أثر المجاهدين ببلدة ورماس واصفا إياهم بالكلاب الغدرة،
يقول الشاعر بلقاسم بن محمود حشاني¹:

غاضوني كي عَدّو على ورماس ***** لحقوهم لكلاب الغدرة

اللي يتبع الجرّة ليه درياس ***** كواي نار المجارة

يبدوه بتقريض لماس ***** ويذوقوه الشط المراره

في نفس الوقت يشيد بما أعدّ الله للمجاهدين والشهداء يوم القيامة بقوله:

كل مجاهد على دينه يتقاس ***** في الجنة بنو دياره

بالفضة والذهب تلياس ***** وهور العين على حسن خياره

سواقي العسل والحليب لا يقرص ***** وبساتين حافلة بثماره²

وما إن لاحت تباشير النصر حتى أنشد مصباح بن عبد الله³:

ماكنتش حساب ليها كيف تحد ***** لثنين وستين مارس جا بشار

1_ هو بلقاسم بن محمود حشاني، ولد بكوينين سنة 1908، حفظ نصيبا من القرآن الكريم، اشتغل بالفلاحة والبناء، كما امتاز بالعرف الفلاحي (قدام)، نشأ يقرض الشعر منذ صغره ويحفظ عن المداحين، توفي سنة 1996.

2_ أحمد زغب: أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، ج 4، المرجع السابق، ص 37.

3_ هو مصباح بن بلقاسم بن عبد الله، ولد بالرقبية سنة 1930، كان والده إماما ومقدما للزاوية، حفظ ما تيسر من القرآن على يد والده، غير أن ظروف الحياة أجبرته على العمل بالفلاحة، قال أول شعره وعمره 15 سنة بسبب تأثره بأحداث الثامن من ماي 1945. توفي سنة 2002.

فقدنا الشهيد في الجنة مخلص ***** عاهدنا بالثار نحو الاستعمار

ونصرنا الإله على كل ضد ***** واخذل الإله هالقوم الفجار

وصدح الهادي جاب الله منشدا:

دزائر زال عليك الهم ***** وباسمك هزينا لعلم

هزينا علامك ***** كان فرحتي لا من لامك

شوفي خيراتك قدامك ***** بل وبقرية وغنم

تل وصحراتك وارسامك ***** واسمك في هيئة الأمم¹

هكذا سار الشعر الشعبي في وادي سوف جنبا إلى جنب مع قضايا الوطن، يعكس أحوال الشعب، وتبرّؤه من الظلم والاضطهاد، ومهد لضرورة العمل على تغيير الواقع، ليشهد تحولا جذريا مع بداية أحداث الثورة التحريرية، بتبنيها قولاً وفعلاً منذ انطلاق أول رصاصة معلنة نهاية حقبة الخنوع والاستكانة، وبداية عهد الكفاح من أجل نيل الحرية والاستقلال، ساير وعاش مختلف أحداث الثورة وآزرها وتغنى بأمجادها وانتصاراتها، كما كانت الثورة بدورها عنصراً هاماً في توسيع مدارك الشعراء وإثراء شعرهم وتعميق نظرهم للقضايا الوطنية.

2 _ الحكايات الشعبية:

الحكواتي هو أحد الشخصيات التي يزخر بها الموروث الشعبي السوفي؛ يتفاعل معه السامع وفقاً لما يقدمه من مادة حكائية، فهو لا يكتف بسرد أحداث الحكاية فحسب على مسامع الجمهور؛ بل يتفاعل معهم من خلال تجسيد أدوار الشخصية التي يحكيها بصوته وحركاته الجسدية، وما يميز الحكواتي هو تلك القيم والفضائل والأدوار التي يبتثها من خلال شخصيات مرويّاته؛ فكانت تغذي العقول قبل النفوس.

الحكاية لم يقتصر دورها على الجانب الترفيهي والمتعة فقط، بل تجلّى في أدوار ووظائف أخرى

1_ أحمد زغب: الشعر الشعبي الجزائري من الإصلاح إلى الثورة، المرجع السابق، ص 101.

متعددة تمررها من خلال نصوصها لنقل المعارف بطريقة مباشرة حيناً وغير مباشرة أحياناً أخرى، كما تتم بجوهر الحقائق الاجتماعية والتربوية والأخلاقية، ومن بين أهم الوظائف التي أدتها الحكاية الشعبية وكان لها من خلالها تأثير كبير على المتابعين من المجتمع السوفي؛ نجد مايلي:

__ الوظيفة النفسية: وهي وظيفة بيولوجية تنفس مكبوتات الفرد؛ لأنها تخفف عن النفس ثقل آلام الواقع الاستعماري وقساوته والمعاناة اليومية للفرد السوفي¹.

__ التسلية والترفيه: ساهمت الحكاية الشعبية في إسعاد الناس بالقضاء على أوقات الفراغ المملة والطويلة، وذلك بجلوس المستمعين للإنصات لحكايات شائعة وممتعة حافلة بالأحداث المثيرة والنوادر والطرائف المسلية².

__ الوظيفة التعليمية التربوية: فقد حملت الحكاية الشعبية قيم التوجيه والإرشاد إلى السبل المثلى، ودعت إلى مثل التعاون والسعي إلى الخير ونبد الشر، لتساعد بذلك على السمو بسلوك الإنسان وعاداته واتجاهاته، وتعمل على تعديل وتقويم طباعه وغرائزه.

__ الوظيفة التثقيفية: وذلك بتثقيف الفرد بما تحمله من قيم حضارية وإرث ثقافي للأجيال السابقة لتنتقلها للأجيال الحالية؛ كعادات الملبس والمأكل والمشرب والأعمال اليومية المختلفة، وتغرس فيهم روح الأمل والطموح وقهر المستحيل، لذلك اعتبرت الحكاية مصدر تثقيفي بامتياز³، ومن أشهر الحكواتيين الذين عرفتهم وادي سوف خلال هذه الفترة؛ قدور بوحبيكة⁴ والعبد النوبلي، فلطالما شهد سوق الوادي حضور ملفت لحلقاتهم، فهما شخصيتان مرحتان عرفتا بغزواتهما الهادفة ودورها الفعال في تحريض الشعب ضد المستعمر وتشجيعه للانضمام لصفوف المجاهدين.

وكأنموذج سنسلط الضوء على الحكواتي قدور بوحبيكة، حيث يقصد قدور ساحة سوق الوادي

1 _ سعيد محمد: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، (د ط)، 1998، ص 67.

2 _ ثريا التجاني: دراسة اجتماعية لغوية للقصة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري، وادي سوف أنموذجا، (د.ط)، دار هومة، 1998، ص 34.

3 _ عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة، دراسة ميدانية، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د.ط)، الجزائر، 1986، ص 15.

4 _ هو عبد القادر بن سالم قليدة، ولد بقرية البهيمية سنة 1896، غير أنه عرف بقدور السوفي أو قدور بوحباكه، وسمي بذلك لحبكه في سرد الحكايات. حفظ في صغره أجزاء من القرآن الكريم، غير أنه انقطع عن الحفظ بسبب وفاة والده، ليساعده والدته في كسب لقمة العيش. حفظ كثير من الغزوات والمدائح. زار عدة مناطق من الجزائر مثل: بسكرة وقسنطينة وغيرها. كما كانت له فرصة لزيارة المغرب الأقصى. توفي يوم 12 أفريل 1983. يُنظر، أحمد زغب: العازف بالربابة، الأدوار الاجتماعية والثقافية للغزوة الشفاهية، مطبعة الرمال، ط 1، 2016، ص ص 82 – 83.

مرتديا اللباس التقليدي السوفي المتمثل في القدورة العريضة البيضاء ذات الرقبة الواسعة والتي صُممت خصيصا لتلائم مع جو الصحراء الحار، ويضع على رأسه شاش يلفه ويترك جزء ينسدل على صدره وفي الشتاء يضيف القشابية لتقيه البرد القارس، ويحمل بيده ربابة بها أربعة أوتار، يتجمع حوله مجموعة من الشباب والكهول يستمعون لأدائه¹.

كان لقدور لونا ونزعة مختلفة وجمهورا مختلفا أيضا إذ كان أكثر زاده القصص والأخبار من الواقع الاجتماعي بحكم تجاربه الكثيرة وتنقلاته وأسفاره، وكان يطعم حلقاته بدروس من الواقع فيها كثير من النكت والطرائف، لذا يرتاد حلقاته الشباب ومتوسطو العمر أكثر من الشيوخ وكبار السن.

لما يجتمع الناس حوله يبدأ في الأناشيد الدينية كالصلاة على النبي وتمجيد الصحابة والحث على فعل الخير رفقة العزف على الربابة، وبعد المقدمة التي غالبا ما تكون متشابهة في موضوعاتها ومعزوفاتها من نحو:

اللهم صلّ على محمد قد الریش اللي في لطيّار

اللهم صلّ على النبي ثابت لقوار

الحايز كل كمال

مولی الخاتم في الضياء كي نور هلال

يأخذ في السرد واقفا أو متحركا يمينا وشمالا، محاولا تقمص شخوص الحكاية مغيرا صوته حسب مقتضيات السرد، مستعملا الصورة الصوتية ولغة الجسد؛ حتى يشد إليه جمهور المستمعين.

ومما يختلف فيه قدور بوحبيكة عن العيد النوبلي أنه لا يستجدي المال من المستمعين، بل دائم التذكير بأنه غني عنهم وعن أموالهم، إلا من دفع عن طيب خاطر².

اشتهر قدور بدوره التوعوي والتحريض على كراهية الاستعمار وأعدائه وفضح ممارساته، عن طريق

1_ علي بن عثمان جرایة، اللقاء السابق.

2_ عبد الكريم شتحنونة، اللقاء السابق.

التوظيف الفني لحكايات الصحابة رضوان الله عليهم والكفار، في عملية إسقاط من الزمن الماضي على الواقع الحالي عن طريق بعض القرائن، ويطلق على الكفار تسميات للمعمرين كالروامة والنصارى، كما يجعل شخوصه من كفار قريش يتحدثون اللغة الفرنسية، وعندما يصف مظهرهم الخارجي يلبسهم نفس لباس المعمر الأوروبي؛ البرنيطة والفيسته وسروال بوطويل على حد قوله. والمستمع لم يكن مسلوب العقل حتى لا يفهم تلميحات قدور، يذهب به الحال أحيانا إلى تصوير مشهد صوتي لحيوانات ممسوخة كالقردة والخنازير ويجعلها تتكلم فرنسية مكسرة في مشهد مثير للسخرية، ثم يصور مشهدا آخر للمجاهدين في سبيل الله يتلون آيات الجهاد ويسعون للاستشهاد من أجل إعلاء كلمة الله، فتسيل دموع المتابعين تأثرا بالواقع الأليم الذي يعيشه الشعب الجزائري¹.

وحتى لا يكون هدفا مباشرا للسلطات الاستعمارية وأعوانها، كان كثير الاستطرد بلجوئه مثلا إلى أبيات غزلية تصف الخند والقند والشعر وغيرها، لا سيما حين يتناول بعض الحكايا الغرامية، كما يعمل على إرضاء جمهوره باستخدام مواهبه في الغناء أو الخروج عن الموضوع الرئيس إلى موضوع هامشي يزيل الملل ويرفع عنصر التشويق.

مع ذلك، كان عرضة للاعتقال والسجن في العديد من المرات بسبب حكاياته المناهضة للاحتلال والداعمة للثورة والجهاد في سبيل الله، فكان كل مرة ينكر صلة حكاياته بالواقع الحالي؛ إنما ينقل حكايات قديمة وهو غير مسؤول عن تأويل عيون الاستعمار لهذه الحكايات، سجن زمنا ثم أفرج عنه مع منعه عن سرد الأخبار ورواية الحكايات².

__ المبحث الثالث: مجالات تحوّل السلوك اليومي في وادي سوف:

أولا __ مظاهر التحوّل في عادات الطّعام واللبّاس:

من مجالات التحوّل التي أمكن رصدها مايلي:

1_ أحمد زغب: العازف بالربابة، ص ص 18 – 19.

2_ عبد الكريم شتحنونة، اللقاء السابق.

1 _ الطعام:

كان أهل الصحراء يأكلون أنواعا معينة من الطعام في الماضي وقد اختفى الكثير منها، وإذا كانت الصحراء تتميز بزراعة النخيل فإن الاعتماد الأساسي كان على ثمارها، وقد عرف منذ القديم على أهل سوف بأنهم يخزنون التمور في أبنية يطلقون عليها الخوابي، حيث تحتفظ على التمر سليما من التعفن والجراثيم صالحا لاستهلاك في كل وقت¹.

لكن التحول طرأ في نوع الأطعمة التي أصبح يتناولها المجتمع، فإذا كان التمر هو الغذاء الرئيسي خاصة في فصل الخريف حيث قلما تخلو مائدة منه، فإن الكسكسي هو وجبة العشاء الرئيسية لدى أغلب العائلات السوفية، المجتمع حاليا يشهد تغيرا في أطعمته، لقد أصبحت المقرونة والأرز والمرق والمقليات من بين الوجبات المفضلة لدى السوفيات.

بالإضافة إلى عدة أصناف تقليدية من الأطعمة المختلفة لازالت سائدة إلى اليوم؛ منها المطابق ويعرفها البدو باسم خبزة الملة، ويسمونها في بعض المناطق المحجوبة، ومنها الشخشوخة والدوبارة والسقة بشتى أنواعها.

وتلتقي المجتمعات الصحراوية كلها تقريبا في تناول مشروب الشاي الذي توارثته الأجيال الصحراوية منذ القديم وظل سائدا إلى اليوم، بالإضافة إلى المشروبات الأخرى منها التقليدي كاللاقي ومنها الذي دخل حديثا كالمشروبات الغازية والعصائر المصبرة العادية والمركزة، في قارورات ذات 75 سل وأقل منها².

في المجتمع السوفي تنتشر عادة التدخين، إذ أن المنطقة عرفت منذ عهود غابرة زراعة التبغ خاصة بناحية قمار وما حولها من قرى، حيث كان المنتج الذي يحتل المرتبة الثانية بعد التمور، ومن هذا التبغ ما يتم طحنه جيدا ويسمى الشمة أو النقة والتي تستعمل عن طريق وضعها تحت الشارب أو عن طريق

1 _Dermenghem, E: Le Souf, pays étrange et magnifique, Sciences et Voyages, n° 39, Mars 1949, p 86.

2 _ حسان الجيلاني: التغير الثقافي في المجتمع الصحراوي - وادي سوف أمودجا -، مجلة البحوث والدراسات، العدد التاسع، السنة السابعة، المركز الجامعي الوادي، يناير 2010، ص 168.

الشم، والذي لم يطحن جيدا يسمى العرعار ولا زالت أسواق الوادي تشهد انتشارا لهذه الأنواع من التبغ التقليدي، وتجد إقبالا ظاهرا عليها حتى مع منافسة التبغ الحديث لها، هذا الأخير يباع بسعر مقنن ومن أنواعه السيليا الصفراء والبيضاء والباستوس وتميز باستهلاكه الشباب والمهاجرين ناهيك عن الأوربيين¹، ومن أهم التغيرات التي طرأت على مختلف الوجبات أمكن ملاحظة ما يلي:

أ _ فطور الصباح: بدل ما كانت وجبة فطور الصباح عبارة عن شاي وبعض الطعام المتبقي من عشاء ليلة البارحة إن وجد، تحوّلت الوجبة إلى ضرورة تناول الحليب وعند كثير من الأسر خاصة الحضرية يمزج الحليب بالقهوة مع بعض الخبز المقتنى من المخازن، بالإضافة إلى شيء من الزبدة أو البيض أو زيت الزيتون لا سيما بالنسبة للعائلات الميسورة²، وهذا راجع للتحوّل الذي حدث على مستوى البناء الاجتماعي العام الذي أضحى يتطلع نحو التحضر نتيجة تحسن الدخل لدى العديد من الأسر.

وما تجدر الإشارة إليه أن معظم العائلات السوفية تمتنع عن تناول الحليب خلال فصل الصيف، لأنه حسبهم لا يروق لهم صبيحة الأيام الصيفية، ويعوض بالشاي مما يعني أن البيئة الطبيعية لها دور في هذا الأمر³، إلى جانب ذلك هناك عائلات تقطن القرى الصغيرة والفقيرة لا تتناول وجبة فطور الصباح على مدار السنة.

ونظرا لظهور الهندسة الحضرية للسكن وتحضر بعض العائلات جعلها تتخلى عن تربية الماعز داخل منازلها، الأمر الذي فسح المجال لبداية ظهور استهلاك الحليب الصناعي الجاف الذي كان استهلاكه حكرا عن الثكنات العسكرية أو التجمعات البترولية أو على مستوى بعض المدارس التي توزعه على تلاميذها صباحا⁴.

ب _ وجبة الغداء: تتغير نوعية وجبة الغداء في سوف من فصل إلى آخر، تبعا لتغير الطقس هناك أكلات تستساغ خلال الفصل البارد وأخرى تفضل عند الحرارة، في فصل الصيف يميل السوفي إلى

1 _ J. de Menses, Op. Cit, p 97.

2 _ Chalumeau. P: Traditions du Souf, Bulletin de Liaison Saharienne, n°8, Alger, février 1952, p 48.

3 _ SHDDE, 1 H 2106, Op. Cit, p 25.

4 _ Chalumeau. P, Op. Cit, p 48.

تناول الوجبات الباردة، فيكثر من تناول تمر الغرس والحليب، وذلك لتحمل الغرس للتصبير مدة طويلة؛ وإذا ظهر الرطب (المنقر) فيترك تمر الغرس جانبا، وهي وجبة لم تتغير بل ظلت كما هي عليه¹، حيث تؤكل قبل الغذاء مباشرة ثم تليها الوجبة الأساسية؛ التي تتمثل في بعض الأغذية التي تعود عليها المجتمع، مثل التركيز على الخضروات كالطماطم الطبيعية وبعض الفلفل مع شيء من زيت الزيتون والخل أو عصير الليمون أو بعض المعجنات التي دخلت حديثا كالمعكرونة، والابتعاد عن الأكلات التقليدية الخفيفة كالرضخة والدوبارة والشرمونة والدشيشة وغيرها، بعد الوجبة الرئيسية جرت العادة تناول الفاكهة وعلى الأرجح تكون بطيخا أحمر مما يضيفي برودة على المعدة.

ومن الكيفيات والوجبات التي لم تكن معروفة سابقا، بل هي حديثة الدخول في العادات الغذائية لأهل سوف لا سيما عن طريق تونس والمناطق الشمالية للجزائر، نجد منها:

— الشكشوكة: هي عبارة عن قلي مجموعة من الخضار الموسمية؛ يكون البصل مكونا أساسيا وغالبا فيها، يكثر استهلاكه في ذلك الفصل بشكل كبير، هذه الأكلة تتناول مع الخبز المقتنى من المخبزة أو مع الكسرة التقليدية المصنوعة في المنزل.

— السَّلطة: هذا الطبق لم يكن موجودا على الإطلاق في المائدة السوفية، هي حديثة العهد بالمنطقة خصوصا سلطة الخس؛ التي لم تكن معهودة التواجد في سوف أو أسواقها، أما السلطة الأكثر شيوعا في سوف فهي تلك التي يكون الفقوس² مكونها الرئيس، حيث يقطع إلى أجزاء صغيرة ويضاف إليه الطماطم والفلفل الحار بالإضافة إلى بعض الخل للحموضة مع قليل من زيت الزيتون، تؤكل هذه الوجبة على اعتبارها غذاء كاملا مع الخبز أو الكسرة³.

— المرسّة: أكلة اعتادها المجتمع السوفي، تؤكل مع الكسرة عادة تتكون من نوعين من الخضار،

1 _ Ferry. J, Le Souf, Op. Cit, p 17.

2 _ الفقوس: هو عبارة عن منتج من الفاكهة المحلية، يشبه الخيار. إذا تم جنيه مبكرا وصغير الحجم يسمى فقوس، أما إذا ترك حتى يكبر حجمه وينضج فيصبح بطيخا، يجده سكان المنطقة خاصة كبار السن منهم، لأنه لا يحتاج إلى أسنان لمضغه.

3 _ محمد بن عماره: تأثيرات أنماط البيئة في تغيير العادات الاجتماعية الغذائية - دراسة ميدانية بصحراء وادي سوف -، أطروحة دكتوراه مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في علم اجتماع البيئة، إشراف د. حسان الجيلاني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بيسكرة، 2014 - 2015، ص 200.

الطماطم كمادة أساسية والفلفل الحار بنسبة قليلة، مع شيء من ملح الطعام وكمية من الزيت، تعتبر خفيفة على البطن وباردة بحيث تعمل على إطفاء حرارة سكر تمر الغرس الذي تم تناوله قبلها.

— الرّضخة: هي أيضا من الأكلات الباردة على البطن ولا تتطلب النضج على النار، تمتاز بسرعة التحضير وبساطة مكوناتها، يتم تحضيرها عن طريق طحن في مهراس العود كمية من الفرماس بعد تنظيفه ونزع نواته¹، مع كمية من الثوم والفلفل الأحمر المجفف والماء والملح وزيت الزيتون وتُقدم كوجبة مع الكسرة.

أما في فصل البرودة فيركزون في العادة على الأكلات الثقيلة، فيتناولون الحبوب كالعدس والفاصوليا إلى جانب الأكلات الساخنة المحلية وجملة من العجائن يأتي على رأسها الكسكسي، وبعض العائلات الميسورة تضيف الأرز، كما هناك بعض الكيفيات الأخرى الموروثة عن الأجداد مثل المطاييق والبركوكش إلى جانب الدشيشة والحساء².

ت _ وجبة العشاء: إنها إحدى الوجبات الأساسية التي تعود عليها المجتمع السوفي، فمع التحول الذي طرأ على نوعية الوجبة، إلا أنه ظل للوجبة مكانة مهمة عند المجتمع، تحرص الأمهات على تقديم العشاء للأطفال قبل نومهم وإذا حدث ذلك نجدها تتحسر ولا تنام مطمئنة تلك الليلة، وقد تلجأ في معظم الأحيان إلى إيقاظهم لتناول وجبتهم وترتاح بعد ذلك³.

فيما يتعلق بوقت وجبة العشاء، فقد تعود المجتمع على تناولها في وقتين متباينين، بعد صلاة المغرب أو بعد صلاة العشاء، الأغلبية تعودت على تناول العشاء بعد صلاة المغرب؛ أي عند الانتهاء من جميع الأشغال اليومية، ويكون جميع أفراد العائلة قد التحقوا بالبيت عكس وجبة الغداء التي لا يحضرها الجميع، ومن العادات الاجتماعية اجتماع كل العائلة حول ماعون الطعام والكل يأكل منه، فقط عند العائلات الممتدة ولكثرة عددها ينفصل الرجال عن النساء والأطفال⁴، عكس السنوات

1 _ الفرماس: هو المشمش المجفف تقليديا، يمنح الحموضة للطعام، يتحمل التصبير لمدة طويلة.

2 _ SHDDE, 1 H 2106, Op. Cit, p 25.

3 _ Simone Hugot, Op. Cit, p 329.

4 _ Paléo. D, Op. Cit, p 220.

الماضية حيث كان من المحال أن تأكل الزوجة في نفس الإناء مع زوجها مهما كانت الظروف، مع تسجيل انتشار تناول الوجبات فوق الموائد واستعمال الملاعق خلافا لما كانت عليه سابقا.

ومن الأسباب أيضا التي تبرر تفضيل هذا التوقيت لتناول وجبة العشاء، هو ممارسة الأعمال الفلاحية التي تتطلب الاستيقاظ باكرا، وحتى إن لم تكن تلك العائلات لديها اهتمامات فلاحية، تكون تلك العادة قد ترسخت فيها عن طريق التشبث الاجتماعية حينما كانت تمارس النشاط الزراعي¹، كما أن اختيار هذا التوقيت يعتبر الأنسب من أجل إعطاء الوقت الكاف للجسم لهضم الطعام قبل النوم.

فيما يخص اختلاف الفصول، فإن وجبة العشاء تكون مناسبة إذا كانت باكرا صيفا؛ بحكم طول ساعات النهار وتباعد وجبة الغداء عن العشاء، عكس الشتاء لما تقصر ساعات النهار فإن العشاء يمكن تأخيره لأن الليل طويل ويكون السهر بعد العشاء مستساغا.

المجتمع السوفي غير من نوعية وجبة العشاء التي كانت سائدة قبل هذا العهد، والتي تمثلت حصرا في الكسكسي بنسبة عالية جدا تكاد تكون مطلقة، أما حاليا فإن هذا النوع من الغذاء تراجع إلى حد بعيد على ما كان عليه في الماضي، والعائلات التي بقيت محافظة على عادة تناول الكسكسي ليلا هي الأسر التي فيها الشيوخ والعجائز وكبار السن عموما، والعكس صحيح؛ العائلات التي يقل فيها كبار السن يقل فيها استهلاك الكسكسي في وجبة العشاء، فبعد أن كان سائدا أن من لم يتعش بالكسكسي لا يعتبر نفسه قد تعشى إذا لم يتناوله، ساد مفهوم عدم الإثقال عن البطن ومن الواجب تناول الوجبات الخفيفة ليلا، فتصدّرت العجائن العشاء السوفي لاعتقاد المجتمع أنها وجبات خفيفة صيفا وشتاء، أما الخضروات فقد جاءت في المرتبة الثانية خاصة تلك التي تُنتج محليا².

كما ظلت بعض الأكلات التقليدية سائدة أيضا في وجبة العشاء خاصة المطاييق، التي ظلت مرتبطة بعادات الأجداد في ظل تراجع استهلاك الدشيشة والبركوكش والعصيدة ليلا، أما الحبوب فكانت

1 _ Ferry. J, Le Souf, Op. Cit, p 17.

2 _ Penaut. Y: Une enquête sur l'alimentation quotidienne chez les soufis, Les Cahiers d'Outre-Mer, n° 52, Avril 1962, Bordeaux, p 239.

نسبة تناولها عند العشاء في المستوى الأخير، ولم تحوز على اهتمام السوفي في هذه العادة الاجتماعية¹.

عموما، التحول طرأ على نوع الأطعمة التي أضحى يتناولها المجتمع، فإذا كان تمر الغرس هو الغذاء الرئيسي؛ والكسكسي هو وجبة العشاء الأساسية لدى المجتمع السوفي، فإن المعكرونة والمرق وبعض المقلبات وخبز المخبزة؛ أنواع من الأطعمة دخلت حديثا على العادات الغذائية للسوفي، بحكم أن التحول الواضح نحو الحضرية أضعف نسبة الإقبال على الأطعمة التقليدية وسط المجتمع السوفي، وهو ما يحيل إلى تراجع المكانة التقليدية التي كانت تحتلها الأكلات الشعبية في حياة أهالي سوف، في الوقت نفسه حافظ المجتمع على سيادة الكسكسي على سبيل المثال وتربعه على عرش الأكلات خلال المناسبات الكبرى كولاتم الزواج، والميلاد، والعقيقة، وعشاء الميّت، وبعض الأعياد التقليدية كعاشوراء ورجب وشعبان وغيرها، أما العصيدة فظلت الأكلة المفضّلة عند إحياء مناسبة المولد النبوي الشريف.

ث _ وجبات ثانوية: هي وجبات تتخلل الوجبات الأساسية المعتادة؛ منها ما بقيت كما هي عليه ومنها ما غاب تماما عن العادات الغذائية اليومية في وادي سوف، فوجبة تناول تمر الغرس مع الحليب التي كانت شبه معتادة في السابق خلال فترة الضحى، تقلّصت إلى حد كبير وألحقت بوجبة الغذاء عند أغلب العائلات، نسبة ضئيلة من الأسر التي تعودت على هذه الوجبة يوميا عند الضحى، وهي العائلات التي فيها شيخ كبير وزوجته ومعهم بعض البنات الغير متزوجات، وبصفة أدق الوجبة تعني أفراد الأسرة الغير عاملين أو الشيوخ المقعدين والأطفال الغير متمدرسين، أما الشباب العامل فعادة ما يكون عند الضحى في مكان عمله، حيث لا وقت لديه لتناول مثل هذه الوجبة، مع استثناء العاملين بالفلاحة أو ورشات البناء، فقد يقتصر أكلهم على تمر الغرس فقط دون حليب، أما إذا كان العامل منخرطا في إحدى القطاعات العمومية كالإدارة أو الجيش فأقصى ما قد يتناوله العامل خلال أداء مهامه كأس من الشاي فقط².

هذا الأمر يحيلنا على ملاحظة مهمة، وهي أن التحول على مستوى البيئة الداخلية للمجتمع عمل على تقليص هذه العادة الغذائية التي كانت سائدة فيما مضى، وهذا بسبب تحول النشاط

1_ محمد بن عماره، المرجع السابق، ص ص 203 – 206.

2_Penaut. Y, Op. Cit, p 240.

الاقتصادي الرئيسي من الرعي والفلاحة إلى ممارسة الأعمال الإدارية والتجارية والانخراط ضمن مختلف الفرق العسكرية والتحاق الأطفال بمقاعد الدراسة¹.

عندما يحضر أغلب أفراد العائلة بعد صلاة العصر وانتهاء فترة العمل، تلتف العائلة في جلسة لتناول الشاي مع تبادل أطراف الحديث وبعض المرح الذي يتخلل الجلسة، فهي فرصة للمحافظة على الروابط الأسرية ومناقشة ما يعني الأسرة من أمور مختلفة، إنها عادة قديمة بقيت سائدة عند أغلب العائلات خلال هذه الفترة².

ج _ الفواكه: المجتمع السوفي لا يعتبر مختلف أنواع التمور من ضمن الفواكه، كما هو سائد شمال الجزائر؛ حيث يعتبره غذاء أساسيا، وله مكانة مرموقة جدا تصل درجة القداسة عند كبار السن خاصة قبل هذه الفترة كانت الفاكهة تقتصر على ما تنتجه أرض سوف من أنواع محلية كالدلاع أو ما يعرف محليا بالبطيخ، وهي أنواع موسمية تقتصر على فصل الصيف فقط، وهي لا تعتبر ضرورية عند عموم المجتمع، خاصة لدى البدو الرحل الذين لا تسمح طبيعة نشاطهم بنقل الفاكهة من مكان لآخر، ولا يمكن أن يُحفظ بهذه المواد لمدة طويلة، وحتى مع اندلاع الثورة التحريرية وزيادة عدد الأوربيين بالمنطقة لم يطرأ تقريبا تغير يذكر ماعدا ظهور منتج فاكهة البرتقال في الأسواق المحلية شتاء، حيث أصبح يُجلب من المناطق الشمالية على الشاحنات، بفضل الانتشار النسبي للشاحنة في المنطقة وتحسن حالة الطرق من جهة وظهور موردين لمثل هذه السلع من جهة أخرى، مع ذلك يبقى انتشار تناول فاكهة البرتقال في وادي سوف نسبي ومحدود، بحكم اقتصار اقتنائه على فئة مجتمعية محدودة، أما بقية فئات المجتمع فلا تستطيع ذلك لغلاء ثمنه³.

2 _ أدوات الطبخ والأواني:

لقد غزت المطبخ السوفي في المدة الأخيرة الكثير من الأدوات والأواني المختلفة الأشكال والأنواع والأحجام سواء أكان صحن أو طبق أو قصعة أو طجين وغيرها من الأواني المستعملة خلال الإعداد

1_ SHDDE, 1 H 2106, Op. Cit, p 26.

2_ حسان الجيلاني: التغير الثقافي في المجتمع الصحراوي، المرجع السابق، ص 168.

3_ Penaut. Y, Op. Cit, p 241.

اليومي للغذاء، كما شاع استعمال الملاعق بشكل واسع، وإذا كان المجتمع يخزن الخضّر والفواكه واللحوم بطرق تقليدية وفي الأماكن الباردة، فقد تُبلّل بعض الخرق وتوضع فوقها حتى لا تتعفن بفعل درجة الحرارة، وكان الماء يُحفظ في القربة والقُلة والزير¹، فبرزت خلال السنوات الأخيرة وإن كان ذلك باحتشام وبصفة محدودة الثلاجة التي تعمل بقدارورة الغاز، هذه الأخيرة التي أخذت في الانتشار كذلك وتغزو البيوت رويدا رويدا كمصدر للطاقة بدل الحطب²، كما أصبحت غرف هواء العجلات المطاطية التي لم تعد صالحة للاستعمال، تستخدم كخزان لحفظ الماء إضافة للقرب.

برزت للوجود أيضا أنواع عديدة من الأطعمة المصنّعة وأنواع من الأجبان ومعجون الفواكه وغيرها.

ما يلاحظ خلال هذه الفترة أيضا تداول كلمات فرنسية مكسّرة وأصبحت كثيرة الاستعمال في الحياة اليومية للمجتمع السوفي، ككلمة لسوب أو صُبّة (مرق)، مرميطة (إناء)، كميون (شاحنة)، روت (طريق)، موتور (محرك)، طومويل (سيارة)، فرملي (مرض) وغيرها كثير.

3 _ اللباس:

تعتبر ثقافة اللباس واحدة من مظاهر التحوّل الأكثر وضوحا، حيث أنه يمكننا عن طريق تغيّر لباس مختلف فئات المجتمع الوقوف على مدى عمق وتجنّز هذا التحوّل ومدى تأثيره على الأفراد.

لقد بدأت تختفي الملابس التقليدية في سوف وتحل محلها طريقة اللبس الأوربي والفرنسي على وجه التحديد، لقد تميز أهل سوف منذ القدم بلباسهم التقليدي المتمثل في القندورة والجبّة واللحفة (العمامة) والسرّوال العربي الواسع إن وجد، ومع مقاومة هذه الملابس التقليدية من أجل البقاء وتمسّك أغلبية المواطنين بها، غير أن الملابس الأوربية من بدلة وقبعة وأحزمة وأحذية أثبتت وجودها هي أيضا وبرزت كأفضل بديل للعمل الإداري والتجاري والصناعي والحرفي في كثير من المناطق بوادي سوف خاصة لدى الشباب لا سيما حاضرة الوادي عاصمة الملحقة، مع التأثير بطريقة ونوع حلق الشعر.

1 _Paléo. D, Op. Cit, p 221.

2 _C. Bataillan: Ressources et vie de relation du Sahara, Op. Cit, p 501.

كما تغيّر اللباس النسائي فلم يعد الحولي محل عناية كالسابق، بل أصبحت المرأة السوفية تتقلد الفساتين العصرية ذات أصل تونسي أو عنابي أو سطايفي أو قسنطيني وحتى الوهراني دون أن يكون ذلك مثارا للسخرية أو الاستهجان.

ما يجب التأكيد عليه أن الملابس التقليدية لم تختف تماما فالرجل السوفي لازل يرتدي القندورة والسروال العربي في بيته وفي أوقات الراحة خاصة عند فصل الحرارة، أما المرأة فترتدي أيضا الملابس التقليدية في المنزل مع تسجيل تراجع نسبة ارتداء الحولي وظهور فساتين مريحة تلبس داخل البيت، وبروز الحايك الذي يغطي كامل الجسم عند الخروج من المنزل والذي لا تظهر منه إلا إحدى العينين حتى تستدل بها السوفية معالم الطريق المؤدية إلى مقصدها، ما تجدر الإشارة إليه هو بقاء لبس العفان حكرًا على البدوي مرتاد الصحراء وقد أضيفت لقاعدته السفلية قطعة مطاطية من غرفة هواء عجلة السيارة زيادة في سمك القاعدة ولتحقيق حماية أكبر وعمرا أطول للعفان¹، عموما يمكن ملاحظة مجالات التحول في اللباس من خلال:

أ _ لباس الرجل: ويمكن تقسيمه إلى:

أ _ 1 _ لباس البدن: ليس من السهل الوقوف على جميع التحولات التي خصّت لباس الرجل في تلك الفترة، خاصة أنها تلت الحرب العالمية الثانية، حيث كان للأهالي احتكاك كبير بالأوروبيين؛ لا سيما المجندين منهم، كما تأثر اللباس بحركة السوافة تجاه تونس ومناطق التل الجزائري، ومن المجموعة التي تميّز بها الرجال:

_ القمجة: لباس يصل إلى الركبتين أو أطول قليلا، أصبحت تغلق بزرين في اليد وتلبس تحت القندورة أو فوق سروال، ولا تلبس وحدها لكونها قصيرة ولا تستر كل الجسد، فذلك لا يُعد من المروءة في أوساط المجتمع السوفي، مع احتكاكه اليومي بمظاهر حضارة مغايرة لبيئته وأفكاره².

1 _ حسان الجيلاني: التغير الثقافي في المجتمع الصحراوي، المرجع السابق، ص 170.

2 _ خولة عمارة وكريمة عازب عبد الله: اللباس في مجتمع وادي سوف خلال الفترة الإستعمارية (1854 – 1962)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس في التاريخ، إشراف الأستاذ الجباري عثمان، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، الجزائر، السنة الجامعية 2012/2013، ص 41.

كما ظهر نوع ثان يصل إلى الخصر، ضيق وذو طوق مثني عند الرقبة وهي على نوعين: الأول خاص بفصل الصيف، يخاط من الكتان الهش وبأكمام قصيرة وجيبين وزرين على مستوى الصدر، أما النوع الثاني فيخاط من الكتان الخشن لتلائم فصل الشتاء، ذات أكمام طويلة منتهية بقبضة على مستوى المعصم، تُطوى نحو المرفق وتغلق بزر نحاسي أو فضي، إضافة إلى جيب على جهة اليسار، القمجتين اختلفتا من حيث الألوان أيضا؛ بين أزرق أو أبيض مخطط أو بني، وهذين النوعين الأخيرين يلبسهما في العادة موظفي الإدارة الفرنسية أو تلاميذ المدارس¹.

— **القندورة (الجبة):** تعرف محليا تحت اسم القدوارة، وهي ثوب رجالي عريض به فتحة تصل لنهاية الصدر، إذا كانت للشتاء فتنسج من صوف، وبكتان القبردين أو الورقة إذا كانت ستلبس صيفا، لونها الشائع الأبيض، لكن في الفترة الأخيرة للاستعمار الفرنسي في سوف مال الناس إلى اللون الأبيض المائل للصفرة، تصل إلى القدمين واسعة فتحة اليدين، قد يكون بها جيب داخلي يكون على الجهة اليسرى، تُزين بوردة من نفس اللون عند نهاية اليدين، هناك أيضا جبة لعمارة ومصدرها تونس، وهي أقصر وأقل عرضا من الجبة المحلية ومطرزة عند أماكن الخياطة².

عموما الجبة المحلية هي السائدة دون منازع وتلبس في جميع الظروف والمناسبات، غير أنه ومنذ بداية الخمسينيات من القرن العشرين تم رصد نوع من العزوف الشباني عن ارتدائها، خاصة فئة المثقفين الذين فضّلوا القمجة والسرّوال والبدعية علما أن منطقة سوفانتجت سنة 1961 حوالي ثلاثة آلاف قندورة موزعة حسب الجدول التالي:

المنطقة	الوادي	عميش	الرقبية	المقرن	المجموع
عدد القنادر	1550	1000	200	250	3000

جدول رقم 65: يوضح عدد القنادر المنتجة في سوف سنة 1961³

1 _ Pépin. P: Un prototype d'Habitudes Vestimentaires dans Le SOUF, Documents nord africains, n° 396, Juillet 1960, Paris, p 105.

2 _ لقاء مع السيد بشير بوراس، بدكانهفي سوق الوادي (زقاق بيرو عرب)، يوم 18 أكتوبر 2019، على الساعة العاشرة صباحا، المعني من مواليد سنة 1939، كان له محل في منطقة الرديف على الحدود الجزائرية التونسية وضعه في خدمة الثورة. كان مصدرا لكثير من ألبسة المجاهدين.

3 _ AOM, 81 F 535, Op. Cit, p 132.

تم بيع هذه الكمية بمبلغ قدره أربعة ملايين وخمسون ألف فرنك، وقد اختصت بإنتاجها منطقة الوادي وعميش بدرجة أولى ثم الرقيبة والمقرن.

__ **الفيسته:** كلمة فرنسية الأصل Veste، تطلق على السترة الخارجية، بها جيبيين على الجانبين وآخرين في الأعلى، ثم آخر داخلي على الجهة اليسرى ذات طوق وتلبس من قبل موظفي الإدارة والمعلمين وأصحاب المهمن الحرة¹.

__ **التركوت:** كلمة فرنسية الأصل Tricot، تطلق على لباس علوي يصل طوله أحيانا إلى الخصر، به فتحة للرأس مستديرة أو مثلثة الشكل، يصنع من صوف أو من قطن، ويلبس فوق القمجة ومن فوقه الفيسته².

__ **البرنوس:** وهو قطعة رئيسية ضمن تشكيلة لباس الرجل السوفي، ينسج من الصوف أو الوبر ويأخذ الشكل نصف دائري، يبلغ طوله تسعة أذرع وعرضه من ست إلى ثمان أشبار، وهي قياسات غير ثابتة فقد تزيد أو تنقص عن ذلك حسب بُنية الرجل، يغلق من جهة الصدر بطرز على شكل فراشة وتسمى الصدرية.

كما انتشرت في الوقت الحالي أنواع أخرى من البرانيس مصنوعة من الكتان السوسني الأبيض، من مميزاته الخفة حتى أنه لا يزيد عن الكيلو غرام الواحد³.

البرنوس الأبيض هو الأكثر انتشارا في سوف، ثم يليه اللون البني؛ وهو اللون المحبذ لدى الطائفة اليهودية، انتشر أيضا برنوس الملف، ولكن لجودته وغلاء ثمنه لإحتوائه على حاشية حريرية كثيرة الزخرفة فقد بقي حكرا على طبقة الميسورين⁴.

مع تراجع أعداد الثروة الحيوانية، وحتى نقف على مدى الأهمية التي يكتسيها البرنوس في حياة

1 _ Planhol. X: Les coutumes d'Habillage à EL OUED, Les Cahiers d'Outre- Mer, n° 51, septembre 1961, Bordeaux, p 355.

2 _ لقاء مع السيد أحمد منصوري، بمنزله بالزعم بلدية حساني عبد الكريم، يوم 05 جوان 2019، على الساعة التاسعة صباحا، المعني من مواليد سنة 1932، كاتب مهتم بتاريخ المنطقة.

3 _ Mercier. P: Étude sur Les Costumes Traditionnels Soufi, Cahiers d'Études Africaines, n° 01, janvier 1960, Paris, p 28.

4 _ Mercier. P, Op. Cit, p 29.

الرجل السوفي كلباس شخصي من جهة، وكمورد اقتصادي من جهة أخرى نورد هذا الجدول:

المنطقة	الوادي	الرقم	عميش	الرقية	البهيمه	المقرن	قمار	المجموع
عدد البرانيس	5150	1300	3000	500	200	650	2460	13260

جدول رقم 66: يوضح عدد البرانيس المنتجة في سوف سنة 1961¹

هذا العدد من البرانيس التي أنتجت سنة 1961، بيع بمبلغ قدره 39 مليون و780 ألف فرنك، اشتهرت بصناعاته مناطق؛ الوادي وعميش وقمار والزقم وبصفة أقل المقرن والرقية والبهيمه².

— **القشايية:** هي لباس صوفي بأكمام بها فتحة في وسطها؛ حتى يخرج الرجل منها يده إذا أراد تقصير الكم، كما يلتصق بها غطاء الرأس ويصل طولها إلى القدمين أو فوقها قليلا، ويلبسها الكبار والصغار، وجدت باللون الأبيض والبني والمخططة بالبني أو الأسود، كما ظهرت قشايية الملف غير أنها قليلة الانتشار لغلائها³.

— **السروال:** لباس لم يرتديه السوافة بصفة دائمة وإلزامية إلا مع منتصف هذه الفترة لاكتفاءهم بلبس القندورة أو السورية لستر عورتهم، أو ارتدائهم لقطعة من القماش تسمى الحزامية التي تُلف حول الخصر ويصل طولها إلى ما دون الركبة، ويُقصد بالسروال ذلك اللباس الذي يستر ما تحت السرة إلى القدمين، وهو يمثل تحوّل حقيقي في لباس الرجل السوفي وتغير ملموس في نمط تشكيلة ملبوساته، ومن أنواع السراويل التي لبسها الرجل السوفي الأنواع التالية:

— **السروال العربي:** يصل طوله إلى القدم، يصنع من القماش ويحتوي على طيّات من الأمام والخلف تُسمى محليا الخبانة أو الدلدولة، وتتدلى إلى الكعبين، به فتحة أمامية طولها عشرون سنتمتر تقريبا تُغلق بزرين، أما المحزم فيغلق بزرين كذلك أو أربع، يلبس خلال أوقات الراحة أو المناسبات السارة⁴.

— **السروال الشرقي:** ويُقصد به السروال العربي المفصل على الطريقة التونسية، ويختلف عن الأول

1_ AOM, 81 F 535, Op. Cit, p 131.

2_ Ibidem.

3_ بشير بوراس، اللقاء السابق.

4_ Pépin. P, Op. Cit, p 106.

من حيث دلدولته التي تقف عند مستوى الركبتين، ساقيه ترتفع قليلا عن الكعبين، يلبس عادة عند العمل كرفع الرمل أو رعي الغنم، ويلبس مع البدعية والقمجة أو تحت القندورة مثله مثل السروال العربي¹.

— السروال الصحرياني: وهي لفظة فرنسية يقصد بها السروال الصحراوي، أول من لبسه جنود المهاري أو ما يعرف بالميهاريست، يصنع من الكتان المالطي الترابي اللون يساعد الجندي على التخفي وسط الأرض الرملية، مع بداية الستينيات تغير إلى اللون الأسود، طُرز على جانبيه شكل صليب من خيوط القطن الأبيض، وتم الاستغناء عن الدلدولة، لكن يبدأ بالضيق عند الساقين حيث يُصَرَّ بخيط عند نهاية ساق السروال ثم يرتفع باتساع، صُمم بهذا الشكل حتى يساعد على امتطاء ظهور الإبل وسرعة الحركة².

— سروال بوطويل: أوربي الأصل والمصدر بالدرجة الأولى، ضيق وبدون دلدولة، به جيبان واحد يميناً والآخر يساراً وآخران إلى الخلف، كانت بداية ظهوره في سوف مع عودة شباب سوف المجند في إطار التجنيد الإجباري خلال الحرب العالمية لثانية؛ حيث أُجبر خلالها على لبس السروال الأوربي، أخذ في الانتشار خلال هذه الفترة وأضحى يلاقي رواجاً كبيراً.

— سروال الحوكي: يشبه إلى حد ما سروال بوطويل غير أن ساقه تتوقف عند الركبة أو نصف الساق³.

أ _ 2 _ الأحزمة: يستعملها الرجل لتثبيت ملابسه، وانتشرت في وادي سوف خلال هذه الفترة الأنواع التالية من الأحزمة:

— حزام الجلد: حديث التداول في سوف، وهو شريط من جلد بطول قدره حوالي متر واحد، يغلق بقفل مربع الشكل من حديد.

— حزام بوصفين: يصنع محلياً من جلد الغزال أو الماعز، يلبس فوق القندورة عند البدو الرحل

— خولة عمارة وكرمة عازب عبد الله، المرجع السابق، ص 149.

2 _ Planhol. X, Op. Cit, p 356.

3 _ خولة عمارة وكرمة عازب عبد الله، المرجع السابق، ص 51.

من محب الصيد خاصة وذلك لوجود مخزن لثلاث رصاصات صيد¹.

__ البسة أخرى: ومنها:

__ الكدرن (Cadran): وهو معطف منسوج من الصوف الأبيض، يصل إلى نصف الساق، به فتحة صغيرة لإدخال الرأس وفيه جيب على اليمين وآخر على اليسار².

__ الكوسبيسير (Cache poussière): كلمة فرنسية معربة وتعني غطاء الغبار أو الحامي من الغبار، هو معطف ذو لون رمادي، به جيب خارجي على اليمين واليسار وآخر علوي من الجهة اليسرى، يصل طوله إلى نصف الساق، به كمين طويلين وطوق للرقبة³.

__ البردسو (Pardessus): وهو أيضا تعريب للكلمة الفرنسية التي تعني في الأعلى وهو أيضا معطف يشبه الكوسبيسير لكنه أقصر قليلا، حيث يصل الركبتين يصنع من القماش الخشن بفرنسا، يجلب مستعملا ويبيع في مختلف الأسواق المحلية بوادي سوف.

__ البالطو أو المونطو (Manteau): وتعني المعطف الذي يغطي ثلاثة أرباع الجسم، يحتوي على نفس مواصفات المعاطف الأخرى⁴.

__ البوبو: هي سترة تصل الخصر، ضيقة وكُميها يصلان المرفق، بها حزام خلفي من نفس القماش، تلبس غالبا خلال فصلي الربيع والخريف من قبل عمال الإدارات مع سروال بوطويل من نفس اللون في العادة، عوضت إلى حد كبير ما كان يطلق عليها "البدعية"⁵.

أ _ 3 _ غطاء الرأس: ظل الرجل السوفي إلى وقت قريب يعتبر عدم تغطية الرأس من خوارم المروءة، غير أن تلك النظرة تغيرت حاليا تأثرا بالفرنسيين، حيث انتشرت عادة عدم تغطية الرأس وتركه عاريا بعدما كانت صفة يختص بها الأطفال الصغار فقط بقولهم "عاريا الروس"، ومن أغطية الرأس التي

1_ Mercier. P, Op. Cit, p 30.

2_ Pépin. P, Op. Cit, p 107.

3_ Planhol. X, Op. Cit, p 356.

4 _ خولة عمارة وكريمة عازب عبد الله، المرجع السابق، ص 59.

5_ SHDDE, 1 H 1107, (d. 02), Op. Cit, p 16.

كانت تلبس:

— **العرقية:** إنها ما يوضع على الرأس ويلبس تحت العمامة، تطرز من خيوط الصوف المفتولة، تكون بعد طرزها مزخرفة بأشكال هندسية تسمى الديار، وقد تكون ديار العرقية بيضاء تماما أو تكون بيضاء وسوداء في نفس الوقت، ولا تكون سوداء أبدا، بنفس الطريقة وبخيوط أرق تطرز عرقية رقيقة وذات ثقب تسمح بإدخال الهواء للرأس، اختصت بصناعتها في سوف منطقة تغزوت، حيث بلغ إنتاجها سنة 1961 حوالي تسعة آلاف عرقية، قدر ثمنها بحوالي مليون و800 ألف فرنك¹.

— **العمامة:** وتسمى أيضا في سوف اللفافة والزمالة، وهي كل ما يلف به الرأس، تنسج بطريقة ناعمة من صوف الغنم أو تخاط من كتان أبيض، يتراوح طولها ما بين خمسة وستة أمتار وقد تصل إلى 12 م، أما عرضها فلا يزيد عن متر في أفضل الأحوال²، العمامة الصوفية أضحت نادرة في الوقت الحالي.

— **الكبوس:** وهو الطربوش الذي يغطي الرأس، يجلب عادة من خارج المنطقة، يتوفر بأشكال وألوان مختلفة؛ غير أن اللون الأحمر يعتبر السائد، ومن هذه الطرايش نجد:

— كبوس أسطنبولي: نسبة إلى أسطنبول في تركيا، أحمر اللون ويبلغ ارتفاعه حوالي 15 سم، تنبت من أعلاه قنزة مفتولة من خيوط الحرير سوداء اللون عادة، يُلبس من قبل بعض عمال الإدارات والعrsan عند أفراحهم³.

— نصيف راس: هو كبوس شبه مستدير أصغر وأقل ارتفاعا من الأسطنبولي، يغطي ثلث الرأس تقريبا، به قنزة أيضا ومن أشهر أنواعه الأحمر، يُجلب من تونس والمغرب، يُلبس أيضا عند بعض الإداريين أو الطفل الصغير عند ختانه⁴.

— **المظلة:** هي غطاء للرأس توفر الظل للابسها وتقيه التعرض المباشر لقرص الشمس صيفا،

1_ AOM, 81 F 535, Op. Cit, p 133.

2_ Mercier. P, Op. Cit, p 31.

3_ Planhol. X, Op. Cit, p 356.

4_ علي بن عثمان جراية، اللقاء السابق.

تصنع من السعف المظفور ولها حواف عريضة، مخروطة الشكل من الأعلى؛ توضع على الرأس وتربط بخيط على الرقبة¹.

إضافة إلى ظهور عدة قبعات أوربية المنشأ كالشّابو والكاسكيط والبيري، لكن ظل استخدامها محدود لكنه محبذ ولم تكن واسعة الانتشار.

أ _ 4 _ لباس القدم: وهو ما يلبس على القدم من نعال وأحذية ومن أبرزها:

_ **العفان:** حذاء محلي الصنع، استنبط تصميمه من خف الجمل، الذي يمشي على الرمل دون أن تغوص أقدامه، يصنع العفان بطريقة خاصة، وذلك بأخذ قطعة بيضاء من نسيج الصوف ثم يضع الشخص قدمه عليها؛ لأخذ قياسها بقطعة من فحم، وكذلك نفس الشيء بالنسبة للأعلى والخلف؛ حيث يصل طوله أحيانا إلى ما فوق الكعب، يقوم الراشم بقصّها ثم خياطتها مع بعضها البعض، لتليها عملية الرشم؛ وهي الخياطة بخيوط مفتولة من الشعر والوبر، يتشكل بذلك نوعين من العفانين؛ الأول عفان بوشرطان وزخرفته عبارة عن خطوط بيضاء، والنوع الثاني عفان الدمس؛ أسود اللون تماما، يُعقد من فوق بخيوط من نفس خيط الرشم²، كما يمكن أن تصنع له قاعدة من جلد الجمل أو المطاط تحت القدم، وتسمى هذه العملية التملّيح انتجت سوف سنة 1961 ما لا يقل عن خمسة آلاف و820 زوج عفان؛ قدر ثمنها بحوالي مليونين و328 ألف فرنك، تنسجه في وادي سوف كل من الوادي وعميش ثم قمار بدرجة أقل³.

_ **الصّبّاط:** حذاء غير مرتفع تبقى معه رقبة القدم مكشوفة، هذا النوع من الأحذية يُستورد من المناطق المجاورة خاصة تونس، لبس في بادئ الأمر من قبل العرسان والشخصيات البارزة في المنطقة، بدأ خلال هذه الفترة يشهد طلبا وانتشارا متزايدا عند مختلف الشرائح الاجتماعية لا سيما في المناطق الحضرية وحتى لدى الأطفال المتمدربين.

1 _ عبد الكريم شتحنونة، اللقاء السابق.

2 _ خولة عمارة وكريمة عازب عبد الله، المرجع السابق، ص 57.

3 _ AOM, 81 F 535, Op. Cit, p 132.

__ **الصندال**: كان يعرف قبل هذه الفترة تحت تسمية "الهركوس"، وهو عبارة عن نعل تتوقى به القدم من الأرض، فراشه جلدوني مقدمته قطعة من نفس الجلد لشد الرجل¹.

كما انتشرت الجوارب المصنوعة من الصوف يدويا، غير أنها خشنة ولا تتطلب لبس حذاء فوقها، على عكس الجوارب الصناعية الرقيقة التي تلبس مع الحذاء، انتشارها لا زال محدود ومقتصرا على الأوربيين والمهاجرين القادمين للمنطقة.

ب _ لباس المرأة السوفية: عُرِفَت المرأة السوفية بلباسها المحتشم تبعا لتقاليد وعادات المنطقة، مع ظهور اختلافات بسيطة بين لباس نساء الحضر ونساء البدو، مع تميّز كل منهما بالبساطة والتنوع وامتداد أصوله التاريخية.

ب _ 1 _ لباس البدن: ويتكون لباس البدن لدى المرأة السوفية من مجموعة قطع رئيسية تتمثل أساسا في:

__ **الحولي**: هو عبارة عن حائك أو إزار مستطيل الشكل يتراوح طوله ما بين خمسة وستة أذرع، وعرضه حوالي أربعة أذرع، لكن هذه القياسات غير مضبوطة إذ أن القياس الحقيقي لهذا الإزار تتحكم فيه طول وعرض المرأة، وليس له أي ارتباط بطبيعة المرأة سواء كانت بدوية أو حضرية، يتم تصميم الحولي من خلال هذا الإزار، يخاط له من الوسط شريط من قطن تسمى باللغة المحلية "سفيفة"، تخاط وتبقى مجوّفة حتى تسمح بمرور الخيط الذي يُصر به الإزار، وتسمى هاته المنطقة بـ "الثَّكَّة"، فيتشكل على شكل جناحي فراشة، وبعد ذلك تسدل الطبقة العلوية على الطبقة السفلية فيتشكل بصورة تنورة ذات طبقتين²، حاشيتي الحولي لم تكن تُزين، لكن حاليا أصبح يُزين بـ "سفيفة" وردية، وعن لونه وقماشه فإنه معروف باللون الأسود، يصنع من أربعة أقمشة؛ في بادئ الأمر نُسج من صوف، خلال هذه الفترة أضحى من كتان "ستان" و"فبران"، كما صنع من كتان "كشنيل"³.

1 _ خولة عمارة وكريمة عازب عبد الله، المرجع السابق، ص 58.

2 _ خولة عمارة وكريمة عازب عبد الله، المرجع السابق، ص 63 – 66.

3 _ محمد بن عمارة: العادات الاجتماعية في البيئة الصحراوية – وادي سوف نموذجاً-، منشورات مكتبة اقرأ، (د.ط)، فسنطينة، 2010، ص 111.

كما وُجدت أنواع أخرى لها نفس شكل الحولي وطريقة لباسه إلا أنها تختلف في التسمية وذلك على حسب طبيعة القماش المصنوع منه أو اللون أو شكل زخرفة السيفيفة، ومن هذه الأنواع التي عرفت بعض التحوّل:

— حولي الحرير: مصنوع من الحرير مزين بسيفيتين خضراء وصفراء، أصبح حالياً أكثر انتشاراً خاصة لدى النساء المترفات حالياً، يخصص غالباً للعروس إذ تلبس الحولي الأبيض وفوقه هذا الحولي، واشتهرت كوينين بصناعته منذ أواخر القرن الثامن عشر، الحولي الحريري أصبح يُمزج بكمية من الصوف وتختلف حسب قيمة الحولي¹.

— الحولي مجلوي (جلوالي): يكمن اختلافه عن الحولي الأسود العادي في السفايف، إذ تكون فيه سفيفة في الطبقة العلوية وأخرى في السفلية وثالثة في منتصف الطبقة السفلية تحيط به، وقد ظهر هذا الاختلاف خلال هذه الفترة.

— حولي كردشين: وهو حولي أسود اللون ولكنه شفاف، بحيث يمكن رؤية السوربة أو القدواره من خلاله، وهو يلبس من قبل المترفات فقط².

بالإضافة إلى كل هذه الأنواع يوجد الحولي حالياً بألوان أخرى مثل: الحولي الأزرق الذي تلبسه النساء القماريات تحت حولي الحوكي، وكذلك الحولي الوردي الذي يلبس فوقه حولي أسود، وهذا الحولي مخصص في الأغلب للعرائس.

يضيفي هذا اللباس على المرأة السوفية جمالاً وسحراً وبساطة لا توصف لدرجة أن لسان أحد الشعراء الشعبيين إنساق إلى مدحه بقوله:

حولي جلولي إحزام قيطنعه لیسر هلبنيات رقص عنه

إبزوز سفايف حولي جلولي منه قلبيراي³

ما يمكن الإشارة إليه أن وادي سوف صنعت خلال سنة 1961 حوالي 540م² من الحايك، استأثرت منطقة قمار بأكثر من نصف الإنتاج⁴.

1_ علي غنازبة، مجتمع وادي سوف، المرجع السابق، ص 74.

2_ Mercier. P, Op. Cit, p 32.

3_ حسان الجيلاني: من التراث الغنائي بوادي سوف، مطبعة الشهاب، (د.ط)، باتنة، الجزائر، (د.س)، ص 185.

4_ AOM, 81 F 535, Op. Cit, p 134.

__ **الملحفة:** وهي الملاءة وترادف أيضا كلمة إزار، يقصد بهذه التسمية لدى غالبية السوافة الإزار ذو اللون الأبيض والأسود دون تفريق، بينما البعض الآخر مثل الربيع فرقوا؛ ميزوا الملحفة بالبياض دائما بينما الحولي أسود اللون، تزين حاشية الملحفة بسيفيتين وردية وصفراء أو خضراء، وهنا تكون الصفراء أو الخضراء في الأسفل وتعلوها الوردية أما في التكه تكون دائما السفيفة وردية، كانت الملحفة تصنع من نسيج الصوف الأبيض غير أنها أصبحت اليوم من قماش أبيض، غالبا ما تلبسها العروس يوم زفافها وتحتها سورية، أو يتم لبسها فوق الحولي وهذا الأخير تحته سورية¹.

__ **السورية:** هي ثوب طويل يصل إلى القدمين لبسها نساء الحضر والبدو على السواء، إذ تتخذ من خلال تفصيل قطع مستطيلة ومخروطية من الكتان وضمها مع بعضها البعض من خلال آلة الخياطة بطوق بارز في الرقبة يسمى باللغة المحلية "الثُب"، مفتوح من الأمام بشكل مستقيم يخاط فيه زرين أو ثلاثة، كما أن هذه الفتحة أحيانا لا تُزين، ولكن في الغالب يزين بثلاث سفائف ذات ألوان مختلفة من الجهة اليمنى للفتحة، أما الجهة اليسرى فلا تزين وهناك من يسمي هذه الطريقة بـ"شق غضبان" (لا يوجد فيه السفائف) و"شق راضي" (يوجد فيه السفائف)، أما عن كُمي هذه السورية فهناك الطويلة تغطي كافة اليد مصنوعة من نفس القماش، وعند معصم اليد تزين بثلاث سفائف من نفس لون السفائف في الرقبة مخاطة بشكل دائري وملتصقة، أما النوع الثاني من الكم فإنه يصنع من نفس القماش مثل قماش "أصابع العروسه" إذ يكون الكم أوسع².

قبل هذه المرحلة كانت تخاط من الصوف، أما حاليا فهي من كتان الستان أو السوستي، وكذلك أقمشة أخرى ذات ألوان مختلفة، مثل السوداء والوردية والبيضاء واللونين الأخيرين من أبرز ألوان السورية المخصصة للعروس، وسميت البيضاء عند البعض باسم "السحوم" (لأن العروس ترتديها عندما تستحم)، هناك نوع آخر من السورية يسمى سورية جربي نسبة لقماشها الذي يجلب من منطقة "جربة" التونسية، تلبس السورية دائما تحت الحولي وهي مخصصة لجميع الأعمار، فتيات ومتزوجات وعجائز³.

__ **بلوزة (Blouse) أو الطبلية** (واش عندي فيك): عبارة عن مأزر غير مشقوق يرتفع عن القدم بحوالي عشرين سم، شكل تصميم الصدر عبارة عن دائرة أو مربع يحيط بسائر الرقبة، أما عن الكم

1 _ Ahmed Nadjah, Op. Cit, p 97.

2 _ خولة عمارة وكرمة عازب عبد الله، المرجع السابق، ص 70 - 71.

3 _ Dermenghem, E, Op. Cit, p 85.

فإنه فضفاض يصل إلى المرفقتين أو طويل للمعصم يستر اليد بأكملها، وأحيانا تكون بدون كمين، وهذا الأمر يتعلق بحشمة المرأة، كما أن هناك من يجعل لها جيوب خاصة العجائز¹.

— **روبة جلوالي (Robe):** هي ثوب طويل يصل إلى القدم، قماشها مزركش، فيها شق في الأمام، يبدأ من الرقبة ويصل إلى بداية الصدر، كميها فضفاضين يصلان إلى المرفق، مفتوحان من ناحية الإبط، تزين بنوع من الخيوط القطنية رطبة الملمس تسمى "دبلج" على مستوى الرقبة وكذلك الكمين². كما تجدر الإشارة أن هناك نوع آخر من الروب تختلف في أشكال فتحة رقبتها، منها المستقيمة إلى شبه الدائرية، تزين بدبلج وبها أهداب (شناشن)³.

— **الكتافية:** موضع هذا اللباس الكتف، أي تضعه المرأة على كتفيها، شكلها مستطيلوطولها حوالي ذراع وعرضها شبرين، منسوجة من الصوف، وتصبغ باللون الأحمر أو الوردى أو البرتقالي، مزينة بإطار من السفيفة في الحاشية، وفي الوسط بهلال من السفيفة أيضا، ولون السفيفة إما خضراء أو صفراء أو زرقاء، وأحيانا تطرز من الوسط بأشكال مختلفة بخيوط من الصوف الملون، حاليا تنسج من الصوف والقطن الصناعي بعد انتشار النسيج اليدوي لدى البنات اللائي تعلمن في ورشات الأخوات البيض⁴.

— **اللحاف:** وهو اللباس الذي فوق سائر الثياب، أسود وفضفاض، يخاط من قماش سوستي وذلك على حسب الفصل، شكله عبارة عن قطعة مستطيلة يضبط قياسها على حسب بنية المرأة⁵. أما عن طريقة لباسه فإن المرأة تلفه بطريقة محددة بحيث تضعه على رأسها، وتأخذ الجزء الأيمن وتضعه تحت إبطها الأيسر، ثم تأخذ الجزء الأيسر وتضعه تحت إبطها الأيمن (وهي الطريقة السائدة وأحيانا يحدث العكس)، ثم تجمع ما تبقى من الطرف العلوي باليد اليمنى وتحتجب به⁶.

يزين اللحاف بطريقتين، الطريقة الأولى بخياطة سفيفة وردية أو بيضاء في وسط اللحاف، وبهذا الشكل هناك من يسميه "طرف"، أما الطريقة الثانية؛ فتحاط حاشيته بسفيفتين وردية و صفراء وأحيانا تدمج

1_ Ibid, p 86.

2_ Planhol. X, Op. Cit, p 357.

3 _ خولة عمارة وكريمة عازب عبد الله، المرجع السابق، ص 73.

4 _ Mercier. P, Op. Cit, p 29.

5_ Chalumeau. P, Op. Cit, p 47.

6 _ خولة عمارة وكريمة عازب عبد الله، المرجع السابق، ص 75.

الحالتين¹، خلال هذه الفترة انتشر اللحاف بألوان مختلفة من الكتان خاصة الأبيض وبه باقات صغيرة من الورد، أما السفساري فظل يجلب من تونس في أغلب الأحوال.

__ **البخنوق:** يعتبر هذا النوع من اللباس عند المرأة السوفية بمثابة البرنس عند الرجل، وهو عبارة عن حائك تلتحف به عند خروجها من المنزل بوضعه على رأسها وتشد طرفيه تحت حنكها، شكله مستطيل طوله يختلف عند بعض العروش، فعلى سبيل المثال: عند الشعانة طوله ثلاثة أذرع، أما القشاطية فطوله خمسة أذرع، الصغير الذي طوله ثلاثة أذرع هو الشائع، أما الكبير فيتراوح طوله مابين خمسة إلى ستة أذرع، وعرضه أربعة أذرع ونصف ذراع، عند ارتدائه يصل طوله إلى القدمين تقريبا²، ينسج من الصوف ثم يصبغ ويزين بخيوط ملونة من صوف، تزخرف حواشي البخنوق بخطوط متقطعة من الألوان والأهداب، أما في الأطراف فيزين بورد (نوار) مصنوع من الصوف الملون المفتول، تسمى المنطقة التي يتدلى منها الورد في الأطراف بـ"التيال"، ألوانه تنوعت من الأسود وهو الشائع إلى البني وهو خاص بالقشاطية، أما الأبيض فيزين بخط أسود في الوسط³.

البخنوق حاليا آيل للزوال فقد عوضته المرأة باللحاف، لحفته وتنوع ألوانه واستعماله طيلة أيام السنة تقريبا، عكس البخنوق الذي لا يمكن استعماله خلال الفترة الحارة من السنة⁴.

وما يقال عن البخنوق يقال عن الجناح؛ وهو قطعة مستطيلة منسوجة من الصوف الأبيض، عرضه حوالي ثلاثة أذرع، وطوله يزيد عن عرضه بشبرين اثنين، ذو لونين أحمر وبرتقالي، وهو مخصص للخروج في فصلي الربيع والصيف خاصة⁵.

ب _ 2 _ الأحزمة النسوية: احتل الحزام مكانة هامة لدى النساء السوفيات، أخذ أشكالا مختلفة ومتعددة من حيث الطول والعرض والزخرفة، وكذلك تنوعت الأنسجة التي صنع منها، ومن هذه الأحزمة:

1_ Chalumeau. P, Op. Cit, p 46.

2_ Lieutenant CHABROLLES: Remarques Sur Le Bakhenouk Soufi, Les glands aux vêtements, symbolisme, Bulletin de Liaison Saharienne, Imprimerie E. IMBERT, n°13, Alger, Juin 1953, p 52.

3 _ خولة عمارة وكريمة عازب عبد الله، المرجع السابق، ص 77.

4 _ Dermenghem, E. Op. Cit, p 87.

5_ H, Z. Folklore du Souf, Bulletin de Liaison Saharienne, n°33, mars 1959, Imp LA TYPO-LITHO et J. CARBONEL, Alger, p 41.

— الحزام المجدول: وهو عبارة عن عدد من خيوط الصوف الملونة المفتولة، ومنه نوعان: النوع الأول؛ عدد خيوطه سبعة أو أكثر وفي نهايته يعقد ومن ألوانه الوردي، الأصفر، الأخضر، والبرتقالي، يصل طوله إلى المترين ونصف، أما النوع الثاني؛ فعدد خيوطه يتراوح ما بين ثمانية إلى عشرة خيوط، يعقد في المنتصف بعقدة، من ألوانه الأخضر، الأزرق والأحمر، يبلغ طوله متر واحد¹.

— حزام الذهب (اللويز): هذا النوع من الأحزمة لبسنه المترفات من نساء المجتمع السوفي مثل زوجات القياد والشيوخ، وهو عبارة عن شريط من القماش أسود في العادة، مرصع بصفيحات مستدبرة من الذهب تسمى بـ"اللويزه"، يختلف عددها من امرأة إلى أخرى حسب طول الحزام والمكانة الاجتماعية والحالة المادية².

ب _ 3 _ غطاء الرأس: ومن أنواعه:

— المرحمة: وهي قطعة قماش مربعة الشكل مزينة برسوم وألوان عديدة، تُثنى في الوسط لتأخذ شكل مثلث، توضع على الرأس وتشد بتقاطع طرفها خلف الرقبة ثم تربط في المقدمة الأمامية للرأس أو على الجنب، تنسدل أهدابها على الوجنتين إن كان فيها أهداب، ومن أنواع المراحم التي لبستها النساء السوفيات في هذه الفترة:

— مقرونة: هذا النوع من المراحم ذو شكل مستطيل وكبير، تستعمله المرأة للالتحاف عند الخروج أو عند الأفراح، لون المرحمة حمراء مزينة في الوسط بمربعين من الزخارف وألوان عديدة مختلفة³.

— الرومي: يقصد بهذه الكلمة محليا كل شخص أوربي الأصل، أما عن هذه المرحمة فهي مربعة الشكل ذات ألوان مختلفة ومتعددة، خالية من الأهداب، عليها رسومات وأشكال مختلفة⁴.

1 _ Pépin. P, Op. Cit, p 105.

2 _ خولة عمارة وكريمة عازب عبد الله، المرجع السابق، ص 81.

3 _ Gabus, J. Au Sahara, Arts et symboles, Vol02, Édition de laBaconnière, Société Française du Livre, Neuchâtel, Paris, 1958, p 408.

4 _ Gabus, J. Au Sahara, Op. Cit, p 409.

— **لباس القدمين:** لم تسمح الحالة الاجتماعية المزرية لسكان المنطقة خلال هذه الفترة الاستعمارية للمرأة أن تملك ما يلزمها من أحذية، حتى أن أكثر النساء لم يجدن ما ينتعلنه، أما من امتلكت شيئاً تنتعله، فإنه لم يختلف عما ينتعله الرجل؛ كالعفان والبلغة والصندال وظهور القبقاب الخشبي وغيرها مع تغير في اللون والحجم فقط.

ثانياً _ مظاهر تحوّل بعض طقوس مراحل دورة الحياة:

ومن أبرز هذه المظاهر ما يلي:

1 _ الميلاد:

الكثير من العادات المرتبطة بظاهرة ميلاد الأطفال تغيرت وتبدلت إلى عوائد وطقوس أخرى، مع ذلك مازال بقية من السكان يعملون بتقاليد الولادة القديمة والتي تتم في البيت عادة، بعد الولادة ترافق الأم ابنتها ومعهما أم الزوج إن كانتا موجودتين، وبعض القريبات كالعمة والخالة، تقيم أم الزوجة مع ابنتها لمدة أسبوع أو أكثر أحياناً، حيث تدرّبها أو تساعدّها على رعاية الطفل وإرضاعه والعناية به¹.

كما تقوم الأم بتحضير بعض واجبات الضيافة كطبخ مجموعة من الأعشاب الطبية للنسوة اللائي يفدن على النفساء بغرض التهئة بالمولود الجديد، من العادة تقوم المهنيات بتقديم هدايا للأم، كانت في السابق تقتصر على تقديم أربع حبات (حارة) من بيض دجاجة المنزل أو زوج من الحمام أو مُدّ من تمر الغرس، بينما يهدي الميسورين من الأباء أو الأعمام أو الأخوال كيلو من لحم الضأن أو من كبده، أما في الوقت الحالي فقد تنوّع موضوع الهدية بين مادية وعينيّة وزادت من حيث القيمة والكمية مقارنة بالهدايا سابقاً، كما أصبح هناك من تقدم النقود وأخرى ملابس للرضيع وحتى حليب الماعز².

وبعد مرور أسبوع على ميلاد الطفل يُنظم احتفال يستدعى إليه جميع أفراد العائلة والأقارب، وهو يسمى احتفال اليوم السابع أو السبوع (العقيقة)، حيث يقدم كسكسي النفس (النفساء)، وما يميّزه عن غيره

1 _ Simoune Hugot, Op. Cit, p 331.

— فاطمة قريون، اللقاء السابق.2.

من أنواع الكسكسي أن أهم مكوناته اللحم واليقطين (الكابو)، يخلط مرقه بالحلبة والكثير من الأعشاب والبهارات النافعة وسمن الماعز (الدهان)، وهي نفس الأكلة التي تتناولها المرأة كوجبة رئيسية طويلة مرحلة النفاس.

مع التطور الحاصل في المجتمع السوفي غير أن بعض العادات القديمة مازالت سائدة، منها تفضيل الذكر عن الأنثى، حيث تتعالى الزغاريد عند ميلاده بل تذهب بعض العائلات حتى إلى نحر الذبائح، وتتوالى التبريكات للمولود له بقولهم: "مبروك الغرز"، ومبروك "الحطّابة" إذا كانت أنثى ولا تكاد تسمع شيئاً ما عدا قولهم للأم: "الحمد لله عن خلاص راسك".

2 _ الختان:

ويعرف في منطقة سوف بالطهور، وبما أنها بلدة مرتبطة بدينها وشعائرها وتقاليدها الإسلامية العريقة، فإن الأهالي يولون أهمية بالغة لختان أبنائهم، الذي يكون في العادة دون سن الخامسة؛ بل يعتبر الختان خلال هذه السن نادراً جداً في المجتمع السوفي، كما يختارون المناسبة الدينية الأنسب لظروفهم الاجتماعية والمادية كالمولد النبوي الشريف أو السابع والعشرين من رمضان أو عودة أحد الأقارب من أداء مناسك الحج، أو خلال زواج قريب؛ لتتم خلالها عملية الختان، وهذا الأخير مناسبة اجتماعية يحتفل بها غالباً يوم الاثنين صباحاً، التحوّل الذي طرأ في طقوس الختان يمكن ملاحظته من خلال طقسين رئيسيين هما رفع الراية والجلاب ولباس الطفل¹.

أ _ رفع الراية: من أهم طقوس الختان رفع الراية، حيث تخبر الأم والجدّة النساء من الجارات والقريبات ليحضرن فجر يوم السبت مثلاً لنصب الراية؛ التي هي عصا من جريد النخل بطول متر ونصف تقريباً، تثبت في أعلاها ثلاث أشرطة من القماش؛ كل شريط من لون مختلف: أبيض وأخضر وأحمر²، ثم تُرش بالعطّر ويقوم بتثبيتها أحد الصبية اليافعين في أعلى نقطة من المنزل، رفع الراية يتم تحت زغاريد وأراجيز النسوة بالصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، كترديد يهن:

1_ محمد ساكر، المرجع السابق، ص 58.

2_ حسان الجيلاني: قصة العودة، المرجع السابق، ص 218.

سبقت ربي والصلاة على النبي

من سبق الله يا محمد يا علي

سبقناك ومسبقنا حد معاك ها ياربي

هذا النهار مبارك والآخر سعيد

اللي حاضر محمد وسيدي عبيد

ب _ الجلاب: في اليوم الموالي لرفع الراية؛ تجتمع النسوة مجددا لصنع الجلاب، وهو عبارة عن مجموعة من الأعشاب كالزعفران، والقرنفل، والقمام، وعود قماري، والجاوي، والمستكه، والورد، واللبان والسرغين وغيرها من الأعشاب، تشرع النسوة في طحنها وخلطها على إيقاع مختلف الأهازيج والزغاريد، ثم وضعها في سبع صرر من قماش؛ ست صرر في قماش أبيض والسابعة في قماش أحمر، ثم تضم هذه الصرر وتربط بخيطين أحمر وأخضر لتشكل في الأخير شكل قلادة¹.

هذا الجلاب أو القلادة ذات الصرر السبع، يتم تقليدها للطفل بعد إلباسه قندورة بيضاء عليها أيضا أشرطة بلونين أخضر وأحمر كما تخاط عليها أيضا يد ذات خمس أصابع بقماش أحمر.

إن رفع الراية في أعلى سطح المنزل وبألوانها الثلاث الأبيض والأخضر والأحمر؛ وتكرر نفس الألوان في الجلاب والقندورة، لا يمكن أن يكون اختيار جزافا أو عن طريق الصدفة، إنها ألوان ترمز للراية الوطنية ذات الألوان الثلاث، الأبيض والأخضر والأحمر، تلك الراية التي رفعت خلال مظاهرات الثامن من ماي 1945 وتبنتها مختلف أطراف الحركة الوطنية بعد ذلك، فإن دلّ ذلك على شيء فإنما يدل على مدى تجند الأهالي في وادي سوف وراء الثورة المباركة ودعمهم لها بالنفس والنفيس، والأمل معقود عليها لرفع راية الاستقلال خفاقة، وما ترديد الصلاة على النبي محمد واليد التي خيطة على قندورة الصبي في رمزيتها لأركان الإسلام الخمس، إلا تعبيراً عن التمسك بالدين الحنيف واعتباره مرجعيتهم

1_ محمد ساكر، المرجع السابق، ص 59.

الوحيدة، وهذه الطقوس عند ختان الأطفال؛ تفردت بها منطقة سوف دون بقية مناطق الجزائر.

وما يجدر التذكير به، أنه جرت العادة أن تخصص أمسية يوم الأحد لزيارة الأولياء الصالحين للتبرك بهم؛ فيحاط مقر الولي الصالح بالشموع وتردد المدائح الدينية وتعلو الزغاريد وترتفع الأهازيج التي تضفي على المكان جوا روحيا مميزا، تظاهرة حقيقية ترتدي فيها النسوة الملابس التقليدية احتفاء بالمناسبة وهن متبوعات ببنائهن وبنات الحي¹.

لقد صادف أن كان أحد هذه الاحتفالات متميزا بالأهازيج والهاثافات داخل قبة الولي الصالح سيدي الحاج أحمد قرب الملعب البلدي لكرة القدم بالوادي، والأولاد الذين سيختنون يحملون بين أحضان أمهاتهم، تزينهم سراويلهم وجلابيبهم البيضاء المزركشة بخطوط حمراء وخضراء في الساقين والذراعين، وقبعاتهم الحمراء ترصعها الجواهر المختلفة الألوان، كل هذا المزيج يفوق كل تعبير؛ حيث تغمر الأولاد الفرحة وتعمهم الدهشة ويتقاسمون الهدايا المخصصة للولي الصالح والذي ينال بعضهم منها الحظ الوفير في جو راقص، ترفرف فيه رايات ملونة بالأخضر والأبيض والأحمر، ويعممهم الشعور بالرضا، في مثل هذا اليوم وقبيل لحظات انتهت مقابلة في كرة القدم انتصر فيها فريق أولي الوادي لكرة القدم على الفريق العسكري للمهاري². فحدث ما لم يكن في الحسبان؛ فقد بلغ الحرس العسكري بالثكنة المجاورة للملعب القيادة، وفسر هذه التظاهرة الختانية على أنها تعبير عن فرحة العرب بانتصار الأولي، وأن الإعلام المرفوعة هي الإعلام الوطنية، وطلب النجدة من قوات الاحتياط التي نكلت بهذه الجموع البريئة، وسامتها ألوان العذاب والعنف والخسف، فضربت النساء والأطفال، وزرعت فيهم الرعب فعمهم الخوف والفرع، وهم الذين كانوا في غمرة الاحتفال بمناسبة دينية اجتماعية لا علاقة لها مطلقا بهذا التأويل العنصري المقيت.

3 _ الزواج:

1 _ Kh. Boukhari: Tradition du SOUF, Bulletin de Liaison Saharienne, Imprimerie E. IMBERT, n° 14, Alger, Octobre 1953, p 34.

2 _ محمد بوقطاية، اللقاء السابق.

لقد كانت الأسرة تعيش مع امتداد أفرادها، والتي تجمع بين الجذود والآباء والأحفاد، تغيرت خلال السنوات الأخيرة بسبب ازدياد عدد أفراد العائلة وضيق المساكن، بالتالي ظهرت خلال هذه الفترة وبكل وضوح الأسر الصغيرة التي انفصلت حديثا عن الأسرة الأم وتعيش في بيت مستقل، لكن بقايا الامتداد يمكن أن تلاحظ حيث يعيش الوالد في حال كبره وعجزه مع ابنه، كما تعيش الأم مع ابنها في حال عجزها أو وفاة بعلها¹.

تقاليد الزواج لم تتغير كثيرا إلا ربما من حيث زيادة طفيف في قيمة المهر، وأصبحت الأسر السوفية تفضل تزويج بناتها لأصحاب الأجور الثابتة ممن التحقوا بالجيش أو الشركات البترولية أو المهاجرين، أما مراسم الخطوبة والزواج فظلت معظم مظاهرها كما هي عليه في السابق، أما من حيث الطقوس فقد كان من العادة وبعد إتمام مراسيم العقد الشرعي الذي يكون في أغلب الحالات بعد صلاة العصر في بيت العريس أو في المسجد. يبدأ المحفل وهو عبارة عن استعراض راقص بطريقة منظمة، حيث يدخل الشباب في صفوف منظمة فوج بعد آخر، في أداء مميز لرقصة الزقايري على أنغام آلي الزرنة والبندير، والكثير منهم يحمل بندقيته سواء من نوع رباعي أو خماسي أو ستاتي لتدوي طلقاتها من حين لآخر في جو بهيج². حيث كان السلاح يباع ويشترى بصفة عادية في الأسواق، لا سيما النوع الإيطالي منه؛ الذي انتشر في وادي سوف أعقاب الحرب العالمية الثانية، حيث جرت معارك طاحنة في الصحراء الليبية والتونسية المتاخمة لإقليم سوف، وانتهت بهزيمة دول المحور التي تركت كميات هائلة من الأسلحة وسط الكثبان الرملية؛ فكان من السهل اقتناؤها بحكم العلاقات السائدة بين سكان هذه التخوم³.

كما تتزين الصبايا المقبلات على الزواج بالقدر الممكن ليخرجن للمحفل، يقفن في صف واحد في مقدمة المحفل حيث يكون العرض أمامهن مباشرة، في الجهة المقابلة لهن يقف الشباب الراغب في الزواج للتعرف والإعجاب بإحداهن قصد الخطبة، فعندما يدخل الشاب صف الرقص تكون له فرصة

1_ حسان الجيلاني: التغير الثقافي في المجتمع الصحراوي، المرجع السابق، ص 171.

2_ محمد ساكر: العادات والتقاليد في وادي سوف 1945 – 1962، مطبعة الوادي، ط 1، الوادي، 2016، ص 44.

3_ Mercier. P: Étude du mariage et enquête urbaine, Cahiers d'Études Africaine, n° 1, Paris, janvier 1960, pp 28-43.

للتعيين من وقع عليها اختياره، وذلك برشه العطر على رأس من نالت إعجابه من الفتيات، فتحجز له مباشرة خلال الحفل وتتم مراسم الخطبة لاحقاً¹.

يتوقف العرض للراحة ورد الأنفاس، تدخل البنات إلى بيت العريس ليغيرن ملابسهن ويسرحن شعورهن، ويؤتى في نفس الوقت بالغناي؛ وهو الفنان الشعبي الذي يقوم بإحياء مثل هذه المناسبات، ليستعد الحضور من جديد للجزء الثاني للمحفل أو ما يعرف بالرداسي؛ حيث تخرج الفتيات من البيت ويجلسن في المحفل بشعور مسدولة واضعات أيديهن على أفخاذهن²، يبدأ الفنان بالغناء تصاحبه فرقة ضاربة على الطبل، فتحرك الفتيات شعورهن يمينا وشمالا وهو ما يعرف محليا بـ"النخ"، في الوقت الذي يستمر أصحاب الزقايري في رقصهم مع ضرب البارود³.

باندلاع الثورة التحريرية حدث تحوّل وتغيّر كبير على فقرات المحفل مسّ ناشطين أساسيين، لقد تم منع طقس النخ وغاب ضرب البارود عن الأعراس، النخ قام المجاهدون بمنعه منعاً باتاً، لأنه حسبهم نوع من المجون وحط من قيمة المرأة، وهذا الفعل يتعارض مع تعاليم الدين الإسلامي، فكانوا يقومون بإفساد أي عرس تتم فيه هذه العادة.

أما الأسلحة المستعملة خلال الأعراس؛ وحتى غيرها، فقد تم تسريبها نحو الحدود الشرقية؛ حيث يربط جيش التحرير الذي هو في أمس الحاجة لكل بندقية متواجدة في سوف، كما أن سلطات الاحتلال بدورها منعت تداول الأسلحة بيعاً وشراءً واستعمالاً، في محاولة منها لحرمان جيش التحرير الوطني من الاستفادة بهذه الأسلحة.

وما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد، التحوّل الذي طرأ على مستوى طريقة الاحتفال بالعرس

1_ التجاني تامة وآخرون: الأفراح والأغنية السوفية، مجلة عروس البوادي الوادي، مجلة ثقافية سنوية تصدر عن محافظة المهرجان الثقافي المحلي للموسيقى والأغنية السوفية، العدد الأول، الوادي، 2008، ص 25.

2 _ Najah. A: De l'étymologie du nakh ou danse des cheveux dans le Souf, Bulletin de Liaison Saharienne, n° 40, déc 1960, Imp LA TYPO-LITHO et J. CARBONEL, Alger, p 295.

3_Fodeba, K. La danse, expression de la vie africaine, Le Courrier de Unesco, XIIe année, n° 1, Paris, janvier 1959, p 18.

في حد ذاتها، لقد تم ما بين سنتي 1960 و1962 تأسيس فرقة فنية أخذت اسم ليالي سوف، غير أنها لم تعمّر طويلا، لأن عمل الفرقة يتطلب مواهب خاصة وفترة من التدريب والتمرين المستمر على أداء الأغاني. ظهرت فرقة ليالي سوف في وقت مبكر جدا، حيث كانت المنطقة تفتقر لأصوات تحيي وتحافظ على تراثها الغنائي، لهذا كانت بداية ليالي سوف شرقية الطابع وتونسية بصفة أدق، وقد يرجع ذلك لدخول المذيع إلى سوف من جهة، وحجم الجالية السوفية المهاجرة إلى تونس من جهة أخرى¹.

ومن بين مؤسسي ليالي سوف وأحد منسّطيها البارزين نجد محمد الصغير خراز، الذي بدأ مشواره الفني وهو طفل صغير يتردد على أفواج الكشافة الإسلامية الجزائرية، التي نهل منها أولى الأناشيد الوطنية والأغاني الاجتماعية، ألّف أول أغنية سنة 1952 عندما كان عضوا في أحد الأفواج الكشفية في بسكرة وعنوانها " آه يا جاري يا كويني يا جاري"، عمل بإذاعة تقرت الجهوية آنذاك أين غنى "واش دارتلك" و"عينيك ذبالة"، كما ألّف أكثر من مئة أغنية في الحزن والفكاهة والحب، أسس سنة 1960 رفقة ثلة من الشباب الهاوي فرقة ليالي سوف، غير أنهم لم يستطيعوا المواصلة بسبب أحداث الثورة وقساوة ظروف العيش².

ثالثا _ تحوّل الخدمات اليومية:

1_ وسائل النقل:

لم تعد الحمير والجمال والبغال وسائل النقل الوحيدة في سوف، فقد شهدت السنوات الأخيرة تحولا تجذرية على مستوى وسائل النقل، ففي الوقت الذي توقف فيه القطار نهائيا عن دخول سوف، دخلت السيارات والشاحنات بقوة، وربطت القرى بعضها ببعض وخلقت جوا من العلاقات الاجتماعية بين مختلف أنحاء المنطقة خاصة بعد سنة 1956، حيث امتدت شبكة واسعة من الطرق والمسالك الحديثة ربطت الوادي المركز بمختلف القرى؛ عميش، حاسي خليفة، المقرن، الرقيبة، ورماس والطريفواي

1_ التجاني تامة وآخرون: الفرق الموسيقية بوادي سوف - تاريخ وأصالة -، المرجع السابق، ص 49.

2_ التجاني تامة وآخرون: محمد الصغير خراز - ذكريات من الزمن الجميل -، المرجع السابق، ص 113.

وغيرها¹، وكانت تضمن 23 سيارة أجرة الربط بين هذه المناطق ومدينة الوادي، وحافلات شركتي الإخوة دقليون وحلاسة والشاوش وفي فترة متأخرة حافلات حبوشة، حلّت هذه الوسائل الحديثة أزمة التنقل بين القرى وحتى المناطق المجاورة كنقطة وبسكرة، تجلّى ذلك في ظهور 120 سيارة يمتلكها الخواص على امتداد الملحق، و239 شاحنة من مختلف الحمولات تعمل عبر مختلف الخطوط في نشاطات متنوعة، بالإضافة إلى انتشار العشرات من الدراجات والدراجات النارية عبر مختلف مناطق سوف².

2 _ البريد والهاتف:

لقد شملت قباضات البريد تقريبا كل القرى المعروفة من عميش جنوبا إلى الرقية شمالا، كما ارتفع عدد المستفيدين من الخطوط الهاتفية في سوف حيث ارتفع من 160 مشاركا سنة 1947، ليصل إلى 240 سنة 1961، كما أن المركز الهترزي ارتفعت طاقته وأصبح يتواصل بتشغيل ترددات لاسلكية كهربائية بقدرة 165 ميغا سيكل في الثانية، وهو ما يناسب طول موجة تقارب 1م و80 سم³، الأمر الذي سمح بانتشار المذياع داخل البيوت خاصة لدى الموظفين، وكان يعرف عندهم تحت تسمية "التيساف T S F"، فأصبح السوفي يتابع باقة من الإذاعات العربية التي شدّته إليها ببرامجها المتنوعة من أغان شرقية خاصة، وفنون الطبخ والتدبير المنزلي؛ حيث عملت على تهذيب الذوق بشكل عام، أما المناضلين فقد أمسوا لا يفلتون الاستماع في سرية تامة لصوت المذيع عيسى مسعودي الذي يأتي كل يوم على الساعة التاسعة ليلا من إذاعة تونس بجديد انتصارات المجاهدين على عدوهم، فيرفع ذلك من معنوياتهم ويزيدهم إصرارا على دعم الثورة والإيمان بالنصر القريب⁴.

إن الاحتلال الفرنسي الذي حمل عناصر ثقافية جديدة، وإن كان اعتناقها من طرف السكان قليل، وانسجامها مع الثقافة السوفية ضعيف إلا أنها تركت بصمات واضحة لا يمكن إنكارها خاصة استعمال كثير من المفردات الفرنسية في لغة التعامل اليومي لا سيما المفردات التقنية المتداولة، كما كان

1 _ AOM, 81 F 2157, (d. 01), Op. Cit, p 06.

2 _ Ibidem.

3 _ SHDDE, 1 H 2055, (d.01), Op. Cit, p 19.

4 _ عمر بن أحمد طليبة: جالية ونضال 1954 – 1962، الرمال للطباعة والنشر والإشهار، (د.ط)، الوادي، مارس 2021، ص 49.

التأثر بنوع اللباس جليا وأصبح أمرا عاديا في الحياة اليومية للسكان.

الهجرة أيضا كان لها بصمة واضحة في تحوّل ملامح كثيرة في الثقافة الشعبية والممارسات الاجتماعية للسكان، فالاحتكاك والتفاعل مع المهاجرين الذين دأبوا على زيارة المنطقة من حين لآخر ممثلين في عدد كبير من العائلات والأسر، مما جعلهم يتوغلون في عمق الحياة الاجتماعية وتغيير الكثير من العادات والتقاليد، لقد أحدث هذا الاحتكاك تطورا في الذهنيات وتحوّلا على مستوى الثقافات السائدة، مع وجود نوع من المقاومة والصدود عند البعض غير أن العادات اليومية لأهل سوف سرعان ما تراجعت أمام اعتناق الشباب للثقافة الوافدة، خاصة إذا علمنا أن العديد من هؤلاء الشباب تزوّج من بنات العائلات المهاجرة، وهو ما أنتج نوع من التلاقح والانسجام بين الثقافتين المحلية والوافدة وطوّر بشكل ملحوظ من عادات وتقاليد أهل سوف.

بالإضافة أيضا إلى التحاق أعداد من الشباب بالمدن الكبرى في الشمال الجزائري وتونس قصد طلب العلم أو العمل وعودتهم بأفكار وعادات جديدة، كما أن عدد منهم تزوج من تلك المناطق التي التحقوا بها، وهو الأمر الذي غيّر كثيرا من الممارسات اليومية في سوف وأدخل عليها نوع من الديناميكية، خاصة إذا عرفنا أن المجتمع السوفي ليس مجتمعا مغلقا بل متفتح على جميع الثقافات الأخرى لا سيما القادمة من الشرق، هكذا وبفعل حركة الذهاب والإياب للمهاجرين اكتسب السوفي المقيم والمهاجر على حد سواء عادات جديدة مثل: تناول الغذاء على المائدة أو بواسطة الملاعق ونحوها، كما اختفت تدريجيا كثيرا من العادات البدوية بفعل التغيرات الحاصلة.

غير أنه وككل عملية تحوّل لا بد من بروز عوائق قد تقف حاجزا دون تغير ناجح، وقد يكون من تلك العوائق مايلي:

— تعامل بعض أفراد المجتمع بحذر شديد مع كل جديد، لتقف رواسب السلوك القديم عائقا دون إحداث التغيير المنشود، السوافة حذرين من كل جديد فهم لا يقبلون على أي شيء جديد إلا بعد تردد طويل وأخذ وعطاء، فالسوفي يتسم بالمحافظة وقلة المغامرة مع التردد وأخذ الحيلة اللازمة، ولا يقتنع

بالجديد إلا بعد أن تفصل التجربة في صلاحيته وجدواه، وعندما يتأكد من منفعة يقبل عليه ويصبح جزءا من ثقافته وسلوكه، والحقيقة أن الجديد ضروري كما هو الحال بالنسبة للقديم، فالجديد هو بذرة التطور والتغير.

— يقف كبار السن والمحافظين من التحول الاجتماعي والثقافي موقف الحائل دون إحداثه ويعارضون أي عنصر جديد يدخل على ثقافتهم الاجتماعية، وهم يمثلون العائق الأساس لكل تغير أو تحول، فقد وقف كبار السن وبعض المحافظين من التعليم الفرنسي بوادي سوف موقفا معارضا لانتماء أبنائهم له، إلا أنهم بعد سنوات أدركوا فائدته وراحو يشجعون أبنائهم للإقبال عليه حتى بلغ عددهم سنة 1962 حوالي خمسة آلاف تلميذ.

— هناك فئة تقف في وجه التحول وهي جماعة المصالح التقليدية، فإذا كانت الأحداث الجديدة تهدد عاداتهم الذهنية المستقرة بالزوال، فإنهم يتصدون لها ويعارضونها بشدة كما عارض أهل سوف في البداية الذهاب للمستوصفات التي أنشأتها الإدارة الاستعمارية لتلقي العلاجات الضرورية المختلفة أو لأخذ اللقاحات اللازمة وبيوت العينين لمداواة الرمد الحبيبي المستشري في المنطقة، غير أن فئة واسعة اقتنعت بجدوى هذه الهياكل، ولما عرف أصحاب المصالح التقليدية بأنها لا تؤدي مصالحهم، ولا تؤدي إلى محو تقاليدهم أقبلوا عليها دون تردد.

— من المعروف أن الذين يعارضون القيم الوافدة عادة ما يلبسون معارضتهم ثوبا منطقيا، فتراهم يبررون معارضتهم تارة بآيات قرآنية، وتارة أخرى بأحاديث نبوية، وثالثة بضرورة المحافظة على تقاليد الأجداد وعاداتهم، من ذهب عادته ذهب سعادته على حد قولهم.

وكخلاصة لما جاء في هذا الفصل، يمكن أن نقول أن الإدارة الفرنسية ومنذ استيلائها على منطقة وادي سوف، اعتبرت أن المدرسة آلة مرافقة للمجهود العسكري، حتى تسهل عليها عملية اقتياد أهالي المنطقة وبالتالي يسهل استغلالهم كأدوات طيعة لخدمة أهداف الاستعمار، ولكونه أيضا تعليم ذو اعتبارات سياسية محضة، وُضع التعليم الموجه للأهالي تحت وصاية وزارة الحربية، فكان افتتاح المدارس

التعليمية يسير بالتوازي مع الاحتلال العسكري، وباستتباب الأمر لهم انكششت عملية فتح المدارس ولم يكتب لها العودة إلا بعد الحرب العالمية الثانية.

غير أن التحول الملموس على مستوى المنظومة التربوية الاستعمارية لم يظهر إلا بعد اندلاع الثورة التحريرية، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال تضاعف عدد المدارس وانتشارها، وتضاعف عدد الحجرات المدرسية وأعداد المعلمين والتلاميذ، إلا أن هذه الزيادة تبقى محدودة وبعيدة عما هو مأمول أمام الزيادة السكانية المعتبرة وتحول موقف السكان من التعليم الفرنسي، والتحول الأبرز في موقف السكان برز من خلال الإقبال الكبير على تسجيل فتياتهم بعد ما كان عددهن لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة قبل عشر سنوات.

الإطعام المدرسي أيضا يعتبر تحول بارز في تاريخ المدرسة الفرنسية في المنطقة، وذلك بتعميم شبكة المطاعم على كافة المدارس تقريبا، حيث خصصت السلطات الإدارية بقيادة المتصرف الإداري شخصا ميزانية معتبرة للتكفل بإطعام كل التلاميذ المتمدرسين.

إلى جانب ذلك، ظهر التعليم المهني والتقني، وتم تعزيزه باختصاصات جديدة لكلا الجنسين.

كما برزت الرياضة المدرسية بشكل ملفت لأول مرة، وظهرت اختصاصات جديدة يمارسها التلاميذ في معظم المدارس، كما أضحت التربية البدنية مادة دراسية إجبارية يُمتحن فيها التلاميذ.

المنظومة التعليمية التقليدية كان لها أيضا نصيبها من التحول، بحيث أنها أضحت تساوي أو تفوقت أحيانا عن المدرسة الرسمية الفرنسية من حيث الكم والحجم والانتشار، مع محدودية إمكانياتها المادية والبشرية ونكبة سنة 1957 التي عصفت بأبرز الفاعلين فيها، غير أنها ومع قربها الروحي من السكان إلا أنها لم تتمكن من استقطاب أعداد أكبر مما استقطبته المدرسة الاستعمارية، بفضل هذه القاعدة التعليمية الوطنية تمكنت جبهة التحرير الوطني من إرسال كثير من الطلبة نحو ثانويات وجامعات عربية على غرار مجهودات جمعية العلماء المسلمين، لكن بأعداد أكبر وأكثر تنظيما وديمومة وتكفل شبه كلي بأغلب الطلبة الموفدين.

الفئات التي نالت نصيبا من العلم والثقافة كان لها بالغ الأثر على المجتمع السوفي من خلال دروس الوعظ والإرشاد والنشاطات الثقافية، كما كان لهم إشعاع حتى خارج الوادي وفي مناطق مختلفة من الجزائر في التعليم والإمامة والصحافة.

أما فيما يخص الألعاب الشعبية وبعد أن كان عدالألعاب التقليدية هي السائدة على غرار لعبة القوس ولعبة السيق، برزت وبشكل لافت لعبة كرة القدم التي أضحت اللعبة الأكثر شعبية، وبرز في سوف فريق أولمبي الواد؛ فقد تمكن هذا الفريق من قلب الشباب وأصبح موضوع أحاديثهم، خاصة أنه أثبت للجميع شراسته أمام الفرق العسكرية الفرنسية، وبصفة أقل ظهرت لعبة الكرة الحديدية وبعض الألعاب الأخرى لدى الأطفال والبنات فرنسية المصدر كلعبة لاماريل وغيرها.

الثقافة الشعبية أيضا كان لها نصيبها من التحوّل سواء من جانبها الشّعري أو النثري وحتى السلوكي، بدل التغي بالبادية والصحراء والمدح والهجاء وغيرها، توجّهت أغراض الشعر خلال هذه الفترة إلى تمجيد الثورة وانتصارات المجاهدين وذمّ المتخاذلين وأعوان الاستعمار، في نفس الوقت صار للحكواتي دور وطني بارز، أصبح يستنهض الهمم ويمجد حب الوطن والتشجيع على الدفاع عنه والتمسك بالروح الوطنية والعودة لتعاليم الدين الحنيف، من خلال إحياء التراث الديني في قالب يعيد للمستمعين صلتهم بماضيهم المشرق وتوظيفه بما يعود عليهم بالنفع في حاضرهم.

أما السلوك اليومي فقد تجلّى تحوّله من خلال تحوّل بعض أنماط وأدوات الأكل وأنواع الطعام التي ظهرت حديثا، وحتى تحوّل عادات ومواعيد الأكل، أما من ناحية اللباس فقد ظهرت ألبسة رجالية ونسائية حديثة وتمّ الاستغناء عن أخرى.

كما تم استغلال الطقوس الخاصة ببعض مظاهر مختلف المناسبات العائلية لإبداء التمسك بالوطن والدين، والتلهف للحرية والاعتاق من ربقة الاستعمار البغيض.

الخدمات اليومية المرتبطة بالمواطنين أصبحت أكثر حداثة وانتشار على غرار وسائل النقل الفردية والجماعية التي زاد عددها، وفتحت خطوط نقل جديدة داخلية وخارجية بفضل توسّع شبكة الطرقات

البريّة، مما سهّل حركة الأشخاص والبضائع حتى مع توقف السكة الحديدية، كما توسّعت شبكة الخطوط الهاتفية وعدد القَبَاضات البريدية وارتفعت طاقة المركز الهرتزي الأمر الذي مكّن الكثير من العائلات الميسورة من اقتناء المذياع لأول مرة في سوف.

الخاتمة

_ الخاتمة:

يتميّز مجتمع وادي سوف بمقومات اجتماعية وثقافية تحدد شكل العلاقات وأنماط التفاعل الاجتماعي ومظاهر الحياة الاقتصادية والثقافية، وتخضع هذه المقومات بين فترة وأخرى إلى مؤثرات متنوعة تفرضها طبيعة النمو والتغيّر والتحوّل كسنة كونية فلا شيء ثابت، وتكمن مظاهر التحوّل الاقتصادي والاجتماعي والثقافي في مستويات التغيّر واستبدال طرق وأنماط العيش وأشكال الممارسات وصيغ المعاملات ومبادئ التفكير بمظاهر أخرى، تستند إلى معايير جديدة تم اعتمادها كبداية عن المقاييس السابقة التي أصبحت في نظر المجتمع لا تستجيب لمتطلبات الوضع الراهن.

مجتمع وادي سوف عرف كبقية مكونات المجتمع الجزائري العديد من التغيّرات والتحوّلات عبر التاريخ، تباينت أسبابها ومبرراتها كما اختلفت مظاهرها ونتائجها، وهي تفيد بذلك أن التحوّل سنة طبيعية في مسار المجتمعات، لا سيما خلال الفترة التي شهدت اندلاع الثورة التحريرية فقد حدثت تغيرات كثيرة ومتنوعة ومختلفة ومتتالية حولت مسار الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية إلى مظهر مغاير لما كان سائدا في ما سبق، وقد كان الحدث السياسي العامل الأبرز في إحداث تلك التحوّلات، حتى أنه يمكننا الجزم أن كل التغيّرات والتحوّلات التي مسّت مختلف جوانب الحياة تعود إليه، وهو ما تمت دراسته خلال هذا البحث الذي خلص إلى ما يلي:

عملت السلطات الاستعمارية في وادي سوف على تغيير النمط الاقتصادي للمنطقة بما يخدم مصالحها ويُسبّع نهمها في الاستلاء على خيرات البلاد واستعباد العباد، لقد كان المجتمع السوفي منذ القديم يعتمد على التفاعل في محيط بيئته لتوفير متطلباته واحتياجاته الضرورية بما يضمن له استمراريته وبقائه، وقد تعددت أنشطته الاقتصادية بين الزراعة وتربية الماشية والرعي، والتجارة الداخلية والخارجية، والصناعات الحرفية، هذا التنوع في الأنشطة ساهم بشكل كبير في ضمان استمرارية الحركة الاقتصادية لا سيما عند ركود نشاط اقتصادي معيّن لسبب ما، كما ساهم في خلق توازن واستقرار مجتمعي طيلة سنوات.

فمن أهم مظاهر التحوّل الاقتصادي في وادي سوف تشجيع السلطات على غراسة نخلة دقلة نور على حساب نخلة الغرس، دقلة نور موجّهة للتصدير وتخدم اقتصاد المحتل، أما الغرس فهو الغذاء الأساسي للسكان وأي نقص في كميته يُحدث خللا على مستوى القدرة المعيشية للأهالي؛ حتى أنها وفي إطار مشروع قسنطينة قامت بغرس أعداد كبيرة من نخلة دقلة نور في مناطق الحمرية وهبة وسيف المنادي، توقف غرس نخلة الغرس مع النمو السكان السريع أحدث خللا على مستوى العرض والطلب لمادة أساسية وضرورية للعيش، مما أدى إلى تدني المستوى المعيشي وظهور الفقر لعدم توفر موارد بديلة.

زراعة التبغ أيضا استهدفتها السياسة الاستعمارية في محاولة لاستغلال الفلاح وزيادة أرباح محتكري ومصنعي هذه المادة؛ فكَبَلَت الفلاح بالقروض وتقليص هامش الربح، فبعد أن كانت هذه الفلاحة في ازدهار وتوسع مستمر للمساحات المزروعة، في ظرف سنوات قليلة تهاوى عدد الفلاحين وهجروا فلاحتهم التي توارثوها أبا عن جد، منهم من غيّر نمط فلاحته واتجه نحو زراعة الخضر وهناك من آثر الهجرة.

أما الخضر والفواكه التي كان يزرعها الفلاح في الغوط ممارسا بذلك سياسة الاكتفاء الذاتي فقد أصبح يقتني أغلبها من السوق حيث توقّرها الشاحنات التي دخلت حديثا حيز الخدمة بفضل شق الطرقات، إضافة إلى ظهور فئة الأجراء وتوقّر النقد لديها مما يشجع على شرائها بدل زراعتها.

فيما يخص الريّ، تمكّن الفرنسيون من التنقيب عن المياه وتفجير العيون مما مكّن المعمرين بالدرجة الأولى في كل من الوادي وقمار الاستفادة من شبكة المياه، وهو ما شجّعهم أيضا على تبني الزراعة المسقية بدل البعلية السائدة في سوف، وهو ما أُنذر في حينه عن ظاهرة صعود المياه الجوفية، بعد أن كانت المنطقة تعاني من نضوبها مما يدفع الفلاح لتنزيل النخلة حتى تلامس جذورها الماء، لكنهم لم يولوا الأمر أي اهتمام.

من خلال دراستي للنمط الاستهلاكي للفرد السوفي، اتضح وجود ظاهرة غريبة ومعقّدة للغاية تغطي على سلوك استهلاك أهل سوف للحبوب ومشتقاتها، حيث من المفروض خلال السنوات التي يقل فيها

منتوج النخلة خاصة تمر الغرس، الذي يُعرف بجبز السوافة، يُقبل السكان على استهلاك الحبوب ومشتقاتها كبديل لنقص مادة التمر، غير أن العكس هو الذي حدث على النمط الاستهلاكي في سوف خلال سنوات نقص التمر يقلص السوفي استهلاكه من الحبوب ومشتقاتها، بينما ما هو متوقع العكس إذا نقصت كمية التمر المعد للاستهلاك اليومي يُعوّض بمقدار من الحبوب، لكن السوفي يعتمد على التمر ويتصرف حسب الكمية المتوفرة منه، السنوات العجاف ومكابدة ظروف العيش في الصحراء أوحّت له بانتهاج سياسة اقتصاد النملة، وسط تفعيل دائم لنمط الادخار طويل المدى، اكراهات الطبيعة ونسق الحياة الصحراوية، وظروف الحرب التحريرية التي يخوضها أجبراه على ما اصطلح على تسميته باقتصاد الحرب حسب التعبير الحالي لخبراء الاقتصاد، بينما قد يصفه بعض الخبراء والأنثربولوجيين بالاقتصاد البدائي، بينما يذهب أحد التقارير الفرنسية بلغة توحى بنوع من التهكم والتنازع بوصفه سلوك اعتاده الجياشة والمهريين، غير أن هذا السلوك عمليا أثبت نجاعته وفعاليته في هذا الوسط الصحراوي المتقلب الظروف، فما هو متوفر اليوم قد لا يكون غد، وعصفور في اليد أفضل من عشرة عصافير على الشجرة.

وما شهد تحولا سريعا في ظرف سنوات قليلة هي ظروف عمل اليد العاملة، العامل يحفر ويرفع الرمل في الوقت الذي كان جزء كبير من الرمال يحمل على الأكتاف يتلقى مقابلا قُدر بأقل من مئة فرنك ليوم عمل، بينما ارتفع أجر نفس العامل إلى عشرة أضعاف في ظرف سنوات قليلة، مما سمح لكثير من الرّمالة اقتناء حمار أو حصان وهو ما يُعتبر أحد مظاهر الترف، هذا التثمين المفاجئ إن صح التعبير للعمل نتج عن توفر أعمال أخرى غير فلاحية وظهور الأجور الحديثة ولا يمكن بأي حال من الأحوال إرجاع ذلك إلى الظروف المحلية للمنطقة.

الأرقام والنسب والإحصائيات على الورق توحى بأن هناك تساهل في جباية الضريبة وأن هناك فئة كبيرة من الأهالي لم تعد تؤدي ما عليها من أتاوى، لأنها أضحت غير قادرة ماديا على تسديد تلك الأداءات مهما خفّضت السلطات في قيمتها، نفس الأرقام تقول أن الحصيلة العامة للضرائب لم تسجل

النقص الذي تسوّق له السلطات الإدارية في ملحقة الوادي، ما عدا الانخفاض النسبي المسجل على مستوى تحصيل الضرائب غير المباشرة، التراجع المسجل قد يعود إلى التهرب الضريبي من قبل التجار وهو مستبعد أو إلى توقف أنشطتهم أو نقص فادح في استهلاك السلع التي تخضع لمثل هذه الضرائب.

لقد بلغ سوء الوضع الاقتصادي والاجتماعي في سوف حدا لا يطاق، نتيجة السياسة الاستعمارية التي أدت إلى تفكير الأهالي وعجزهم عن تحصيل قوتهم اليومي، حتى أنهم أصبحوا يتهللون فرحا عندما يغزو الجراد المنطقة، لطهيته وملء بطونهم، وحتى تمليحه وتخزينه لقادم الأيام، فمن الطبيعي أن يعجز السوفي عن سداد الغرامات المفروضة عليه، بل اضطرت أعداد كبيرة للهجرة ومغادرة مسقط الرأس لا حبا في التغرب ولكن شظف العيش بلغ منتهاه.

من الملاحظ أن مواد النسيج تظل دائما مطلوبة، غير أن هذا النشاط يبقى في الغالب ممارسا من قبل الشيوخ، لأن الشباب أضحي لا يتوارث هذه الصناعة الفذة، فهو يعزف عن هذه الحرفة إضافة إلى أن الأثمان الزهيدة المقترحة من قبل المؤسسات الاحتكارية الفرنسية تعيق تطوّر هذه الصناعة.

الأجور العمومية لاسيما العسكرية منها ارتفعت إلى سبع أضعاف، إنه الأثر الواضح للحرب الدائرة التي تعيشها البلاد، وللسياسة الاجتماعية التي انتهجتها السلطات الاستعمارية لمواجهة هيب الثورة، في نفس الوقت المداخل الآتية من تحويلات المهاجرين زادت بأكثر من أربع مرات، كانت تمثّل إلى وقت قريب حوالي ثلثي الإيرادات غير التجارية إلى أن بلغت حاليا أكثر من النصف.

فالحوالات النقدية المرسلة من قبل المهاجرين في فرنسا تضاعفت أربع مرات، وذلك من خلال الحوالات المدفوعة عبر مكاتب البريد المنتشرة في سوف، الارتفاع شمل أيضا الحوالات المرسلة من تونس، هذه الأخيرة لها أهميتها فهي تضم أكثر من نصف تعداد مهاجري الملحقة، حركة الأموال القادمة منها ارتفعت مع الغلق

الشبه تام للحدود في هذه الأثناء، في الوقت الذي تلعب فيه بقية المدن الجزائرية دور ثانوي مقارنة بمداخيل مهاجري فرنسا وتونس.

إن كتلة الأموال الوافدة على سوف بما فيها الأموال المرسلة من قبل المهاجرين تُوزَّع على أساس أجور؛ هذه الأخيرة تعتبر ظاهرة جديدة وتحوّلا في سوف، مع أن النشاط الاقتصادي في القرى لا زال مرتبط في أكثر من نصفه على العادات القديمة للاقتصاد السوفي، ثنائية اقتصادية قلّ حدوثها تكشف عن تماسك هذا الوسط وقدرته على التغير في آن واحد.

النظام الغذائي تحوّله كان نحو الأحسن ولكنه لم يتغير كثيرا، فقد دخلت في الثقافة الاستهلاكية الغذائية للسوفي استهلاك المصبرات.

بشكل مفاجئ تنوّعت المنتجات المطلوبة مقارنة برتبة المشتريات التقليدية، فقد زاد الطلب على الأقمشة والسكر والشاي والملابس الجديدة العصرية المستهلكة من قبل الموظفين وذويهم خاصة، بالمقابل يلاحظ زيادة إقبال النسوة على الملابس الشرقية الفاخرة كما أن الأقمشة الشفّافة ذات الألوان الزاهية عوّضت اللونين التقليديين الأسود والبرتقالي.

أما الحدث الأبرز على الإطلاق فهو شراء الراديو (المذياع) لا سيما من طرف العسكريين المهاريست والثلاجة من طرف بعض الموظفين، إنها مقتنيات تعكس المكانة والرفاهية، وهو ما سينعكس على ترتيب طبقات المجتمع.

السكة الحديدية في سوف تم تعويضها بطرق معبدة، مسالك ممهدة تتصل بجميع المراكز تقريبا، إنه الانتقال من الحمار والحصان إلى السيارة والشاحنة؛ لكن الملاحظ أثناء السير بجانب الطريق أن عدد الشاحنات أكثر من السيارات.

لقد تضاعف نشاط التبادلات في ملحقة الوادي تحفه حركة النقل ونقود الموظفين؛ لكن الوادي وسوقها فقط من استفاد من هذه التحولات، ولكن لا يجب أن يغيب عن أذهاننا أن كل هذا الصرح الاقتصادي مبني على تضخم الإيرادات (كتلة الأجور)؛ فهو رخاء هش غير مبني على أسس اقتصادية متينة.

بتحول هيكل النشاطات والمهن في الوادي، لم تعد الفلاحة هي الحرفة الأساسية للسكان مع أنها طالما كانت سببا في وجودهم، في أحسن الأحوال أصبحت اليوم مجرد نشاط مكمل لميزانيات بعض الأسر، هذا إن بقيت لبعضها ملكيات في غيطان النخيل التي انتهت إلى البيع أو التفتيت بالميراث، إن تحول هيكل الأنشطة الاقتصادية غير كثيرا المجتمع التقليدي في ظرف بضع سنين، بتأثير التحولات السياسية والاقتصادية، وأهمها اندلاع الحرب التحريرية وحركة الهجرة الواسعة التي عرفت المنطقة نتيجة التدني غير المسبوق للمستوى المعيشي للسكان، ثم اكتشاف النفط بمنطقة حاسي مسعود سنة 1956، إذ توجه هناك كثير من كانوا فلاحين أبًا عن جد، إلى البحث عن العمل وعيش أفضل، مما سبب نزيفا كبيرا في اليد العاملة والخبرة الفلاحية، لقد غير هذا كثيرا في نمط حياة الفلاحين القدامى بصفة خاصة، وفي تركيبة وشكل العلاقات الاقتصادية والاجتماعية.

نسبة السكان الذين فضلوا الاستقرار بالمراكز الحضرية إن صحت هذه التسمية قد بلغت ستون بالمئة، بينما نسبة الذين ظلوا على الأطراف حوالي أربعون في المئة، مقارنة هذه النسب بنظيرتها التي أوردها عند بداية الخمسينات الباحث كلود باطيون في كتابه سوف دراسة في الجغرافية البشرية؛ والتي قدرها حينها بحوالي ثلاثون بالمئة للمستقرين وسبعون في المئة من المنتشرين، تجعلنا نقف على تحول كبير أو انقلاب إن صح التعبير في ظرف سنوات قليلة نحو جنوح الأغلبية لحياة الاستقرار، مقر الإقامة الجديد يمثل للمقيم قطعة مع نسق القبيلة ومجتمع البداوة والانخراط في مجتمع حضري في طور النشوء.

اعتبرت الكتابات الفرنسية إخراج البنات إلى المدارس بوادي سوف وغيرها، دفع بعجلة التطور قدما وفسح مجال الحضارة التي تغزو المنطقة شيئا فشيئا أمام المرأة، وهكذا تم إقحامها واكتظت صفوف المدرسة بالبنات، وصار الإقبال مطلبا شعبيا خلال هذه الفترة.

كما كانت المرأة السوفية على موعد مع التاريخ عبر مختلف مراحلها، خاصة خلال ثورة التحرير لتبرز مشاركتها الفعالة في الكفاح المسلح عبر تأديتها لعدد من المهام التي اقتضت ضرورة الكفاح القيام بها، ومع خطورة هذا الأخير إلا أن قوّتها الروحية وحبها لوطنها الجزائر مكّنتها من التصدي لقهر المستعمر الفرنسي والمساهمة في تحرير الجزائر، لقد احتفظت لنا سجلات أعضاء جيش وجبهة التحرير الوطني بما لا يقل عن 120 مجاهدة وخمس شهيدات سوفيات.

الزيادة السكانية المعتبرة وتطور الرعاية الصحية وتوسع الإقامة بالمستشفى أظهرت أن الهياكل والتجهيزات القديمة لم تعد قادرة على تلبية الاحتياجات فكان لابد من حل سريع، تمثل الحل في إنشاء مستشفى جديد دُشن من قبل الوزير المنتدب لدى الوزير الأول مكلف بالشؤون الصحراوية "جاك سوستال"، هذا المستشفى حُطّط له وأنجز طابقه السفلي والأرضي المهندس البلدي بالوادي رايغوند فريزي، أما الطابق الأول فقد تكفّلت به مقولة روداري من بسكرة.

بُني المستشفى فوق قبو يعلوه طابق يتمركز حول قسم الجراحة، يضم في الأسفل مصلحة الأشعة، في حين تحتل المصالح الإدارية الطابق الأرضي بالمستشفى العديد من المصالح منها: مصلحة الطب العام، السل، الجراحة، طب الأطفال، الولادة، والأمومة بالإضافة إلى المخبر والصيدلية، يعمل به العديد من الممرضين المسلمين الذين يدعمون كبير الأطباء إضافة إلى فريق من الأخوات البيض وبعض الممرضات.

عرفت عمارة مدينة الوادي خاصة تعددا وتنوعا في أشكال النسيج العمراني وأصبحت المدينة تعيش في قطاعات منفصلة، أحياء شعبية فقيرة (العمارة المحلية) تميزت بتصميم تداخلت في تكوينه عدة ظروف

ومعطيات وتحكمت فيه اعتبارات دينية، جغرافية، مناخية، اجتماعية واقتصادية من جهة، ومن جهة أخرى أحياء سكنية مخططة ومنظمة بطريقة غير مألوفة (العمارة الفرنسية)، تميزت بتقنيات بناء تقوم على أسس علمية دقيقة ملائمة للمناخ السائد مع المحافظة على الطراز المحلي للمنطقة، وهنا لا بد من التأكيد على تبني المعمرين للنمط المعماري السوفي من قبة ودمسة وغيرها، مع إدخال التحسينات اللازمة عليها.

مع اندلاع الثورة التحريرية في أول نوفمبر 1954، وتطبيقا لمرسوم السادس من أبريل 1955 الذي يعلن فرض حالة الطوارئ في الجزائر، جاء المرسوم رقم 55-544 المؤرخ في 19 ماي 1955 ليفرض الأحكام الاستثنائية ببلدية الوادي المختلطة، منذ ذلك الحين أعلنت الأحكام العرفية وتركزت كل السلطات بيد متصرف الشؤون الأهلية، تبعا لذلك عرفت سوف عدة مصادرات ومتابعات وآثار بالغة الخطورة مستت جوانب مختلفة من حياة السكان، ردود أفعال الاستعمار تلك أدت إلى تقليص دور القاضي المسلم، فكانت سنوات الثورة بوادي سوف فترة قهر وكبت للحريات وقمع وحشي شاركت فيه الإدارة العسكرية وأعوانها الذين أخذوا مكان القاضي، وتعاضم دور السلطة الفعلية (المكاتب العربية) وسط الأهالي في فض النزاعات وفرض العقوبات والسيطرة على الأموال والأراضي، كما تحوّلت شكاوى السكان من إطارها التقليدي "الجماعة" إلى القايد كواسطة مع الإدارة الفرنسية التي حلت محل الهيئات التقليدية القديمة.

ثبت لدى السلطات الاستعمارية بما لا يدع مجالا للشك دعم البدو الرحل للثورة وانخراطهم الالمحدود فيها، فقد أمدوها بالموء والرجال، كما كانت خيامهم محطات ومراكز للاتصال والتخاير وتبادل المعلومات بين مجاهدي الداخل وأولئك الرابضين على الحدود الجزائرية التونسية، فلجأت السلطات إلى إحكام السيطرة وفرض المراقبة الدائمة وتحديد حركة هؤلاء البدو، بغرض اجتثاث تواجدهم في هذه المناطق الحساسة لتجفيف مصادر تموين الثوار وقطع أي اتصال للسكان بهم، وفرض منطقة عازلة بين الحدود مع ليبيا وتونس شرق وادي سوف والمناطق الحضرية غربا، منطقة محرم دخولها على غير القوات الفرنسية، أحدث الاستعمار بذلك خللا كبيرا في نسق البداوة على مستوى إقليم سوف، فقد تمت عملية ترحيل قسري غير

مباشر، بحشد وتكديس عدد كبير من البدو داخل رواق واحد محدود المجال ومحدود المردود، لقد تم دفع البدوي قسرا لصرف النظر عن تربية الماعز والأغنام والإبل، بل اضطر عدد كبير من البدو الرحل مكرهين إلى هجر حياة الترحل وتفضيل حياة الاستقرار والإقامة الحضرية الدائمة، في هذه الحالة وبما أن اقتصاد قرى المستقرين بسوف فلاحى بالدرجة الأولى، يتسم بكونه لا يكف لسد الحاجات الغذائية الضرورية، خاصة وأن المنطقة تشهد في نفس الوقت نقص في منتج تمر الغرس المادة الرئيسية للغذاء، وفي ظل تزامن النمو السكاني المتزايد مع انخفاض نسبة الوفيات لا سيما بين الأطفال لتحسن العناية الطبية ودخول أعداد هائلة من البدو الرحل بتلك القرى المتناثرة في فترات متقاربة، مما نتج عنه أزمة غذاء حادة لعدم كفاية الكمية المنتجة من التمر الغرس من جهة والطلب المتزايد على المواد الاستهلاكية من جهة أخرى.

لم تنجم هذه الأزمة عن اضطرابات مناخية طبيعية طارئة، بل هي نتيجة لتحطيم وتصدع التنظيم الاجتماعي القبلي، الذي كان يأخذ بفضل تنظيمه التكافلي الفريد التغيرات المناخية المفاجئة بعين الاعتبار كمساوئ سنوات الجذب والقحط والرياح واجتياح أسراب الجراد للمنطقة، هكذا دمّرت السياسة الاستعمارية الروابط الاجتماعية وخلقت كيانا مجهولا نتج عنه تكس يد عاملة من غير عمل بين المستقرين مما شكّل فائضا معتبرا في كتلة القوى القادرة على العمل بدون عمل، الأمر الذي اضطر الأهالي لهجرة قسرية اضطرارية في محاولة للهروب من حالة الفقر المدقع التي عمّت الملحق، بالإضافة إلى ذلك هناك آثار عديدة أخرى يمكن إيجازها في النقاط التالية:

- تحوّل هيكل القبيلة وانخفاض حدة تأثيرها على أفرادها، وإن ظلت تعتمد على تراتبها الهرمي الذي على رأسه شيخ القبيلة ويساعده رؤساء العشائر، ذلك يعود إلى انقسام العائلة من حيث بنيتها وتحوّلها من أسرة ممتدة إلى أسرة نووية، وهو ما يُلقب بضلاله على تماسك الوحدة الاجتماعية القائمة على العصبية والتعاون إلى التفرق وذهاب وهج العلاقات القرابية الدموية لتفسح المجال لبروز روح الفردانية.

- التحول من الملكية الجماعية للأرض إلى التملك الشخصي، فبدلاً من الاستفادة والاستغلال الجماعي للأرض المستغلة، برزت ظاهرة حب التملك الفردي أو الشبه جماعي في أحسن الأحوال .

- استفحال ظاهرة الفقر وظهور توسعات سكنية فقيرة، مما خلق مشاكل اجتماعية حمة وبرز بعض الظواهر والآفات الاجتماعية الغربية عن روح المجتمع السوفي المتمسك بعاداته وقيمه الدينية كالسرقة وشرب الخمر وغيرها من الموبقات.

التراجع الكبير في أعداد البدو انعكس سلباً وكان له بالغ الأثر في السقوط الحر لأعداد رؤوس الماشية بمختلف أنواعها من إبل وأغنام وماعز، هذا النقص المسجل على مستوى جميع أصناف الماشية عندما نترجمه إلى لغة الموازنات الاقتصادية، يحيلنا على عجز في مادة وبر الإبل، عجز في مادة شعر الماعز، عجز في التموين بمادة الصوف، عجز في التموين بمادة اللحوم الحمراء، حتى أصبحت الملحقة تستورد اللحوم بعد أن كانت منطقة مصدرة لها.

كان للعجز المسجل في التموين بمواد؛ الوبر، الشعر والصوف خلال هذه الفترة، إضافة إلى التدهور الذي شهدته خلال السنوات السابقة، بالغ الأثر السلبي على حركة وعدد الأنوال النسيجية في سوف، أي تدهور الصناعة المحلية التقليدية، وما يسببه من تدني لمستوى معيشة فئة عريضة من الأسر التي تعتمد على هذه الصناعة كمصدر عيش.

لقد زاد عدد المستقرين في سوف بصفة مذهلة وفي مدة قصيرة نسبياً، لقد انتهى الدور التكاملي بين المستقرين وشبه الرحل، إنه عدد هائل من القوة الشابة القادرة على العمل يتراكم ويضغط بعضه البعض في منطقة محدودة الموارد وفرص العمل، منعدمة الإمكانيات، لا حل قريب في أفقها إلا خيار المغادرة والهجرة الشبه قسرية إلى مختلف مناطق الوطن وحتى خارجه.

سجّلت الدراسة عجزاً كبيراً على مستوى الهياكل المدرسية، الملاحظ أنه ومع الوتيرة السريعة لعدد البناءات المدرسية؛ حيث تضاعف عدد المدارس بين سنتي 1954 و1962، وهو ما تم تسجيله أيضاً بالنسبة لعدد الحجرات المدرسية الذي تضاعف أكثر من ثلاث مرات ونصف بين سنتي 1948 و1962، إلا أن نسبة النمو الديموغرافي المتسارع يجعلها غير كافية ولا تستجيب للمطالب الواقعية، ففي أقل من أربع سنوات انتقل معدّل التلاميذ في القسم الواحد من حوالي 28 تلميذ في القسم سنة 1959 إلى معدّل حوالي 41 تلميذ سنة 1962، وهو اكتظاظ يفسّر من دون شك إقبال الأهالي ورغبتهم في إلحاق أبنائهم بمقاعد المدارس الفرنسية من جهة، وتزايد نسبة الأطفال الذين بلغوا سن التمدّس من جهة أخرى، حيث بلغت نسبتهم سنة 1962 حوالي عشرون بالمئة من مجموع سكان سوف، أي ما يزيد عن 25 ألف طفل؛ تتراوح أعمارهم ما بين سن السادسة والرابعة عشر، لم يتمكن منهم سوى خمسة آلاف طفل الالتحاق بمقاعد الدراسة وهو ما نسبته خمسة بالمئة فقط من سكان الملحقّة، أما العشرون ألفاً الآخرون من أطفال وادي سوف هم خارج حجرات الدرس، لاستيعاب هؤلاء الأطفال وبنسبة أربعون تلميذاً في القسم الواحد وجب استحداث خمسمائة قسم جديد.

النسب والأرقام المذكورة تدحض أي تصريح تدّعيه السلطات الإدارية الفرنسية في سوف؛ تتباهى فيه بإنجازاتها ومجهوداتها المبذولة من أجل تمدّس الأطفال، فما تمّ إنجازه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يحقق التحوّل المنشود الذي تستهدفه وتسعى إليه السلطات الإستعمارية، إلا إذا أقرّت بأن ضغط الثورة التحريرية والنزيف المالي والاقتصادي الذي سببته لها حال دون تحقيق ذلك المسعى وتلك الأهداف، خاصة إذا علمنا أن السلطات العسكرية بملحقّة الوادي اضطرت تحت قوة الضربات المتتالية للثوار إلى غلق مدارس الطريفوي وحاسي خليفة والدريميني والرقبية سنة 1957 وحولتها إلى ثكنات تأوي جنود اللفييف الأجنبي، ولم تعد للخدمة إلا خلال الموسم الدراسي 1959/1960.

الأمر الثاني الذي حملته الأرقام وهو ما يبعث على الاستغراب فعلا، هو مع أن نسبة خمسة بالمئة من الأطفال المتدربين تعتبر ضئيلة جدا، غير أن نسبة الاكتظاظ داخل الأقسام تزداد من سنة لأخرى، لا يمكن أن تفسر سوى بتحول ولو نسبي في موقف السكان، وتراجع ذلك التحفظ الذي كانوا يبدونه من إلحاق أبنائهم بالمدارس الفرنسية والذي ظل سائدا لسنوات عدة.

حجم التحول الذي شهده التعليم التقليدي على مستوى وادي سوف خلال الفترة المدروسة؛ لا يمكن رصده بسهولة سواء على مستوى شبكة انتشار هذه المدارس والكتاتيب أو من حيث عددها وعدد معلميها وعدد تلاميذها، أو حتى على مستوى الأدوار التي قامت بها وتوسّع رقعة تأثيرها الثقافي والاجتماعي، فهذه الهياكل لم يعد دورها مقتصرًا على تحفيظ القرآن الكريم أو تقديم دروس قصد التوعية الدينية والحث على التمسك بالقيم ورموز الهوية، بل انتقلت من المقاومة الصامتة أو السلبية إن جاز ذلك، إلى المقاومة الإيجابية ومن رد الفعل إلى الفعل، أصبح معظمها مراكز تحت تصرف الثورة؛ كمحطات للاتصال السري، أو نقاط لتجميع الاشتراكات المالية والألبسة الموجهة للمجاهدين، كما أضحت مكاتب لتجنيد الشباب المستعد للالتحاق بالثورة وترغيب المتزددين منهم، اضطلعت بمهمة دقيقة وحساسة في ظرف عصيب، خاصة بعد انتشار المكاتب العربية في كل المنطقة وعيون الاستعمار بالمرصاد لكل حركة مريبة.

توصلت الدراسة إلى أن نسبة التمدرس نفسها تقريبا في المدرستين الفرنسية والتقليدية فلم تزد عن الخمسة بالمئة، وهو الأمر الذي يبعث على التساؤل، خاصة وأن نفس التلاميذ تقريبا يترددون على المدرستين في نفس الوقت، قد نجد تفسير منطقي وواقعي يقف وراء تدني النسبة في المدرسة الفرنسية، لكن السؤال الذي يطرح نفسه بجدّة: ما هي الأسباب الكامنة خلف ضعف نسبة التحاق أطفال الأهالي بالمدارس القرآنية في وادي سوف خلال الفترة المدروسة؟ كما أن هذه النسبة الضعيفة تدفع إلى التساؤل عن مدى أهمية هذا التعليم ومدى تأثيره في الأوساط الاجتماعية؟

الإجابة القطعية عن السؤال المطروح تتطلب مزيدا من البحث والتقصي الجدّي، غير أنه يمكن ترجيح أحد سببين أو كليهما؛ السبب الأول قد يعود إلى حركة النزوح التي شهدتها وادي سوف في هذه المرحلة وهجرة أعداد كبيرة من العائلات، أما السبب الثاني قد يرجع إلى الفقر الذي ساد المنطقة، مما دفع بالأولياء إلى توجيه أبنائهم نحو سوق العمل بدل الدراسة رغبة في تحقيق دخل إضافي يعين الأسرة على مواجهة وضعيتها المادية المتدهورة، ونفس الأسباب قد تنسحب على المدرسة الفرنسية أيضا، كما أضيف سببا ثالثا وإن كان ضعيف نسبيا وهو لضيقها عجزت مقرات المدارس التقليدية عن استيعاب عدد أكبر من التلاميذ.

من المتعارف عليه أن التعليم مرتبط بالبنية الأساسية التي تساعد على إنجاز مهامه والقيام بوظائفه الأصلية والطبيعية، لهذا قد يكون من المبالغة اعتبار الكتابات والزوايا في وادي سوف بُنى تحتية مسهّلة للتعليم؛ لما تتميز به من بدائية في الوسائل ومحدودية في الإمكانيات، وإنما هي حسب النسب السالفة الذكر فضاءات لمحو الأمية، غير مساعدة على تشكل نخب بالمعنى المعاصر للكلمة.

فالأمر إذن لا يتعلق بإلغاء لدور التعليم التقليدي ولا بإقصاء دوره التاريخي المفصلي، وإنما هي دعوة للتأمل في حجمه، ولفهم حقيقي لدوره الديني والفكري والسياسي، وهو ما ينطبق أيضا على المدارس الحديثة الثلاث، التي تتبع تحت أي شكل من الأشكال مناهج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؛ في كل من قمار وتغزوت والزرقم، التي ضمت مجتمعة 160 تلميذا.

الحقيقة التي يجب إدراكها، أنه لا يمكن نسب تشكل النخب في وادي سوف إلى تلك الهياكل التقليدية فقط، إنما تعود في مجملها إلى هياكل إسلامية معروفة مثل معهد ابن باديس بقسنطينة، وجامع الزيتونة المعمور بتونس والأزهر الشريف بمصر ومكة المشرفة والمدينة المنورة بالحجاز، لتتوسع بعد ذلك بفضل مساعي جبهة التحرير الوطني إلى بلدان شقيقة أخرى وجامعاتها العريقة في القاهرة ودمشق والكويت وغيرها.

ولم يقتصر التحول الثقافي في وادي سوف عن المنظومة التعليمية بشقيها بل كان للثقافة الشعبية نصيب أيضا من التحول الحاصل، حيث تحولت أغراض الشعر الشعبي لشعراء الجهة، فبعدما كانت محصورة في التفاعل الاجتماعي مع البيئة الصحراوية، أصبحت تتغنى بالثورة والجهاد والتطلع للحرية والاستقلال وهو ما ينطبق كذلك على الحكواتي والدور التوعوي الوطني الذي اضطلع به، كما وقفت الدراسة على تحول الألعاب الشعبية وظهور لعبة كرة القدم بقوة وكيف تحولت ميادينها مسرحا لمقارعة الفرق العسكرية الفرنسية، تحول حدث أيضا في ثقافة المأكّل وأنماط الأطعمة وأنواع اللباس لدى الجنسين، كما تم استغلال طقوس احتفالات المولد والختان والزواج لتتحول إلى تجمعات للتعبير عن الاعتزاز بالانتماء للدين والوطن.

أخيرا وليس آخرا، تبقى هذه الأطروحة خطوة نحو استجلاء بقية الخطوات من طرف الباحثين والدارسين، لأن هذه الدراسة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن ترصد كل التحولات الحاصلة خلال الفترة المدروسة، لهذا يبقى باب الاجتهاد مفتوحا أمام الباحثين والدارسين للتعلم أكثر في الموضوع، وإضافة ما قد اعتزى هذا البحث من نقصان، فهو لا يعدو أن يكون عمل بشري لا يخلو من السهو والنقصان فالكمال لله وحده، والله المستعان.

الملاحق

الملحق رقم 01: نموذج لفلاح يقوم بعملية رفع الرمال¹



الملحق رقم 02: عملية استخراج الماء من البئر بأحد غيطان وادي سوف سنة 1956²



1 _ Isnard. H, Op. Cit, p 160.

2 _ Isnard. H, Op. Cit, p 161.

الملحق رقم 03: جانب من السوق المركزي بالوادي سنة 1961¹

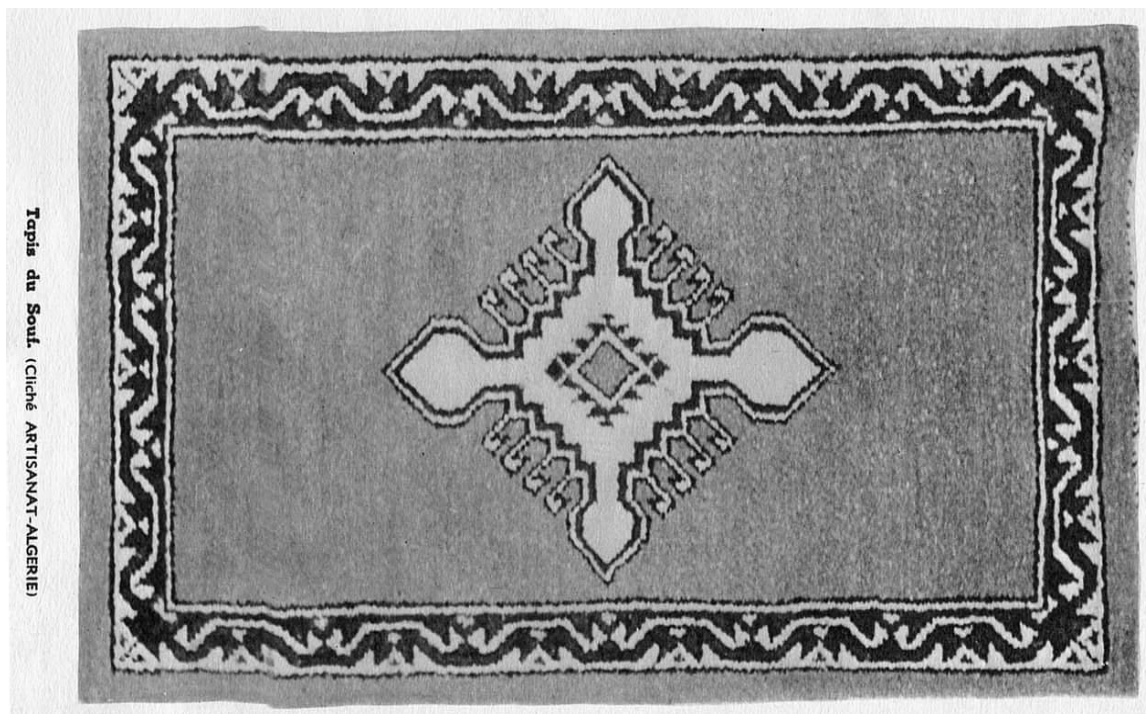


1 _ G. Salvy: L'économie pastorale saharienne (notices et statistiques), Op. Cit, p 45.

الملحق رقم 04: الجهة الخاصة ببيع الزرابي بالسوق المركزي بالوادي سنة 1955¹



الملحق رقم 05: زربية وادي سوف²



1 _ Chalumeau Pierre, Op. Cit, p 98.

2_ Riche. R, Op. Cit, p 10.

GOUVERNEMENT GÉNÉRAL DE L'ALGÉRIE

FONDS COMMUN

des Sociétés Indigènes de Prévoyances, de Secours et de Prêts Mutuels d'Algérie (Loi du 19 Juillet 1933-Décret-Loi du 30 Octobre 1934)

CONTRAT DE PRÊT DE CONSOLIDATION

عقد سلف تضمين (كانسوليداسيون) بين الواعين خطوط إنديجيم اسعاء

Département _____

MONTANT DU PRÊT : _____

Entre les soussignés :

Monsieur le Président de la Société Indigène de Prévoyance n° _____ de _____ Monsieur le Président de l'Administration du FONDS COMMUN des Sociétés Indigènes de Prévoyance créé en vertu de la loi du 19 juillet 1933, ayant son siège à Alger au Gouvernement Général de l'Algérie, Boulevard Puel.	Président Président
---	-----------------------------------

Il est convenu ce qui suit :

- Le FONDS COMMUN des Sociétés Indigènes de Prévoyance prête à M. _____ emprunteur, une somme de la somme de _____ montant d'un prêt de consolidation accordé en vertu de la loi du 19 juillet 1933.
- Cette somme servira à désintéresser les créanciers de la Société Indigène de Prévoyance dans les conditions fixées par le Conseil d'Administration du FONDS COMMUN.
- Ces opérations de remboursement des créanciers sont effectuées par le Président de la Société Indigène de Prévoyance ou par le Président de l'Administration du FONDS COMMUN agissant conformément au décret du 30 octobre 1934.
- L'emprunteur affecte à la garantie du présent prêt tous ses biens meubles et immeubles présents et à venir et ceux des immeubles dont détail ci-après :

وتستمر بالاتفاق الصريح وبمندية شروط أصلية لهذا السلف المالي إلى تحيز ذلك السلف ملكاً لصندوق المال وبحسب ذلك فلا يمكن فيها تحجير ولا تفاني ولا معارضة واقعة ضد المتسلفين كما أنه لا يسوغ لغيرها منها لغيرهم بالتعسف أو بالنيلية.

وعند عدم دفع الأموال الواجب أدائها وقت حلول أجل تكون لها فوائد بمقدارها القانوني وتستمر كذلك بكمال يوم تمام دفعها من غير لزوم اخبار بذلك.

وفي حالة ما إذا كان صندوق المال المشترك مجبوراً كان على الاداء لا مراً ما يكون له الحق في منحة مقدارها الثار معينة على الاطلاق لمغايرة خسائر العوائد والضرائب المحتمة بالامر المذكور.

المغارم التي يمكن ايجابها من جانب الاتفاقات الموجودة المالي تكون محمولة على تاهل المتسلفين.

يمنح السلف المالي لمدة سنتين يكون ابتداءها من العقد المالي لهذا السلف.

٢٠ - السيد

المتسلف يعترف بأنه مدين لصندوق المال المشترك الاحتياط الوطنية بعدد بالاداء بعد انقضاء السنة الاولى لعقد

اتعيين العدد على اصل ٢٠٢ في المائة من اصل ال و زيادة على ذلك العوائد المعجلة من العدد المسلف مبلغ خمسة فيرنتات في المائة فونك من كل سنة وفي السنة الثالثة يؤدي الباقي من اصل المال الباقي ديناً من بعد الدفع السابق ذكره و زيادة عليه العوائد المعجلة من في حساب مبلغ خمسة فيرنتات في المائة فونك من دفع ما يكون لازماً من التوائدان وجب ذلك لصندوق المال وقع الاتفاق بين المدينت من الآن بالمكان المنطوق في تم التي لا يكون الرضا فيها الا من صندوق المال المشترك و اعمالة التي لا يستطيع بأي وجه من الوجوه الغريم او الف دفع الباقي من ديونهم بعد تمام اسنة القالية. وانماكم الى هذه الاستطاعة هو صندوق المال المشترك وفي هذه الحالة في شروط جديدة منه لاداء الديون.

ويشترط في الدين ان لا تقع فيه تجزئة ويتأني طاه المتسلفين ومن باب منهم حسنة الترابيب المتسلفين في من اصل ٢٠٢١ من القانون المدني لا كور سيعمل في والمتسلف الحق في ان يتحرر ويخلص من مبلغ في اجزاء في اي وقت شاء وبدون تعريض قبل وصول وقته و يكون الجزء المدفوع اقل من مشرين بالنسبة بمكة المنا لان ويجب اسقاط ما دفع كذلك من الدفعة الاخيرة لمدة المشترك وفي اي حالة فلا يسوغ المتسلف ان يعتبر هات المسيفة من حيثها سبباً لتأخير الاداء المقرر اجله بعد ا

Il demeure expressément convenu comme condition essentielle des présentes, que les fonds du présent prêt demeureront jusqu'à sa réalisation la propriété du FONDS COMMUN et qu'ils ne pourront en conséquence être frappés d'aucune saisie-arrest ou opposition à l'encontre des emprunteurs ni faire l'objet, de la part de ceux-ci, d'aucune délégation ou cession.

A défaut de paiement des sommes dues à leur échéance exacte, celles-ci seront productives d'intérêts au taux légal qui courront de plein droit, jusqu'au jour du paiement intégral et sans mise en demeure.

Dans le cas où, pour un motif quelconque, le FONDS COMMUN serait obligé de produire à un ordre, il aurait droit à une indemnité de deux pour cent, fixée à forfait, pour le couvrir des pertes d'intérêts et dommages de toutes sortes occasionnés par la nécessité de l'ordre.

Les impôts dont seraient passibles les conventions contenues dans le présent acte seront à la charge des emprunteurs.

Le présent prêt est consenti pour une durée de deux années qui commencera à courir à compter du jour de la signature du présent acte de prêt.

11° M

emprunteur,

reconnait devoir au FONDS COMMUN des Sociétés Indigènes de Prévoyance la somme de frs et s'engage : à rembourser à l'expiration de la première année une somme de frs

(3,02 % du capital plus les intérêts échus de la somme prêtée calculés au taux de cinq francs pour cent francs par an) et à l'expiration de la deuxième année, le solde en capital restant dû sur le montant du présent prêt, après le versement dont il est parlé ci-dessus, plus les intérêts échus de ce solde calculés au taux de cinq francs pour cent francs par an, et s'il y a lieu tous accessoires pouvant être dus au FONDS COMMUN.

Les parties conviennent d'ores et déjà qu'une possibilité de prorogation pourra être envisagée, du seul gré du FONDS COMMUN, dans le cas où les débiteurs se trouveraient dans l'impossibilité absolue de payer à l'expiration de la deuxième année le solde de leurs dettes. Le FONDS COMMUN sera seul juge de cette impossibilité. Dans ce cas de nouvelles conditions de remboursement pourront être fixées par lui.

La créance est stipulée indivisible et pourra être réclamée aux héritiers et représentants des emprunteurs conformément aux prescriptions du paragraphe 5 de l'article 1.221 du Code Civil.

L'emprunteur aura le droit de se libérer par anticipation du montant du prêt à toute époque et sans indemnité, en totalité ou par fractions qui ne pourront toutefois être inférieures à un vingtième du capital présentement prêté et devront s'imputer sur le dernier versement à faire au FONDS COMMUN sans qu'en aucun cas, l'emprunteur puisse s'autoriser de ces versements anticipés pour différer celui de l'échéance subséquente.

ويقطع النظم عن النصوص المشترطة سابقا فإن دين السيد

في الأصل والعوائد والزوائد يسترجعها حينما وبحسب الحق صندوق المال المشترك مهما شاء بعد ٢٠ يوما من طلب الدفع بأخبار مطلق لم يلتفت إليه يتضمن تصريح صندوق المال المشترك بأنه يتمتع بما اشتمل عليه الشروط الحالي من غير الاتجاه إلى الوسائل الشرعية وذلك في حالة من الحالات المذكورة بعد :

أ) في الحالة التي لا يتولى المتسلف خدمة عقاراته بنفسه مباشرة ولا يقيم فيها شخصيا أو في المركز التابعة له وبخاصة إذا عاينها كليا أو بعضيا

ب) وفي الحالة التي يبيع فيها متسلف كل أو بعض عقاراته أو يرهنها ولو على شرط المراجعة أو يخضع من قيمة الرهن

ج) وفي حالة وفاة المتسلف اللوم إلا إذا قبل الورثة أو شركاؤه في السلف برضى صندوق المال المشترك الاستمرار على السلف بصورته وشروطه المنعقدة بها.

السيد

يتعهد أيضا بأنه لا يباشر أي سلف كان بطريق الرهن (إبوتيكا) أو مطلق السلف ولا يبيع ولا يكرى ما على ملكه كليا أو بعضيا من دون ترخيص له في ذلك من رئيس جمعية الاحتياط الوطنية بالنسبة لهذا من صندوق المال المشترك لجمعية الاحتياط الوطنية ومع هذا كله والذي يجب رعايته وملاحظته، فأكبر أن المتسلف ألا تعدى الضوابط المذكورة أعلاه فإن السلف يستخلف منه حينما.

ومن المعلوم أن صندوق المال المشترك يترك لنفسه الحق في طلبه من المتسلف جميع الضمانات الجديدة التي يظهر له وجوبها لصيانة حقوقه.

شروط خدمة

Nonobstant les termes, ci-dessus stipulés, la dette de M

en principal, intérêts et accessoires deviendra immédiatement et de plein droit exigible si bon semble au FONDS COMMUN, 30 jours après un simple commandement de payer demeuré infructueux et contenant déclaration par le FONDS COMMUN de son intention de profiter du bénéfice de la présente clause, sans qu'il soit besoin de remplir aucune formalité judiciaire, dans l'un quelconque des cas suivants; savoir:

a) Au cas où l'emprunteur n'exploiterait pas lui-même directement ses immeubles et ne résiderait pas personnellement sur ces immeubles ou dans le centre dont ils dépendent et notamment s'il les louait en tout ou en partie;

b) Au cas où l'emprunteur aliénerait ou remettrait en antichrèse tout ou partie ses immeubles même sous condition suspensive ou altérerait la valeur du gage;

c) Au cas de décès de l'emprunteur à moins que les héritiers, ou les co-emprunteurs ne consentent, avec l'agrément du FONDS COMMUN, à continuer le présent prêt sur le même pied et aux mêmes conditions.

M

s'engage en outre à ne contracter aucun emprunt hypothécaire ou chirographaire, à ne pas vendre ni louer sa propriété en totalité ou en partie, sans l'autorisation du Président de la Société Indigène de Prévoyance habilité, à cet effet, par le FONDS COMMUN des Sociétés Indigènes de Prévoyance, restant formellement entendu qu'au cas où l'emprunteur passerait outre aux prescriptions ci-dessus, le remboursement du prêt deviendrait immédiatement exigible.

Le FONDS COMMUN se réserve d'ailleurs, au cours du prêt, le droit d'exiger de l'emprunteur toutes garanties nouvelles qui lui paraîtraient s'imposer pour la conservation de ses droits.

CONDITIONS PARTICULIÈRES

السيد

يدخل في هذا العقد بوجه انه ملتزم بالضمان وكفيل بالسلف الى
نهاية خلاصه.

السيد

M

Intervient au présent acte au titre de caution solidaire en gar
du prêt jusqu'à son complet amortissement.

M

يدخل في العقد اعالي بوجه شريك المالك على الشياء ملتزم الضمان.

السيد

رئيس جمعية الاحتياط الوطنية نفرا الى الدار الذي اتخذه مجلسه
التصوي بتاريخ
أوجب مسؤولية جمعية الاحتياط الوطنية بمقابلة ملتزمة بالضمان
في المتسلف.

كتب في خمس نسخ بالنية الخالصة

intervient au présent acte au titre de copropriétaire indivis et
caution solidaire.

M

Préside

la Société Indigène de Prévoyance, sur la décision prise par
Conseil d'Administration en date du
engage la responsabilité de la Société Indigène de Prévoyance,
me caution solidaire de l'emprunteur.

Fait en quintuple et de bonne foi.

A Alger, le

19

١٩

في الجزائر يوم

L'Emprunteur:

(et les copropriétaires indivis s'il y a lieu)

المتسلف:

(شركاؤه في الملكية على الشياء ان كانوا)

La Caution:

الضامن

Le Président de la Société Indigène de Prévoyance

Caution:

رئيس جمعية الاحتياط الوطنية
الضامن:

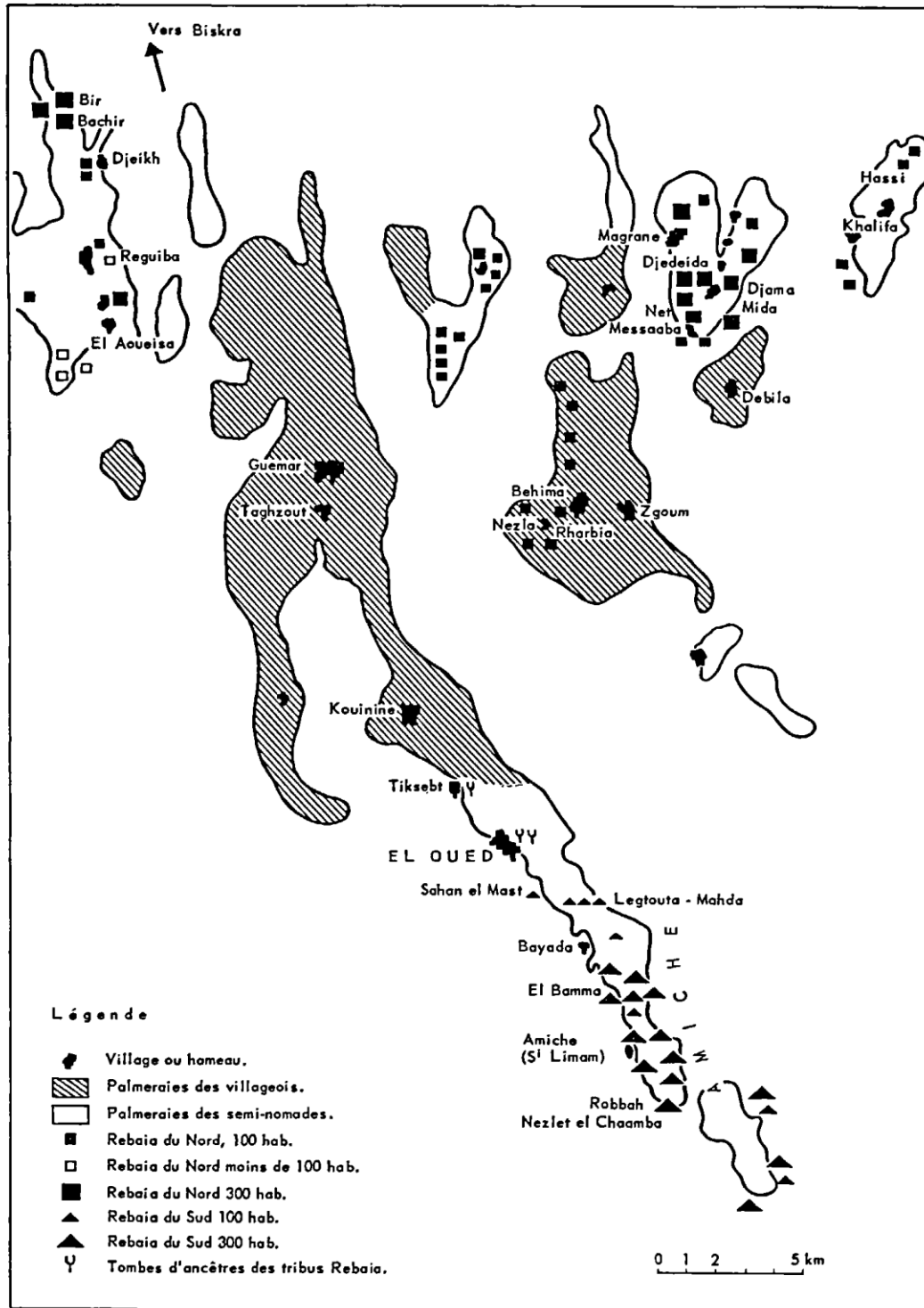
le Président du FONDS COMMUN

رئيس صندوق المال المشترك:

الملحق رقم 07: الإحصاء العام لسكان بلديات الدائرة الإدارية لسوف فيفري 1960¹

الرقم	البلديات	أقل من 20 سنة			أكثر من 20 سنة			مجموع الذكور	مجموع الإناث	المجموع العام
		ذكور	إناث	المجموع	ذكور	إناث	المجموع			
01	الوادي	4468	4063	8531	4296	4116	8412	8764	8179	16943
02	قمار	3215	2376	5591	2453	2988	5441	5668	5364	11032
03	كوينين	2225	2133	4358	2531	2187	4718	4756	4320	9076
04	الرقيبة	2316	2126	4442	2586	2135	4721	4902	4261	9163
05	المقرن	1084	1052	2136	1173	1024	2197	2257	2076	4333
06	البهيمه	863	795	1658	926	884	1810	1789	1679	3468
07	الدييلة	1442	1027	2469	1491	1311	2802	2933	2338	5271
08	حاسي خليفة	1318	1240	2558	1283	1216	2499	2601	2456	5057
09	البياضة	1499	1350	2849	1491	1435	2926	2990	2785	5775
10	النخلة	1241	976	2217	1099	1012	2111	2340	1988	4328
11	الرياح	1329	1199	2528	1292	1183	2475	2621	2382	5003
12	ربايع الجنوب	1778	1502	3280	1987	1674	3661	3765	3176	6941
13	الزرقم	686	625	1311	692	717	1409	1378	1342	2720
14	سيدي عون	693	624	1317	714	659	1373	1407	1283	2690
15	الطريفايوي	545	584	1129	591	517	1108	1136	1101	2237
16	وادي العلندة	1362	1072	2434	1373	1040	2413	2735	2112	4847
	المجموع	26064	22744	48808	25978	24098	50076	52042	46842	98884

1 _ SHDDE, 1 H 1107, (d.02), Op. Cit, p 07.



09

1_ C. Bataillon, Nomades et Nomadisme au Sahara, Op. Cit, p 117.

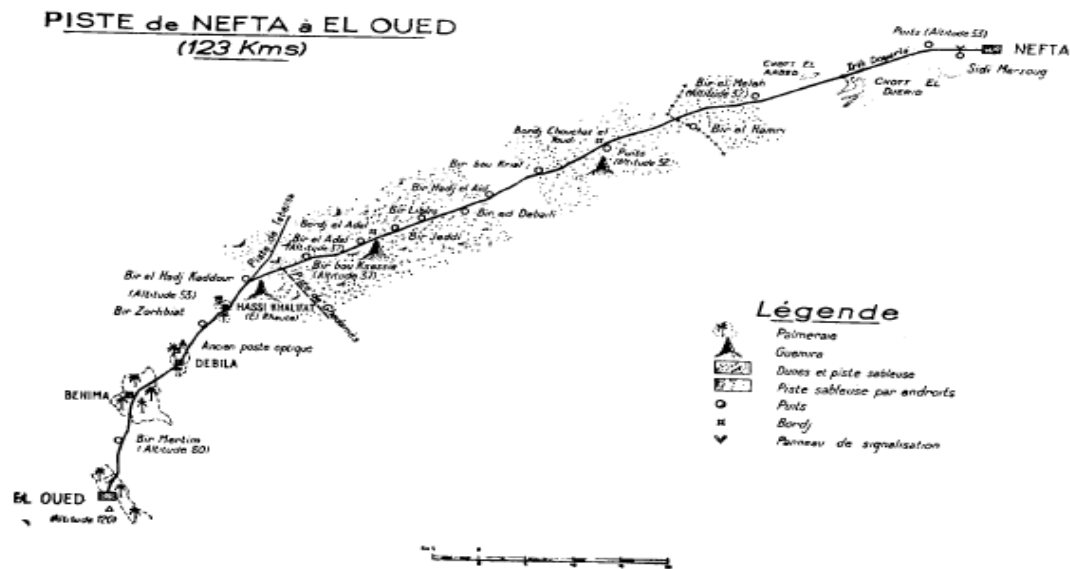
الملحق رقم 09: مخطط يوضح أهم مراحل توسع مدينة الوادي، أنجز سنة 1961¹



1-région bâtie avant 1890 (pour l'agglomération) , ou avant 1911 pour les hameaux ,non portés sur le plan de 1890),2-région bâtie entre 1890 et 1911,3-région bâtie entre 1911 et 1949,4-région bâtie entre 1949 et 1953 (traits discontinus;lotissement,non construit),5- batiements démolis,6-espaces plantés (eucalyptus etc),7-quartier européen,8-mosquée,9-cimetière musulman,10-limite de ghout,11-zeribas de nomades prolétaires (rébias),12-campement de nomades fonctionnaires (Chaamba),13-route goudronnées,14-voie ferrée,15-piste aménagée

1 _ Cl. Bataillon: LE SOUF, Op. Cit, p 69.

الملحق رقم 10: أهم مراحل مسلك الوادي - نفطة سنة 1956¹



الملحق رقم 11: حافلة وكالة الشاوش للنقل الوادي - نفطة²



1 _ AOM, 81 F 2157, (d. 01), Op. Cit, p 06.

2_ Ibidem.

الملحق رقم 12: العيادة المتعددة الخدمات بالوادي سنة 1956¹



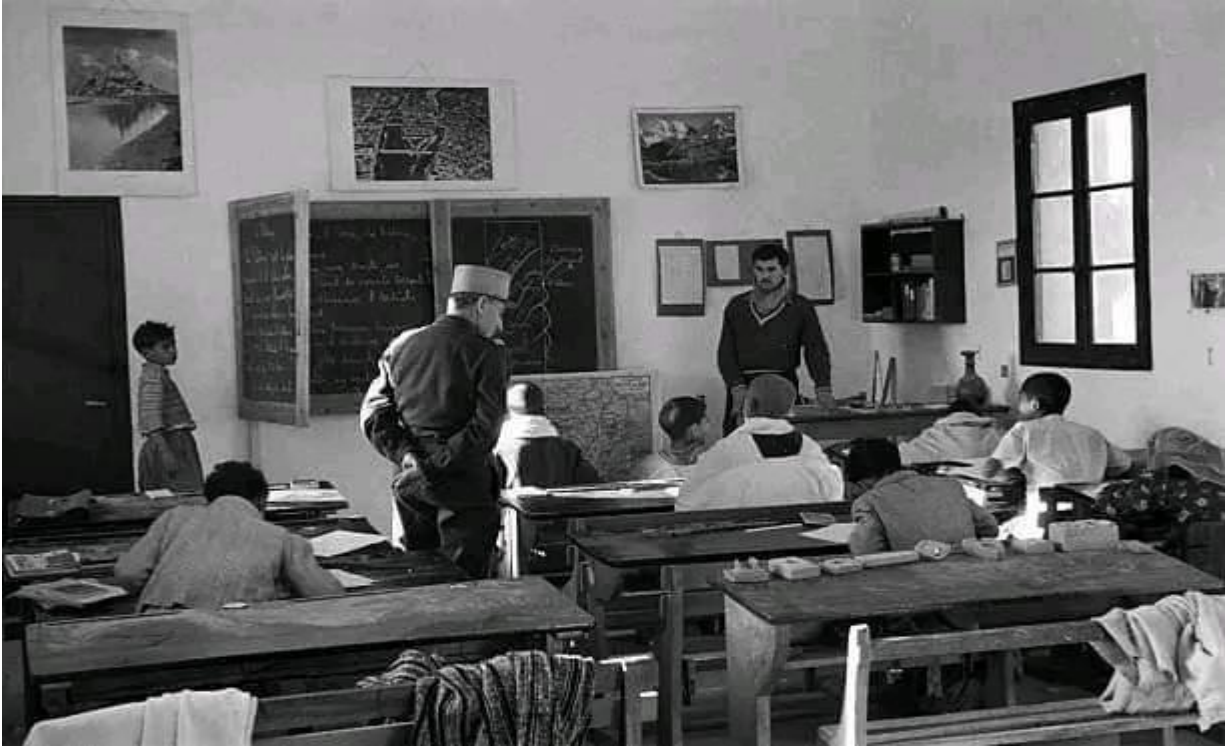
الملحق رقم 13: إحدى حملات فحص وتطعيم التلاميذ سنة 1954²



1 _ SHDDE, 1 H 2570, (d.01): Action sanitaire, compte rendu du médecin-colonel SANTINI, Op. Cit, p 02.

2 _ AOM, 81 F 1613, (d. 01) , Op. Cit, pp 57-68.

الملحق رقم 14: قسم بإحدى مدارس الوادي سنة 1957¹



الملحق رقم 15: عيّنة من البنات المتمدرسات بإحدى مدارس الوادي سنة 1957²



1 _ AOM, 81 F 1706, Enseignement public en Algérie et au Sahara, Op. Cit, p 18.

2 _ Ibidem.

الملحق رقم 16: نسخة من تقرير لمهندس دائرة الوادي حول رسو استشارة انجاز مركز للتكوين المهني بالوادي على

المهندس ريموند فريزي¹

**ORGANISATION COMMUNE
DES RÉGIONS SAHARIENNES**

DEPARTEMENTS
DES OASIS ET DE LA SAOURA

**Circonscription
DES TRAVAUX PUBLICS
et de la Construction**
Arrondissement
~~Algérie~~ Nord des Oasis

OUARGLA
~~Algérie~~, le 27 MARS 1961

CENTRE DE FORMATION PROFESSIONNELLE
POUR ADULTES D'EL OUED

—
Etude et Réalisation

Projet de convention avec M. FRAISIER architecte

M J. SALAT
Ingénieur d'Arrondissement

M A. PONTON
Ingénieur en Chef

RAPPORT DE L'INGÉNIEUR D'ARRONDISSEMENT

Nos d'ordre { I.A. 831/A2
du registre { I.C. 2829/C

17
008

En vue de l'étude et de la réalisation du Centre de Formation Professionnelle d'EL OUED, nous avons obtenu le concours de M. FRAISIER Raymond, architecte à EL OUED.

Le choix de M. FRAISIER a été dicté par le fait qu'il est le seul homme de l'Art à EL OUED et qu'il a une grande expérience des travaux dans le Souf.

L'intervention de M. FRAISIER et les honoraires qui en découlent ont fait l'objet du projet de convention ci-joint établi en concordance avec la Convention type des Services d'Architectures d'Algérie homologuée par l'arrêt 470 TP/SA du 6/12/1958.

Le montant de cette convention arrêté provisoirement à 45.000 NF se rait imputé sur les crédits de l'opération 6956-60.002 du C.F.P.A. d'EL OUED.

Nous proposons donc l'approbation de ladite Convention par Monsieur l'Ingénieur en Chef de la Circonscription des Travaux Publics et de la Construction.

L'Ingénieur d'Arrondissement,

[Signature]
signé : SALAT.

[Signature]
L'Ingénieur en chef.
Pour l'Ingénieur en Chef
Ingénieur d'Arrondissement délégué
DES RÉGIONS
SAHARIENNES

8316/17

الملحق رقم 17: فريق مدرسي لكرة القدم سنة 1958¹



الملحق رقم 18: عادة النَّخ في أحد الأعراس بوادي سوف سنة 1953²



1 _SHDDE, 1 H 2565, (d.04), Op. Cit, p 02.

2 _ Najah. A: De l'étymologie du nakh ou danse des cheveux dans le Souf, Op. Cit, p 296.

الملحق رقم 19: الحكواتي وسط ساحة السوق المركزي بالوادي سنة 1961¹



الملحق رقم 20: محطة للوقود بوسط مدينة الوادي سنة 1962²



1 _ صورة تسلمتها من عند الباحث المهتم بالتراث المحلي بن علي محمد الصالح ببيته ببلدية النخلة يوم الأربعاء 04 جانفي 2023.

2 _ SHDDE, 1 H 1901, (d.03), Op. Cit, p 10.

الملحق رقم 21: فاتورة بأسعار قطع غيار السيارات اقتنتها دائرة الوادي مؤرخة في 26 جوان 1961¹

SOCIÉTÉ ALGÉRIENNE DES HUILES MINÉRALES - S A H M
 SOCIÉTÉ ANONYME AU CAPITAL DE 14.000.000 DE NOUVEAUX FRANCS
 Téléphone Alger 63-95-10 (5 lignes) - 63-90-31 (2 lignes) - C. C. P. Alger 108-85
 REG. COM. ALGER 18-934

NÉSRI El-Hadi
 Commerçant
 EL-OUED (Sud Constantinols)
 Téléphone : 69
 R. C. Balna : 10.591
 C. C. P. ALGER : 102-631

26 JUIN 1961

- SOUS-PREFECTURE -
 N° 216 D' EL-OUED

23.6.61	9	Cartouches filtre à huile	11.50	103.50 NF
"	119 I	Disque d'embrayage	72.00	72.00 NF
"	120 I	Plateau d'embrayage	97.00	97.00 NF
"	121 I	Ressort avant	25.00	25.00 NF
"	122 I	Amortisseur	63.00	63.00 NF
"	4	Garnitures de frein	9.50	38.00 NF
"	2	Garnitures	7.50	15.00 NF
"	100	Rivets	0.10	10.00 NF

TOTAL = 423.50 NF

Arrêté la présente facture sincère et véritable à la
 somme de : QUATRE CENT VINGT TROIS NOUVEAUX FRANCS
 CINQUANTE CENTIMES ./.

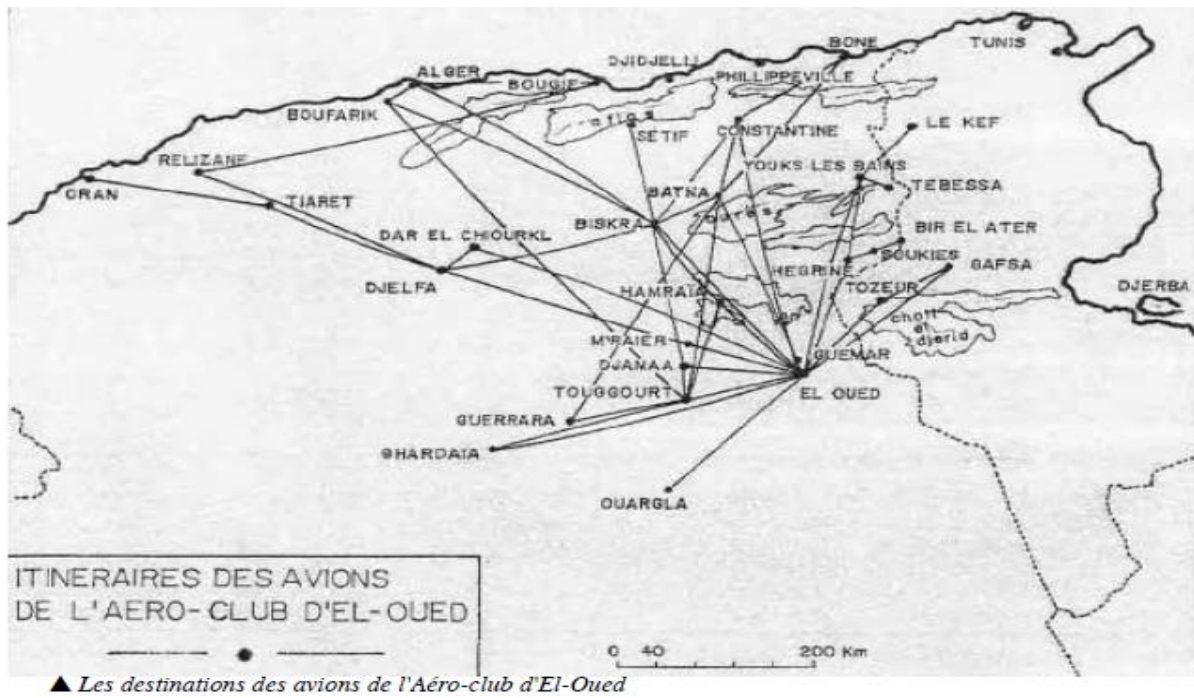
EL. OUED, le 26 JUIN 1961

certifié exact

119 : 122 et placés sur le véhicule aléambant
 17-7-61
 L'Administrateur du Service Civil
 Délégué dans les fonctions de Sous-Préfet.

1 _ CAWE, Op. Cit.

الملحق رقم 22: أهم اتجاهات الطيران لنادي الطيران بالوادي سنة 1960¹



الملحق رقم 23: إحدى طائرات التدريب التابعة لنادي الطيران بالوادي²



▲ LeFairchild 24

1 _ Pierre. Jarrige, Op. Cit, p 162.

2 _ Pierre. Jarrige, Op. Cit, p 165.

الملحق رقم 24: إحصاء مهاجري بعض مناطق وادي سوف المتواجدين بفرنسا سنة 1961¹

SAHARA
CA/
DÉPARTEMENT DES OASIS
ARRONDISSEMENT D'EL-OUED

ARRONDISSEMENT D'EL-OUED

E T A T

concernant les travailleurs sahariens en
Métropole

Communes	Départements "lieu de résidence"	Nombre total	Profession exercée	Observat.
EL-OUED	Seine	139	Manoeuvres	
	Seine et Oise	26		
	Rhône	53		
	Bas Rhin	42		
	Vaucluse	12		
	Isère	8		
GUENAR	Seine	219	d ^e	
	Isère	25		
	Loire	12		
	Rhône	18		
	Puy de Dôme	10		
KOUININE	Seine	32	d ^e	
	Rhône	15		
	Bas Rhin	20		
	Isère	5		
	Vaucluse	10		
REGUIBA DU SOUF	Seine	37	d ^e	
	Loire	30		
	Vaucluse	15		
	Isère	25		
	Haut Rhin	40		
	Bouches du Rhône	10		
REBAIA-SUD	néant	néant		
TRIFAQUI	Seine	22	d ^e	
	Vaucluse	25		
	Alpes maritimes	10		
OUED EL-ALLEMDA	Rhône	17	d ^e	
	Vaucluse	4		
	Bas-Rhin	6		
Z'GOUN	Puy de Dôme	45	d ^e	
	Bouches du Rhône	102		
	Vaucluse	10		
SIDI-AOUNE	Seine	25	d ^e	
	Rhône	25		
	Bas-Rhin	35		

..../....

1 _ AOM, 81 F 1033, (d. 04): contrôle de la migration entre Algérie et métropole, Op. Cit, p 03.

Liste des Instituteurs
en fonction dans le Souf.
(EL.Oued compris)

à l'épave

78 (dont 16 en/ants)

Noms	: Domicile	: epoux	: enfants
M.M. CAUCHOIS	: EL.Oued	: oui	3
MENIER	: d°	: -	
BORDAS	: d°	: -	2
HEID	: d°	: oui	1
CARRETIER	: d°	: oui	2
DI CONSTANZO	: d°	: -	
Mme. HEID	: d°	: -	
Mlle PAOLI	: d°	: -	
CANTELOUP	: d°	: -	
ITIER	: d°	: -	
GUIDICELLI	: d°	: -	
M.M. FEVRIER	: d°	: oui	2
MILLODI	: d°	: oui	2
PICHOREAU	: d°	: -	
BOURGEOIS	: d°	: -	
Mme LABROUSSE	: d°	: -	1
PICHOREAU	: d°	: -	
CARRETIER	: d°	: -	
M.M. BRANCIARD	: Guémar	: oui	1
PIBOTEAU	: d°	: -	
DERRUAU	: d°	: -	
CELEA	: d°	: -	
PLANTIER	: d°	: -	
PARE	: d°	: -	
Mlle DATT	: d°	: -	
Mme BRANCIARD	: d°	: -	
Mlle MUFFAT	: d°	: -	
M.M. BUISSON	: Kouinine	: -	
RENNUCCI	: d°	: -	
FABREGUES	: d°	: oui	
JAMMY	: d°	: -	
Mme FURET	: d°	: -	
Mlle VIGUIER	: d°	: -	
M.M. BONISSOL	: Béhima	: -	
CATHALA	: d°	: -	
VERT	: d°	: -	
M.M. BLONDEL	: Magrane	: -	
BENARD	: d°	: -	
M.M. CHAUCHEAU	: Réguib.	: -	
BELLIN	: d°	: -	

a mi un/ant un/ant
a l'adole du 7.1

28 10

Liste
des Magistrats d'EL.Oued
et Guémar

EL.OUED

AMRANI Messaoud Cadi Mahakma d'EL.Oued
Originaire de Khanga Sidi Nadji
1 femme : MAZOUZI Embarka bent Embarek
3 filles non mariées : Zohra
Hanina
Fatma

+ son frère infirme et sa famille (6)
Au total famille de 11 personnes
Ne sont pas compris : 2 fils mariés. et un autre qui fait ses
études à la Médresa de Constantine .

IOUAAR Mohammed Lakhdar? Bachadel Mahakma d'EL.Oued
Originaire de Khanga Sidi Nadji
1 femme : MEKKI Delloula bent Mohammed
1 fille mariée à IOUAAR Abdelaziz (absent parti en pèlerinage)
5 enfants
Au total famille de 8 personnes
N'est pas compris un fils qui fait ses études à la Médresa de
Constantine

HCAJLI Belkacem Adel Mahakma d'EL.Oued
Originaire de Tolga
1 femme : DJERRAD Mabrouka
3 enfants
1 neveu
sa mère
Au total : famille de 7 personnes .

SAID Abderrahmane Aoun Mahakma d'EL.Oued
Originaire d'EL.Oued
1 femme
2 enfants
Famille de 4 personnes .

.... /

30

1 _ AOM, 81 F 1356, (d. 01) , Op. Cit, p 02.

ETAT ALGERIEN
DEPARTEMENT DES OASIS
ARRONDISSEMENT D'EL-OUED
COMMUNE DE BAYADA

LISTE DES NOMADES INDIGENTS

N° d'ordre :	NOM ET PRENOMS	Nbre de Personnes
1	: AHMED-SALAH Ali ben Mohammed	7
2	: AHMED-SALAH Amara ben Salah	5
3	: AHMED-SALAH Amor ben Salah	6
4	: AHMED-SALAH Bachir ben Mosbah	7
5	: AHMED-SALAH Larbi ben Athmane	7
6	: AHMED-SALAH Mohammed ben Mosbah	5
7	: AHMED-SALAH Salem ben Lazeb	6
8	: AOUIN Abderrazak ben Mostéfa	6
9	: AOUIN Belgacem ben Khalifa	7
10	: AOUIN Sad ben Mostéfa	7
11	: AZEB AHMED Mida	5
12	: AZZI Ahmed ben Séghir	4
13	: AZZI Messaoud ben Sadok	3
14	: AHMED-SALAH Abdallah ben Ali	5
15	: AHMED-SALAH Djilani ben Belgacem	6
16	: AHMED-SALAH Lakhdar ben Ali	5
17	: AHMED-SALAH Mohammed ben Ali	4
18	: AHMED-SALAH Mouldi ben Belgacem	6
19	: BEKAKRA Ahmed ben Laid	6
20	: BEKAKRA El-Hadi ben Sad	5
21	: BEKAKRA Ali ben Sad	6
22	: BEKAKRA Ali ben Méhammed	5
23	: BEKAKRA Ammar ben Cid	5
24	: BEKAKRA Djémoui ben Bachir	6
25	: BEKAKRA Laid ben Bachir	6
26	: BEKAKRA Larouci ben Bachir	5
27	: BEKAKRA Mébarèk ben Sad	5
28	: BEKAKRA Mohammed-Salah ben Ahmed	4
29	: BEKAKRA Tahar ben Sad	6
30	: BACI Ali ben Mabrouk	8
31	: BELGACEMI Abdelkader ben Messaoud	7
32	: BELGACEMI Ali	6
33	: BELGACEMI Bachir ben Ali	4
34	: BELGACEMI Bachir ben Abdelkader	6
35	: BELGACEMI Bachir ben Mohammed-	4
36	: BELGACEMI Bekkar	8
37	: BELGACEMI Lakhdar	5
38	: BELGACEMI Messaoud	6
39	: BELGACEMI Mohammed ben Messaoud	4
40	: BESALHA Sad ben Mohammed	6
41	: BESALHA Salah ben Mohammed	6
42	: BOULANOUAR Miloud ben Larbi	7
43	: CHABANI Ali ben Tahar	6
44	: CHABANI Abdelkrim ben Lakhdar	5
45	: CHERRAD Ali ben Ahmed	5
46	: CHERRAD Bachir ben Hocine	3
47	: DOUDI Bachir ben Doudi	5
48	: DOUDI Bekkar	3

1 _ SHDDE, 1 H 1107, (d.02), Op. Cit, p 07.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1 _ المصادر:

_ باللغة العربية:

01 – الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية رقم: 53 السنة الخامسة ليوم الثلاثاء 21 جوان 1966.

02 – البشير الشابي: مذكرات البشير الشابي 1934 – 1994، مخ، تع: سمير عوادي.

03 – محمد الطاهر تليلي: هذه هي حياتي، مخطوط.

_ باللغة الفرنسية:

أ _ أرشيف ما وراء البحار:

04 _ AOM, 546 AP 11, (d. 06): Documentation sur l'Algérie et le Sahara, Rapport Commune Mixte d'El-Oued, Février 1959.

05 _ AOM, 546 AP 11: Documentation sur l'Algérie et le Sahara, Rapport Commune Mixte d'El-Oued, Décembre 1958.

06 _ AOM, 81 F 24: Programme de réformes Soustelle, prises de position de Jacques Soustelle sur la situation en Algérie.

07 _ AOM, 84 F 40: (d.13): L'Agriculture et la Pauvreté Dans L'Algérie (Annexe d'El-Oued), la Commission d'enquête sur les territoires d'outre-mer, 02 Mars 1961.

08 _ AOM, 81 F 52, (d. 01): Territoires du Sud, Notes Sur la Population Musulmane d' EL OUED et le développement économique et social, par une commission d'Enquête sous la direction de M^r: l'Administrateur Civil Luce-Catino Jean, 17 Sep 1960.

09 _ AOM, 81 F 52, (d. 02): Territoires du Sud et Sahara, Rapport Annuel de l'année 1958, Commune Mixte d'EL OUED, Le Commandant Militaire du Territoire de Sud, 05 Février 1959.

10 _ AOM, 81 F 53, (d. 01): Population d'Algérie, statistiques de la population musulmane en Algérie, Département Des Oasis, Arrondissement D'El-Oued, 29 Octobre 1961.

- 11 _ AOM, 81 F 53, (d. 03): Note sur le Mouvement d'Urbanisation de la Population Musulmane en Algérie, l'Habitat dans Le Souf, L'Administrateur des Services Civils, Chef de la Commune Mixte d'El-Oued, 05 Février 1959.
- 12 _ AOM, 81 F 57: Situation économique et sociale de l'Algérie, Culture Traditionnelle dans le Souf, MINISTERE du SAHARA, Arrondissement D'El-Oued, 07 Aout 1961.
- 10 _ AOM, 81 F 123: Réformes agricoles en Algérie, Arrondissement D'El-Oued, 21 Février 1962.
- 13 _ AOM, 81 F 163, (d. 01): documentation sur les Détachements opérationnels de protection (DOP) puis unités opérationnelles de renseignement (UOR) au territoriale du Sud algérien, 1960.
- 14 _ AOM, 81 F 169: Documentation personnelle du colonel de Seguins-Pazzis, Concerne les aspects militaires de la question de la partition de l'Algérie, le Sahara, la notion de " base ", Doc n° 15, Fév 1962.
- 15 _ AOM, 81 F 185, Rapport Annuel sur le Fonctionnement des cantines scolaires de la Commune Mixte d'EL-Oued pendant l'année 1961, Le Commandant Militaire du Territoire de touggourt, Rapport de L'Administrateur des services Civils, Chef de la Commune Mixte d'El-oued, 31 Décembre 1961.
- 16 _ AOM, 81 F 195, (d. 01): Français musulmans d'Algérie en métropole et à l'étranger, Études sur la démographie des algérien au Tunisie, SDECE, Novembre 1961.
- 17 _ AOM, 81 F 226: Rapport (Un Journalier du Dattier au SOUF), Sociétés agricoles de prévoyance, 1959.
- 18 _ AOM, 81 F 250, (d. 06): Office algérien d'action économique et touristique (OFALAC), Statestiques Commerciales, SAHARA, Cercle d'EL- OUED.
- 19 _ AOM, 81 F 532, (d. 01): Bulletin économique et juridique de l'Office algérien d'action économique et touristique (OFALAC), Service de presse et d'information du ministère d'État chargé des affaires algériennes, Novembre 1961.
- 20 _ AOM, 81 F 532, (d. 03): Documentation produite par l'Office algérien d'action économique et touristique (OFALAC), Service de l'Information du secrétariat général pour les affaires algériennes, service de presse et d'information du ministère d'État chargé des affaires algériennes, 21 Mai 1960.

- 21 _ AOM, 81 F 535: Financement des Interventions de la Caisse d'accession à la propriété et à l'exploitation rurales dans les territoires sahariens par le Fonds de développement économique et social, Arrondissement D'El-Oued, 05 Mai 1962.
- 22 _ AOM, 81 F 730: la Caisse des prêts agricoles en Algérie, Rapport "Mise en œuvre du plan Constantine au sahara".
- 23 _ AOM, 81 F 965, (d. 03): Les Implications Socio-économique de l'Industrialisation au Sahara, bulletins de l'Organisation commune des régions sahariennes, juillet 1960.
- 24 _ AOM, 81 F 965: Mise en valeur économique du Sahara, Ressources Agricoles du Souf, Rapport de L'Administrateur des services Civils Chef de Cercle Administratif du Souf, 29 Octobre 1959.
- 25 _ AOM, 81 F 991, (d. 03): Nos Indigènes des territoires du Sud au Hedjaz, Rapport du Ministère des Affaires Etrangères, 22 Juillet 1959.
- 26 _ AOM, 81 F 1033, (d. 04): contrôle de la migration entre Algérie et métropole, Etat des Travailleurs Souafa en Métropole, Administrateur des Services Civils chargé des fonctions de Sous-préfet de l'Arrondissement d'EL-OUED, 08 Février 1962.
- 27 _ AOM, 81 F 1033, (d. 04): Etat concernant les Travailleurs Sahariens, Administrateur des Services Civils chargé des fonctions de Sous-préfet de l'Arrondissement d'EL-OUED, 08 Février 1962.
- 28 _ AOM, 81 F 1037, (d.02): Départs d'Européens d'Algérie, statistiques et états numériques des départs (1961), service des affaires politiques et de l'information du ministère d'État chargé des affaires algériennes, août 1962.
- 29 _ AOM, 81 F 1058, (d. 05): Documents Nord-Africains, Une tentative d'échappatoire des Sahariens en difficulté, publications des Etudes sociales Nord-Africaines, l'émigration, n° 451, 30 septembre 1961.
- 30 _ AOM, 81 F 1233, (d. 02): Rapport d'Enquête sur l'Habitat en Algérie, Cercle du Souf, par: Fraisier Raymond, Architecte d'El-oued, 27 Septembre 1960.
- 31 _ AOM, 81 F 1290, (d. 07): Note sur Personnels Civils de l'administrati--on communal des communes mixtes et les centres municipaux.

- 32 _ AOM, 81 F 1292, (d. 01): étude sur l'organisation des territoires du Sud par Léon Lehuraux, notes et statistiques sur la population, Décembre 1954.
- 33 _ AOM, 81 F 1292: Documentation sur le Sahara, Réorganisation territoriale dans les territoires du Sud, Mars 1959.
- 34 _ AOM, 81 F 1298: Création de l'Organisation commune des régions sahariennes (O CRS).
- 35 _ AOM, 81 F 1300, (d. 02): Réorganisation territoriale du Sahara algérien, création de départements et d'arrondissements et réorganisation communale (1957-1962).
- 36 _ AOM, 81 F 1301, (d. 06): Reforme Communal, Réorganisation Administrative du Souf, (s.d).
- 37 _ AOM, 81 F 1356, (d. 01): Magistrats et personnels judiciaire, Tableau Nominatif, L'Administrateur des Services Civils, Chef de la Commune Mixte d'El-Oued, 06 Janvier 1958.
- 38 _ AOM, 81 F 1575, (d. 03): Notes sur L'Artisanat Soufi, Direction du service des affaires administratives et sociales, Bureau des affaires sociales, 06 février 1961.
- 39 _ AOM, 81 F 1604, (d. 01): Médications Sahariennes, rapport du Capitaine Guy Dugros, direction du service de santé des départements sahariens, 02 Septembre 1961.
- 40 _ AOM, 81 F 1611, (d. 02): organisation et fonctionnement de la lutte antituberculeuse en Algérie, compte rendu de la mission saharienne, Institut Pasteur d'Alger, Avril 1960.
- 41 _ AOM, 81 F 1613, (d. 01): Lutte contre le trachome en Algérie, Le bilan de la Mission ophtalmologique saharienne (Quinze ans d'assistance ophtalmologique itinérante), L'équipe de la Mission ophtalmologique saharienne, Direction de la Santé, Territoire de Touggourt, 06 Janvier 1959, p 10. Voir aussi; Bulletin de Liaison Saharienne, n° 33, Mars 1959, Imp LA TYPO-LITHO et J. CARBONEL, Alger.
- 42 _ AOM, 81 F 1613, (d. 01): Lutte contre le trachome en Algérie, rapport d'activité des services médicaux, Direction Départemental de la Santé, Département Des Oasis, 17 Juillet 1961.
- 43 _ AOM, 81 F 1632, (d. 01): Institut Pasteur d'Alger, rapport annuel 1943.
- 44 _ AOM, 81 F 1644, (d. 01): Personnel médical et administratif des hôpitaux d'Algérie, direction du service de santé des départements sahariens, 29 Mai 1961.

- 45 _ AOM, 81 F 1653, (d. 01): Régime de l'aide sociale dans les départements des Oasis et de la Saoura, bulletin de liaison des centres d'action sociale sahariens, Septembre 1960.
- 46 _ AOM, 81 F 1666, (d.11): Délégation générale de l'Algérie. Service de statistique générale, Analyse sociale et Carte des densités humaines au Sahara, Alger, 1960.
- 47 _ AOM, 81 F 1706, Enseignement public en Algérie et au Sahara, renseignements reçus du territoire de Touggourt (1956-1957), commune mixte El-Oued.
- 48 _ AOM, 81 F 1711: Notes de Synthèse sur la Situation de l'Enseignement, Le Commandant Militaire du Territoire de touggourt, Rapport de L'Administrateur des services Civils, Chef de la Commune Mixte d'El-oued, 15 Novembre 1959.
- 49 _ AOM, 81 F 1754, (d. 01): Intégration des administrateurs des services civils d'Algérie dans le corps des administrateurs civils du ministère de l'Intérieur, 1955.
- 50 _ AOM, 81 F 1761, (d. 03): Notes Sur Le Carrière Administrative Des Caïds (1952- 1962).
- 51 _ AOM, 81 F 1761, (d. 04): CAIDS et leurs FAMILLES, L'Administrateur des Services Civils, Chef de la Commune Mixte d'El-Oued, 07 Décembre 1955.
- 52 _ AOM, 81 F 1761, (d. 04): Liste Des Chioukh De l'Annexe d'EL-OUED, L'Administrateur des Services Civils, Chef de la Commune Mixte d'El-Oued, 15 Avril 1954.
- 53 _ AOM, 81 F 1761, (d. 04): Rémunération des cheikhs, L'Administrateur des Services Civils, Chef de la Commune Mixte d'El-Oued, 15 Avril 1953.
- 54 _ AOM, 81 F 1771, (d. 01): Personnel Communal, modification de la loi du 28 avril 1952 sur leur statut, 1957.
- 55 _ AOM, 81 F 1791, (d. 01): Rapport de Robert Rigard chef du service des affaires économiques et financières du ministère d'État chargé des affaires algériennes, La fiscalité Au Sud Algérien, 12 Janvier 1962.
- 56 _ AOM, 81 F 1799, (d. 08): Secrétariat d'État Chargé des Affaires Algériennes, Tableaux des Impositions Locales, Arrondissement d'El-Oued, 08 Février 1961.
- 57 _ AOM, 81 F 1802, (d. 13): développement des oasis sahariennes, Gouvernement Générale, Service Hydraulique, Décembre 1953.

- 58 _ AOM, 81 F 1803, (d.04): Situation agricole en Algérie, Notes et Statistiques, LE TABAC, (1950 – 1962), Avril 1962.
- 59 _ AOM, 81 F 1807, (d. 04): Artisanat en Algérie (SAHARA), Rapport de Robert Rigard, chef du service des affaires économiques et financières du ministère d'État chargé des affaires algériennes, 02 Janvier 1962.
- 60 _ AOM, 81 F 1808 (d. 01): rapports d'activité des Chemins de fer algériens (Cout de l'infrastructure et des transports au sahara), Septembre 1958.
- 61 _ AOM, 81 F 1812, (d. 05): Organisation commune des régions sahariennes (OSCRS), Notes sur L'Électrification rurale au SAHARA, Réalisation à EL-OUED, Novembre 1962.
- 62 _ AOM, 81 F 1830, (d. 02): notes sur les investissements publics réalisés en Algérie, (Territoire de Touggourt), étude de l'Institut de recherches économiques et sociales d'Alger.
- 63 _ AOM, 81 F 1883, (d. 12): Le bureau des affaires économiques et financières, Régime fiscal et Organisation financière du Sahara, Territoire de Touggourt, 02 Avril 1960.
- 64 _ AOM, 81 F 1936, (d. 01): Le bureau des affaires économiques et financières, Notes Sur Le Régime fiscal des territoires du Sud, 23 Octobre 1959.
- 65 _ AOM, 81 F 1936, (d. 06): Le bureau des affaires économiques et financières, Réforme fiscale dans les départements sahariens, 29 Novembre 1959.
- 66 _ AOM, 81 F 1939, (d. 03): Direction des Impôts directs, contribution foncière à l'assiette de la taxe sur l'activité industrielle et commerciale au territoires du Sud, Janvier 1961.
- 67 _ AOM, 81 F 1944, (d. 02): Le bureau des affaires économiques et financières, Taxes sur le chiffre d'affaires, Réglementation Au territoires du Sud, Cercle du SOUF, 31 Décembre 1961.
- 68 _ AOM, 81 F 1946, (d. 07): L'Administrateur des services civils, Chef de la Commune Mixte d'EL-OUED, Rapports Annuelles des années (1953 – 1958).
- 69 _ AOM, 81 F 2004, (d. 04): Le Commerce de Détail dans Le Souf, Cercle d'EL- OUED, MINISTERE du SAHARA, 02 Juin 1962.
- 70 _ AOM, 81 F 2069, (d. 05): Bureau de Recherches de Pétrole, Recueil de Renseignements Concernant les Organismes de Recherches de Pétrole (Erg Orientale), 12 Juin 1959.

- 71 _ AOM, 81 F 2120: Aperçu Sur La Situation du commerce Détail Au Territoire Militaire de Touggourt, 20 Septembre 1961.
- 72 _ AOM, 81 F 2145, (d. 12): Mémoire rédigé par l'ingénieur du service des travaux publics des Territoires du Sud, ministère d'État chargé des Affaires algériennes, 21 juin 1925.
- 73 _ AOM, 81 F 2157, (d. 01): Direction des Transports Terrestres, transports de voyageurs et de marchandises, taxis, Rapport de L'Administrateur des services Civils Chef de Cercle Administratif du Souf, 12 Juin 1962.
- 74 _ AOM, 81 F 2157, (d.02): transports privés routiers de voyageurs et de marchandises, Département Des Oasis, Arrondissement D'El-Oued, 16 Avril 1962.
- 75 _ AOM, 81 F 2159, (d. 02): Statistique annuelle des chemins de fer et tramways d'Algérie, rapports imprimés publiés par la direction des travaux publics et des transports du Gouvernement général de l'Algérie, 1958.
- 76 _ AOM, 81 F 2204, (d. 05): L'habitat en Algérie, Rapport sur l'habitat par le conseiller général René Montaldo, Section SAHARA, 25 Février 1962.
- 77 _ AOM, 81 F 2250: Politique Agricole, Rapport périodique, Département Des Oasis, 1961.
- 78 _ AOM, 81 F 2264: Sociétés indigènes de prévoyance, Les palmiers et la valorisation des œuvres d'accompagnement (l'Exemple du Souf), 20 Octobre 1961.
- 79 _ AOM, 81 F 2264: Sociétés indigènes de prévoyance, Réforme commercial au SAHARA, Notes et Observations, 2^{trim} 1962.
- 80 _ AOM, 81 F 2303, (d. 03): Enquête sur la situation économique des Territoires du Sud, NOTE SUR LA SITUATION ECONOMIQUE DE LA POPULATION MUSULMANE DE LA COMMUNE MIXTE D'EL-OUED, L'Administrateur des services Civils Chef de la Commune Mixte, 08 Juillet 1954.
- 81 _ AOM, 81 F 2303, (d. 05): Statistiques de L'Exportations de dattes de L'arrondissement d'El-Oued, Rapport de La Commission administrative de la datte, 25 Décembre 1962.
- 82 _ AOM, 81 F 2307, (d. 03): Marché du tabac, la société agricole de prévoyance d'El-Oued, 13 Aout 1957.

- 83 _ AOM, 81 F 2307, (d. 04): Notes Sur Le Marché du tabac et fixation du prix, 05 Décembre 1955.
- 84 _ AOM, 81 F 2307, (d. 05): Coopératives agricoles de planteurs de tabac en Algérie, Règlement d'un litige entre les planteurs du Souf et la société agricole de prévoyance d'El-Oued, (1951-1962.
- 85 _ AOM, 81 F 2307, (d. 07): Commercialisation des tabacs en Algérie, la société agricole de prévoyance d'El-Oued, 26 Aout 1958.
- 86 _ AOM, 81 F 2325, (d. 03): Élevage, Rapport sur L'avenir de Cheptel au Sahara Oriental, Département Des Oasis, Arrondissement D'El-Oued, 22 Mai 1962.
- 87 _ AOM, 81 F 2325, (d. 06): Rapport G.SALVY (L'économie Pastorale Saharienne), Janvier 1961.
- 88 _ AOM, 81 F 2329, (d. 10): Marché des tapis en Algérie, Rapport trimestrielle de L'administrateur civil Jean Ducollet, bureau des affaires agricoles, Avril 1962.
- 89 _ AOM, 81 F 2338: L'habitat des nomades sédentarisés à Ouargla, par : Brigol. M (Travaux de l'Institut de Recherches Sahariennes), n° 02, Alger, 1957.

ب _ أرشيف مصلحة التاريخ بوزارة الدفاع (SHDDE):

- 90 _ SHDDE, 1 H 1104, (d.04): surveillance des frontières terrestres, (SAHARA), Territoire Militaire de Touggourt, Juillet 1955.
- 91 _ SHDDE, 1 H 1104, (d.8): Regroupements de populations, Rapport de Commandant Militaire du Territoire de Touggourt (1957-1958).
- 92 _ SHDDE, 1 H 1106, (d.2): inspection générale des territoires du Sud, rapports mensuels sur l'économie, Mars 1954.
- 93 _ SHDDE, 1 H 1106, (d.3): le plan de Constantine dans l'évolution économique et sociale de l'Algérie.
- 94 _ SHDDE, 1 H 1107, (d.01): Monographie éditée par l'office algérien d'action économique et touristique sur: L'histoire des Nomades Soufi, Mars 1962.
- 95 _ SHDDE, 1 H 1107, (d.02): recensements de la population algérienne (1948 - 1960), MINISTERE du SAHARA, Département Des Oasis, Arrondissement D'El-Oued, 1961.

- 96 _ SHDDE, 1 H 1107, (d.05): Notice descriptive, économique et statistique des territoires du Sud (1947-1962), MINISTERE du SAHARA, Département Des Oasis, Arrondissement D'El-Oued, 03 Mars 1962.
- 97 _ SHDDE, 1 H 1107, (d.05): Statistiques et Observations sur la population des territoires du Sud, Rapport A. CHAIBI, le président de la délégation spéciale de la commune d'EL-OUED, Département Des Oasis, Arrondissement D'El-Oued, 27 Mai 1963.
- 98 _ SHDDE, 1 H 1109, (d.02): Organisation administrative après l'indépendance, SAHARA, Janvier 1963.
- 99 _ SHDDE, 1 H 1117, (d.05): Campagne d'action psychologique pour l'application du «Plan français» du général de Gaulle, Rapport Annuel de l'action psychologique dans le sud algérien, 1959.
- 100 _ SHDDE, 1 H 1124, (d.02): revues et brochures sur le tourisme, Service de Presse Militaire, Musée du Souf et de l'Erg, Octobre 1957.
- 101 _ SHDDE, 1 H 1128, (d.6): L'économie et la société d'Algérie, Sahara Algérienne, (s.d).
- 102 _ SHDDE, 1 H 1148, (d.01): Organisation administrative des territoires du Sud, Organisation Commune des Régions Sahariennes, (1957-1959).
- 103 _ SHDDE, 1 H 1149, (d.07): Documentation et coupures de presse sur l'économie et le plan de Constantine (1958-1961).
- 104 _ SHDDE, 1 H 1207, (d.02): Procès Verbaux de Dissolution des sections administratives spécialisées, Territoires du Sud, Aout 1962.
- 105 _ SHDDE, 1 H 1207, (d.04): dossiers nominatifs sur des sections administratives spécialisées au sud algérien, 1956.
- 106 _ SHDDE, 1 H 1214, (d.03): Populations nomades du Sud Algérien, Rapports mensuels de renseignements reçus de la direction des territoires du Sud, Rapport du Décembre 1958.
- 107 _ SHDDE, 1 H 1338, (d.01): Organisation administrative et militaire des territoires du Sud, 1950.
- 108 _ SHDDE, 1 H 1341, (d.04): mise sur pied et encadrement du maghzen des Rébaïas (1959).

- 109 _ SHDDE, 1 H 1344, (d.01): Liste des secteurs postaux des unités stationnées en Algérie et au Sahara, Service des transmissions de l'État en Algérie, Déc 1961.
- 110 _ SHDDE, 1 H 1451, (d.03) bulletins mensuels de renseignements reçus du territoire de Touggourt (1957-1958), Commune Mixte d'El-oued, 13 Mars 1958.
- 111 _ SHDDE, 1 H 1901, (d. 02): Des Informations Géographiques et Economiques sur différentes Régions Sahariennes, Zone Est Saharien, Secteur de Touggourt, 1960.
- 112 _ SHDDE, 1 H 1901, (d. 02): rapport du capitaine Woisard, commandant le sous-secteur d'El-Oued sur la constitution d'un peloton de jeeps dans les compagnies portées et la réorganisation des compagnies sahariennes portées et des compagnies méharistes, Décembre 1958.
- 113 _ SHDDE, 1 H 1901,(d. 02): rapport du capitaine Woisard, commandant de sous-secteur d'El-Oued, 30 Juin 1958.
- 114 _ SHDDE,1 H 1901, (d.03): Dossier d'informations géographiques et économiques sur différentes régions sahariennes, MONOGRAPHIE, Annexe d'El-Oued, Le Lieutenant-
- 115 _ SHDDE, 1 H 2055, (d.01): liaisons téléphoniques et télégraphiques, circuits spécialisés P.T.T, transmissions, 03 Mars 1962.
- 116 _ SHDDE, 1 H 2106, (d.02): Monographie de l'Arrondissement d'El-Oued (Souf), 27 Novembre 1957.
- 117 _ SHDDE, 1 H 2106, (d.04): exploitation des centrales électriques au Sahara, rapport du capitaine Woisard, commandant le sous-secteur d'El-Oued, 14 Septembre 1959.
- 118 _ SHDDE, 1 H 2106, (d.11): Commandement en chef des forces en Algérie, Atlas des départements sahariens, Etat-major interarmées, Antenne de documentation géographique, 1960.
- 119 _ SHDDE, 1 H 2106, (d.6): Monographie de l'arrondissement d' El-Oued (Souf), Janvier 1962.
- 120 _ SHDDE, 1 H 2106: Note Générale N° 02, Etude Sur La Population du Souf; scolarisation, 02 Mars 1962.
- 121 _ SHDDE, 1 H 2555, (d.01): Évolution de la pacification dans les territoires du Sud et au Sahara (bilans de pacification du SOUF).

122 _ SHDDE, 1 H 2555: Évolution de la pacification dans les territoires du Sud et au Sahara, Territoire de touggourt, Commune Mixte d'El-oued, Rapport Annuel de l'année 1960, scolarisation, 14 Février 1961.

123 _ SHDDE, 1 H 2565, (d.04): Les Activités Sportifs dans le Sud Algérien, Notre Equipe de Foot, Rapport dactylographier par M^r Paul Cauchois, directeur de l'école d' El Oued, Décembre 1958.

124 _ SHDDE, 1 H 2566, (d.3), Centres des Formations Professionnelles au Sahara, centres d'apprentissages, Rapport De Commandant Militaire du Territoire de Touggourt, 14 Janvier 1961.

125 _ SHDDE, 1 H 2570, (d.01): Action sanitaire, compte rendu du Médecin-capitaine EME, Chef de l'Assistance médico-sociale à El Oued, 07 Novembre 1959.

126 _ SHDDE, 1 H 2570, (d.01): Action sanitaire, compte rendu du médecin-colonel Santini, directeur du service de santé des départements sahariens, 09 Novembre 1959.

127 _ SHDDE, 1 H 2571, (d. 01): Situation économique de l'Algérie, études sur l'économie du Sahara, Section Tabac, (1955-1961).

128 _ SHDDE, 1 H 2619, (d.01): Infrastructure aéroterrestre au Sahara, Direction de l'infrastructure de l'armée de l'air (DIAA), Janv 1957.

129 _ SHDDE, Service historique de l'armée de l'air (SHAA), 9N1, (d. 03): Aviation en Algérie, Direction de l'infrastructure de l'armée de l'air (DIAA), (s.d).

ت _ مركز الأرشيف بولاية الوادي (CAWE):

130 _ CAWE: Extrait du Registre des Délibérations de la Commission Municipale, Séance du 14 Avril 1956, Délibération n° 14, Commune Mixte D'EL-OUED.

131 _ CAWE: Extrait du Registre des Délibérations du Conseil Municipale, Séance du 12 Décembre 1960, Délibération n° 86, Commune D'EL-OUED.

132 _ Tribunal Permanent Des Forces Armées De La Zone Sud Constantin--oise: Affaire NADJAI et autres, 30 Juin 1961, Batna.

ث _ كتب:

- 133_ Antoine. M et Chollet. P: A propos de la mortalité infantile dans une oasis du Sahara constantinois (El Oued), Archives de l'Institut Pasteur d'Algérie, n° 01, mars 1959, Alger.
- 134_ Breil. J: La population en Algérie, Etude de démographie quantitative, Documentation française, Paris, 1957.
- 135_ C. Bataillon, Nomades et Nomadisme au Sahara (Les Rebaia, semi nomade de SOUF), Graphische Betriebe GmbH, Imprimerie R. Oldenbourg, Munich, 1963.
- 136_ Cambiaire. A: Quelques observations au service du plan d'expansion économique et sociale de l'agriculture algérienne et de quelques autres agricultures sous-développées. École nationale d'Agriculture, Laboratoire de Recherches économiques et sociologiques appliquées à l'agriculture algérienne, vol 2, Alger, 1958.
- 137_ CHAPELLE.J: Nomades noirs du Sahara, Plon, Paris, 1957.
- 138_ Charles. R, Pierre. J: Le vol à voile en Algérie (1862-1962), Pierre Jarrige - Autoédition, paris, janv 1996.
- 139_ Cl. Bataillon: LE SOUF, Etude De Géographie Humaine, Institut De Recherches Sahariennes, Université D'Alger, 1953.
- 140_ Dr. ESCARD: Etude Médicale et Climatologie sur le Pays de l'oued – Souf, publié dans les archives de médecine militaire en 1886, T 7.
- 141_ Edmond Sergent et Louis Parrot: Contribution de l'Institut Pasteur d'Algérie à la connaissance humaine du Sahara (1900-1960), INSTITUT PASTEUR D'ALGERIE, Alger, 1961.
- 142 _ Gabus, J. Au Sahara, Arts et symboles, Vol 02, Édition de la Baconnière, Société Française du Livre, Neuchâtel, Paris, 1958.
- 143_ J. Breil, La population en Algérie, Etude de démographie quantitative, Documentation française, Paris, 1957.
- 144_ J. Pereyga: Problème du plein emploi de la population musulmane et le développement économique et social de l'Algérie, I.R.E.S.A, Paris.

- 145_ J.C. Reverdy: Habitat du SOUF, in Habitations nouvelles et urbanisation rapide, conditions écologiques de l'adaptation au logement en Algérie, Aix-en-Provence, Centre Africain des Sciences Humaines Appliquées 1963.
- 146_ Jean Pigoreau: L'émigration des musulmans de l'annexe d'El Oued, rapport dactylographié, El Oued, 30 septembre 1955.
- 147_ Lucien Daviault : LE SOUF (sud constantinois), L'imprimerie Aegitna, Cannes, 15 Novembre 1947, p 17.
- 148_ M. Ouary: Par les chemins d'émigration, Société Algérienne de Publication, Alger, 1955.
- 149_ Marchond. A: Le Sahara, collection «connaissance de l'Afrique Française», Édit. L. Fouque, Oran, 1959.
- 150_ Mousset. P: Ce Sahara qui voit le jour, Presses de la Cité, Paris, 1959.
- 151_ PASSAGER. P: Le service de santé dans les territoires du Sud Algérien, Quarante années d'existence médicale aux populations (1918-1958), La Typo-Lypho, Alger, 1958.
- 152_ Peyronnet. R: Livre D'or Des Officiers Des Affaires Indigènes 1830-1930 , Tome 1, Histoire et Annuaire, Imprimerie Algérienne, Alger, 1930.
- 153_ R. Olivier: La population en Algérie: production, emploi et revenus en Algérie, rapport du Haut Comité consultatif de la population et de la famille, tome III, la Documentation française, Paris, 1958.
- 154_ Raymond Debenedetti: "La Médecine militaire", coll. Que sais-je, Presses universitaires de France, Paris, 1961.
- 155_ Rémy .B: Les Impôt Coloniaux, condition juridique et régime fiscal des sociétés coloniales, LAROSE, Paris 5^e, 1930.
- 156_ Thomas. M-R: Sahara et Communauté, Presses Universitaires de France, Paris, 1960.
- 157_ Vergnaud. Fr: Sahara, Édition du Seuil, collection Petite Planète, Paris, 1959.

ج _ المقالات في المجلات والدوريات:

- 158_ André Voisin: La veillée du nomade soufi, Bulletin de Liaison Saharienne, Imprimerie LA TYPO-LITHO et J. CARBONEL, n° 45, Mars 1962, Alger.
- 159_ Armand. L: Le Sahara Français, Cahier Charles de Foucauld, 9^e série, vol 38 et 39, 2^e et 3^e trim, Paris, 1955.
- 160_ Assistance Médicale, Dix ans de réalisations communales dans l'annexe d'El Oued, Bulletin de Liaison Saharienne, n° 32, Décembre 1958, Imprimerie E. IMBERT, Alger.
- 161_ B. Blaudin de Thé: La Clinique Ophtalmologique de la C.F.P. (A) à Ouargla, Bulletin de Liaison Saharienne, n° 42, Juin 1961, Imp LA TYPO-LITHO et J. CARBONEL, Alger.
- 162_ Balandier. G: Structures sociales traditionnelles et changements économiques –Sud Est Algérien-, Cahiers d'Études Africaines, n° 01, janvier 1960, Paris.
- 163_ Bazin. H: En 1960 on peut parler de l'urbanisme au Sahara, Europe-France-Outre-Mer, Paris, 37^e année, n° 361, décembre 1959.
- 164_ Bertrand. P: Le bilan des Réalisations Sahariennes en 1959, Chroniques de la Communauté, n° 03, Paris, décembre 1959.
- 165_ C. Bataillan: Ressources et vie de relation du Sahara, l'exemple du Souf, Annales de Géographie, tome 69, n° 375, 1960.
- 166_ Chalumeau Pierre (ancien chef de l'annexe d'EL-OUED): Une Tapisserie-de-Bayeux saharienne, Bulletin de Liaison Saharienne, n° 23, Imprimerie E. IMBERT, Alger, Septembre 1956.
- 167_ Chalumeau Pierre: le Souf, in Algéria, N° 38, juillet-octobre 1954.
- 168_ Chalumeau. P: Traditions du Souf, Bulletin de Liaison Saharienne, n° 8, Alger, février 1952.
- 169_ Dekeyser, P. L. et Derivot, J: La vie animal au Sahara. Édit A. Colin, coll. Armand Colin, section biologie, n° 332 Paris, 1959.
- 170_ Dermenghem, E: Le Souf, pays étrange et magnifique, Sciences et Voyages, n°39, Mars 1949.
- 171_ Dix ans de réalisations communales dans l'annexe d'El Oued, Bulletin de Liaison Saharienne, n° 32, décembre 1958, Imprimerie E. IMBERT, Alger.

- 172_ Du Puigauveau. O: Enquête sur l'alimentation et les dépenses des familles Sud Constantinoise, Bulletin économique et social, n° 84, septembre 1960, Alger.
- 173_ Dupuis .J: Dans le Grand Erg oriental, Bulletin de Liaison saharienne, n°35, septembre 1959, Imprimerie E. IMBERT, Alger.
- 174_ Emile Dermenghem: Le Souf, pays étrange et magnifique, in Sciences et Voyages, n° 39, mars 1949.
- 175_ Faucher. D: Les jardins familiaux et la technique agricole, in Annales, Paris, 14^e année, n° 02, avril-juin 1959.
- 176_ Favrod, C.-H: Les frontières du Sud Tunisien, L'Afrique Française, n° 35, mai-juin 1959, Paris.
- 177_ Ferry. J: Le Souf, "Documents algériens", Série monographie, n° 9, 10 mars 1951, Alger.
- 178_ Ferry. J: Liaison Par Jeep El-oued Ghadamès, travaux de l'Institut de recherches sahariennes, Tome V, Université d'Alger, Alger, 1948.
- 179_ Fodeba, K. La danse, expression de la vie africaine, Le Courrier de Unesco, XIIe année, n° 1, Paris, janvier 1959.
- 180_ G. Marty: Les Algériens à Tunis: Constantinois, Algérois et Kabyles, Oranais, gens du Souf, Ouarglia, gens du Touat, Mozabites, in I.B.L.A, Revue de l'Institut des belles lettres arabes, N° 43 et 44, 3^e et 4^e trimestre 1948.
- 181_ G. Salvy: L'économie pastorale saharienne (notices et statistiques), Note documentaire, n° 58, Paris, 1961.
- 182_ Gharousset. M: Mission « Sahara Huit », Notre Sahara, n° 12, Paris, 10 février 1962.
- 183_ Goutret. M : Le Service des P.T.T. en Algérie, Bulletin de Liaison Saharienne, n° 29, Mars 1958, Imprimerie E. IMBERT, Alger.
- 184_ H, Z. Folklore du Souf, Bulletin de Liaison Saharienne, n°33, mars 1959, Imp LA TYPO-LITHO et J. CARBONEL, Alger.
- 185_ Henri Thomas Lieutenant Colonel Commandant Militaire du Territoire de Touggourt: Migrations saisonnière et définitive des Indigènes du Territoire de Touggourt, Bulletin Algérien du Travail et de la Sécurité Sociale, 4^{ème} édition, N° 52, Avril 1960, La maison des livres, Alger.

- 186_ Isnard. H: Agriculture Européenne et Agriculture Indigène en Algérie, Les Cahiers d'Outre-Mer, Bordeaux, n° 46, avril-juin 1959.
- 187_ J. de Menses: El-Oued, in Algérie, N° 09, septembre-octobre 1949.
- 188_ Jean. Marie: La réforme municipale, atout majeur de la pacification en Algérie, L'Afrique et l'Asie, Paris, n°46, 2^e trim, 1959.
- 189_ Jest. C: La Poterie dans le Sahara oriental (Souf, Touggourt, Ouargla), Extr de Travaux de l'Institut de Recherches Sahariennes, Paris, 1^{er} et 2^{me} semestre 1960.
- 190_ Jus. H: Les Oasis Du Souf Du Département De Constantine (Sahara Oriental), Bulletin de L'ACADEMIE D'HIPPONE, n° 22, Imprimerie Emile Thomas, Bône, 1886.
- 191_ Kh. Boukhari: Tradition du SOUF, Bulletin de Liaison Saharienne, Imprimerie E. IMBERT, n° 14, Alger, Octobre 1953.
- 192_ Labasse Jean: L'économie des oasis, ses difficultés et ses chances, In: Revue de géographie de Lyon. Vol. 32 n°4, 1957.
- 193_ Lallemant. J: Dégradation de l'économie et de la société traditionnelles dans le Sahara moderne, Sahara 1960, Industries et travaux d'Outre-Mer, n° 84, novembre 1960.
- 194_ Laroche. G: Les algériens victimes n° 1 de la récession et du chômage, témoignage pour le Département Des Oasis, Cahiers Nord- Africains, Paris, E. S. M. A, n° 73, juin-juillet 1961.
- 195_ Le cadre institutionnel du développement saharien (dispositions fiscales), publication de la Documentation française, série Notes et Documents, n° 2801, 31 juillet 1961.
- 196_ le Centre d'études et d'informations des problèmes humains dans les zones arides: (PROHUZA): (LE SOUF), Etude sur l'évolution d'un groupe humain dans le Sahara moderne, Arts et métiers graphiques, n° 04, Paris, 1960.
- 197_ Le Sahara, Documents de la Revue des Deux-Mondes, n° 4, janvier 1959.
- 198_ Lebeau. L: La distribution du crédit agricole mutuel en Algérie en 1958, Bulletin économique et juridique, Alger, n° 236, hors série 1959.
- 199_ Leselle. R: Populations de l'O.C.R.S, Bulletin de Liaison Saharienne, n° 30, JUIN 1958, Imprimerie E. IMBERT, Alger.

- 200_ Lieutenant CHABROLLES: Remarques Sur Le Bakhenouk Soufi, Les glands aux vêtements, symbolisme, Bulletin de Liaison Saharienne, Imprimerie E. IMBERT, n°13, Alger, Juin 1953.
- 201_ Mangy. MM: Le Pétrole et les problèmes humains, Cahier Nord-Africains, Etudes sociales nord-africaines, n° 76, décembre 1959 et janvier 1960.
- 202_ Mercier. P: Étude du mariage et enquête urbaine, Cahiers d'Études Africaine, n° 1, Paris, janvier 1960.
- 203_ Mercier. P: Étude sur Les Costumes Traditionnels Soufi, Cahiers d'Études Africaines, n° 01, Paris, janvier 1960.
- 204_ MONTEIL. V: L'évolution et la sédentarisation des nomades sahariens, Revue internationale des sciences sociales, Unesco, vol. 11, n° 04, Paris, 1959.
- 205_ Najah. A: De l'étymologie du nakh ou danse des cheveux dans le Souf, Bulletin de Liaison Saharienne, n° 40, déc 1960, Imp LA TYPO-LITHO et J. CARBONEL, Alger.
- 206_ Normand, S: L'évolution des exportations algériennes vers l'étranger depuis 1950, Bulletin économique et juridique, Alger, n° 231, mars 1959.
- 207_ Normand. S: L'évolution des exportations algériennes vers l'étranger depuis 1950, Bulletin économique et juridique, Alger, n° 231, mars 1959.
- 208_ Paléo. D: Essai de Sociologie Saharienne, Exemple de SOUF, Bulletin de Liaison Saharienne, n° 31, Septembre 1958, Imprimerie E. IMBERT, Alger.
- 209_ Passager. P: Les populations sahariennes, Bulletin de Liaison Saharienne, n° 34, Juin 1959, Imp LA TYPO-LITHO et J. CARBONEL, Alger.
- 210_ Paul Thibaud: Comment fonctionne la justice en Algérie, Esprit, Nouvelle série, N° 250, Editions Esprit, Paris, Mai 1957.
- 211_ Penaut. Y: Une enquête sur l'alimentation quotidienne chez les soufis, Les Cahiers d'Outre-Mer, n° 52, Avril 1962, Bordeaux.
- 212_ Pépin. P: Un prototype d'Habitudes Vestimentaires dans Le SOUF, Documents nord africains, n° 396, Juillet 1960, Paris.

- 213_ Pierre Chalumeau (ancien chef de l'annexe d'El-Oued): Feu le guide, Bulletin de Liaison Saharienne, n° 32, Décembre 1958, Imprimerie E. IMBERT, Alger.
- 214_ Planhol. X: Les coutumes d'Habillage à EL OUED, Les Cahiers d'Outre- Mer, n° 51, septembre 1961, Bordeaux.
- 215_ Riche. R: L'artisanat dans le département de Constantine et Le Territoire de Touggourt et des Oasis, documents algériens, Série Economique: artisanat, n° 102, Alger, 22 Juillet 1953.
- 216_ Roger Leselle: Les noirs du Souf, Bulletin de Liaison saharienne, n° Spécial, Imprimerie E. Imbart, Alger, 1957.
- 217_ SCHACHT. J: " Sur la diffusion des formes d'architecture religieuse musulmane à travers le Sahara", in Travaux de l'Institut de Recherches Sahariennes, t XI, 1^{er} semestre, E. Imbert, Alger, 1954.
- 218_ Service de l'Enseignement au Sahara: l'Enseignement au Sahara, Bulletin de Liaison Saharienne, n° 46, Juin 1962, Imp LA TYPO-LITHO et J. CARBONEL, Alger.
- colonel Henri THOMAS, Commandant Militaire du Territoire de Touggourt, 22 Janvier 1953.
- 219_ Sœur Claver: Fabrication des toiles de tentes, Bulletin de Liaison Saharienne, n° 14, Imprimerie E. IMBERT, Alger, Octobre 1953.
- 220_ Spilimann. CR: Le Sahara en Questions, Comment Faire Participer Les Populations Sahariennes à L'exploitation des Richesses du Sol et du Sous-sol ?, LA NEF (Cahier trimestriel), 17e Année, Nouvelle Série, Cahier N° 1, Janvier-Mars 1960, JULLIARD, Paris.
- 221_ VANNEY. J. R: Note sur l'émigration des Souafa, Bulletin de Liaison Saharienne, n° 38, Juin 1960, Imp LA TYPO-LITHO et J. CARBONEL, Alger.
- 222_ Zoubeidi Hocine: L'histoire est un perpétuel recommencement, Bulletin de Liaison Saharienne, n° 17, Juin 1954, Imprimerie E. IMBERT, Alger.

2 _ المراجع:

_ باللغة العربية:

أ _ الأطروحات والرسائل والمذكرات الأكاديمية:

- 223_ إبراهيم شويخ: الرحلات العلمية وأثرها في الحياة الثقافية بمنطقة وادي سوف (1931 - 1969)، مذكرة مكملة لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، إشراف أ.د علي غنابزية، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، الجزائر، الموسم الجامعي 2017/2018.
- 224_ أحسن ثليلاني: توظيف التراث في المسرح الجزائري، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي، كلية الآداب، قسنطينة، 2009 - 2010.
- 225_ أحمد بن داود: المقاومة الثقافية للإستعمار الفرنسي في كل من الجزائر والمغرب من خلال التعليم (1920 - 1954)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ، إشراف: د. بوشیخي، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2016 - 2017.
- 226_ خولة عمارة وكريمة عازب عبد الله: اللباس في مجتمع وادي سوف خلال الفترة الإستعمارية (1854 - 1962)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس في التاريخ، إشراف الأستاذ الجباري عثمان، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، الجزائر، السنة الجامعية 2012/2013.
- 227_ علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الإحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1882 - 1954، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ، إشراف: عمر بن خروف، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، 2008 - 2009.
- 228_ محمد بن عماره: تأثيرات أنماط البيئة في تغيير العادات الإجتماعية الغذائية - دراسة ميدانية بصحراء وادي سوف -، أطروحة دكتوراه مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في علم اجتماع البيئة، إشراف د. حسان الجيلاني، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة محمد خيضر بيسكرة، 2014 - 2015.
- 229_ يوسف زغوان: التعليم العربي الحر بوادي سوف 1931 - 1962 من خلال الوثائق المحلية والروايات الشفوية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، إشراف د. علي غنابزية، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الوادي، 2014 - 2015.

ب _ الكتب:

- 230_ أبو القاسم جبالي: مذكرات حياتي، نوميديا للطباعة والنشر، قسنطينة، 2012.
- 231_ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي - مرحلة الثورة -، ج 10، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007.
- 232_ أبو القاسم سعد الله: حياتي، عالم المعرفة، طبعة خاصة، الجزائر، 2015.
- 233_ أحمد توفيق المدني: حياة كفاح (مذكرات)، ج 03، ط 01، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.
- 234_ أحمد حمدي: ديوان الشعر الشعبي، شعر الثورة المسلحة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996.
- 235_ أحمد زغب: أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، ج 3، مطبعة مزوار، ط 1، الوادي، 2010.
- 236_ أحمد زغب: أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، ج 4، مطبعة مزوار، ط 1، الوادي، 2013.
- 237_ أحمد زغب: الشعر الشعبي الجزائري من الإصلاح إلى الثورة، الهادي جاب الله نموذجاً (1882 - 1978)، مطبعة مزوار، ط 1، الوادي، ماي 2009.
- 238_ أحمد زغب: العازف بالربابة، الأدوار الاجتماعية والثقافية للغزوة الشفاهية، مطبعة الرمال، ط 1، 2016.
- 239_ أحمد شوقي بوليفة: أضواء على بلدة الرقمة التاريخية، ط 1، مطبعة مزوار، الوادي، 2013.
- 240_ التجاني العقون: أعلام من قمار بوادي سوف، مطبعة سخري، (د.ط)، الوادي، 2013.
- 241_ التلي بن الشيخ: منطلقات التفكير في الأدب الشعبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.
- 242_ الصادق دقاشي: مذكرات مجاهد، سامي للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، الوادي، ماي 2021.
- 243_ المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954: ملفات ووثائق حول محاولات
- 244فرنسا لفصل الصحراء الجزائرية، في كتاب: دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول فصل الصحراء عن الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 1998.
- 245_ المنصف وناس: الدولة والمسألة الثقافية في الجزائر، دراسة في التغيير الثقافي والاجتماعي، المطبعة العربية، تونس، د ت، ص 41.
- 246_ أندري روجي فوازان: سوف مونوغرافيا، تر: أبو بكر مراد، (د.ط)، دار المعرفة، الجزائر، 2016.
- 247_ أوليفي لوكور غرانمزيون: الاستعمار الإبادة: تأملات في الحرب والدولة الاستعمارية، تر: نورة بوزيدة، (د.ط)، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2005.

- 248_ بشير مديني: قراءة في بعض الصحف الوطنية والكولونيالية الصادرة خلال الثورة، دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول الإعلام والإعلام المضاد، وزارة المجاهدين، م و د ب ح و ث 1954، الجزائر، 1998.
- 249_ ثريا التجاني: دراسة اجتماعية لغوية للقصبة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري، وادي سوف أنموذجا، (د.ط)، دار هومة، 1998.
- 250_ جستون كوفي: مذكرات حول سوف والسوافة، تر: عبد القادر ميهي، مطبعة الرمال، ط 1، الوادي، الجزائر، 2016.
- 251_ حبيب حسن اللولب: التونسيون والثورة الجزائرية، ج 1، دار السبيل للنشر والتوزيع، د ط، الجزائر، 2009.
- 252_ حسان الجيلاني: قصة العودة، ج 1، (د.ط)، دار هومة، الجزائر، 2011.
- 253_ حسان الجيلاني: من التراث الغنائي بوادي سوف، مطبعة الشهاب، (د.ط)، باتنة، الجزائر، (د.س).
- 254_ حفناوي قصير: الأستاذ الأمين العمودي - حياته ونشاطاته المختلفة، سلسلة أعلام سوف، (د م ط)، 2008.
- 255_ خير الدين شترة: الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900 - 1956، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر، ج 1، (د.س ط).
- 256_ رشيد سالمي: منارة سيدي سالم بوادي سوف معلم وتراث، ط 1، مطبعة مزوار، الوادي، 2009.
- 257_ سعد بن البشير العمامرة وأحمد بن الطاهر منصوري: أعلام من سوف في الفقه والثقافة والأدب، شركة مزوار للطباعة والنشر والإشهار والتوزيع، (د.ط)، الوادي، 2006.
- 258_ سعيد محمد: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ط)، 1998.
- 259_ سيلفي تينو: عدالة غريبة "القضاة في حرب الجزائر"، تر: عمر لحسن، EDIF 2000، (د.ط)، الجزائر، 2013.
- 260_ طاهر زرهوني: التعليم في الجزائر قبل وبعد الإستقلال، (د.ط)، موفم للنشر، الجزائر، 1994.
- 261_ طليبة بوراس: نبذة تاريخية حول منطقة وادي سوف، في السجل الذهبي لشهداء الثورة التحريرية بولاية الوادي، منشورات الجمعية التاريخية أول نوفمبر 1954، سامي للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، الوادي، 2021.
- 262_ عاشوري قمعون: الشقيقان الشيخ الطاهر العبيدي (1886 - 1968) والشيخ أحمد العبيدي (1888 - 1977)، ط 1، مطبعة مزوار، الوادي، 2010.
- 263_ عاشوري قمعون: العلامة الموسوعي حمزة بوكوشة (حمزة شنوف 1907 - 1994)، ط 1، مطبعة سخري، الوادي، 2012.

- 264_ عبد الباسط دردور: المغرب العربي وتحديات الغزو الثقافي الغربي، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 2002.
- 265_ عبد الحميد بسر: الحركة الكشفية الجزائرية بمنطقة وادي سوف 1947-1989، سامي للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، الوادي، جانفي 2022.
- 266_ عبد الحميد بسر: صرخة الألم والحزن "شهداء رمضان 1957"، ط 1، مطبعة سامي للنشر والتوزيع، الوادي، 2020.
- 267_ عبد الحميد بن نصر بسر: الأجداد من أبناء سوف، ج 1، سامي للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، الوادي، نوفمبر 2019.
- 268_ عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة، دراسة ميدانية، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د.ط)، الجزائر، 1986.
- 269_ عبد الرحمان رباحي: قال المجدوب، دار الجزائر للكتب، ط 02، الجزائر، 2008، ص 44.
- 270_ عبد العزيز حسونة: جدلية العمارة والعمران بمنطقة وادي سوف" في كتاب الإنسان والعمارة، محاضرات الندوة الفكرية التاسعة للرابطة الولائية للفكر والإبداع بولاية الوادي، أيام 26، 27 و 28 جانفي 2013، ط 1، مطبعة سخري، الوادي، 2013.
- 271_ عبد العزيز حسونة: عمارة مدينة قمار بمنطقة سوف "دراسة أثرية عمرانية"، ط 1، مطبعة مزوار، الوادي، 2013.
- 272_ عبد الفتاح ونيس: تاريخ قمار وأخبار أهلها، كتاب مخطوط بمكتبته المنزلية، حي الباب الغربي، قمار، ولاية الوادي.
- 273_ عبد الله بالسرياني: نشاط الطلبة الجزائريين في الكويت، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، (د.ط)، الجزائر، ديسمبر 2007.
- 274_ عبد الله مقلاتي: إسهام شيوخ معهد عبد الحميد بن باديس وطلابه في الثورة، (د ط)، دار الهدى، عين مليلة، 2014.
- 275_ عدي الهواري: الإستعمار الفرنسي في الجزائر، سياسة التفكيك الإقتصادي والإجتماعي 1830 - 1960، تر: جوزيف عبد الله، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، بيروت، لبنان، 1983.
- 276_ علي زيغور: صياغات شعبية حول المعرفة والخصوبة والقدر، دار الأندلس، (د.ط)، بيروت، 1984.

- 277_ علي عون: التصفية القاعدية للنظام في وادي سوف رمضان 1957، ضمن مدونة محاضرات الندوة السادسة للجمعية الثقافية الوطنية الشهيد محمد الأمين العمودي، 29 و 30 أبريل 1993 بالوادي، (مخطوط).
- 278_ علي غنابزية: فصول ودراسات في تاريخ الحركة الوطنية والثورة التحريرية بوادي سوف 1854-1962، ط 1، سامي للطباعة والنشر والتوزيع، الوادي، ماي 2022.
- 279_ علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن الثالث عشر (13 هـ) التاسع عشر (19 م)، (د.ط)، مطبعة الرمال، الوادي، 2019.
- 280_ علي غنابزية: "الشيخ محمد الطاهر التليلي رائد التعليم العصري في مدرسة النجاح بقمار"، من مدونة العلامة محمد الطاهر 1910-2003، قراءات في سيرته وفكره وآثاره، الجمعية الثقافية للمركز الثقافي محمد ياجور، قمار، الوادي، 2005.
- 281_ عمار عوادي: الهجرة من وادي سوف وأثرها على حياة السكان، 1854-1962، (د.ط)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- 282_ عمار هلال: أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر، 1830 - 1962، (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
- 283_ عمر بن أحمد طليبة: جالية ونضال 1954 - 1962، (د.ط)، الرمال للطباعة والنشر والإشهار، الوادي، مارس 2021.
- 284_ عوادي عمار وكشو محمد: مذكرات الحاج حفوطة، مطبعة مزوار، الوادي، ط 1، 2008.
- 285_ فوزي العنتيل: الفلكلور ما هو؟، دار المعارف، القاهرة، (د.ط)، 1965.
- 286_ كميل ريسلر: السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر، أهدافها وحدودها 1830 - 1962، تر: نذير طيار، ط 1، دار كتابات جديدة، (د. م)، أوت 2016.
- 287_ لطيفة عريق: الطابع السكاني والتغير الاجتماعي في بلدية كوينين "دراسة تاريخية اثنوغرافية"، ط 1، مطبعة مزوار، الوادي، 2014.
- 288_ محمد الصالح بن علي ومحمد نافع حمادي: الشاعر الشعبي الساسي حمادي، حياته ومختارات من أشعاره، دار الثقافة محمد الأمين العمودي، ط 1، الوادي، 2006.
- 289_ محمد الصالح بن علي: الشيخ الحسين حمادي حياة علم وكفاح، ط 1، مطبعة سخري، الوادي، 2012، ص 37.

- 290_ محمد الصالح بن علي: جماليات العمارة التقليدية بوادي سوف، حي الأعشاش نموذجاً، ج2، ط 1، مطبعة مزوار، الوادي.
- 291_ محمد العيد قدح: الشيخ حسين حمادي ودوره الاجتماعي ونشاطه العلمي والتربوي بتونس ووادي سوف 1902 – 1982، مطبعة ذويب، ط 1، الوادي 2013.
- 292_ محمد بن عمارة: العادات الاجتماعية في البيئة الصحراوية – وادي سوف نموذجاً، منشورات مكتبة اقرأ، (د.ط)، قسنطينة، 2010.
- 293_ محمد بوقطاية: أولي الوادي والواحات، مطبعة مزوار، ط 1، الوادي، 2009.
- 294_ محمد رشيد تامة: حاسي خليفة تاريخاً وثقافة واجتماعاً، مطبعة سخري، (د.ط)، الوادي، 2012.
- 295_ محمد ساكر: العادات والتقاليد في وادي سوف 1945 – 1962، مطبعة الوادي، ط 1، الوادي، 2016.
- 296_ محمد عباس: مثقفون في ركاب الثورة، (د.ط)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.
- 297_ مريم صغير: مواقف الدول العربية من القضية الجزائرية 1954-1962، ط 02، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2012.
- 298_ موسى بن موسى: الوضع الاجتماعي والإقتصادي لوادي سوف خلال مطلع القرن العشرين، دراسات تاريخية واقتصادية وثقافية متنوعة، مطبعة مزوار، ط 1، الوادي، 2008.
- 299_ نجيب الله خليل: اليهود في المغرب العربي وسوف، كتاب مخطوط بمكتبته المنزلية، حي أولاد أحمد، الوادي، ص 08.
- 300_ وزارة المجاهدين: الدعم العربي للثورة الجزائرية، منشورات م و د ب ح و ث 1954، (د.ط)، مطبعة الديوان، الجزائر، 2007.

ت _ المقالات في المجلات والدوريات:

- 301_ أحمد زغب: دور الشعر الشفوي في النضال الوطني وثورة التحرير بمنطقة وادي سوف، مجلة البحوث والدراسات، جامعة الشهيد حمه لخضر، ع 1، أفريل 2004.
- 302_ البشير مقدود: التعليم الفرنسي بمنطقة سوف خلال العهد الاستعماري بين الرفض والتأثير، مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة الشهيد حمه لخضر، العدد الرابع، الوادي، أفريل 2016.

- 303_ التجاني تامة وآخرون: الأفراح والأغنية السوفية، مجلة عروس البوادي الوادي، مجلة ثقافية سنوية تصدر عن محافظة المهرجان الثقافي المحلي للموسيقى والأغنية السوفية، العدد الأول، الوادي، 2008.
- 304_ الجباري عثماني: النشاط الإقتصادي لطائفة اليهود في مدينة الوادي أواخر القرن الـ 19 م على ضوء وثائق المحاكم الشرعية، مجلة البحوث والدراسات، العدد 14، السنة 9، جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي، صيف 2012.
- 305_ العربي بلعزوي: نشاطات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الجنوب الجزائري وأحداث وادي سوف (1937-1938) من خلال تقارير عسكرية، مجلة عصور جديدة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران 1، المجلد 12، العدد 01، ماي 2022.
- 306_ حسان الجيلاني: التغير الثقافي في المجتمع الصحراوي - وادي سوف أتمودجا، مجلة البحوث والدراسات، العدد التاسع، السنة السابعة، المركز الجامعي الوادي، يناير 2010.
- 307_ صالح فركوس: دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الثورة التحريرية 1954-1962، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 28، العدد 28، جامعة منتوري بقسنطينة، الجزائر، ديسمبر 2007.

اللقاءات المباشرة (الشهادة الشفهية):

- 308_ لقاء مع السيد أحمد منصوري، بمنزله بالرقم بلدية حساني عبد الكريم، يوم 05 جوان 2019، على الساعة التاسعة صباحا، المعني من مواليد سنة 1932، كاتب مهتم بتاريخ المنطقة.
- 309_ لقاء مع السيد اسماعيل هبيته (أحد لاعبي أولمبي الوادي)، بمنزله ببلدية الوادي، يوم 26 جانفي 2019 على الساعة العاشرة صباحا.
- 310_ لقاء مع السيد بشير بوراس، بديكانه في سوق الوادي (زقاق بيرو عرب)، يوم 18 أكتوبر 2019، على الساعة العاشرة صباحا، المعني من مواليد سنة 1939، كان له محل في منطقة الرديف على الحدود الجزائرية التونسية وضعه في خدمة الثورة، كان مصدرا لكثير من ألبيسة المجاهدين.
- 311_ لقاء مع السيد عبد الكريم شتحنونة، بمنزله بحي النزلة ببلدية الوادي، يوم 28 نوفمبر 2019، على الساعة العاشرة صباحا، المعني من مواليد سنة 1923.
- 312_ لقاء مع السيد عز الدين زيدي (أحد لاعبي أولمبي الوادي)، بمنزله ببلدية الوادي، يوم 24 جانفي 2019 على الساعة الخامسة مساء.

- 313_ لقاء مع السيد علي بن عثمان جرافية، بمنزله بحي النصر بلدية البياضة، يوم 22 سبتمبر 2017، على الساعة الثامنة صباحا، المعني من مواليد البياضة سنة 1928.
- 314_ لقاء مع السيد محمد بوقطاية (أحد لاعبي أولمبي الوادي)، بمنزله ببلدية الوادي، يوم 25 جانفي 2019، على الساعة العاشرة.
- 315_ لقاء مع السيدة بية جواوي، بمنزلها بحي الصحن بلدية الوادي، يوم 24 مارس 2019، على الساعة الحادية عشر، المعنية من مواليد الوادي سنة 1940.
- 316_ لقاء مع السيدة تركية جاب الله، بمنزلها بحي 20 أوت 1955 بلدية تغزوت، يوم 06 جانفي 2017، على الساعة العاشرة، المعنية من مواليد تغزوت سنة 1924.
- 317_ لقاء مع المجاهد المولدي غربي (أحد أعضاء جيش التحرير الوطني)، بمنزله بحي العواشير بلدية الرباح، يوم 01 ماي 2021، على الساعة العاشرة صباحا.
- 318_ لقاء مع المجاهد عون الله الجيلاني في مسجد عمر بن الخطاب بحي أولاد أحمد بلدية الوادي، يوم 14 نوفمبر 2019، بعد صلاة العصر. كما سجّلت معه عدة حلقات بإذاعة سوف حول مشواره النضالي في الحركة الوطنية وجهاده خلال الثورة التحريرية في الجزائر وفرنسا.
- 319_ لقاء مع المجاهد محمد علي بان بمديرية المجاهدين لولاية الوادي، يوم الثلاثاء 03 مارس 2020، على الساعة الحادية عشر صباحا.
- 320_ لقاء مع المجاهدة رزاق لبزة خديجة بمنزلها في حي غمرة ببلدية قمار بولاية الوادي، يوم الأحد 29 ماي 2022، على الساعة التاسعة والنصف صباحا.
- 321_ لقاء مع المجاهدة زينب حرة بمنزلها في حي أول نوفمبر بلدية الوادي، يوم الثلاثاء العاشر ماي 2022، على الساعة التاسعة صباحا.
- 322_ لقاء مع يوسف الجديد ومصباح مصباحي بمنزليهما، يومي 17 و18 ديسمبر 2017، على الساعة العاشرة صباحا.
- 323_ لقاء مع السيدة فاطمة قريون، بمنزلها بحي الإستقلال بلدية الوادي، يوم 17 أبريل 2019، على الساعة الرابعة مساء، المعنية من مواليد قمار سنة 1934.

3_ المراجع باللغة الفرنسية:

أ_ الكتب:

- 324_ Ahmed Gouati: école et imaginaire dans l'Algérie coloniale, L'harmattan, Paris, 2009.
- 325_ Ahmed Mahsas: Le Mouvement Révolutionnaire en Algérie, de la 1^{re} guerre mondiale à 1954, Editions L'harmattan, Paris, 1979.
- 326_ Ahmed Nadjah: Le souf des oasis, Edition La maison des livres, Alger, 1971.
- 327_ André Savelli: Le Service de Santé des Armées dans Les Territoires du Sud Algérien, L'oeuvre humanitaire de la France au Sahara, (1900 à 1976), Publication du Cercle Algérieniste de Montpellier, Collection "Mémoires d'Autrefois", N° 2, Nouvelle édition, Montpellier, Octobre 2008.
- 328_ BOUKHOBZA M'HAMED: L'Agropastoralisme traditionnel en Algérie: de l'ordre tribal au désordre colonial, OPU, Alger, 1982.
- 329_ C. Bontems: Manuel des Institutions algériennes de la domination turque à l'indépendance, t 01, Editions Cujas, Paris, 1976.
- _ Claude Collot : Les institutions de l'Algérie durant la période coloniale 1830 – 1962, OPU – ONRS, Alger, 1987.
- 330_ Claude Treyer: SAHARA 1956-1962, Société les belles lettres, Paris, 1966.
- 331_ Dalila Morsly: quelques aspects de la résistance linguistique en Algérie pendant la période coloniale, in pratiques et résistance culturelle au Maghreb, édition CNRS, Paris, 1992.
- 332_ Francis Ducrest: J'ETAIS PILOTE EN ALGERIE, Jpo Altipresse, paris, 2013.
- _ KOUZMINE. Y: Le fait urbain au Sahara algérien, entre continuités et ruptures, in Actes du Colloque international, La ville au Sahara et dans le désert, IREMAM, Aix en Provence, 15-17 décembre 2005.
- 333_ Marc côte: Si Le Souf m'était conté, "Comment se fait et se défait un paysage", Editions Média-plus, Constantine, 2006.
- 334_ Nadir Marouf : Lecture de l'espace oasien, sindbad, paris, 1980.
- 335_ Patrick-Charles Renaud: Combats sahariens 1955-1962, Sahara Algérien, Atlas saharien, Mauritanie, Sahara espagnol, Sud tunisien, Jacques Grancher Editeur, Paris, 1993.

336_ Pierre. Jarrige: L'aviation légère en Algérie (1945-1962), Jarrige Pierre Editeur, Paris, Mars 1992.

337_ Roux .M: Le désert de sable, le Sahara dans l'imaginaire des français (1900-1994), L'Harmattan, Paris, 1996.

ب _ المجلات:

338_ BISSON. J: L'industrie, la ville, la palmeraie au désert, Un quart de siècle d'évolution au Sahara algérien, Maghreb-Machrek, n° 99, Paris, 1983.

339_ BISSON. J: Le Nomade, l'oasis et la ville, Cahiers d'URBAMA, n° 20, 1989, Tours.

340_ BISSON. J: Le Sahara entre explorations en indépendances, Cahiers d'URBAMA, l'Université Ouverte, Tours – Besançon, 1996.

341_ Boudiaf. M: « El Oued », Revue Habitat, Tradition et Modernité, n° 2, Alger, 1994.

342_ Jean Le Coz : De l'urbanisation "Sauvage" à l'urbanisation intégrée, in Bulletin de la Société Languedocienne de Géographie, n° 01, janvier-mars, Paris, 1972.

343_ Jean-Claude Echallier: " Sur quelques détails d'architecture du Sahara septentrional (III^e et dernière partie), le M'zab-Ouargla-Touggourt-le Souf" in Le Saharien, n° 46, 2^e Trimestre, 1967, Paris.

344_ Simone Hugot: Enfance Saharienne, Bulletin de Liaison Saharienne, n°36, Décembre 1959, Imp LA TYPO-LITHO et J. CARBONEL, Alger, p 331.

345_ Sliman chikh : L'Algérie en armes ou temps des certitudes, 2^{em} éd, Casbah, Alger, 1998.

الفهارس

1 - فهرس الأعلام

أ

- إبراهيم بن السمينة: 317.
- إبراهيم بن الطيب رحامة: 276.
- إبراهيم خوازم: 263 .
- إبراهيم سروطي: 302.
- إبراهيم كلكامي: 269, 267, 260 .
- إبراهيم مريقة: 262 .
- إبراهيم مناني: 263 .
- إبراهيم: 186, 185, 173, 164.
- ابن باديس: 287, 286, 281, 249.
- أبو القاسم سعد الله: 297, 294, 288, 286 .
- أبو علي الفضل بن الحسين الطبرسي: 296 .
- اتياس ريمون: 157.
- أتياشي: 184.
- أحمد العبيدي: 283 .
- أحمد العيد: 277, 268 .
- أحمد بن الطيب خزان: 276, 275 .
- أحمد بن بشير شراحي: 265 .
- أحمد بن صالح مباركي: 275 .
- أحمد بن محمد برشوة: 277 .
- أحمد بن محمد خضراوي: 275 .
- أحمد توفيق المدني: 296, 287 .
- أحمد جفي: 267 .
- أحمد زائدة: 270 .

- أحمد عبدي: 264, 262 .
أحمد عمار شريف: 303 .
أحمد مولاتي: 283 .
أحمد هقي: 303 .
أحمد: 134, 151, 170, 185, 186, 187, 192, 195, 196, 199, 251 .
أحمدة يومبعي: 267, 268 .
إخوان إنياسيو: 310 .
الأزهر الشريف: 288 .
أستي: 181 .
إسكارد: 175 .
الإمام الشريف: 259 .
أمية بن خلف: 299 .
الأمين العمودي: 291, 292, 322 .
أنطوان: 171, 175 .

ب

- باستور: 172, 174, 176 .
باكير: 171, 172 .
البخاري عوينات: 266 .
البخاري: 170 .
برانسيار فرانسوا: 257 .
برونكيارد: 253 .
بريش: 274: 283 .
البشير الإبراهيمي: 286 .
بشير الريغي: 267 .

- البشير الشابي: 289 .
البشير أويري: 267 .
بشير بن عثمان التجاني: 277، 278.
البشير بن حميم: 148.
البشير بن محمد غربي: 266 .
بشير بن مسعود جديدي: 275.
بشير بن ناصر: 164.
بشير بن ناصر: 291.
البشير حفيان: 266 .
بشير رزقي: 291.
بشير علال: 270.
البشير غربي: 261، 263، 276 .
بشير ميارة: 268.
بشيرة: 162.
بكار محمد: 262.
بكار: 170.
بلال ابن رباح: 298، 299.
بلعبيدي: 291.
بلقاسم بن محمود حشاني: 323.
بلقاسم حوري: 270.
بلقاسم زويري: 269.
بلقاسم عون الله: 260.
بلقاسم غيوط: 267.
بلقاسم مولاتي: 266.
بن خليفة الجيلاني: 258.

- بن شمعون. 153.
بوبكر ديّة: 303.
بوبكر: 184, 192.
بوخاري عوينات: 263.
بوقطاية محمد: 258.
بول كوشوا: 253, 257, 313.
بوناب عبد العزيز: 306.
بونيسول أدريان: 257.
بوهلال محمد الصالح: 272.
بويسون: 257.
بيار شاليمو, 130, 181.
بية: 153.
بيدار القدري: 258.
بيروود قاي: 185.

ت

- تبر: 160, 192.
التجاني بن أحمد رابحي: 278.
التجاني: 122, 170.
التليلي: 259, 271, 272, 296.
توتة: 153, 156, 157.
تيجاني رابحي: 267.

ج

- الجيلاني حاشي: 303.

جاك سوستال: 168.

جاك: 168, 186.

الجبارية: 162, 164.

جمعة: 162.

جميلة: 162.

جون فيليي: 164.

جون ليس كاتينو: 130.

الجيلاني: 250.

جنان أحمد: 304.

جون فيفرييه: 249.

جون هيد: 257.

ح

حاج محمد باديس: 258.

الحادة: 163.

حاييم: 153, 156.

حبوشة: 358.

حبيب بن محمد قرني: 274.

الحبيب: 154, 186, 250.

حدي: 162.

حسني رشيد: 249.

حسين حمادي: 260, 283, 296.

حسين متوري: 267.

حسين: 184, 185, 192.

حفصية: 162.

الحفناوي بوته: 283.

حفناوي حدانة: 302.

الحفناوي هالي: 272.

حفيان علي: 258.

حلاسة: 358.

حمد بن بشير بن عمارة: 275.

حمدات محمد: 306.

حمزة بكوشة: 283، 285، 291، 292، 293.

حمه: 155، 161، 250.

حمي بلقاسم: 249، 276.

حميدة: 184، 192، 250.

حنة: 153.

حورية: 192.

خ

خطاب عبد الكريم: 276.

خُلادي عز الدين: 304.

خديجة: 162، 163، 165.

خميسة: 153.

خياري: 170، 185.

خيرة: 162.

د

داوود: 155.

دحمان: 196.

دلولة: 162.

ديغول: 32, 33.

ديفار كلود: 186.

دركي علية: 310.

دريدي الأمين: 310.

دقليون: 358.

دودي: 260.

ر

الرائد مارس: 123.

رايموند فريزي: 129, 168, 215.

رحيل: 153, 158.

رشيد محمودي: 302.

رمضان دروني: 274.

رمضاني سعد: 258.

روبسكي مرسل: 312.

روبسكي: 157, 184, 185.

روجي سيقالا: 257.

رولاند ريشي دي فورجس: 129.

رين: 304.

ريني: 170.

ز

زييدي بالقاسم: 306, 309, 310.

زييدي حمادي: 258.

زبيدي: 184, 186, 192.

زكريا: 250.

زلاسي إبراهيم: 309.

زلاسي محمد: 258.

الزهرة: 160, 162, 163, 165, 192.

زيد: 151, 152.

زينب: 163, 164.

س

الساسى حمادي: 321, 322.

الساسى سلمان: 264.

ساكو ماريو: 310.

سالم: 185, 215, 267, 326.

سالمى الصادق: 249.

سروطي: 185.

سعد السعود عمراني: 302.

سعد الشاوش: 267.

سعدودي: 259.

سعيد بن محمد بالي: 275.

سعيد: 199.

سنيقرة عبد الرزاق: 310, 311.

سوستال: 248.

سيتروين: 123.

سيدي البشير: 122.

سيدي الحاج البكري: 265.

- سيدي عبد القادر: 267.
سيدي علي بن خزان: 275.
سيدي مسعود: 269، 275، 283.

ش

- شابير: 257.
شادلي زيد: 263.
شارل ديغول: 222، 248.
الشاوش: 358.
الشايب فرجاني: 258.
الشايح عمار: 258.
شتحونة: 153، 156، 166، 185.
شريط عبد القادر: 310.
الشريف ليما: 298.
شلبية: 153، 156.
شلومة: 153، 155، 157.
شوشاني: 52.
شويخة: 163.
الشيخ العفريت: 155.
شيراكي: 184.
شيكا: 71، 215.

ص

- الصادق الوصيف: 298.
الصادق بالي: 260.

- الصادق حوحو: 272.
الصادق دقاشي: 295.
الصادق: 184, 170.
الصادفة: 251, 209, 162.
صالح بوصبيع: 288.
صالح: 249, 196, 159.
الصحن الماسط: 250.
صديق: 170.
الصغير بن أحمد موساوي: 275.
الصغير بن محمد غربي: 265.
الصغير زلاسي: 262.
الصغير: 220, 195.
صلاح الدين الأيوبي: 299.

ط

- الطالب العربي قمودي: 276.
الطاهر بن إبراهيم نصيب: 265.
الطاهر بن عبد الله باقي: 265.
الطاهر بن عمار دوش: 263.
الطاهر بن عيشة: 298.
الطاهر بن موسى: 263.
الطاهر تلحيق: 270.
الطاهر: 199, 196, 195.
الطيب حاسي: 270.
الطيب: 250, 249, 192, 186, 175, 170.

ظ

الضاوية: 162.

ع

العايب محمد: 258.

عائشة: 162, 163.

عبد الحفيظ العرشي: 268.

عبد الحفيظ بن علي: 265.

عبد الحميد بن باديس: 282.

عبد الحميد قروي: 262.

عبد الحميد نجاح: 303.

عبد الحميد: 163, 164, 170.

عبد الرحمان بن علي عسيلة: 266.

عبد الرحمان عمامرة: 264.

عبد الرحمان معمري: 269, 284.

عبد الرحمان: 170.

عبد الرزاق بن الصادق حنكه: 265.

عبد الرزاق جاب الله: 263, 266.

عبد الرزاق: 186.

عبد السلام: 186.

عبد العزيز الشريف: 286.

عبد العزيز بلعيدى: 282.

عبد العزيز شكيري: 291.

عبد العزيز: 192, 204, 205, 206.

عبد الغني: 184, 185, 192, 250.

- عبد القادر الياجوري: 283، 285، 291.
- عبد القادر بن أحمد: 308.
- عبد القادر رحال: 264، 268.
- عبد القادر: 185، 186، 198، 251.
- عبد الكريم عسيلة: 263.
- عبد الكريم عوادي: 288.
- عبد الكريم: 153، 156، 165، 166، 170، 195.
- عبد الله عبد اللاوي: 262.
- عبد المجيد محمودي: 302.
- عبد الوهاب: 185.
- عثمان: 151، 195.
- العربي بن أحمد موساوي: 277.
- العربي بن عمارة قزون: 277.
- العربي بن محمد مناعي: 265.
- العربي بني: 274.
- العربي عوينات: 284، 297.
- العربي: 154، 185، 186، 250.
- العربية السعودية: 241.
- عرعارة: 162.
- العروسي سعودي: 283.
- العزوزي عليّة: 263.
- العزوزي: 170، 196.
- عسيلة بلقاسم: 310.
- العطرة: 192.
- علجية: 153.

- عللي علي: 312.
- عللي مسعود: 309.
- العلمي بن بشير غرايسة: 275.
- علي بن العربي عبد اللاوي: 277.
- علي بن حمّادي: 284.
- علي بن سعد: 293، 292.
- علي بن عمر حفيظ: 275.
- علي بن مسعود غرايسة: 275.
- علي دربال: 265، 250.
- علي زلومة: 270.
- علي عون: 276، 299.
- علي: 142، 152، 156، 157، 159، 160، 170، 184، 186، 195، 199، 202، 203، 204، 238، 249.
- عمار: 170، 192، 230، 233، 239.
- عمارة بن عبد القادر صالح: 277، 278.
- عمارة بن علي منصر: 265.
- عمارة زلاسي: 262.
- عمارة مرابط: 268.
- عمر بن عبد العزيز: 298.
- عمر نوار: 298.
- عمر: 162، 196، 199، 249.
- عمران: 186، 214.
- عون الله الجيلاني: 298، 299.
- عون قابوسة: 270.
- عيادي بشير: 249، 304.

- العيد النبلي: 326، 327.
العيد بن أحمد كحلة: 277.
العيد بن الساسي هقي: 160.
العيد بن محمد الصغير شيخة: 265.
العيد قط: 270.
العيد مامون: 268.
العيد: 196، 192، 160.

غ

- غراي العروسي: 270.
غزالة: 153.
غنية: 163.

ف

- فاطمة منصوري: 320، 323.
فاطمة: 160، 162، 164.
فجرة: 162.
فراجي: 155.
فرجاني محمد البشير: 258.
فرحات: 250.
فريزيه دانيال: 249.
فريزيه ريموند: 303.
فوزان: 186.
فيري: 123.
فيليب نوربار: 257.

ق

- قدور: 185.
قمودي: 250.
قدور بوحبيكة: 326، 327.
قدوري لحسن: 309.

ك

- كرمادي أحمد: 309.
كرمادي عبد الرزاق: 310.
كريم بلقاسم: 287.
كلارمون: 303.

ل

- لايرين: 309، 312.
لخضر بن الطيب خزان: 275.
لخضر بن علي بن الساسي: 264.
لخضر خباز: 270.
لخضر خماس: 264.
لخضر: 155، 161، 184، 192، 196، 250.
لزهاري بلقط: 263.
لعلالي: 184، 192.
لقرع الطيب: 291.
لمين زربييط: 262.
لمين غمام عمارة: 275، 276.
لوجون: 310.

- لوغران: 175.
لومبیز: 320.
لونقلوا: 208.
لويس استراد: 303.
لويس روبيسكي: 130.
ليتو: 122.
ليس كاتينو: 181, 184, 253.
ليفافر: 169.
ليمام: 149.

م

- مادلان روبسكي: 249.
مارسال: 184, 185.
المارشال هيارس: 128.
ماكس لوجون: 310.
مبارك سعد: 262.
مبارك: 250.
مبروكة: 162, 163.
مجوري: 185.
مجل عبد القادر: 310.
محمد الصالح شاقور: 321.
محمد الصالح قديري: 274.
محمد الصغير غربي: 263.
محمد الصغير: 156.
محمد الطاهر تليلي: 269, 272, 285, 291, 297.

- محمد الطيب بن عبد القادر: 274.
- محمد العبسي سروطي: 310.
- محمد العيد حنفي: 268.
- محمد القروي: 259.
- محمد بن السايح مصباحي: 278.
- محمد بن العيد درويش: 262، 264.
- محمد بن بشير مسعودي، 274.
- محمد بن خليفة ربيب: 289.
- محمد بن عبد الله باقي: 265.
- محمد تركي: 272.
- محمد دقاشي: 270.
- محمد رحال 277،
- محمد زغوده: 270.
- محمد سوفي: 270.
- محمد شرفي: 267.
- محمد علاق 262،
- محمد علي كرام: 298.
- محمد غالي: 267.
- محمد موساوي: 262.
- محمد: 156، 163، 179، 184، 185، 186، 187، 192، 195، 196، 198، 199،
- 202، 203، 249.
- محمود: 186، 192.
- مختار بن علي: 265.
- مختار: 187.
- مخزومي السعيد: 311.

- مرخادي: 153.
مرزوق: 150.
مریم: 160.
مسعود فليون: 262.
مسعود معمری: 267.
مسعود: 195, 198, 227, 240.
مسعودة: 162, 163, 164.
مصباح حوینق: 260: 297, 299.
مصباح مصباحی: 288, 290.
مصر: 287, 288, 290.
مصرلی: 184, 192.
مصطفای: 186, 196.
مصطفی بن إبراهیم عسیلة: 265.
مفتاح: 199.
مکی عسیلة: 263.
الملاح: 133.
مهري علال: 309, 310.
موساوي محمود: 258.
المولدي بن محمد: 299.
میريقا: 215.
میلود عوامر: 263.
میلودي العروسی: 297.

ن

- نسري: 120, 312.

نصر بن علي حواس: 265.

نوبلي عبد الغني: 298.

النوبلي محمد: 258.

هـ

الهادي الرجيل: 298.

الهادي بحة: 270، 274.

الهادي بن محمد صخري: 277.

الهادي جاب الله: 319، 320، 324.

الهاشمي الشريف: 259.

الهاشمي حسني: 260، 307.

هبيته البشير: 312.

هبيته إسماعيل: 309.

هزلأوي محمد الطيب: 258.

هلولي صولي: 306.

هنري أنطوان: 171.

هنري يورغان: 132.

هنية: 162، 163.

هويدي الهاشمي: 299.

هبة عيسى: 306، 310، 313.

و

ورامبار: 127، 128.

ونيسي الهاشمي: 308.

ونيسي بشير: 308.

ونيسي محمد: 298.

وهران: 271، 292، 308.

ي

اليامنة: 162.

اليهود: 152، 153، 154، 155، 156، 157، 254.

يمبعي: 28.

يوسف جديد: 288، 290.

2 - فهرس الأماكن والبلدان

أ

الأزهر الشريف: 288 .

الإسكندرية: 290 .

الأعشاش: 134 , 142 , 149 , 151 , 153 , 179 , 184 , 192 , 196 , 198 , 202 ,

208 , 230 , 236 , 238 , 262 , 264 , 279 .

اعميش: 248 , 285 .

الأغفيان: 128 .

أم البواقي: 236 .

أم الزيد: 275 .

أم العرايس: 166 , 237 , 245 .

أمريكا: 237 .

أميه الفرجان: 126 .

أميه القايد: 126 .

أميه باهي: 140 .

أميه خليفة: 37 .

أميه ربح: 161 , 163 , 217 .

أميه ربح: 52 , 128 .

أميه صالح: 139 .

أميه مولاهم: 142 .

أوربا: 237 .

أولاد أحمد: 133 , 134 , 135 , 140 , 141 , 142 , 143 , 144 , 147 , 154 , 196 ,

208 , 227 , 253 .

أولاد أحمد: 260 , 265 , 283 , 299 , 307 .

- أولاد بلول: 146, 217.
أولاد تواتي: 264.
أولاد جامع: 142, 143.
أولاد حجاج: 146.
أولاد حميد: 143.
أولاد زقزاو: 146, 161.
أولاد سعود: 139, 142, 143, 149, 151, 179, 184, 192, 230, 231, 236,
266, 279.
أولاد عيسى: 146.
أولاد مبروكة: 265.

ب

- باتنة: 197, 198, 244.
باتنة: 249, 273, 347.
باريس: 163, 165.
بجاية: 291.
برج الرباعة: 128.
برج الغرافة: 128.
برج فطيمة: 128.
برج مسعودة: 128.
البرج: 169, 208, 240, 251.
بريكة: 234.
بسكرة: 273, 291, 292, 306, 310, 326, 358.
بسكرة: 50, 70, 82, 120, 122, 123, 125, 127, 128, 129, 131, 132,
168, 222, 234, 239, 245, 249, 251.

البغازلية: 265,52 .

بقوزة: 140.

بقوزة: 267.

بلدة عمر: 128.

البهيمة: 30, 37, 49, 80, 82, 130, 131, 137, 140, 146, 169, 179, 183,

184, 196, 230, 240, 242, 247, 254, 257, 258, 274, 275, 326, 340 .

البيضة: 29, 31, 113, 118, 130, 137, 149, 154, 169, 177, 183, 242,

243, 247, 250, 254, 257, 258, 260, 265, 317 .

بئر الجديد: 128, 217.

بئر العاتر: 250.

بئر الغرفة: 217.

بئر برّ الصف: 49.

بئر تركية: 217.

بئر رومان: 49.

بئر صحن الصوان: 49.

بئر صعنونة: 49.

بئر لحرش: 217.

ت

تبسة, 59, 60, 70, 99, 218, 236, 240, 245, 248, 249, 251.

الترايكة: 141.

تغزوت: 29, 37, 49, 80, 90, 101, 103, 117, 118, 249, 255, 267, 343.

تقرت: 250, 253, 283, 304, 305, 314, 358 .

تقرت: 50, 82, 123, 125, 126, 127, 129, 130, 131, 132, 179, 182,

197, 198, 200, 239, 245, 248.

تكسبت, 31, 50, 58, 80, 82, 130, 131, 135, 140, 143, 230, 235, 243,
248, 253, 254, 262.
تلمسان: 291 .
تماسين: 128.
التوام: 31, 62.
توزر: 122, 126, 127, 128, 282 .
تونس: 36, 87, 88, 92, 112, 113, 128, 130, 166, 217, 231, 233, 235,
237, 238, 239, 241, 243, 244, 246, 247, 248, 249, 261, 280, 287,
289, 294, 302, 321, 330, 337, 338, 344, 359, 357, 349, 345 .
تيزي وزو: 249, 291 .

ج

جامع الزيتونة: 268, 273, 282, 283, 284, 285, 291.
جامعة: 269, 271, 273, 283, 289, 304, 317, 331, 337.
الجاايخ: 140, 143, 148.
الجبيرات: 259, 266.
الجديدة: 37, 64, 70, 81, 116, 125, 131, 245, 247, 250, 252, 258,
270, 271, 274, 304, 359, 360, 362, 363.
الجريد: 24, 25, 48, 61, 99.
الجزائر, 25, 32, 33, 36, 47, 67, 75, 76, 83, 87, 93, 103, 109, 110,
111, 112, 127, 129, 131, 132, 134, 157, 161, 172, 176, 180, 181,
188, 191, 199, 209, 217, 230, 231, 232, 233, 235, 236, 237, 239,
240, 243, 245, 246, 248, 253, 255, 287, 292, 293, 294, 295, 296,
298, 299, 300, 308, 318, 319, 320, 326, 335, 337, 347, 354, 363.
جلمة: 274 .

ح

الحمراية 250 .

حاسي خليفة: 30, 37, 80, 125, 126, 131, 137, 143, 144, 146, 161,

183, 211, 218, 235, 242, 248, 255, 261, 275, 276, 284, 358.

الحمراية: 28, 30, 34, 50, 51.

الحوامد: 146.

خ

خبينة غادة: 143.

خنشلة: 60, 65, 70, 92, 236, 248, 249, 251.

د

دار ميه: 126.

الدبدابة: 37, 98.

الدييلة: 30, 31, 34, 37, 49, 51, 80, 118, 125, 131, 134, 137, 140,

146, 148, 169, 179, 181, 183, 184, 192, 196, 199, 211, 223, 235,

242, 246, 274, 275, 276, 279, 321.

الدريميني

الدريميني, 37, 143, 248, 255, 322.

دغرة: 278 .

الدميثة: 37, 126.

ر

الرباح: 29, 52, 131, 138, 154, 183, 211, 242.

ربايع الجنوب: 138, 196, 211, 242.

الرباع: 139, 142, 143, 144, 146, 147, 148, 187, 220, 227, 253

الرديف, 166, 231, 237, 245, 250.

الرقبية, 29, 37, 80, 81, 90, 103, 113, 119, 125, 126, 130, 131, 138,

140, 142, 143, 144, 146, 148, 153, 169, 183, 199, 227, 242, 247,

253, 255, 272, 277, 278, 279, 339, 340, 358, 359.

الرقبيعات: 146, 148.

الروابع: 265 .

رومانيا: 169.

رين: 304.

ز

الزّاب: 24, 25, 60, 66.

الزاوية التجانية: 118, 122.

الزاوية القادرية: 275.

زاوية عين ماضي: 122.

الزقم: 29, 44, 46, 49, 81, 82, 113, 117, 131, 138, 140, 152, 157,

183, 195, 199, 211, 235, 238, 242, 244, 247, 248, 253, 254, 260,

267, 269, 285, 340.

الزيبان: 82, 97, 176, 234, 236, 244, 248.

الزيود: 146.

س

سانت دوني: 164.

الساورة: 182, 183.

سطيف: 164, 165, 234, 251.

سطيل: 124, 125.

سكيدة: 231, 235, 237, 249.

سوريا: 287.

سوف: 24, 25, 26, 28, 32, 35, 41, 42, 43, 46, 47, 48, 49, 50, 52, 54, 56, 57, 58, 59, 60, 62, 66, 67, 68, 69, 70, 71, 72, 73, 74, 82, 86, 87, 88, 89, 90, 92, 93, 94, 95, 96, 97, 98, 99, 100, 101, 102, 103, 109, 110, 111, 112, 115, 117, 119, 120, 121, 122, 123, 126, 128, 130, 132, 133, 134, 135, 137, 139, 140, 141, 143, 144, 145, 146, 147, 149, 150, 152, 153, 155, 156, 157, 159, 160, 161, 164, 166, 167, 169, 170, 171, 172, 173, 174, 175, 176, 177, 178, 179, 180, 181, 187, 188, 191, 194, 196, 197, 198, 199, 200, 201, 202, 203, 204, 206, 208, 209, 210, 211, 212, 214, 215, 216, 217, 218, 219, 220, 221, 222, 223, 227, 228, 230, 231, 232, 234, 236, 237, 238, 240, 241, 243, 246, 247, 248, 249, 250, 251, 252, 254, 255, 256, 257, 261, 269, 271, 281, 283, 284, 285, 286, 291, 292, 293, 294, 295, 296, 297, 299, 301, 302, 307, 309, 314, 315, 316, 320, 324, 328, 330, 331, 333, 335, 336, 338, 339, 340, 342, 343, 345, 347, 352, 354, 356, 357, 358, 359, 360, 361, 363, 364.

سوق هراس: 240.

السويهة: 284.

سيدي الحاج البكري: 265.

سيدي سليمان: 141.

سيدي عبد القادر: 267.

سيدي عبد الله: 135.

سيدي عقبة: 311 .

سيدي علي بن خزان: 275.

سيدي علي دربال: 142.

سيدي عون: 260.

سيدي عون: 29, 49, 62, 80, 103, 125, 131, 138, 140, 169, 183, 195,

199, 218, 242.

سيدي مسعود: 269, 275, 283.

سيف المنادي: 30, 50, 51, 134.

ش

الشبابطة: 147, 148, 195.

الشعامبة: 141, 142, 145, 179, 196, 198, 220, 227.

الشواشين: 146.

شوشاني: 52.

ص

صحن الرتم: 161, 218

الصحن الماسط: 250 .

الصوالخ: 265.

الصين: 169.

ض

ضواي روحة: 135.

ط

طريفأوي: 29, 131, 138, 140, 169, 183, 242, 248, 252, 255, 260, 263, 299, 358.
الطريقة التجانية: 149.
الطبيات: 126.

ظ

الظهاره: 267 .

ع

العباسة: 141, 265.
العتايرة: 146.
العراق: 287, 289.
العربية السعودية: 241.
العرفجي: 140, 267, 278.
العرق الشرقي: 144, 145, 146, 161, 171, 212, 217, 221, 250, 252.
العزالة: 147, 195.
العقلة 266, 250 ,
العقلة: 29, 141, 250, 266.
العلاونة: 146.
علق الواد: 143.
عمرة: 261, 276.
عميش: 51, 62, 79, 89, 113, 125, 131, 134, 139, 141, 142, 143, 144, 146, 147, 148, 149, 152, 183, 186, 217, 221, 223, 227, 255, 263, 271, 339, 340, 358, 359.

عناية: 231, 237, 241, 243, 245, 246, 249.

العواشير: 265, 322.

العوايسة: 143.

العياطة: 275.

عين البيضاء: 240, 249.

غمرة: 248, 255, 270, 355.

غ

غات: 24.

غدامس: 24, 67, 70, 123, 217.

الغرايسة: 265.

غمرة: 139, 165, 169, 179, 195.

ف

الفرجان: 134, 143, 144, 147, 196, 217.

فركان: 250.

فرنسا: 166, 181, 197, 198, 201, 227, 235, 241, 243, 252, 253.

فزان: 25.

القطاحة: 169, 260, 265.

فلسطين: 157, 250.

فور سانت: 128.

ق

قابس: 36, 67, 128, 227.

القارة: 135.

القرافين: 260، 265.

القرائية: 277، 278.

قسطنطينة: 32، 33، 34، 45، 70، 77، 87، 91، 92، 112، 124، 164، 222، 229،

237، 240، 244، 245، 248، 251، 253، 289، 291، 292، 295، 299.

القطاطية: 141، 142، 144.

قفصة: 235، 240، 247، 250، 251.

قمار، 29، 35، 36، 37، 38، 44، 49، 50، 51، 74، 75، 79، 81، 87، 88، 90،

100، 103، 117، 122، 129، 130، 135، 138، 139، 142، 152، 153، 154،

155، 157، 160، 165، 176، 179، 182، 183، 184، 192، 195، 199، 204،

235، 236، 238، 241، 242، 244، 245، 246، 248، 250، 254، 257، 258،

259، 269، 271، 272، 273، 274، 279، 281، 285، 286، 298، 305، 329،

340، 345، 347.

القوايد: 267.

القويرات: 140.

ك

الكرائمة: 141.

كربلاء: 290.

الكوفة: 290.

الكويت: 287، 289.

الكويف: 240، 249.

كوبنين، 29، 49، 51، 58، 62، 80، 82، 88، 90، 138، 139، 140، 142، 150،

152، 153، 169، 182، 183، 195، 198، 205، 240، 242، 244، 245، 246،

249، 253، 254، 257، 258، 266، 282، 293، 346.

ل

لبامة: 148، 265.

لعشاش: 259.

لعوينة: 128.

لغواث: 146.

لفايز: 146.

لقطوطة: 141.

لوگران: 175.

لومبيز: 320.

لييا: 25، 52، 217، 287.

م

المتلوي: 166، 237، 245.

المصاييح: 146.

المصاعبة: 134، 140، 142، 149، 151، 179، 181، 184، 192، 195، 198،

208، 236، 240، 259، 260، 264، 266، 279، 298.

المعاتيق: 146.

المغير: 239، 248، 249.

المقرن: 29، 37، 51، 79، 90، 113، 118، 119، 126، 130، 131، 138، 143،

169، 183، 186، 218، 242، 247، 255، 257، 258، 274، 275، 276، 339،

340، 358.

المقيتلة: 126.

المكتب العربي: 153.

ن

الناطور: 165.

نانتير: 164.

النجف: 290.

النخلة, 138, 141, 146, 147, 183, 223, 225, 229, 232, 234, 242, 247,
260, 266, 284, 321.

نزلة الربيع: 277.

النزلة الظهرانية: 275, 276.

نزلة الوكاويك: 277.

نزلة محدة: 141.

نفزاوة: 59.

نفطة: 282.

نقرين: 217, 250.

النمامشة: 24, 93, 115, 119, 145, 146, 235, 250.

هـ

هبة, 28, 34, 50, 169, 222, 250, 277.

الهدهودي: 140.

هود شيكة: 163, 218.

الهود: 26, 37.

و

الواحات: 145, 182, 183, 220, 230, 233, 234, 239, 243, 244.

واد العلندة: 29, 62, 80, 81, 123.

واد زيتن: 134, 140, 153.

واد زيتن: 262، 277.

وادي ريغ: 24، 25، 82، 92، 283.

وادي سوف: 24، 26، 32، 35، 36، 38، 39، 40، 41، 47، 52، 54، 58، 59، 65، 82، 103، 132، 134، 244، 245، 246، 247، 248، 259، 261، 271، 278، 280، 281، 282، 283، 285، 288، 289، 291، 292، 296، 297، 298، 299، 312، 316، 317، 319، 324، 325، 326، 328، 329، 331، 334، 335، 337، 342، 345، 346، 347، 354، 356، 361.

الوادي، 24، 25، 28، 29، 30، 31، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 45، 46، 47، 49، 50، 51، 53، 54، 55، 56، 57، 59، 61، 62، 65، 66، 67، 68، 69، 70، 71، 72، 73، 74، 75، 77، 78، 79، 81، 83، 85، 87، 88، 89، 90، 91، 92، 93، 96، 98، 100، 101، 112، 113، 114، 115، 116، 117، 118، 119، 120، 121، 122، 123، 124، 125، 126، 127، 129، 130، 131، 132، 133، 134، 135، 136، 137، 138، 140، 141، 142، 144، 146، 149، 150، 151، 152، 153، 154، 155، 156، 157، 158، 160، 163، 164، 165، 169، 171، 172، 176، 178، 179، 181، 182، 183، 184، 185، 186، 188، 193، 196، 198، 199، 201، 202، 203، 204، 205، 206، 208، 209، 210، 211، 212، 213، 214، 215، 216، 218، 221، 234، 237، 240، 241، 242، 245، 247، 249، 251، 253، 254، 255، 256، 258، 259، 261، 262، 264، 268، 269، 271، 272، 277، 279، 282، 283، 284، 285، 286، 295، 296، 298، 299، 302، 303، 304، 305، 306، 307، 3011، 313، 314، 315، 316، 319، 320، 322، 326، 329، 336، 337، 338، 339، 340، 345، 355، 356، 358، 359، 363.

ودي الترك: 142.

ورقلة: 182، 251.

ورماس: 29، 62، 80، 82، 125، 131، 140، 169، 179، 195، 199، 235.

الوزنه: 231, 236, 240, 245, 249.

وهران, 236, 271, 292, 308.

3 - فهرس الجداول والأشكال

أ _ فهرس الجداول:

رقم الصفحة	تعريف الجدول	رقم الجدول
29	إحصاء عدد نخيل دقلة نور والغرس بسوف سنة 1962	01
36	وضح توزع ونسبة إنتاج التبغ في الوادي سنة 1961	02
37	يوضح تطور مساحة التبغ المزروعة في وادي سوف (1962 - 1950)	03
38	يوضح كمية إنتاج التبغ في ملحقة الوادي (1962 - 1955)	04
39	وضح تقلص عدد مزارعي التبغ في وادي سوف (1962 - 1955)	05
52	يوضح انخفاض عدد رؤوس الإبل بملحقة الوادي (1962 . 1954)	06
53	يوضح انخفاض عدد رؤوس الماعز بملحقة الوادي (1962 . 1954)	07
54	يوضح انخفاض عدد رؤوس الأغنام بوادي سوف (1962 - 1954)	08
55	يوضح نسبة نقص قطعان الماشية في سوف (1962 - 1954)	09
63	يبيّن واردات ملحقة الوادي من السلع الأساسية بالقنطار (1962 - 1958)	10
64	يوضح تطور سعر القمح الصلب في ملحقة الوادي (1962 - 1953)	11
64	يبيّن تطور سعر زيت الزيتون في ملحقة الوادي (1962 - 1959)	12
64	يبيّن تطور سعر الأقمشة في ملحقة الوادي (1962 - 1960)	13
66	يوضح تطور سعر السكر في ملحقة الوادي (1962 - 1953)	14
66	جدول رقم 15: يرصد كمية وسعر تمر دقلة نور التي تم تصديرها من ملحقة الوادي (1958 - 1952)	15
67	يرصد كمية وسعر تمر الغرس التي تم تصديرها من سوف (1958 - 1950)	16
70	يوضح نسبة استهلاك المواد الضرورية في ملحقة الوادي سنة 1950	17
73	يوضح تطور قيمة ضريبة زكاة الماشية (بالفرنك) بملحقة الوادي (1961 . 1951)	18
75	يبيّن تطور ضريبة لزمة النخيل (بالفرنك) بملحقة الوادي (1960 . 1950)	19
76	يوضح عدد الملكيات الخاضعة لضريبة الزمة بملحقة الوادي سنة 1959	20
80	يوضح قيمة الضرائب المباشرة والغير مباشرة (بالفرنك) بملحقة الوادي (1953 - 1958)	21
81	يبيّن نسب انخفاض سداد الأهالي للضرائب في ملحقة الوادي (1961 . 1953)	22

85	كمية المصنوعات الحرفية النسيجية السنوية المنتجة في ملحقة الوادي سنة 1961	23
86	ثمن المصنوعات الحرفية النسيجية المنتجة في ملحقة الوادي سنة 1961 (بالمليون فرنك)	24
87	وجهة المنتجات الحرفية النسيجية المصنعة في ملحقة الوادي (1954 - 1962)	25
90	وضح تطور أسعار ثمن المتر المربع للزربية السوفية (1953 - 1962)	26
106	يبرز قيمة صادرات ملحقة الوادي (بالمليون فرنك) (1953 - 1962)	27
107	يخصى تحويلات المهاجرين لملحقة الوادي (بالمليون فرنك) (1953 - 1962)	28
108	وضح قيمة كتلة الأجور في ملحقة الوادي (بالمليون فرنك) (1953 - 1962)	29
110	يبيّن واردات ملحقة الوادي (1953 - 1962)	30
110	يوضح الاستهلاك المحلي في ملحقة الوادي (بالمليون فرنك) (1953 - 1962)	31
133	يبرز الزيادة السكانية بالوادي المدينة (1950-1962)	32
138	يبين توزيع السكان بملحقة الوادي سنة 1960	33
143	يبين تاريخ قدوم البدو إلى سوف وعددهم سنة 1962	34
144	يبين فرق الربيع وحركتهم الموسمية	35
145	يخصى الملاك في أحد غيطان عميش	36
147	يخصى عدد الزوج بملحقة الوادي سنة 1955	37
148	يوضح مهن الزوج في ملحقة الوادي سنة 1955	38
154	يوضح عدد الأوربيين بملحقة الوادي (1931- 1962)	39
158	قائمة النساء المعتقلات ببرج أميه ربح سنة 1955	40
164	يوضح تطور الهياكل الصحية بالملحقة وعدد المستفيدين (1951-1961)	41
165	قائمة الأهالي العاملين بمستشفى الوادي سنة 1961	42
168	يخصى نسبة الأطفال المتدربين المصابين بمرض الرمد الحبيبي بملحقة الوادي سنة 1958	43
175	قائمة المتصرفين الإداريين لملحقة الوادي (1948 - 1962)	44
178	قائمة أعضاء اللجنة البلدية للبلدية المختلطة الوادي سنة 1956	45
179	قائمة أعضاء المجلس البلدي للبلدية المختلطة الوادي سنة 1961	46
184	قائمة القياد بملحقة الوادي بتاريخ 07 ديسمبر 1955	47
187	قائمة شيوخ الفرق بملحقة الوادي في 15 أبريل 1954	48
189	لوحة بيانية لهيكله محكمتي الوادي وقمار في السادس جانفي 1958	49

200	يخصى عدد المساكن وطبيعتها في سوف سنة 1962	50
215	يوضح انخفاض عدد الخيام بين سنتي (1954 – 1962)	51
225	يخصى عدد المهاجرين من ملحقة الوادي حسب قبائلهم وأماكن استقرارهم سنة 1954	52
229	يخصى عدد مهاجري دائرة الوادي في مختلف المقاطعات الفرنسية سنة 1962	53
230	يخصى مجموع المهاجرين السوافة عبر مختلف الاتجاهات	54
250	يوضح تطور عدد المدارس والأقسام وعدد التلاميذ (1948 – 1962)	55
254	يوضح تطور عدد التلاميذ وعدد أيام الإطعام بين سنتي 1957 و 1961	56
260	عدد الهياكل التعليمية التقليدية التابعة للأعشاش سنة 1957	57
261	عدد الهياكل التعليمية التقليدية التابعة للمصاعبة سنة 1957	58
263	عدد الهياكل التعليمية التقليدية التابعة لأولاد سعود سنة 1957	59
264	عدد الهياكل التعليمية التقليدية التابعة لقمار سنة 1957	60
268	عدد الهياكل التعليمية التقليدية التابعة للديلة والبهيمة سنة 1957	61
270	عدد الهياكل التعليمية التقليدية التابعة لمركز الرقيبة سنة 1957	62
271	إحصاء عددي للمدارس القرآنية في ملحقة الوادي سنة 1957	63
291	يوضح أعضاء أول تشكيلة لمكتب أولمي الوادي سنة 1947	64
325	يوضح عدد القنادر المنتجة في سوف سنة 1961	65
326	يوضح عدد البرانيس المنتجة في سوف سنة 1961	66

ب _ فهرس الأشكال:

رقم الصفحة	تعريف الشكل	رقم الشكل
29	نسبة نخلة دقلة نور من العدد الكلي للنخيل سنة 1953 بملحقة الوادي	01
30	الشكل رقم 02: نسبة نخلة دقلة نور من العدد الكلي للنخيل سنة 1962 بالوادي	02
36	دائرة نسبية لمناطق إنتاج التبغ في دائرة الوادي سنة 1962	03
37	الشكل رقم 04: مخطط بياني يوضح تطور مساحة زراعة التبغ في ملحقة الوادي (1950 - 1962)	04
38	مخطط بياني يوضح كمية إنتاج التبغ في ملحقة الوادي (1955 - 1962)	05
39	مخطط بياني يوضح تقلص عدد مزارعي التبغ في وادي سوف (1955 - 1962)	06
51	مخطط بياني يلخص تناقص أعداد الماشية في ملحقة الوادي (1954 - 1962)	07
87	دائرة نسبية لمداخيل كل منتج من مجموع المنسوجات في ملحقة الوادي سنة 1961	08
91	مخطط بياني لتطور أسعار ثمن المتر المربع للزربية بملحقة الوادي (1953 - 1962)	09
154	مخطط بياني لحركة الأوربيين بملحقة الوادي (1931-1962)	10

4 - فهرس الملاحق

رقم الملحق	تعريف الملحق	رقم الصفحة
01	رفع الرمال في أحد غيطان وادي سوف سنة 1959	366
02	عملية استخراج الماء من البئر بأحد غيطان وادي سوف سنة 1956	366
03	جانب من السوق المركزي بالوادي سنة 1961	367
04	الجهة الخاصة ببيع الزراي بالسوق المركزي بالوادي سنة 1955	368
05	زريبة وادي سوف	368
06	أنموذج لعقد قرض فلاحي سنة 1961	372
07	الإحصاء العام لسكان بلديات الدائرة الإدارية لسوف فيفري 1960	373
08	خريطة توضح أماكن إستقرار البدو الرحل في وادي سوف سنة 1961	374
09	مخطط يوضح أهم مراحل توسع مدينة الوادي، أنجز سنة 1961	375
10	أهم مراحل مسلك الوادي - نفطة سنة 1956	376
11	حافلة وكالة الشاوش للنقل الوادي - نفطة	376
12	العيادة المتعددة الخدمات بالوادي سنة 1956	377
13	إحدى حملات فحص وتطعيم التلاميذ سنة 1954	377
14	قسم بإحدى مدارس الوادي سنة 1960	378
15	عيّنة من البنات المتدرسات بإحدى مدارس الوادي سنة 1960	378
16	16 - نسخة من تقرير لمهندس دائرة الوادي حول رسو استشارة انجاز مركز للتكوين المهني بالوادي على المهندس ريموند فريزي	379
17	فريق مدرسي لكرة القدم سنة 1958	380
18	عادة النخ في أحد الأعراس بوادي سوف سنة 1953	380
19	الحكواتي وسط ساحة السوق المركزي بالوادي سنة 1961	381
20	محطة للوقود بوسط مدينة الوادي سنة 1962	381
21	فاتورة بأسعار قطع غيار السيارات اقتنتها دائرة الوادي مؤرخة في 26 جوان 1961	382
22	أهم اتجاهات الطيران لنادي الطيران بالوادي سنة 1960	383
23	إحدى طائرات التدريب التابعة لنادي الطيران بالوادي	383

384	إحصاء مهاجري بعض مناطق وادي سوف المتواجدين بفرنسا سنة 1961	24
385	قائمة المعلمين ببعض مناطق وادي سوف سنة 1955	25
386	إحصاء العاملين بمحكمة الوادي سنة 1955	26
387	عيّنة من قائمة البدو الرحل ببلدية البياضة سنة 1962	27

5 - فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	العنوان
01	_ شكر وامتنان
02	_ إهداء
03	_ قائمة المختصرات
05	_ مقدمة:
23	_ الفصل الأول:
24	_ المبحث الأول: التحول النوعي والكيفي والكمي للزراعة في ملحقة الوادي:
25	أولا _ التحول الزراعي:
25	1 _ التحول في غراسة النخيل:
26	أ _ انجاز الغوط:
27	ب _ التحول النوعي في غراسة النخيل:
31	ت _ مشروع قسنطينة في وادي سوف:
34	2 _ التحول في زراعة التبغ:
34	أ _ لمحة حول تليخ زراعة التبغ في وادي سوف:
35	ب _ التحول في المساحة المزروعة وكمية الإنتاج:
39	3 _ الخضر والفواكه والبقول بوادي سوف:
40	أ _ الخضر:
42	ب _ الفواكه:
44	ثانيا _ نظم السقي التقليدية والتحول للآبار الحديثة:
45	1 _ نظم السقي التقليدية:
46	2 _ طبيعة الآبار في سوف:
47	3 _ التنقيب عن المياه وتفجير العيون:
49	ثالثا _ التحول العددي لقطعان الماشية:
51	1 _ الإبل:
52	2 _ الماعز:
53	3 _ الغنم:

55	_ المبحث الثاني: تحوّل الحركة التجارية والصناعة الحرفية ومصادر الطاقة:
56	أولا _ التحوّل من تجارة القوافل إلى الإقتصاد الكولونيالي:
56	1 _ نهاية تجارة القوافل:
58	2 _ تثمين العمل وارتفاع الأجور:
62	3 _ الحبوب والمواد الإستهلاكية:
62	أ _ الحبوب:
63	ب _ الزيت:
64	ت _ الأقمشة:
64	ث _ الشاي:
65	ج _ السكر:
66	ح _ التمور:
67	خ _ التبغ:
72	4 _ الضرائب:
72	أ _ طبيعة الضرائب المفروضة:
72	أ _ 1 _ الضرائب العربية:
78	أ _ 2 _ الضرائب الأوروبية:
79	ب _ ضرائب أخرى:
81	ثانيا _ تحوّل الصناعة الحرفية:
82	1 _ حرفة النسيج:
82	أ _ الألبسة الصوفية:
87	ب _ الزربية السوفية:
91	2 _ حرف أخرى:
97	ثالثا _ تحول مصادر الطاقة
97	1 _ الحطب:
97	2 _ الكهرباء:
98	3 _ البترول:
98	_ المبحث الثالث: قواعد ارتكاز التحول الإقتصادي في وادي سوف:
98	أولا _ الأسرة السوفية وتحليلات تحوّل موازنة الإقتصاد المحلي:
98	1 _ أنموذج لميزانية أسرة سوفية:

105	2 _ تحليلات تحوّل موازنة الإقتصاد المحلي:
106	أ _ تحوّل المداخل:
107	ب _ تحويلات المهاجرين السوافة:
108	ت _ الاستثمارات أو المساعدات المالية:
110	ث _ تحوّل الإستهلاك المحلي:
112	ثانيا _ تحوّل أسواق سوف:
116	ثالثا _ تحوّل وسائل النقل والخدمات:
116	1 _ تطور وسائل النقل وتعبيد الطرقات:
121	2 _ ظهور الطيران المدني:
124	3 _ البريد والهاتف:
125	4 _ المعالم السياحية:
131	_ الفصل الثاني:
132	_ المبحث الأول: تحول الحياة الإجتماعية في وادي سوف:
133	أولا _ تحوّل الهيكلية والسكان في ملحقة الوادي:
133	1 _ تطور هيكلية وسكان الوادي المدينة:
136	2 _ حركة الهجرة الداخلية وتحوّل القرى القديمة:
137	أ _ كتلة أولاد سعود وقمار:
138	ب _ كتلة عميش:
139	ت _ كتلة وادي العلندة:
140	ث _ كتلة الرقية:
141	3 _ شبه الرحل والرعى في سوف:
142	أ _ الرحلة الدورية:
143	ب _ شبه الرحل وبوادر الإستقرار:
145	4 _ الأجانب في سوف:
145	أ _ الزوج:
148	ب _ اليهود:
152	ت _ الأوربيون:
154	ثانيا _ المرأة السوفية والإستعمار الفرنسي:
154	1 _ مظاهر حماية المجتمع للمرأة من الغزو الثقافي الاستعماري:

154	أ_ مظاهر حماية المرأة من الغزو الأجنبي:
155	ب_ التحول إلى تعليم الفتيات:
156	2_ المرأة السوفية وتحول الأدوار:
158	3_ مظاهر مساهمة المرأة السوفية في الثورة التحريرية:
160	ثالثا_ تحول الهياكل والأطقم الصحية:
161	1_ الهياكل الصحية:
163	2_ طاقم التمريض:
167	3_ الأمراض بسوف:
172	_ المبحث الثاني: التحولات الإدارية والمعمارية في وادي سوف:
172	أولا_ التحولات الإدارية:
172	1_ لمحة تاريخية:
175	2_ الإصلاح البلدي:
176	3_ الإصلاح الإقليمي:
179	ثانيا_ أعوان الإدارة الاستعمارية في سوف 1954 - 1962:
180	1_ القيادات الأهلية بوادي سوف:
183	2_ الحرس الريفي الأهلي
184	3_ رؤساء الفرق وصلاحيات الجماعة في سوف:
184	أ_ رؤساء الفرق:
186	ب_ تنظيم وصلاحيات الجماعة في سوف:
187	4_ التحول القضائي في وادي سوف:
190	ثالثا_ التحول المعماري في سوف:
190	1_ تحول شكل النسيج العمراني:
192	أ_ العمارة المحلية:
194	ب_ المدينة الكولونيالية:
200	2_ سمات وقيم الطابع المعماري بمدينة الوادي:
200	أ_ الطابع المناخي:
201	ب_ الطابع الاجتماعي:
202	3_ عناصر التأثير في تحول طبيعة وشكل العمارة في مدينة الوادي:
202	أ_ أثر الهجرة في تطوير شكل ومقتنيات البناء:

203	ب _ الأثر الكولونيالي:
205	_ المبحث الثالث: تحوّل نسق البداوة وحركة الهجرة:
205	أولا _ التحول في نسق البداوة:
205	1 _ طبيعة السياسة الإستعمارية لاجتثاث البداوة:
207	2 _ ظروف تحول البدو إلى حياة الاستقرار:
210	3 _ إغراءات مشروع قسنطينة ومخططات التنمية:
214	4 _ تبعات تحوّل نسق البداوة على الفرد والمجتمع:
217	ثانيا _ حركة الهجرة أسبابها وأنواعها واتجاهاتها:
218	1 _ أشكال وأسباب الهجرة:
218	أ _ أشكال الهجرة من سوف:
219	ب _ أسباب الهجرة:
220	2 _ فئات المهاجرين:
223	3 _ اتجاهات المهاجرين ونشاطهم:
223	أ _ اتجاهات المهاجرين:
229	ب _ نشاط السوافة في المهجر:
232	ثالثا _ أثر حركة الهجرة على تحوّل المنطقة:
232	1 - الأثر الديموغرافي:
232	2 _ الآثار الاقتصادية والإجتماعية:
234	3 _ الآثار السياسية:
236	4 _ الأثر الديني والنفسي:
241	_ الفصل الثالث:
242	_ المبحث الأول: تحول المنظومة التعليمية في وادي سوف:
242	أولا _ تحوّل المنظومة التعليمية الفرنسية:
243	1 _ المدرسة:
250	2 _ الإطعام المدرسي:
252	3 _ التكوين المهني وتعليم الكبار:
253	4 _ الرياضة المدرسية:
254	ثانيا _ المنظومة التعليمية الأهلية:
257	1 _ المدارس القرآنية التابعة للأعشاش والمصاعبة:

257	أ _ مدارس الأعشاش:
259	ب _ مدارس المصاعبة:
260	2 _ المدارس القرآنية التابعة لأولاد سعود وقمار:
260	أ _ مدارس أولاد سعود:
262	ب _ مدارس قمار:
266	3 _ المدارس القرآنية التابعة للديلة والبهيمة والرقيبة:
266	أ _ مدارس الديلة والبهيمة:
267	ب _ مدارس الرقيبة:
270	ثالثا _ أبرز مظاهر التحول الثقافي بوادي سوف:
271	1 _ أهم الشخصيات المؤثرة في التحول الثقافي
274	2 _ التحول العددي والنوعي للبعثات العلمية:
276	أ _ البعثات الطلابية إلى مصر:
277	ب _ البعثات الطلابية إلى العراق :
277	ت _ البعثات الطلابية إلى الكويت:
279	3 _ أثر الحركة العلمية في التحول الثقافي في وادي سوف:
279	أ _ المساهمة في الحركة الصحفية:
283	ب _ ظهور المكتبات الخاصة:
284	ت _ العروض المسرحية:
287	_ المبحث الثاني: تحول الألعاب الشعبية والنشاطات الترفيهية والرياضية:
287	أولا _ تحول الألعاب:
298	1 _ لعبة كرة القدم (أولمبي الوادي):
298	أ _ ميلاد فريق أولمبي الوادي لكرة القدم:
292	ب _ فريق الأولمبي واجهة نضالية:
296	ت _ من مظاهر تحرش الجنود الفرنسيين بعناصر الأولمبي وأنصاره:
299	2 _ لعبة الكرة الحديدية:
299	3 _ لعبة لاماريل:
300	ثانيا _ تحول الثقافة الشعبية:
301	1 _ تحول أغراض الشعر الشعبي:
310	2 _ الحكايات الشعبية:

313	_ المبحث الثالث: مجالات تحوّل السلوك اليومي في سوف:
313	أولا _ مظاهر التحوّل في عادات الطعام واللباس:
313	1 _ الطعام:
320	2 _ أدوات الطبخ والأواني:
321	3 _ اللباس:
322	أ _ لباس الرجل:
329	ب _ لباس المرأة السوفية:
335	ثانيا _ مظاهر تحول بعض طقوس عناصر دورة الحياة:
335	1 _ الميلاد:
336	2 _ الحتان:
339	3 _ الزواج:
341	ثالثا _ تحول الخدمات اليومية:
341	1 _ وسائل النقل:
342	2 _ البريد والهاتف:
349	_ الخاتمة:
363	_ الملاحق
387	_ قائمة المصادر والمراجع:
415	_ الفهارس:
416	_ فهرس الأعلام:
436	_ فهرس الأماكن والبلدان:
451	_ فهرس الجداول:
454	_ فهرس الأشكال:
455	_ فهرس الملاحق:.
457	_ فهرس الموضوعات: